شِعرُ ثَقيف

حَتّى نِهايَةِ العَصرِ الأُمَويّ

عني بجمعه وتحقيقه

إسلام ماهر فرج عمارة

شعر ثقيف
حتى نهاية العصر الأموي

جمعه وحققه

إسلام ماهر فرج عمارة

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية.
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر.

عمارة، إسلام ماهر فرج.
شعر ثقيف: حتى نهاية العصر الأموي/ جمعه وحققه إسلام ماهر فرج عمارة. - ط 1 - أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، 2010.
ص. ؛ سم.
ت د م ك 1-574-01-9948-978

1- الشعر العربي -العصر الجاهلي - تاريخ ونقد. 2- الشعر العربي -عصر صدر الإسلام -تاريخ ونقد. 3- الشعر العربي -العصر الأموي-تاريخ ونقد. 4- ثقيف (قبيلة) - تاريخ. أ- عمارة، إسلام ماهر فرج. ب-العنوان.

LC PJ7545. S53 2010



أبوظبي للثقافة و التراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

الطبعة الأولى 1431هـ 2010م

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380، هاتف: 300 6215 2 971+

publication@adach.ae
www.adach.ae

شعر ثقيف

حتى نهاية العصر الأموي

إهداء

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي

إلى روح أبي، معلمي، وملهمي... الأستاذ: ماهر عمارة

أهدي بعض علمه، وثمرة من غرسه، عسى أن أَسُدَّ بعضَ حقٍّ يسعده في قبره، فإني لم أستطع أن أقدم له شيئاً في حياته، وفاءً تعلمته على يديه، وإخلاصاً منه وإليه.

تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه منازل السعداء من جنته.

إلى والدتي الرؤوم التي لقنتني أبجديات الكلمة العربية والسورة القرآنية، وغمرتني بفيض حنانها، وكريم عطائها... برّاً بها، ووفاءً لها، في كل فكر، ومع همسة القلم حين يخاطب السطور، أدامكِ الله حميدةَ الفعال، ومتعكِ بالعافية.

إلى روح أخي الحبيب المرحوم حسن، وفاءً للحب المحض، والوداد الصافي، في ذلك الزمن الجميل، طيب الله ثراك.

إلى زوجتي.. رفيقة عمري التي هيأت لي أسباب البحث، ووقفت تشد أزري.

إلى زينة حياتي وريحانتها ماهر، ورانيا، وسلمى.

المقدمة

الحمد لله فاطرِ السماوات والأرض، حمداً يقتضي تضاعف نعمائه، ويمتري ترادف آلائه، ويبلّغني به الله تعالى رضاه، وإن كان جَهْدُ الحمدِ لا يفي بشكر نعمة واحدة من نعمه، فاللهم مغفرتَكَ وعفوَكَ عن تقصيري في حمدِك ومرضاتِك. وصلاةً وسلاماً على منار الهدى، وخيار الورى، محمد بن عبد الله، صلاةً أَزْدَلِفُ بها إلى مغفرتك، وسلم عليه تسليماً يحشرني في زمرة أوليائك، ويُدْخِلُني في شفاعة نبيك يوم لا شفيع إلا بإذنك. فاللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى أبويه الرسولين الكريمين إبراهيم وإسماعيل، وعلى سائر المخلَصين من الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فإن هذا الضرب من الموضوعات يعود بي إلى بداياتي في الدراسة الثانوية، حين كنتُ أُلَقَّن من المحفوظات العربية مطالع المعلقات، وبعض القصائد الجاهلية التي حفظتُها في غير عناء، وجعلت أرددها بكثير من اللذة والحماسة– لاسيما معلقة عنترة، ومعلقة عمرو بن كلثوم– صادفاً عما قد تنطوي عليه تلك القصائد أحياناً من مغلق المعنى، أو مهجور اللفظ، مكتفياً بما فيها من قوة ونخوة واستعلاء، أكاد أحسها بعد انقضاء ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، تتفجر كالينبوع، وتتطاير كالشرر.

وكان أبي رحمه الله قد آنس مني مقدرة في الحفظ بعد أن أتممت في طراءة سني حفظ القرآن على يديه في الثالثة عشرة من عمري؛ فألقى بين يدي كتاب (المعلقات السبع) للزوزني لأحفظها، وأزيد بها ثروة معرفتي بالعربية وغريب ألفاظها، وفتنت بالكتاب، وظفرت من أبي بحسن الثواب. واستولى على نفسي شعر المعلقات، وفارَتْ بي هذه النشوة فكان هذا الحديث هِجِّيرَاي، إلى أن أصَّلَتِ الدراسةُ في كلية (دار العلوم) تلك الرغبة، وتشعَّبَتْ بها وعمَّقَتْها.

وما إن أنهيت السنة التمهيدية للماجستير حتى شرعت أبحث عن موضوع يصلح لأطروحتي، فوقعت عيني على أبيات لأبي محجن، وطريح، والحكيم الأجرد الثقفيّينَ، فأُعْجِبْتُ بها، وعرضتها على أحد الأساتذة الفضلاء، فوجهني مشكوراً وأرشدني مأجوراً إلى دراسة شعر ثقيف، فوافق ذلك هوى في نفسي، ووجدت باعثاً حثيثاً متوهجاً يتلفعني كامناً فيَّ ورغبة قديمة، ولاسيما بعدما تأكدت أن شعر ثقيف لم يحظ بجمع أو دراسة شاملة من الباحثين والدارسين؛ فأبيات الشعراء الثقفيين متناثرة متفرقة، ومقطعاتهم مبعثرة لم تنل حظها أو حقها من الجمع الشامل، ومن البحث الجامعيّ الجاد.

وليس هذا الصنيع جديداً، فقد شغف العلماء قديماً بلغة هذه الأمة وتراثها، ذلك أن تراث أيّ أمة جزء أصيل من كيانها ووجودها، وبإحيائه تتسامى الأمة صعداً في مراقي المجد ومعارج الحضارة، لذا فإن العلماء سعوا إلى تلك اللغة في بواديها، آخذين مما آتاهم أهل وبرها، وشداة رواتها؛ ما تناثر من مفرداتها، وما ندَّ من شواهدها، وما تبعثر من أشعارها وأخبارها وأيامها، فجمعوا ذلك كله، ثم نفرت من هذه الفرقة طائفة عكفت على صنع دواوين للقبائل، فجمع بعضهم دواوين ثمانين قبيلة ونيّف في دواوين خاصة، غالتنا بها أيدي الزمن وعاديات الدهر، فلم تدع لنا منها إلا كما ترك الصقر من فرخ حمامة حميد بن ثور: «رميماً وأعظماً».

أما شعر ثقيف فالمرجّح أن شعرهم كان مجموعاً في كتابٍ ضِمْن ما جَمَعَ علماءُ الأمةِ من أشعارِ قبائلها في قرون الهجرة الأولى، وأن كتاب (أشعار ثقيف) بقي متداولاً حقبة من الزمن بين ثلة من علماء السلف ورواة الخلف، حتى أتى عليه حين من الدهر ذهب بمجموع شعرهم، كما ذهبت مجاميع أشعار القبائل الأولى إلا هُذَيْلاً، فخسرنا ثميناً، وفقدنا غالياً!!

ولا ريب أن إعادة جمع ما تناثر من أشعار القبائل العربية وتحقيقها ودراستها والقيام عليها؛ من أهم ما ينبغي أن يُعْنى به دارس الأدب العربي القديم، ذلك أن الشعر يعد رافداً أصيلاً من روافد تراثنا الثقافي والوجداني، وفي بعثه استجلاء لآفاق الوجدان والفكر والحضارة في تاريخ الأمة، ثم إنه يعطي صورة واضحة المعالم عن حياة العرب وما وصلوا

إليه في شتى نواحي حياتهم، فيصل الباحث من خلال ذلك إلى معرفة حقيقية يفقه بها أدب تلك الحقبة فقهاً شاملاً؛ قائماً على أسس علمية صحيحة، ومنهج أدبي قويم، يجنبه الزلل، ويقيه عثرات الطريق، فلا تزل به قدمه، أو يهوي به هواه، فيقضي بأحكام عامة على الشعر القديم قبل جمعه وتحقيقه.

وتحقيقاً لتلك الغاية فقد سعى عدد من الباحثين العرب– في الربع الأخير من القرن الماضي إلى إعادة جمع أشعار القبائل العربية، في شكل تظاهرة أدبية أظهرت لنا فيها المطابع أشعار قُشَيْر، وعُقَيْل، وهَمدان، وذبيان، وتَغْلبَ، وأسد، وطيء، وعامر بن صعصعة، وغيرها من القبائل.

وعلى هذا فإن الباحث دفعت به رغبة مُلِحَّةٌ إلى الإدلاء بدلوه؛ أملاً في إعادة إحياء تاريخ الأمة وبعث تراثه، انطلاقاً من جمع أشعار ثقيف في سفر يحويها، أو كتاب يضمها، أو ديوان يجمعها ويؤلف بينها، حتى تكون إضافةً تُضَمُّ إلى رصيفاتها من أشعار القبائل الأخرى.

ولما صح العزم مني على المضي في هذا السبيل ـ على حزونته ووعورته ـ طويت كل نفسي على عزيمة حذَّاء ماضية، فبدأت جمع أشعار ثقيف، وآنست قدراً ليس بالقليل من أخبارهم، ولمست أثر شعرهم وقدر لغتهم في مواطن كثيرة من كتب الأدب واللغة والنحو والمعاجم، وانتهيت إلى أنهم من أفصح القبائل العربية لساناً، وأفضلها بياناً، وأجودها شعراً، وأتقنها لغةً، وأن لغتَها إحدى اللغات السبع التي نزل القرآن بها، ولا غَرْوَ أن يسترضع سيد البلغاء وأفصحهم ﷺ في نواحي ديارهم من بني سعد من هوازن، حتى قال: «أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش، وأني نشأت في بني سعد بن بكر».

وإذا كان أهل اللغة والشعر في القرون الأولى قد تواضعوا على أن أشعر أهل المدن يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف؛ فإن ذلك مما يؤكد جودة الشعر ومكانة اللسان الثقفي، الذي ينطلق عن سليقة عفواً بلا عناء، وهذا مما يغري الباحث أيضاً بضرورة البحث في أضابير المصادر لاستخراج هذه الأشعار.

وقد أعددت العدة، وبدأت رحلة البحث أسلك في سبيل غايته الطرق الوعرة، فكنتُ

كمن يُجهد نفسه ضنىً ومكابدة عساه يتسنم ذلك النجد المتلئب ينشد ضالته هناك، أو يقطع المفاوز القفار ليحظى ببيت من الشعر يبل به صداه، أو يروي به غليله، وقد يرجع بعد الجَهْد والمشقة دون طائل.

وطفقتُ أجمع أشعار ثقيف من أمهات الكتب وبطون المؤلفات، وأتتبعها في المصادر والتراجم والحماسات، وكتب التاريخ والمختارات، حتى تجمعت لدي أسماء كثيرة، وأشعار أكثر لشعراء ثقيف، وكلما غصتُ في بحور المصادر استخرجتُ من أعماقها كنوزاً ولآلئ، وأنا أعلم مقدماً تبعة المخاطرة بالسباحة في هذا الكم الهائل من التراث؛ لكنَّ رغبةً داخلية كانت تلح عليَّ أن أركب الصعب، ولا أستعظم الجهد مهما شق؛ بل أستعذب الصعاب وأصالحها. ومن هذه الصعوبات:

1– أن الحقبة الزمنية متطاولة ممتدة من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي. وعلى الباحث أن يقف على الصورة العامة لكل عصر ليعرف ماذا يأخذ بالضبط؟ وماذا يدع؟ في ظل هذا الحشد الهائل من المعلومات والأحداث التاريخية.

2– أن مادة البحث بدأت تتسع وتتشعب أطرافها، فوقفتُ أمامها جامعاً لها وقارئاً، ومنقحاً ومهذباً، ومضيفاً وحاذفاً، ومغيراً ومبدلاً، حتى أشرفتُ على اليأس من تكملة الشوط، لكن يد العناية كانت تلحظني فتشد أزري، فأتذرّع بالصبر محاولاً تعويد النفس على المكروه حتى استقرت.

وظلت الرغبة الأولى متجهة إلى إنضاج البحث واستقصاء مادته، لا الانتهاء منه، أملاً في أن أزيح الثرى عن ركازٍ دفينةٍ، ولآلئ نفيسة من أدبنا العربي القديم، في حقبة عظيمة الشأن جليلة الخطر، تكوَّن فيها أدب أمة وتاريخ حياة.

3– اختلاط أشعار الشعراء الثقفيين بعضها ببعض من جهة، واختلاط أشعارهم بأشعار غيرهم من مختلف القبائل من جهة أخرى.

4– أن من الشعراء الثقفيين من يجد الباحث بينهم تشابهاً في الأسماء، فيقف حائراً أمام

أشعارهم وترجماتهم؛ مثل: كنانة بن عبد ياليل، أحدهما: ابن عمرو، والثاني: ابن سالم، قال عنهما المرزباني: «أمرهما مشكل لاتفاق الأسماء واختلاف النسب»[1]، وكذلك من مثل: ابن الذئبة، وابن الدنبة، ومن ذلك أيضاً: محمد النميري الذي يأتي شعره في بعض المصادر تحت اسم محمد الثقفي، أو النميري، ولقبه (النميري) هذا يختلط بغيره؛ مثل أبي حية النميري، وجران العود النميري، والراعي النميري، ومنصور النمري، إلى غير ذلك.

5- وجود أشعار لا يُعْرَفُ قائلوها؛ فيقال: «قال الثقفي» من دون تحديد اسم الشاعر، وقد لا يعرف للشاعر اسم ولا عصر.

6- ضياع أغلب أشعارهم، ولو جاد علينا الزمن فأخرجها من مخابئها؛ لربما تغير الحكم على الشعر الثقفي، وظهرت أحكام أخرى عن خصائصه وسماته الفنية.

7- أن ما عثرتُ عليه من شعر للثقفيين لم يأت عن طريق رواة الشعر المعروفين، أو حتى مخطوط طواه الزمان، فأتوفّر عليه محققاً شارحاً، وإنما عثرتُ عليه متناثراً في شتى المظان الأدبية واللغوية والتاريخية، والشواهد النحوية، وتضاعيف المجلدات، والكتب والتصانيف التي لَفَّها غبار السنين، وتَتَبُّعُ أشعارِهم على هذا النحو استغرق وقتاً طويلاً.

وقد فرضت طبيعة البحث أن يقسم إلى قسمين: (الدراسة والديوان). وتتألف الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، تناول الفصل الأول قبيلة ثقيف من حيث موقع الطائف، وموطن ثقيف، وتحديد المعنى اللغوي لاسم ثقيف، ونسب القبيلة، وبطونها، وسبب تضارب الآراء في نسبها، ثم تناول البحث أيام ثقيف وحروبها، وحيواتها الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وموقف ثقيف من الإسلام قبل الهجرة وبعدها، ثم دورهم في معركة حنين، وما تبع ذلك من حصار الطائف، واعتناق ثقيف الإسلام، ومعاهدة رسول الله ﷺ لهم، ثم تتبع البحث الثقفيين في عصر الراشدين بتحديد موقفهم من: الخلافة، وحركة

---

(1) معجم الشعراء للمرزباني: 26.

الردة، وحركة الفتوحات الإسلامية، وإدارة الأمصار.

وانتقل البحث إلى متابعة الثقفيين في العصر الأموي، وجهودهم السياسية في قيام الخلافة الأموية، وعلاقة الثقفيين بالأمويين، وموقفهم من المحن التي عصفت بالخلافة الأموية، وموقفهم من ثورات رجال ثقفيين على خلافة الأمويين.

وقد خصّصت الفصل الثاني للحديث عن الشعر الثقفي، وبيئة الطائف، ومنزلة الشعر الثقفي عند القدماء، ومصادر أشعار الثقفيين وتدوينها من حيث روايتها، وفقدان ديوانهم، ومصادر شعرهم، ثم توثيق شعرهم، واضطراب نسبته.

وبالانتهاء من هذا الفصل أضحى السبيل إلى دراسة خصائص شعرهم خصائصه الفنية آمناً من الاستشهاد بما أكدت الأدلة أنه ليس لهم، أو رجحَت ذلك.

قسمت الفصل الثالث الذي خصصته للحديث عن الخصائص الفنية لشعر الثقفيين إلى مبحثين؛ مبحث للخصائص المعنوية، وفيها ستة مطالب: وضوح معانيهم في شعرهم، والصورة البيانية: التشبيه، والاستعارة، والكناية، ثم المحسنات المعنوية ووظيفتها في شعرهم: الطباق، والمقابلة، والتكرار، ثم الأمثال ووظيفتها في شعرهم.

ثم مصادر معانيهم سواء أكانت المعاني التي أُخذت عنهم أم تلك التي أخذوها عن الشعراء الآخرين. وأخيراً أثر الدين الإسلامي والقرآن الكريم في شعرهم.

وتضمن المبحث الثاني ـ مبحث الخصائص اللفظية ـ أربعة مطالب؛ هي: منهجهم في بنية النصوص الشعرية، ورصد إيقاعات الموسيقا الداخلية والخارجية، واللغة وأبرز القضايا النحوية.

وختمت هذا الفصل بذكر مواطن احتجاج العلماء بالشعر الثقفي، واستشهادهم به في التفسير القرآني، والتأصيل اللغوي، والتقعيد النحوي، والتذوق البلاغي.

ولم أُخْلِ هذا الفصل من المقارنة بين شعرهم وشعر بعض قبائل العرب، أو بعض الفئات من الشعراء عند الحاجة إلى ذلك، ومن التنبيه على أن هذه القضية أو تلك مما يشترك فيها

شعراء العرب عامة.

وجعلت للدراسة خاتمة لَخَّصْتُ فيها ما جاء في فصولها من نتائج وأحكام، وفهرساً تفصيلياً لمحتويات الدراسة.

وأما القسم الثاني (الديوان) فقد ضمنته مجموع ما وقفت عليه من أشعارهم منذ الجاهلية إلى آخر عصر بني أمية، وضمنته أشعار عدد من الشعراء الذين لم تسعف المصادر في تحديد عصورهم، خشية أن يكونوا ـ أو يكون بعضهم ـ ممن عاش في مدة ما بين الجاهلية وآخر عصر بني أمية، ريثما يظهر من الأدلة ما يحدد عصورهم.

أما عملي في تحقيق الشعر فقد التزمت فيه بالخطوات الآتية:

1– تتبعْتُ شعرهم المتناثر في المصادر، وقابلت رواياته المختلفة باختلاف المصادر كما لو كانت نسخاً أخرى، فأختار أَوْفَى المصادر أو أقدمها، وقِدَمَ الرواية وحظَّ صاحبها من الثقة، واطرادها في أغلب المواضع، ثم أعرض القصيدة أو الأبيات على النسخ الأخرى ذاكراً الفروق.

2– حَاوَلْتُ جاهداً جمع شتات الأبيات ذات البحر الواحد والقافية الواحدة ما أمكن لي ذلك، حتى تكون قصيدة واحدة متماسكة، محاولاً بذلك المواءمة بين النصوص.

3– عَلَّقْتُ على الأبيات فجعلت في التعليق: مناسبات النصوص إن وُجِدت، واختلاف الروايات، ونسبة بعض الأبيات إلى أكثر من شاعر، مع التنبيه على بعض مواضع التحريف والتصحيف، وترجمة البلدان والأعلام، ثم إني عُنِيتُ بشرح المفردات الغامضة التي وردت في الشعر ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وقد رجعت في ذلك إلى المعجمات المعتمدة، وهوامش الكتب المحققة، وعندما أجد شرحاً لأسلافنا، فلم أكن لأهْمِلَهُ، بل أَفَدْتُ منه، وأَحَلْتُ عليه، ولم أستَبِحْ لنفسي أن أنسُبَهَ إلى جهدي.

4– ضَبَطْتُ الشعر ضبطاً كاملاً، أو بالقدر الذي يزيل اللبس، وينير السبيل.

5– رَتَّبْتُ الشعر ترتيباً هجائياً حسب حروف القافية مراعياً حركات الروي، وقَدَّمْتُ الروي

المكسور فالمضموم فالمفتوح فالمقيد.

6- ذكرت بحر كل قصيدة أو قطعة أو بيت، جاعلاً المتن خالصاً للشعر.

7- رَقَّمْتُ القصائد أو القطع أو الأبيات المفردة، وجعلت لكل منها رقماً خاصاً.

8- خَلَّصْتُ الأشعار التي وثقتُها من الشوائب والظنون، واجتزت بها تخوم الريب والشكوك، ما أمكنني ذلك، وقسمتُ مادة الشعر كاملة حسب عصور الشعراء كالآتي:

1- الثقفيون الجاهليون وأشعارهم.

2- الثقفيون المخضرمون وأشعارهم.

3- الثقفيون الإسلاميون وأشعارهم.

4- المستدرك على الدواوين المطبوعة لشعراء ثقيف: فقد وجدت أشعاراً كثيرة اسْتَدْرَكْتُهَا على الباحثين الذين جمعوا شعر: أمية بن أبي الصلت، ومحمد النميري، وطريح، ويزيد بن الحكم، وَضَمَّنْتُ هذا المبحث ما عثرت عليه من أبيات، وألحقت به مصورة مخطوط للقصيدة الدالية لأمية بن أبي الصلت التي لم تكن مكتملة أبياتها إلا في هذه المخطوطة، وَقَدَّمْتُ لهذا العمل بمقدمتين شرحت فيهما منهج العمل وقيمة ما استدركت.

5- الثقفيون المجهولون وأشعارهم.

6- شعراء نسبوا إلى ثقيف وليسوا منهم.

ولستُ أقصد من وراء ذلك نقد جمع السابقين، أو التهوين من أعمال الآخرين، فلا ينقص من قيمة أعمالهم إذا فاتهم بعض الأبيات والقصائد، لاسيما إذا كانت في مصادر مخطوطة، وإنما أريد التنبيه على ذلك، مادمتُ مضطلعاً بجمع أشعار قبيلة من قبائل العرب.

لا يفوتني أن أنوه بجهود السابقين في التحقيق الذين عُنوا بإثبات المراجع وإلحاق الشعر

بقائليه ومصادره، وألحقوا بآخر ما حققوه فهارس وافية، فأحسنوا ولم يخلوا بما نشروا، لهؤلاء وأولئك فضل كبير في تيسير بعض ما حاولت.

ولاشك أن هناك من المصادر ما لم أطلع عليه، ولكن حسبي أني بذلت جهداً في البحث والتنقيب، والكمال لا يدرك، والحمد لله على عونه وتوفيقه.

هذا؛ وإن لشيخي الجليل الأستاذ الدكتور محمد فتوح أحمد فضلاً على هذا البحث وصاحبه لا يُحَدُّ ولا يُعَد، لما أبداه نحوي من عطفٍ أبوي رقيق، وصبرٍ وحلمٍ كبيرين، وأفسح لي من وقته وجهده، فغمرني بفيض حلمه، وغزير علمه، وسعة صدره:

كَرِيْمٌ لاَ يُغَيِّرُه صَبْاحٌ   عَنِ الْخُلقِ السَّنِيّ وَلاَ مَسَاءُ

إذ رَعَى الْبَحْثَ وصاحَبَه، فحدَّدَ المنهج، وبيَّن السبيلَ، وسَهَّلَ الصعْبَ، وأقال العثرةَ، وأخلص في النصح والتوجيه والنقد، فبارك الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية، وجزاه عن العلم وطلابه وعني خير ما يجزي العاملين المخلصين.

ثم أقدم خالص شكري وامتناني إلى الأستاذين الجليلين الأديبين الكبيرين الشاعرين المبدعين العالمين المحققين: الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي أستاذ الأدب بكلية دار العلوم، والأستاذ فاروق شوشة الأمين العام لمجمع اللغة العربية؛ لتفضلهما بقبول مناقشة البحث، وسوف يضع الباحث توجيهاتهما الكريمة نصب عينيه، يستنير بها في أول حياته وهو يسلك طريقا يلتمس فيه علماً.

كما يطيب لي أن أزجي خالص شكري إلى أستاذي الأستاذ الدكتور عبد الرحمن حسن الشناوي الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الأدبية بالكلية؛ لتفضله بالمشاركة في الإشراف على هذا البحث.

ويطيب لي وأنا أكبح جماح القلم أن أنوه بالتوجيهات السديدة، والمساعدات الكريمة التي أسداها إلي الأستاذ المفضال الدكتور محمد فرحان الطرابلسي، والأستاذ الكريم أحمد محمد عبيد، فإني مدين لهما بالفضل في إرشادي إلى مصادر من الأهمية بمكان.

أما الكريم الماجد السيد جمعة الماجد فله فضل على هذه الرسالة سابغ، لما أولانيه ـ في جملة طلبة العلم وجمهرة الباحثين ـ من اهتمام كبير، برعايته الكريمة ودعمه المتواصل لمركزه العامر (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي)، فشكر خاص جزيل له، وللقائمين على أمر المركز وقاعة الاطلاع، الذين بذلوا معي جهداً مضنياً في توفير كثير من مصادر البحث بين يدي، وإلى الأستاذ الفاضل أسامة حسن الذي أضنيته في طباعة الرسالة وتنضيدها، فقام بهذا العمل خير قيام.

ولا يفوتني إسداء شكري لإخوتي المهندس أحمد، والدكتور عبد الرحمن، والمهندس عابد، ولزميلتي الأستاذة سعاد بالعبدي؛ لما بذلوه من مساعدات كريمة، وإلى زوجتي وأولادي الذين تحملوا انقطاعي عنهم فجُرْتُ على حقهم في سبيل البحث والدرس.

اللهم اغفر زلاتي، وآمن روعاتي، واجبرني، وعافني، واعف عني، وزدني علماً، وبارك لي في والدتي وذريتي وإخوتي وآل بيتي، وارحم والدي وأخي وتقبلهما في الصالحين، وتقبل مني صالح عملي، وتجاوز لي عن سيئه، فإن الأمر كله لك، بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إسلام ماهر عمارة

دبي 23 / 3 / 2008

القسم الأول

الـدراسـة

الفصل الأول

القبيلة

1- موطنها.

2- نسبها.

3- بطونها.

4- أيامها.

5- حياتها الاقتصادية.

6- حياتها الاجتماعية.

7- حياتها الدينية.

8- موقف ثقيف من الإسلام.

9- دخول ثقيف في الإسلام.

10- الثقفيون في عصر الراشدين.

11- الثفيون في العصر الأموي.

1- موطنها:

قسم الجغرافيون شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام هي: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن(1)، وقد زاد عليها الاصطخري وابن حوقل ثلاثة أقاليم أخرى هي: بادية العراق، وبادية الشام، وبادية الجزيرة(2).

ولما كانت مدينة الطائف إحدى مدن إقليم الحجاز المهمة - موطن قبيلة ثقيف موضوع الدراسة - فقد لزم إلقاء نظرة سريعة على هذا الإقليم.

إقليم الحجاز(3) هو الإقليم الذي تقع فيه سلسلة الجبال الممتدة من خليج العقبة (مدينة أيلة) حتى منطقة عسير جنوباً، ويحده من الغرب منطقة تهامة، ومن الشرق جبال السراة، ويبلغ طول الإقليم من الشمال إلى الجنوب سبعمئة ميل، وعرضه من الشرق إلى الغرب ثلثمئة وخمسون ميلاً(4).

وأهم مدن ذلك الإقليم: مكة، والمدينة، والطائف، وخيبر، ووادي القرى، وقد عد بعض الجغرافيين تبوك وفلسطين من أرض الحجاز(5)، ومعروف أن مكة هي القاعدة التجارية للإقليم، وكانت تقام للعرب حولها أسواق كل عام(6).

وتقع الطائف على طرفِ وادٍ، على مرحلتين من مكة(7) نحو وادي القرى(8)، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً(9) على مسافة خمسة وسبعين ميلاً تقريباً إلى الجنوب الشرقي من

---

(1) صفة جزيرة العرب: 46- 47، معجم البلدان: 2/137- 138.

(2) مكة والمدينة: 11 نقلاً عن الاصطخري في المسالك والممالك: 20 - 21.

(3) سمي حجازاً لأنه يحجز بين تهامة ونجد، انظر: بلاد العرب: 14، جغرافية شبه جزيرة العرب: 47.

(4) لسان العرب (حجز).

(5) معجم البلدان: 2/219.

(6) آثار البلاد وأخبار العباد: 84.

(7) تاريخ البلدان: 75.

(8) صورة الأرض: 32.

(9) آثار البلاد وأخبار العباد: 97، والفرسخ يساوي ثلاثة أميال، انظر: معجم البلدان: 1/28.

مكة، وترتفع زُهاء خمسة آلاف قدم عن سطح البحر[1]؛ أي: ما يقارب 1650متراً، وتتكئ على ظهر جبل غزوان[2]، طولها ثمان وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة[3].

يرى الجغرافيون أن بين مكة والطائف وادياً اسمه نعمان الأراك، وأن جبل غزوان الذي تتكئ المدينة على ظهره هو أبرد مكان في الحجاز، وربما جمد الماء في ذروته في الشتاء، وليس في الحجاز موضع يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع[4].

ومن أراد السفر من مكة إلى الطائف عن طريق العقبة فإنه يسلك طريق عرفات، ثم بطن نعمان، ثم يصعد جبل كرى، ثم يشرف على الطائف، ويصعد عقبة خفيفة ثم يدخل الطائف[5].

ليس بالأمر السهل أو الهين اليسير دراسة تاريخ الطائف القديم؛ وذلك لكثرة تعقيداته، واضطراب رواياته، وتشابك أحداثه، فضلاً عن ندرة الحقائق التاريخية، التي تكشف الغموض، لاسيما إذا عُرِف أن علماء الآثار لم يعثروا على نقوش كثيرة أو كتابات وفيرة يهتدي بها الباحث إلى تاريخ الطائف، فيحدد بها من سكنها قبل ثقيف، ومن الذين تعاوروا عليها، وكيف كانت حياتهم، إلى غير ذلك.

وقد أشار إلى ذلك الدكتور جواد علي فقال: «وتاريخ مدينة الطائف تاريخ غامض، لا نعرف من أمره شيئاً، إذ لم تمس تربتها أيدي علماء الآثار بعد، كما أن السياح لم يجدوا في الطائف كتابات قديمة بعد، ولكن مكاناً مثل الطائف لابد أن يكون له تاريخ قديم، ولا يعقل أن يكون من الأمكنة التي ظهرت ونشأت قبيل الإسلام. وليس لنا من أمل الحصول على شيء من تاريخ الطائف إلا بقيام العلماء بمناجاة تربتها، واستدراجها لتبوح لهم بما تكنه من

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية 4/14، ومقال بعنوان: (قُطر الطائف ومؤرخوه) منشور في مجلة العرب السعودية، ج 1، مج 2، السنة الثانية، رجب 1387هـ1967–م.

(2) صورة الأرض: 32.

(3) صبح الأعشى: 258/4.

(4) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 142/4.

(5) المسالك والممالك: 134.

كتابات مسجلة في الألواح؛ فتحدث عن تاريخ هذا المكان المهم»[1].

ويضيف الدكتور جواد قائلاً: «وما عثر عليه الباحثون من كتابات قليلة مدونة على الصخور المحيطة بمدينة الطائف الحديثة، وفي مواضع غير بعيدة عنها، سواء كانت نبطية أو ثمودية أو بقلم إسلامي؛ لم تدرس بعد»[2].

ليس أمام الباحث إلا مساءلة المؤرخين القدامى عن تاريخ هذه المدينة، وإن كانوا يستندون إلى روايات مختلفة، ربما يدخل بعضها في حكم الأساطير التي أدّت دوراً بارزاً حتى في تسمية المدينة.

وتذكر بعض الروايات أن مدينة الطائف قبل أن تبسط ثقيف سيادتها عليها كان قد سكنها عمليق؛ وهو أبو العماليق من أحفاد سيدنا نوح عليه السلام[3]. ويقال إن وادي (وج) سمي بذلك نسبة إلى وج بن عبد الحي؛ أحد العمالقة الذين سكنوها، ويُضرب بهم المثل في كبر الأجسام، وهو أخو (أجأ)، الذي سمي به جبل طيء[4].

ويذهب بعض الأخباريين إلى أن أول من عرف بسكنى الطائف من الأمم البائدة (بنو مهلائيل بن قينان)، وقد ذكرهم حرثان بن محرث الملقب بذي الأصبع العدواني فقال:

كلا الحيَّيْنِ قد هلكا سفاهاً ... كَمَا هلكَ ابنُ مهْليْلٍ بِوَجِّ

عَدَا بالخيلِ مِنْ جِلْدَانَ رَهْواً ... يجوبُ الأَرْضَ فجّاً بَعْدَ فجِّ

يريد بالحيين بني عبد ضخم وبني هانئ من ثمود، ثم سكنه العمالقة قوم من عاد، تفرقوا في البلاد، انقرض أكثرهم، وهم من ولد عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن نوح عليه السلام.

ثم نزلتها ثمود قبل وادي القرى، ومن ثم يقال: إن ثقيفاً كانت من بقايا ثمود، ويقال: إن

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 4/142 – 143.

(2) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 4/142 – 143.

(3) تاريخ الطبري: 1/203.

(4) معجم البلدان: 3/495 ومجص 9 5/361، وانظر أيضاً: العجيمي، إهداء اللطائف: 39.

الذي سكنها بعد العمالقة عدوان، وغلبهم عليها ثقيف، وهي الآن دارهم[1].

وفي كتاب رسول الله ﷺ لثقيف يوم أسلمت: «أن ثقيفاً أحق الناس بوجّ، وأن واديهم حَرَمٌ محرم لله كله عِضَاهُ وصيده»[2] وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «آخر وطأة لله يوم وج» وأراد بالوطأة الغزوة؛ بمعنى أن آخر ما أوقع الله بالمشركين بـ(وجّ) وهي الطائف.

وتطلق (وج) على أسوار الطائف، أو على وادي الطائف، أو على صحراء الطائف[3]، أو على المدينة كلها كما ورد في كتاب رسول الله ﷺ لثقيف.

ويظهر أن مدينة (وج) قديمة، وقد عثر في أراضيها على كتابات ثمودية، وكذلك في قرية (الوجه)، ولهذه الكتابات على قلتها مكانة كبيرة علمياً؛ لأنها تدل على وجود قوم ثمود في هذه الأماكن منذ القدم، وفي هذه المنطقة واد معروف باسم وادي (وج)، ويقع وادي العرج أسفل وادي (وج)، ثم يجتمع مع أودية أخرى ويفيض في صحراء ركبة[4].

وقد ظل اسم (وج) يطلق على موضع في الطائف يقع على الوادي يقال له (يرد)؛ في العصر العباسي، إذ أقامت فيه زبيدة – زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد – حائطين يقال لهما (وج)[5].

وهناك رواية تذكر أن تسمية المدينة بـ (وج) نسبة إلى قسي (ثقيف) وزواجه من ابنة عامر بن الظرب العدواني، فقد سكن وج، وبنى المكان، فسميت وج بالطائف[6].

وهذه الرواية تذكر أن سكان الطائف في الأصل عدوان، «ثم نزلت قبيلة عامر بن صعصعة

---

(1) تاريخ ابن خلدون: 641/2.

(2) كتاب الأموال: 193/1–194 والحديث ضعيف الإسناد، وإن كان الإمام الشافعي يرى تحريم صيد وج، وهذا يدل على عناية العلماء بتدوين فضائل قطر الطائف، انظر: مقال: قطر الطائف ومؤرخوه بمجلة العرب السعودية، المجلد الثاني ج 1 ص 8.

(3) العجيمي، إهداء اللطائف: 4 وانظر اللسان (وج).

(4) بلاد العرب: 29.

(5) صفة جزيرة العرب: 120.

(6) دائرة المعارف الإسلامية: 205/6 .

– وأمه عمرة بنت عامر بن الظرب– ناحية الطائف مجاورين لعدوان أصهارهم فنزلوا حولهم، وكانوا بذلك زماناً، ووقعت بين (عدوان) حرب، فتفرقت جماعتهم، وتشتت أمرهم، فطمعت فيهم بنو عامر، وأخرجتهم من الطائف، ونفوهم عنها»[1].

وقد أشار ذو الأصبع العدواني إلى البغي والحروب التي وقعت بين عدوان وفرقتهم، وشتتت شملهم حتى تمكنت القبائل منهم، إلى أن استقر الأمر أخيراً لثقيف، يقول حُرْثانُ ابن مُحَرِّثٍ ذو الإِصْبَع العَدْواني[2]:

بَغَى بعضُهُمُ بعضاً فلم يَرْعَوْا على بَعْضِ
وهم بَوَّوْا ثقيفاً دا رَ لا ذلٍّ ولا خفضِ

ويقول أمية بن أبي الصلت حين يذكر دار قومه (وج)[3]:

إنَّ وجّاً وما يلي بطنَ وجٍّ دار قومي بربوةٍ ورتوقِ[4]

واختُلِفَ في (وجّ) هذا، فذهب قوم إلى أنه اسم لحصون الطائف، وقيل إنه واد في الطائف، ويرجح هذا ما ذكره الزمخشري في قوله: «كان (ثقيف) يحفر عين وج بيده في الصخرة ويقول:

فأرميها بُجلْمودٍ وترميني بِجُلْمودِ
فأحْييها وتُحيِيني وكلٌّ هالِكٌ مودِ»[5]

ووادي (وج) لا يزال موجوداً حتى اليوم، وهو يشق المدينة الحاضرة من الجنوب إلى الشمال[6].

---

(1) معجم ما استعجم: 77/1.
(2) الأغاني.
(3) معجم ما استعجم: 1369.
(4) الرتوق: واحدها رتق؛ وهو الشرف.
(5) ربيع الأبرار: 238/1.
(6) انظر: موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية: 928/5.

وجاء عن أهل اللغة قولهم عن (وج): «إنه اسم لبلد الطائف»[1]. وليس لدينا من المصادر ما يرشدنا إلى سبب تسمية هذه البلدة بالطائف على سبيل القطع، سوى روايات لا يحكم بصدقها؛ فهناك رواية تذكرها المصادر تذهب إلى أن منطقة الطائف كانت لبني عامر، فسمحت لثقيف نتيجة وفاق بينهم بالعيش فيها، على أن تزرعها ثقيف، ويشاركها بنو عامر بنصف محصولها، فبقيت ثقيف زمناً حتى كثرت، فحصنوها وبنوا عليها سوراً يطيف بها، فسميت بالطائف، ثم لما اشتدوا بكثرتهم تمردوا على بني عامر، فقاتلهم بنو عامر عليها، فأخفقوا في استردادها منهم بسبب متانة سورها، وامتياز أهلها بالشجاعة، والدهاء، والحكمة.

وفي ذلك يقول ابن الأثير: «كانت أرض الطائف قديماً لعدوان بن عمرو، فلما كثر بنو عامر بن صعصعة غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد، وكان بنو عامر يصيفون بالطائف، ويشتون بأرضهم في نجد، وكانت مساكن ثقيف حول الطائف، فرأت ثقيف البلاد فأعجبهم نباتها وطيب ثمرها، فقالوا لبني عامر: إنكم اخترتم العمد على المدن، والوبر على الشجر، فلستم تعرفون ما نعرف، ولا تلطفون ما نلطف، ونحن ندعوكم إلى حظ كبير، لكم ما في أيديكم من الماشية والإبل، ونحن نقوم بزراعة هذه الأرض، فلكم نصف ثمارها، فتكونوا بادين حاضرين، يأتيكم ريف القرى، ولا تتكلفوا مؤونة، وتقيموا في أموالكم وماشيتكم في بدوكم، ولا تتعرضوا للوباء، وتشتغلوا عن المرعى»[2].. فرغب بنو عامر في ذلك وسلموا إليهم الأرض، وكان بنو عامر يمنعون ثقيفاً ممن أرادهم من العرب، فلما كثرت ثقيف حصنوا مدينتهم، وبنوا سوراً حولها، ومنعوا عامراً مما كانوا يحملونه إليهم عن نصف الثمار، وأراد بنو عامر أخذه منهم فلم يقدروا عليه، فقاتلوهم فلم يظفروا.

هنا تفرد الثقفيون بملك الطائف، فضرب بهم العرب مثلاً، قال أبو طالب بن عبد المطلب[3]:

---

(1) العجيمي: إهداء اللطائف: 40 وانظر: لسان العرب (وج).

(2) الكامل في التاريخ: 685/1، تاريخ اليعقوبي 258/1.

(3) معجم البلدان: (الطائف).

مَنَعْنا أرضَنَا مِنْ كُلِّ حَيٍّ   كما امتنعتْ بِطَائفِها ثقيفُ
أتاهم معشرٌ كَيْ يسلبُوهم   فحالتْ دونَ ذلكمُ السيوفُ

وتذهب رواية أخرى إلى أن الدمون بن عبد الملك بن الصدف، أصاب دماً في قومه بحضرموت، حين قتل ابن عمه وفر هارباً إلى (وج)، وكان معه مال كثير، فلمَّا قدم وادي وج حالف مسعود بن معتب الثقفي سيد ثقيف وقتئذ. فقال لهم: هل لكم أن أبني لكم طوفاً يكون لكم ردداً من العرب؟ فقالوا: نعم. فبنى لهم بماله ذلك الطوف، فسمي الطائف؛ لأنه حائط يطيف بهم، وذلك في مقابل حماية ثقيف له، ومحالفته وتزويجه امرأة من نسائهم[1].

وهناك رواية يوردها الهمداني يسوق فيها خبر تنازع مراد بن مذحج وثقيف في أرض (وج) عند النبي ﷺ وماقضى به فيها، وخلاصة الخبر أن ظبيان بن كدادة المرادي وفد على النبي ﷺ وهو في مسجده بالمدينة فسلم عليه، ثم قال: إن وجاً وشرفات الطائف كانت لبني مهلائيل بن قينان، غرسوا أوديته، وذللوا خشانه، ورعوا قريانه، فلما عصوا الرحمن، هب عليهم الطوفان، فلم يبق منهم إلا من كان في سفينة نوح، فلما أقلعت السماء، وغاض الماء، أهبط الله نوحاً ومن معه حَزْنَ الأرض وسهلَها، فكان أكثر بنيه ثباتاً، وأسرعهم نباتاً: عاد وثمود، فأهلكهم الله بالعذاب الأليم، وكانت بنو هانئ بن هذلول بن هوذلة من ثمود يسكنونها، وهم الذين خطوا مشاربها، وأتوا جداولها، وأحيوا عراصها، ثم خلفتهم بعد ذلك حمير، فبطروا النعم، واستحقوا النقم، فضرب الله تعالى بعضهم ببعض، وأهلكهم في الدنيا بالغدر، فكانوا كما قال الشاعر:

الغدرُ أهلك عاداً في منازِلِها   والبغْيُ أفنى قروناً دارها الجندُ
في حمير حين كان البغيُ مجهرةً   منهم على حادثِ الأيامِ فانجردُوا[2]

ثم إن قبائل من الأزد نزلوها على عهد (عمرو بن عامر) فتحوا فيها الشرائع، وبنوا المصانع، فأخلت مذحج من سواها من القبائل، ثم حدث بينها قتال وسنون مجدبة،

---

(1) معجم البلدان: 3/495، إهداء اللطائف: 40.
(2) صفة جزيرة العرب: 375.

فخرجوا منها، ونزلتها ثقيف[1].

ووافق قدوم الوفد على رسول الله ﷺ وجود الأخنس بن شريق، والأسود بن مسعود الثقفيين، اللذين دافعا عن قبيلتهما عند رسول الله ﷺ، فقال الأسود:

يا رسول الله؛ إن بني هانئ بن هذلول بن هوذلة بن ثمود كانوا ساكني بطن (وج) بعد هلاك (مهلائيل بن قينان)، فعطلت منازلها، وتركت مساكنها خراباً.

فلما كثرت قحطان وضاقت بها فجاجها؛ ساق بعضهم بعضاً، فانتجعوا أرضاً فأرضاً، وأقامت بنو عمرو بن خالد بن جذيمة، ثم إن قيساً وإياداً ساروا إليهم وقاتلوا حتى أجلوهم عنها، ثم التمست إياد المناصفة في المغنم، فأبت قسي عليهم، وكانت أكثر من إياد عدداً، فتلاحوا حتى وقدت الحرب في هضباتها، وأخرجوهم من سرواتها، ورحلت إياد إلى العراق، وأقامت قسي ببطن (وج)[2].

فلم يَرُدَّها رسول الله ﷺ على مراد، وقضى بها لثقيف، وقنع ظبيان بن كدادة، وقال أبياتاً منها:

حَلَفْتُ يميناً بالمحجَّبِ بيتُهُ ... يمين امرئٍ بالقولِ لا يتنحَّلُ

بأنك قِسطاسُ البريةِ كلها ... وميزانُ عدلٍ ما أقام المشلَّلُ[3]

وعلى أي حال فإننا بعد استعراض كل هذه الروايات ندرك أن ثقيفاً سكنت الطائف، فقوي نفوذها، وكثر زرعها، وعم سلطانها، حتى طرقت أبواب التاريخ، فكانت ذات ثقل سياسي واقتصادي وديني تنافس به مكة في العصر الجاهلي.

أما عن تسمية المدينة فإن (وجّاً) هو الاسم القديم لها، ثم سميت (الطائف)، والطائف لغة: العاس، أو العسس الذي يدور حول البيوت يحرسها ليلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

(1) صفة جزيرة العرب: 375.

(2) انظر: صفة جزيرة العرب: 376.

(3) انظر: صفة جزيرة العرب: 377.

﴿ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾[1]، والطائف هنا ما كان كالخيال، والشيء يُلِمُّ بك[2]، قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ﴾[3] فالطائف لا يكون إلا ليلاً، ولا يكون نهاراً[4].

أما الطائف التي بالغور فسميت بهذا الاسم نسبة إلى حائطها الذي يطيف بها، المبني حولها، المحدق بها، ولعل ما يؤيد ذلك قول أمية بن أبي الصلت الثقفي[5]:

نحن بنينا حائطاً حصينا ... يقارِعُ الأبطالَ عن بنينا

وقال أيضاً[6]:

نَفَوْا عن أرضهم عدنان طرّاً ... وكانوا بالربابة قاطنينا

وهم قتلوا السَّبِيَّ أبا رغالٍ ... بِنَخْلَةَ حِينَ إذْ وَسَقَ الْوَضِينَا

وقول أبي طالب بن عبد المطلب أيضاً:

مَنَعْنا أرضنا من كلِّ حيٍّ ... كما امتنعت بطائفِها ثقيفُ

أتاهُم معشَرٌ كي يسلبوهم ... فحالتْ دون ذلكمُ السيوفُ[7]

ويمكن القول إن مدينة الطائف سميت بهذا الاسم نسبة إلى الطواف حول البيت، ويقصدون به بيت اللات، وهو معبودهم الرئيس في الطائف، وأن التسمية جاءت من أهمية المدينة الدينية، ذلك أنها تعد المركز الديني الثاني في الحجاز بعد مكة، فاللات أكبر معبودات الثقفيين تقديساً، وكانوا يعظمونه ويطوفون حوله.

---

(1) الأعراف: (201).

(2) انظر: معجم البلدان (الطائف).

(3) القلم: (19).

(4) لسان العرب: (عسس).

(5) انظر: معجم ما استعجم: 886/3 والبيت لأمية بن أبي الصلت، وقد نسبه ياقوت إلى أبي طالب بن عبد المطلب في معجم البلدان: (الطائف)، والبيت في ديوان أمية: 516.

(6) انظر: أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: 300.

(7) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: 300.

ومن هنا جاءت كلمة الطواف التي تعني العرض أو الاستعراض الديني، والدوران حول البيت الحرام[1].

ولأن الطائف لاتشبه غيرها من مدن الحجاز القاحلة، بل تشبه الشام في جوها ومناخها وأشجارها؛ فقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن سبب تسميتها بالطائف أنها من طوفان نوح عليه السلام، انقطعت من الشام، وحملها الماء، وطافت في الأرض حتى رست في هذا الموضع[2].

وقد تغنى القدماء بجمال الطائف، وعذوبة مائها، وطيب هوائها، وكثرة زروعها، وطيب العيش فيها، يقول المقدسي: «الطائف مدينة شامية الهواء، باردة الماء، كثيرة الفواكه، إذا تأذى ملوك مكة بالحر خرجوا إليها؛ حيث كانت مصيفاً لهم»[3]. فجوها يشبه جو بلاد الشام، ومن هنا – على ما يبدو– حكيت الرواية القائلة بأنها قطعة من الشام، فهي شامية الهواء، باردة الماء، فالطائف متنفس أهل مكة، يملك سراتهم بها ضياعاً يفرون إليها من شدة الحر[4].

يروي الطبري خبراً في السيرة النبوية عن عروة بن الزبير يفهم منه: أنه عندما اشتد الصراع بين المسلمين وأبي جهل وجماعته؛ أسرع كبار القرشيين من الطائف إلى مكة ليتلافوا الأمر، وكانوا يصطافون هناك، في أواخر الصيف[5]، فهو مصيفهم ومتنزههم، يمكثون فيه شهرين أو ثلاثة أشهر من كل عام، يبتعدون عن قيظ مكة[6].

يؤيد هذه الحقيقة المؤرخون المحدثون، فنقرأ في دائرة المعارف الإسلامية خبراً يقول: كانت الطائف عشية الهجرة مركزاً فريداً بين مدن الحجاز، فجوها المنعش، وفاكهتها

---

(1) السيرة النبوية: 85/1، كتاب الأصنام: 16 – 17، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 9/4، معجم البلدان: 9/4.

(2) صبح الأعشى: 258/4، وإهداء اللطائف: 2.

(3) أحسن التقاسيم: 97.

(4) أحسن التقاسيم: 97.

(5) تاريخ الطبري: 328/2.

(6) انظر: ما رأيت وما سمعت: 82.

اللذيذة، وأعنابها، وزبيبها، ومياهها المعسلة الباردة، وموقعها البارد، جعلها أقرب إلى بلاد الشام، ومصيفا لأهل الحجاز[1].

ويصف محمد بن عبد الله النميري زينب بنت يوسف أخت الحجاج بالنعمة والرفاة، فيقول:

تشتو بمكة نعمةً وَمَصِيْفُها بالطائِف[2]

فالطائف تمتاز بالطبيعة الساحرة، والخضرة الوارفة، تكسو أرضها نضارة زاهية، فامتازت عن غيرها بمناخ فريد، وجو بين البلاد عجيب، ولا عجب أن تُحكَى عنها تلك الرواية القائلة بأنها قطعة من بلاد الشام، حملتها ملائكة الله تعالى إلى الحجاز؛ لتكون مصدر رزق لأهل مكة، استجابة لدعاء الخليل إبراهيم عليه السلام[3]: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[4].

قال الحافظ في الفتح مشيراً إلى الطائف: «هو بلد كبير مشهور، كثير الأعناب والنخيل، على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق. قيل: أصلها أن جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت لأصحاب الصريم، فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت، ثم أنزلها حيث الطائف، فسمي الموضع بها»[5].

وهناك رواية تروى عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن الطائف سميت بهذا الاسم، باعتبارها قطعة من أرض الشام نقلت بشجرها ومائها، وبعد أن طافت بالبيت استقرت في الطائف، تلبية لدعوة إبراهيم – عليه السلام– الذي أسكن أهله بواد غير ذي زرع، فدعا الله أن يرزق أهلها من الثمرات؛ ليأكلوا منها، فنقل الله تعالى أرض الطائف هناك رزقاً للحرم،

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية مج 55/15 ترجمة عبد الحميد يونس.

(2) معجم البلدان: (الطائف).

(3) أخبار مكة: 77/1.

(4) إبراهيم: 37.

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 43/8.

واستجابة منه لدعاء نبيه.

فكانــت تلك القطعة من أرض الشام التي عرفت بالطائف؛ لطوافها بالبيت قبل أن تستقر في بموقعها الحالي، ويستدلون على ذلك بخصوبة أرضها، واختلافها عن غيرها من بقاع الديار الحجازية؛ لطيب هوائها، وعذوبة مائها، وجمال نضرتها، وحسن خضرتها[1].

وواضح هنا أن هذه الرواية لا يمكن أن تكون مقبولة علمياً، فهي لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وإن كانت تقبل خيالاً وشعراً، والكلمة للمؤرخ الفرنسي (سيديو) الذي يقول: «الطائف بستان مكة»[2].

ولعل المتأمل في هذه الرواية يلمح من طرْفٍ خفي رغبة قبيلة ثقيف أن تضفي على مدينتها صفة القدسية؛ حتى تحظى بصبغة دينية، وصفة شرعية، كتلك التي يحظى بها القرشيون في مكة، ويعلق الدكتور جواد علي على هذه الروايات التي تسير في هذا الاتجاه بقوله: «وهكذا أكسبت هذه الرواياتُ الطائفَ قدسيةً، وجعلت لها مكانةً دينيةً، وهي روايات يبدو أنها وضعت بتأثير من سادات ثقيف المتعصبين لمدينتهم، والذين كانوا يرون أن مدينتهم ليست أقل شأناً من مكة أو يثرب، وقد كان بها سادات وأشراف أصحاب مال وثراء»[3].

يقول الأصمعي: «دخلتُ الطائف وكأني أبشَّر، وقلبي ينضح بالسرور، ولم أجد لذلك سبباً إلا انفساح جوها، وطيب نسيمها. وعسل الطائف من فائق العسل»[4].

ويروى عن الأصمعي أيضاً قوله: «هجم علي شهر رمضان وأنا بمكة، فخرجت إلى الطائف لأصوم بها هرباً من الحر، فلقيني أعرابي فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر فيه. فقلت له: أما تخاف الحر؟ فقال: من الحر أفر»[5].

ويقول معاوية بن أبي سفيان عن سعد مولاه، وكان يلي أمواله بالحجاز: أغبط الناس

(1) نشر اللطائف: 4، أخبار مكة 40/1، إهداء اللطائف: 3، تفسير الطبري: 2 235/3، معجم البلدان 496/3.
(2) تاريخ العرب العام: 22، ما رأيت وما سمعت: 44.
(3) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 143/4.
(4) آثار البلاد: 97 – 98.
(5) الكامل 202/1.

عيشاً عبدي، أو قال: مولاي سعد، يتربع جُدَّة، ويَتَقَيَّظُ الطائف، ويشتو مكة[1].

ويؤكد هذا المعنى المستشرق الفرنسي القديم (سيديو) حيث يقول: «إن ربوع الطائف الغني – حيث المناخ المعتدل، والمياه العذبة – جعلته مصدراً من مصادر الثروة الاقتصادية، فقد كانت الطائف المصيف الأول لأهل مكة»[2].

وإذا عاد المفتون بجمال الطائف إلى دواوين الشعر؛ فإنه يعجب بقول عروة بن حزام حين أشرف على وادي (وج)، فنظر إليه وقد أسرته حمامة (وج) بنوحها وشجوها، فأفاضت مشاعره، وأسالت مدامعه، وهيجته وأبكته، وأثارت شجونه، فتواردت الخواطر، وتوالت المعاني، فانطلق لسان عروة بن حزام[3] ليقول:

أَحَــقــاً يــا حــمــامــةَ بَــطْــنِ وَجّ — بــهــذا الــنَّــوْحِ أَنَّــكِ تَصْــدُقِــيـنَـا

غَــلَــبْــتُــكِ بــالــبــكــاءِ لأَنَّ لَــيْــلِــي — أواصِــلُــهُ وأنَّــكِ تَــهْــجَــعِــيـنَـا

وأَنِّــي إِنْ بَــكَــيْــتُ بَــكَــيْــتُ حقّاً — وأَنَّــكِ فــي بــكــائِــكِ تــكــذبِــيـنَـا

فلسْتِ وإنْ بَــكَــيْــتِ أشــدَّ شوقّاً — ولــكِــنِّــي أُســِــرُّ وتُــعْــلِــنِــيـنَـا

فَــنُــوحِــي يــا حــمــامــةَ بَــطْــنِ وَجٍّ — فَــقَــدْ هَــيَّــجْــتِ مُــشْــتَــاقــاً حَــزِيـنَـا

هذا الجو الذي تمتعت به الطائف جذب الناس، ولفت أنظار الرحالة إليه، وأغرى عشاق الرحلات حديثاً، يقول الرحالة تاميزيه: «ما أحلى بساتين الطائف، وألطف نسيمها، وأبل هواءها»[4]. وأُعْجِبَ بها الروادة الشهير (بروكارت) فقال: «إن منظرها أجمل ما شاهده من مشاهد الشرق بعد لبنان»[5].

من جملة ما سبق يتبين أن الطائف– التي امتازت باعتدال مناخها، وكثرة مياهها، وبرودة

---

(1) عيون الأخبار: 214/1، ومعجم البلدان (الطائف).

(2) تاريخ الإسلام: 22.

(3) الأبيات من دون عزو عند في: البديع في نقد الشعر: 143، وقد نسبها المحقق في الحاشية إلى عروة بن حزام (كما في معجم البلدان 362/5).

(4) من رمضاء مكة إلى مصيف الطائف: مجلة المشرق: 658/26.

(5) من رمضاء مكة إلى مصيف الطائف: مجلة المشرق: 658/26.

مائها، وخصوبة تربتها، ووفرة فواكهها وزروعها– أجمل بقعة في صحراء هذه الجزيرة المترامية الأطراف، المحترقة بأشعة الشمس، ولا غرو أن يقف الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك على جنة بربوة في الطائف، فلم يتمالك نفسه إلا أن قال: «لله دَرُّ قَسِيٍّ بأي أرضٍ وضع سهامَهُ، وأي أرضٍ مهَّد عُشَّ فروخِه»[1].

أورد القيرواني في كتابه (الممتع في صنعة الشعر) شعراً لبعض ثقيف يقول[2]:

للهِ دَرُّ ثَقِيفٍ أيَّ منزلَةٍ حَلُّوْا بها بين سهل الأرض والجبلِ

قَوْمٌ تَخَيَّرَ طِيْبَ العَيْشِ رَائِدُهُمْ فأصبحوا يُلْحِفُوْنَ الأرضَ بِالحُلَلِ

لَيْسُوا كَمَنْ كَانَتِ التَّرْحَالُ هِمَّتَهُ أخبث بعيشٍ على حِلٍّ ومُرْتَحَلِ

هكذا حبا الله الطائف طبيعة ساحرة فاتنة، وزينها بالبساتين والوديان، فجعلها جنة في صحراء، أو واحة في أرض قاحلة جرداء.

المعنى اللغوي لاسم (ثقيف):

قال ابن منظور: ثقيف من ثَقِفَ، وثَقِفَ الشيءَ ثَقْفاً وثِقَافاً وثُقُوفَةً: حَذَقَه. ورَجُلٌ ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِمٌ. وأتبعوه فقالوا: ثَقْفٌ لَقْفٌ بمعنى رامٍ راوٍ. قال ابن السِّكِّيت: رجلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ إذا كان ضابطاً لما يحويه.

ويقال: ثَقِفَ الشيءَ؛ وهو سرعةُ التعلم. قال ابن دريد: ثَقِفْتُ الشيءَ: حَذَقْتُه. وثَقِفْتُه إذا ظَفِرْتُ بِهِ. قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾[3].

وثَقُفَ الرجلُ ثَقافَةً؛ أي: صار حاذقاً خفيفاً؛ مثل: ضَخُمَ، فهو ضَخْمٌ ومنه المثاقفة. وثَقِف ثَقَفاً مثلُ تَعِب تَعَباً؛ أي: صار حاذقاً فطناً، فهو ثقف وثقف مثل: حذر وحذر ففي

(1) انظر: مجلة المشرق 26/،658 وانظر معجم البلدان (الطائف).

(2) انظر: الممتع في صنعة الشعر: 335.

(3) الأنفال: 57.

حديث الهجرة: «وهو غلام لَقِنٌ ثَقِفٌ»[1] أي: ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يُحتَاجُ إليه.

وفي حديث أم حكيم بنت عبد المطلب: «إني لحَصَانٌ فما أُكَلَّم، وَثَقَافٌ فما أُعَلَّمُ»[2].

وثَقِفتُه ثَقْفاً مثال بَلِعْتُه بَلْعاً؛ أي: صَادَفْتُهُ؛ قال ذو الكلب الهذلي[3]:

فـإمَّـا تَـثْـقَـفُـونِـي فاقـتـلـونـي فـإن أَثْـقَـفْ فـسـوف تـرون بالي

وثَقِفْنا فلاناً في موضع كذا، أي: أخذناه، ومصدره الثِّقْفُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[4].

والثِّقَافُ: ما تُسَوَّى به الرماحُ، ومنه قول عمرو بن كلثوم في المعلقة[5]:

إذا عَـضَّ الـثِّـقـافُ بها اشـمـأزَّتْ تَـشُـجُّ قَـفَـا الـمُـثَـقِّـفِ والـجَـبِـيـنَـا

وتثقيفها: تسويتها. وفي المثل: دَرْدَبَ لَمَّا عَضَّهُ الثِّقَافُ؛ أي: خضع وذلَّ[6]. قال: الثِّقافُ خشبةٌ تسَوَّى بها الرماحُ.

وفي حديث عائشة تصف أباها رضي الله عنهما: «وأقام أَوَدَهُ بِثِقَافِهِ»، والثِّقافُ: ما تُقَوَّمُ به الرماح؛ تريد أنه سوَّى عِوَجَ المسلمين.

وثقيفٌ: حيٌّ من قيس، وقيل أبو حَيّ من هوازن، واسمه قَسِيٌّ. قال: وقد يكون ثقيف اسماً للقبيلة، والأول أكثر. قال سيبويه: أما قولهم هذه ثقيف فعلى إرادة الجماعة، وإنما قال ذلك لغلبة التذكير عليه. وهو مما لا يقال فيه من بني فلان، وكذلك كل ما لا يقال من بني فلان التذكير فيه أغلب؛ كما ذُكِرَ في مَعَدٍّ وقريش. قال سيبويه: النسب إلى ثقيفٍ ثقفيٌّ على

---

(1) صحيح البخاري: كتاب اللباس، حديث رقم (5807).

(2) مسند الحميدي 154/1، حديث رقم (323) مسند أسماء بنت أبي بكر، والمعنى: أني عفيفة فلا يجترئ أحد أن يكلمني، وفطنة فلا أحتاج إلى تعليم.

(3) انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم 236/2.

(4) البقرة: 191.

(5) ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي: 50.

(6) انظر: زهر الأكم 236/2.

غير قياس[1].

وقد أورد ابن السيد البطليوسي في كتابه باباً أسماه (أسماء القبائل والأحياء والسور والبلدان)[2] ذكر فيه أن أبا القاسم[3] قال في هذا الباب: ومما غلب عليه أن يكون اسم الحي معد وقريش وثقيف، وكل شيء لا يجوز أن يقال فيه: (من بني فلان) ولا (بنو فلان). قال المفسر: الغالب على هذه الأسماء أن يُقْصَدَ بها إلى الحي فتصرف، وربما قصد بها إلى القبيلة فلم تصرف، وذكر شواهد شعرية لقريش ومعد مصروفةً وغيرَ مصروفةٍ.

ومما ذكره لثقيف في صَرْفِها:

وما لثقيفٍ حين تُذْكَرُ أَوَّلٌ وما لثقيفٍ حين تُذْكَرُ آخِرُ[4]

وقال آخر في منع الصرف:

فَإنْ رَضِيَتْ ثَقِيفُ فَذَاكَ أَحْرَى وَإِنْ سَخِطَتْ ثقيفُ فَمَا أُبَالِي[5]

ثم قال المفسر: «وأما قول أبي القاسم: إنه لا يقال بنو قريش ولا بنو معد ولا بنو ثقيف؛ فمنه متفق عليه ومنه مختلف فيه»[6]. ثم ذكر قريش ومعد وقال عن ثقيف: «وأما ثقيف فقيل: إنه لقبٌ للحي والقبيلة، وقيل: إنه لقبٌ لأبيهم يسمى قسي بن منبه بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر».

وقال: «فيصح على ما قال ابن عباس أن يقال: بنو ثقيف»[7].

2- نسبها:

ثقيف قبيلة ذات نسب أصيل شريف، وماض مجيد تليد، وتاريخ عريق، إذ يرتفع نسبها

---

(1) انظر: لسان العرب (ثقف).

(2) الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: 287 وما بعدها.

(3) أبو القاسم هو عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (339هـ) صاحب كتاب «الجمل»؛ انظر: مقدمة كتاب «الحلل».

(4) الحلل: 291.

(5) الحلل: 291.

(6) الحلل: 291.

(7) الحلل: 295.

حتى ينتهي إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، تتفق في ذلك كل المصادر، وتجمع على ذلك جميع المراجع، لكن الباحث المحقق في أصل هذه القبيلة يجد نفسه أمام كم هائل من الروايات المتضاربة، التي تحدث كثيراً من الخلط واللبس، وهذا ما يسبب ضبابية تضعف معها الرؤية.

وإذا كانت الروايات قد أجمعت على أن ثقيفاً (قسي) من إياد؛ فإن النسابين اختلفوا في تحديد هذا النسب، ما بين قائل إنهم ليسوا من العرب، وثانٍ يذهب إلى أنهم من ثمود قبل إياد، وثالث إلى أنهم من إياد فقط.

ويمكن تقسيم هذه الاختلافات وحصرها في أربعة أقوال:

القول الأول: يرى أن ثقيفاً تنتسب إلى قسي بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان.

وأنهم من قبائل هوازن، وهوازن يجمعها ثلاثة أجداد كلها لبكر بن هوازن وهم: بنو سعد بن بكر، بنو معاوية بن بكر، بنو منبه بن بكر[1]. وذكرت هذه الرواية– أو أصحاب هذا القول– أن ثقيفاً تختلف عن إياد، وأنه أقام بالطائف، فانتسب هو وولده إلى قيس، وانضموا إلى هوازن، ولذلك يقال إنهم بقية إياد[2].

وذهبت بعض المصادر إلى تفسير اشتراك إياد وهوازن في نسب ثقيف برواية تقول: إن أميمة بنت سعد بن هذيل كانت متزوجة من منبه بن النبيت بن إياد، فولدت قَسِيّاً، وجاءت به إلى قومها، وهناك تزوجت منبه بن بكر بن هوازن، فحضن منبهُ بنُ بكر قِسِيّاً، ورباه، فانتسب إليه[3]. وواضح أن هذه الرواية تربط بين إياد وهوازن عن طريق الأم.

وقد اعترف شعراء ثقيف بهذا النسب، ولم يتنكروا له، ويبدو أن هذه الروايات استندت

(1) انظر: جمهرة أنساب العرب 262/2، 482، السيرة النبوية: 14/1، معجم ما استعجم: 79/2، الروض الأنف 26/1، الأنساب 139/3، العقد الفريد 353/3.

(2) أنساب الأشراف 25/1، وفيات الأعيان 341/1، السيرة النبوية: 47/1.

(3) وفيات الأعيان 341/1.

إلى أشعار الثقفيين في تثبيت هذا النسب[1].

يقول أحد الباحثين: «والخلط هنا واضح، فالباحث المتتبع لأخبار ثقيف ونسبها، وصلات القبائل بها أو العكس؛ يجد أنها كانت على صلة وطيدة بقبائل (قيس عيلان)، وقد زاد النسب هذه الأواصر وقواها، وخير ما يدل على قوة هذه الصلات ما روته كتب السير من تحالف قبيلة ثقيف مع هوازن، حين وقفت جميعاً صفاً واحداً، وسداً منيعاً ضد المسلمين في غزوة حنين سنة 8 هـ تحت إمرة مالك بن عوف النصري.

وهوازن وثقيف أخوان من خمسةٍ، ثالثُهُم سُلَيْم، ورابعهم غطفان، وخامسهم غَني. وقبيلة ثقيف كانت مزامنة لهوازن ومحادة لها»[2].

القول الثاني: يرى أن ثقيفاً هو قسي بن منبه بن النبيت بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دُعْمِيّ بن إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان، ويذكر اليعقوبي أنهم انتسبوا إلى قيس[3]. ويورد ابن هشام وغيره[4] أبياتاً لأمية بن أبي الصلت يقول فيها:

قَـوْمـي إيـادٌ لَـوَ انـهـم أَمَـمُ ... أوْ لَـوْ أقـامـوا فـتُـهـزَلَ الـنَّـعَـمُ

قَـوْمٌ لَـهُـمْ سَـاحَـةُ الـعِـراقِ إذَا ... سَـارُوا جَـمـيـعـا والـقِـطُّ والـقـلـمُ

وقوله أيضاً[5]:

فـإمـا تـسـألـي يـا بَـشْـنُ عـنّـي ... وعـن نَـسَـبِـي أخَـبِّـرْكِ الـيَـقِـيـنَـا

فـإنـي لـلـنَّـبـيـت أبـي قَـسِـيٍّ ... لـمـنْـصـورِ بـن يَـقْـدُمَ الاقْـدَمِـيـنـا

وهذا القول الثاني يرى أن (قسي) و (النخع) ابنا خالة وهما من إياد، قتل[6] أحدهما

---

(1) من ذلك أشعار غيلان بن سلمة، وربيعة بن أبي الصلت.

(2) موسوعة القبائل العربية 925/5.

(3) تاريخ اليعقوبي 225/1.

(4) السيرة النبوية: 80/1، الروض الأنف 66/1 وديوان أمية: 466–467 والقط: الكتاب أو الصحيفة، وهو ما قُطَّ أي قطع من الكاغد والرق ونحوه، وذكر ذلك لأن الكتابة عرفت في إياد، انظر: حاشية محقق الديوان: 466.

(5) معجم ما استعجم: 79/1.

(6) تذكر هذه الرواية أنه قسي بن إياد، وأنه خرج بعد أن قتل أحد ملوك اليمن أو أصاب دماً في قومه ففر إلى الحجاز،

عاملاً من عمال ملك اليمن فافترقا، وذهب قسي إلى وادي القرى، وهناك آوته امرأة يهودية عجوز، تألفها، وورثها، ثم إنه خرج ذات مرة للغزو، فقابل جارية لعامر بن الظرب العدواني، وكان سيد أهل الوادي، وأراد سلبها وقتلها، فأسدت إليه نصيحة استطاع بها أن يتألف سيد الوادي عامر بن الظرب العدواني، وأنه دخل في إجارته، وتزوج ابنته، وسكن الطائف.

وقد ساعد قسيّاً إرثُ العجوز على الاستقرار بالطائف، فغرس الكرم واغتنى منه، وما لبث أن تزوج الابنة الثانية لعامر بن الظرب بعد موت الأولى[1]، فزاد ولده، وأصبحت له أراضٍ بالطائف، وفيها كثر غرسه.

والشعراء الثقفيون يعترفون بهذا النسب أيضاً، وبه يعتزون ويتفاخرون[2].

القول الثالث: يرى أن ثقيفاً من بقايا ثمود. وقد ذكر ابن عبد البر: «أن هناك قبائل تنتمي إلى العرب وهي ليست منها: حمير من تبع، جرهم من عاد، ثقيف من ثمود»[3]. ولكن يبدو أن مثل هذه الروايات لا تقوم على حجة؛ كونها ضعيفة الأسانيد.

وذكر الاصطخري أن ثمودَ قوم سكنوا قرية الحجر في وادي القرى، وأن بيوتهم بنيت في الجبال، وكانت تسمى (الأثالب)، وهي بيوت متصلة بعضها ببعض، والصعود إليها يحتاج إلى جهد ومشقة كبيرين[4].

ولقد ذكر الله سبحانه تعالى قوم ثمود في القرآن مذكراً إياهم بنعمه عليهم؛ فقال جل شأنه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[5].

انظر: السهيلي، الروض الأنف: 164/7، وهناك روايات أخرى في أنساب الأشراف 25/1.

(1) معجم ما استعجم 66/1، 67، أنساب الأشراف: 27/1.

(2) انظر الأبيات السابقة لأمية بن أبي الصلت، وانظر: سيرة ابن هشام 47/1، أنساب الأشراف 25/1–28، معجم ما استعجم: 79/1.

(3) الإنباه على قبائل الرواة: 89–92، الأغاني 364/4.

(4) المسالك والممالك: 19–20.

(5) الأعراف: 74.

يذكر الطبري أيضاً أن ثمودَ سكنوا قرية الحجر في وادي القرى[1]، ويورد المسعودي خبراً يقول: إن ثمودَ سكنت بين الشام والحجاز حتى ساحل البحر الحبشي، وكانت بيوتهم منحوتة في الجبال، وقد أرسل الله إليهم نبيه صالحاً، لما عاثت ثمود في الأرض فساداً، وكفرت ربها، فلم يطيعوه، ويقال إن بعضهم آمن به[2].

ويورد النويري خبراً يقول: «إن ثمودَ عمروا الأرض، وكانوا بضع قبائل، وفي كل قبيلة أكثر من سبعين ألفاً سوى النساء والذرية، ثم كثروا وصارت أعدادهم تقارب أعداد عاد الذين قبلهم، وكانت بيوتهم منحوتة في الجبال، وهي بين الحجاز والشام في قرية الحجر بوادي القرى»[3].

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي شديد الإنكار على من يقول: إن ثقيفاً من بقايا ثمود، ويقول: يزعمون أنا من بقايا ثمود، والله عز وجل يقول: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾[4].

ويذكر الدكتور جواد علي أن تاريخ ثمود يعود إلى ما قبل الميلاد بزمن، كما أن بعض الباحثين يرون أن مساكنهم كانت في مناطق جبلية في وادي القرى، وهي قرية الحجر التي تسمى حالياً الخريبة[5]، وأن آخر ذكر ورد في الوثائق لهم كان في القرن الخامس الميلادي[6]. وأن تلك الكتابات الثمودية– على قلتها– لها «أهمية كبيرة؛ لأنها تدل على وجود قوم ثمود في هذه الأماكن، وتجعل لقول من قال من النسابين: إن ثقيفاً هم من أهل ثمود؛ شيئاً من القيمة في نظر العلم».

وخلاصة القول في ثمود: أن الدراسات الحديثة أثبتت أنهم كانوا جملة قبائل عاشت قبل الميلاد بزمن، وأنهم عاصروا الآشوريين، وسكنوا الطائف، لكن نفوذهم امتد إلى مناطق متعددة، لاسيما تلك التي وجدت لهم فيها كتابات ثمودية، كما أنه لم يُعثَر في المصادر على

---

(1) الرسل والملوك 1/226–227.

(2) مروج الذهب 2/14–18.

(3) نهاية الأرب في فنون الأدب: 13/71.

(4) النجم: 51.

(5) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 1/325–328.

(6) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 1/325–328.

ما يفيد انتماء قبيلة ثقيف إليهم.

القول الرابع: يرى أن قسياً هو أبو رغال عينه[1]، ويذكر ابن كثير أن أبا رغال هو نفسه أبو ثقيف وكان من ثمود[2]. وأبو رغال هو الذي أرسلته ثقيف مع أبرهة الحبشي دليلاً لجيشه أثناء غزوه مكة، وقد خرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس، وهناك مات أبو رغال، فدفن فيه فرجمت العرب قبره، وهو القبر الذي يرجم بالمغمس إلى الآن[3]. وفيه يقول جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغالِ[4]

وقد كان أمر أبي رغال سبةً وعاراً للثقفيين يلاحقهم، فورد على ألسنة الشعراء الهاجين لهم، قال حسان بن ثابت:

إذا الثقفيُّ فاخرَكُمْ فقولوا هَلُمَّ نَعُدَّ شَأْنَ أَبِي رِغَالِ

أبوكُمْ أخبثُ الآباءِ قِدْماً وأنتم مُشْبِهُوْهُ عَلَى مِثَالِ

وروي عن قتادة أن رجلين جاءا إلى عمران بن الحصين فقال لهما: من أنتما؟ قالا: من ثقيف. فقال لهما: أتزعمان أن ثقيفاً من إياد؟ قالا: نعم. قال: فإن إياداً من ثمود. فشق ذلك عليهما، فقال لهما: أساءكما قولي؟ قالا: نعم والله. قال: فإن الله أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه، فأنتم إن شاء الله من ذرية من آمن، وإن كان أبو رغال قد أتى ما بلغكما. قالا له: فما اسم أبي رغال؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه؟ قال: قسي بن منبه[5].

ومن علماء الأنساب من يقول: إن ثقيفاً كان عبداً لأبي رغال، وقد أورد الأصبهاني رواية تقول: إن علي بن أبي طالب مر بثقيف، فتغامزوا به، فرجع إليهم فقال لهم: يا عبيد أبي

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية 205/6 (ثقيف).

(2) البداية والنهاية: 137/1.

(3) أخبارمكة 142/1. ويذكر أن المغمس موقع بين الجعرانة والشرايع في طريق السيل إلى الطائف، ومكان القبر معروف إلى يومنا هذا، في حين يذكر ابن هشام أن المغمس موضع بطريق الطائف قريب من مكة، انظر: سيرة ابن هشام: 48/1.

(4) معجم البلدان: (الطائف)، انظر: مستفاد الرحلة والاغتراب: 224.

(5) الأغاني 307/4.

رغال، إنما كان أبوكم عبداً له، فهرب منه فثقفه بعد ذلك، ثم انتمى إلى قيس[1].

وهذا القول ينقض نفسه، ذلك أن عام الفيل هو العام الذي ولد فيه الرسول ﷺ، وكانت ثقيف حينئذٍ من أقوى القبائل العربية، بل المنافس الوحيد لقريش، فكيف تبلغ ثقيف هذا المبلغ من القوة والمجد في زمن قصير إلى عمر أبي رغال؟ وكيف أنجب أبو رغال كل هؤلاء جميعاً في زمن قصير؟

إذاً هذا القول ضعيف واهٍ، لا يثبت أمام حجة، ولا يقوى أمام دليل، فهو يخالف العقل، ولا يخفى ما في هذه الرواية وأمثالها من سوء النية، وفساد الطوية، التي كانت لها أسبابها ودوافعها، وسترد في الدراسة بعد قليل.

لكن، ما الأسباب التي دفعت النسابة إلى تشويه نسب ثقيف؟ وما سر اختلاف الروايات في تحديد أصل هذه القبيلة؟

يفسر ياقوت هذا التضارب في الروايات بحسد القبائل العربية لقبيلة ثقيف، فقد كان الثقفيون أغبط العرب عيشاً، وأكثرهم عمارةً، وأجودهم أرضاً، وأحسنهم هواءً، وهذا ما جعلهم مطمعاً للقبائل، ومهوى أفئدة الغزاة، يقول ياقوت: «فلما اشتدت شوكة ثقيف، وكثرت عمارة وج، رمتهم العرب بالحسد، وطمع فيهم من حولهم وغزوهم»[2].

وثمة سبب آخر هو: موقف ثقيف من النبي ﷺ، وتحالفها مع هوازن ضد المسلمين في حنين، ويعزو الدكتور إحسان النص «هذا الاختلاف إلى سياسة بعض الولاة الثقفيين الأشداء الذين ظهروا في الدولة الأموية، وما وُسِمَ به حُكمُهُم من البطش والشدة كالحجاج بن يوسف الثقفي، وزياد بن أبيه، مما كان له أثر كبير في صنع كثير من الأخبار المتصلة بنسب ثقيف»[3].

ويعلق الدكتور جواد علي على الروايات التي تنسب ثقيفاً إلى ثمود أو إلى أبي رغال

---

(1) الأغاني 302/4.

(2) معجم البلدان: (الطائف).

(3) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي: 65، الحجاج بن يوسف الثقفي: 69.

فيقول: «وفي رأيي أن معظم هذه الروايات التي يرويها الأخباريون عن ثقيف إنما وضعت في الإسلام؛ بغضاً للحجاج المعروف بقسوته»[1].

اختلاف الروايات نفسها وتضاربها جعلت المؤرخين أنفسهم في حيرة وتردد، فابن الأثير يستبعد الروايات التي تنسب ثقيفاً إلى ثمود أو إلى أبي رغال، محاولاً الكشف عن هذا النسب على أسس تاريخية فيقول: «وكانت مساكن ثقيف حول الطائف، وقد اختلف الناس فيهم، فمنهم من جعلهم من إياد فقال: هو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر»[2].

ومما أدى إلى اختلاف الروايات عدم معرفة القبيلة نفسها بنسبها، فأبناء القبيلة غير متفقين فيما بينهم على أصل واحد ينحدرون منه، وقد ظهر هذا الخلاف على ألسنة شعرائهم، فبينما ينتسب قوم إلى إياد؛ ينتسب آخرون إلى قيس عيلان.

يقول مالك بن عوف النصري:

ألا أبلغْ ثقيفاً حَيْثُ كَانَتْ	**بأنيّ مَا حَيِيْتُ لَكُمْ مُعَادِ**
فإنّي لَسْتُ مِنْكِ وَلَسْتِ مِنّي	**فحُلّي في إحاظَةَ أَوْ إِيَادِ**

فأجابه مسعودُ بنُ مُعَتب:

لا قَيْسُكُمْ مِنّا وَلاَ نَحْنُ منكُمُ	**ولكنَّنَا أولادُ نَبْتِ بْنِ يَقْدُمَا**
وإنْ أدْعُ يوماً في إحاظَةَ تأتني	**كتائبُ خُرْسٌ لا أَخَافُ التَّهَضُّمَا**

وقال غيلان بن سلمة بن معتب:

إني امرؤٌ من إيادٍ غيرُ مؤتَشَبٍ	**واري الزنادِ وقَلّلْ قيسَ عيلانِ**
هُمْ والدي وإليهِمْ أنتمي صُعُداً	**والحيُّ قيسٌ، هُمُ صِهرِي وجيرانِي**[3]

---

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 148/4، أنساب السمعاني: 139/3.

(2) الكامل في التاريخ 684/1، محاضرات الأبرار ومسامرة الأخيار 215/1.

(3) معجم ما استعجم: 79/1.

بعد هذه الجولة السريعة يبدو أن الجمع بين القولين الأول والثاني هو الأرجح، وهو أن ثقيفاً إنما هو قسي بن منبه بن بكر بن النبيت بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دُعْمِيّ بن إياد ابن نزار بن معد بن عدنان، وأنه حين نزل بين قبائل قيس وانتسب إلى هوازن ذكره النسابةُ: قيسَ بنَ منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وأنه قد سبق له الزواج من ابنتي عامر بن الظرب العدواني. قال الحافظ ابن عبد البر(1): «والذي عليه أكثر أهل العلم بالنسب أن ثقيفاً من قيس، و(ثقيف) اسمه (قسي) بن منبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمه بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهم من قبائل هوازن، وهوازن يجمعها ثلاثة أجداد كلها لبكر بن هوازن. وهم: بنو سعد بن بكر، وبنو معاوية بن بكر، وبنو منبه بن بكر».

وقد ذهب «لامانس»(2) إلى أن قسياً رأى أن تنازله عن نسبه إلى إياد ليس فيه تضحية كبيرة؛ لأنها مجرّد ماضٍ بعيد، فقد ضعفت وتفرقت كلمتها، وأن هوازن هي أمله ومستقبله، وأنهم جيرانه الذين امتلأ بهم جبل السراة، وأن المصلحة تقتضي الانتساب إليهم والالتصاق بهم.

فثقيف إذن تنتسب إلى هوازن، وهي من قبائل قيس عيلان، وبهذا القول يستمسك معظم أبناء القبيلة، وعليه بُنِيَتْ عصبيتهم ومفاخرتهم(3)، ولعل المساجلة الشعرية بين مالك ابن عوف ومسعود بن معتب خير دليل على ذلك(4).

3- بطونها:

هم بنو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ابن مضر، وهو تزوج ابنة عامر بن الظرب العدواني واسمها (زينب) فولدت له (عوفاً) و«جُشَمَ» ثم ماتت، فتزوج أختها (عمرة) فولدت له (سلامة) و(دارس)، وقد دخل ولده

---

(1) جمهرة الأنساب: 276.

(2) Lammens: La Cite AT-TAIF. P. 61

(3) الكامل 66/2، وانظر ما قاله المغيرة بن شعبة في كتاب الحجاج بن يوسف الثقفي: 69.

(4) انظر: معجم ما استعجم 79/1.

في الأزد بالسراة، و(عوف) وهم الأحلاف، و(جشم) وهم بنو مالك[1]، وقد ذكر ابن قتيبة[2] أن لقسي أمة تسمى (المسك)، تزوجها (قاسط) فولدت له (وائلاً) أبا بكر بن وائل. وثقيف فرقتان: الأحلاف وبنو مالك.

أولاً: عوف – الأحلاف:

بنو عوف يسمون الأحلاف، وذلك لأنهم تحالفوا مع (غاضرة)– وهي بطن من جشم– ضد بني مالك بن حطيط بن جشم بن قسي[3].

ولعوف – الأحلاف – بطنان هما: سعد وغيرة[4]، وتفرعت منهما البطون التالية:

أ– بنو معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف وهم[5]:

معتب بن مالك: قال المبرد: هم رهط عروة بن مسعود الذي بعثه النبي ﷺ إلى قومه داعية إلى الإسلام فقتلوه – رحمه الله – وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف، وهو ابن خالة أمية بن أبي الصلت الشاعر الثقفي. ومن أولاد معتب هذا: عاصم بن معتب، وأبو مرة، ومعاوية، وأبو مليح بن معتب الذي أسلم قبل إسلام ثقيف[6].

أما معاوية بن معتب فقد رزق بابنة تزوجها فيما بعد الحسين بن علي، فولدت له علياً الأكبر الذي قتل مع أبيه في واقعة كربلاء. من أولاد عاصم بن معتب: يعقوب، ونافع.

أبو مرة: ولد داوود، وأمه ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، وابن أخيه المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب من أهل بيعة الرضوان. وبنوه هم: حمزة، والمطرف الذي خرج على الحجاج منكراً جوره فقُتِلَ.

(1) الجمهرة: 468/2.

(2) المعارف: 91.

(3) الجمهرة: 266–269.

(4) الجمهرة: 267–269.

(5) الجمهرة: 267.

(6) الجمهرة: 267.

وكان لعروة بن مسعود أخ يقال له: الأسود بن مسعود، وابنه قارب بن الأسود الذي أسلم مع أبي مليح[1].

ومنهم كذلك الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق أيام الأمويين. وهشام بن أبي سفيان بن عثمان بن عامر بن معتب أحد ولاة الطائف.

وغيلان بن سلمة بن معتب الذي كانت له وفادة على كسرى، ورياسة على قومه. وابنه عامر بن غيلان أسلم قبل أبيه، وهاجر ومات في حياة أبيه في طاعون عمواس[2].

وعمرو بن أمية بن وهب بن معتب الذي بنى مسجداً على موضع مصلى رسول الله ﷺ إذ حاصر الطائف، فهو مسجدهم إلى اليوم. ومن أبناء عمه الحكم بن عمرو بن وهب؛ أحد الوفود على رسول الله ﷺ حين أسلمت ثقيف[3].

ب – بنو عقدة بن غيرة:

ومنهم أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة المقتول يوم الجسر، وابنه المختار بن أبي عبيد الذي خرج في الكوفة، وصفية بنت أبي عبيد امرأة عبدالله بن عمر، وسعد بن مسعود أخو أبي عبيد، وللمختار ابن اسمه جبر بن المختار، وابن آخر اسمه أبو أمية بن المختار، تزوج أم سلمة بنت عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو محجن بن حبيب ابن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة الشاعر الذي حُدَّ في الخمر، وأبلى بلاء حسناً في القادسية، ودفن بأرمينية[4]، وأمه كنود بنت عبد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

ومنهم الشاعر أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف بن عقدة بن غيرة، وبنوه: ربيعة، ووهب، وعمر، والقاسم الذي كان شاعراً، وربيعة ولي بعض الولايات في الإسلام. وأما أم

---

(1) الجمهرة: 267.

(2) الجمهرة: 268.

(3) الجمهرة: 268.

(4) الجمهرة: 268، معجم قبائل العرب: 797/2.

أمية بن أبي الصلت فهي رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف[1].

ج – بنو غيرة بن عوف بن ثقيف:

منهم بنو علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف، ومنهم كذلك المغيرة ابن الأخنس بن شُرَيْق بن عمرو بن وهب بن علاج الذي قتل مع عثمان بن عفان ﷺ، وكان الأخنس هذا من سادات مكة، ومن أحفاد المغيرة يعقوب بن عتبة بن المغيرة، كان محدثاً.

ومنهم أيضاً الحارث بن كلدة بن عمر بن علاج، طبيب العرب.

ولعله من المناسب هنا ذكر أشهر زعماء الأحلاف، وعلى رأسهم: غيلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة، وعثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة بن ربيعة، وقد قدموا جميعاً على رسول الله ﷺ في المدينة معلنين إسلامهم[2].

ومن أشهر زعماء الأحلاف في العصر الإسلامي: المختار بن أبي عبيد، والحجاج بن يوسف، وأمية بن أبي الصلت، وأبو محجن الثقفي، والحارث بن كلدة، ومعتب، وعتاب، وأبو عتبة، وعتبان[3].

ثانياً: جشم منهم بنو مالك:

وَلَد جشم بن قسي حطيطاً، وأنجب حطيط غاضرة ومالكاً، أما غاضرة فقد تحالفت مع عوف ضد بني مالك فسموا بالأحلاف[4]. وتتفرع من مالك البطون الآتية:

---

(1) الجمهرة: 269

(2) سيرة ابن هشام: 183/4.

(3) المعارف: 91.

(4) المعارف: 91.

أ- بنو حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط:

وقد كان منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن حطيط، أحد أصحاب لواء بني مالك يوم حنين، وقتل يومذاك كافراً.

ومن ولد عثمان هذا: عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان؛ وهو الذي يقال له ابن أم الحكم بنت أبي سفيان، أخت معاوية الذي ولي الكوفة. وابنه كان يسمى الحُرَّ بن عبد الرحمن، أمير الأندلس لسليمان بن عبد الملك إثر قتْل عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر، وإليه ينسب بلاط الحُرِّ بشرقي قرطبة، ويتفرع من هذا البطن بنو اليسار.

ب- بنو اليسار بن مالك بن حطيط بن جشم:

منهم: عثمان، والحكم، والمغيرة، وحفص، وأبو عثمان، وأمية، بنو أبي العاص بن بشر ابن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيط. ومن عقبهم من يعيش في البصرة.

وقد كان عثمان من خيار الصحابة، وولاه رسول الله ﷺ الطائف في عهده، وغزا فارس، وإليه ينسب شط عثمان في البصرة.

وأم عثمان صفية بنت أبي العاص بن أمية، وقد ولدت له محمد بن عثمان، ومن ولده عبد الوهاب بن عبد المجيد المحدث المشهور. وبنوه: عبد المجيد، وزياد، وأبو العاص، وأمهم بانة بنت أبي العاص الثقفية، أما محمد أبي الصلت فمن غيرها، وهو أكبر ولد أبيه. وابن عمهم بشير بن عمرو بن ربيعة بن أبان بن يسار، الذي اتهم في قتل عروة بن مسعود رضي الله عنه في الطائف(1).

وقد علق (لامانس) على هذا الانقسام بين شقي قبيلة ثقيف، مبيناً أن ذلك الانقسام كان سبباً في إذكاء روح التنافس والعداء بين الفريقين، فقال: «وكان أهل الطائف ينقسمون فريقين كبيرين، بل كانا حقاً حزبين متضادين، شل نضالهما في سبيل السيادة اقتصاد المدينة

(1) الجمهرة: 266، وانظر مجلة العرب السعودية: قبائل الطائف: مج 2، ج 388/5 وما بعدها.

وعامة نُمُوِّها»[1].

وكان الأحلاف أحدث الحزبين عهداً، وأقلهما أخذاً بأسباب (الأرستقراطية)، ولكنهم بالرغم من هذا نجحوا في الاستئثار بسدانة اللات[2]، وقد أحس هؤلاء بأنهم دون منافسيهم بني مالك في الثراء، وامتلاك الأراضي، فسعوا إلى تعويض نقصهم بالبراعة الفائقة في سياسة الأمور، والتنظيم الحربي الجاد، وقد خرج أعظم شعرائها وأكثر شيوخها هيبة من الأحلاف[3].

بعد هذا العرض لبطون ثقيف تجدر الإشارة إلى أن مساكن عوف - الأحلاف - كانت ولاتزال بوادي (لية) شرقي الطائف، وبوادي (لقيم) شمال الطائف، ومنهم الحمدة الموجودون بواديهم المعروف بوادي الحمدة[4]، وأما مساكن بني مالك فهي في شرقي الطائف وجنوب شرقيّه[5].

4- أيامها[6]:

لم تختلف أيام ثقيف عن أيام العرب المعروفة، فأسباب النزاع ومناشئ الخلاف متشابهة متقاربة، فأيام العرب إما أنها تعود إلى نزاع فردي نتيجة خلاف شخصي، أو إلى نزاع جماعي رغبة في الاستئثار بمرعى للقبيلة حيث الكلأ والماء، أو إلى ذم في النسب أو تعبير يفضي إلى إهانة، فيتحول الأمر حينئذ إلى نزاع أكبر تصطلي القبيلة أو القبائل ذات الصلة بناره، وتبقى هذه الحروب خالدة في الذاكرة لا تموت، يحييها الشعراء، ويبعثون ذكراها، وتتوارثها الأجيال.

وقد عبر ربيعة بن سفيان الثقفي- من الأحلاف- عن بعض هذه الأحداث في شعره

(1) Lammens: La cit AT- TAIF. P. 63، ودائرة المعارف الإسلامية (الطائف) 55/14.

(2) وإن كان ابن حزم يذهب في الجمهرة إلى أن آل أبي العاصي- من بني مالك- كانوا سدنة اللات، انظر: جمهرة أنساب العرب: 491.

(3) دائرة المعارف الإسلامية (الطائف) 55/14.

(4) معجم قبائل العرب: 147/1.

(5) معجم قبائل العرب: 147/1.

(6) اعتمدتُ في كثير منها على ما ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد 220/3 - 223.

فقال[1]:

وما كُنْتُ مِمَّنْ أَرَّثَ الشَّرَّ بينَهُمْ ... ولكنَّ مسعوداً جَنَاها وجُنْدُبَا

قَرِيعَيْ ثقيفٍ أنشبا الشَّرَّ بينَهُمْ ... فلم يَكُ عنها مَنزِعٌ حين أَنْشَبَا

عناقاً ضَرُوساً بين عوفٍ ومالكٍ ... شديداً لَظَاهَا تَتْرُكُ الطفلَ أَشْيَبَا

ومثال النزاع الفردي ما فعله جندب بن الحارث الثقفي – سيد بني مالك– حين استولى على بئر لعبد المطلب الهاشمي– جد النبي ﷺ – ووقع الخلاف بينهما، فاحتكما إلى كاهن من خزاعة، وكان جندب أكثرَ مالاً وأعظم ثروة من عبد المطلب، وظن أنه بثروته هذه سينتزع حكم الكاهن الخزاعي، الذي قضى بِرَدِّ البئر لعبد المطلب، فغضب جندب غضباً شديداً[2].

وحدث أيضاً في ثقيف أن تحالف بنو مالك وبنو نصر بن معاوية على الأحلاف من ثقيف، وانضم بنو نصر إلى بني مالك انتقاماً منهم، وأخذاً للثأر من ثقيف كلها، وجرت حروب بينهما سميت بأيام، مثل: يوم الطائف[3]، ويوم غمر ذي كندة من نحو نخلة، ومنهن يوم كرونا من نحو حُلوان[4].

هذا النوع من التحالفات الداخلية كان أكثر خطورة وأشد تهديداً لوحدة القبيلة واستقرار نظامها، إذ تسعى فيه البطون والعشائر في القبيلة الواحدة للبحث عن حليف لها من عشائر قبيلتها، فتقوم الحروب بين الطرفين، ويسقط القتلى من الجانبين، وهذا ما يوهن القبيلة ويضعفها، ويقوض كيانها. وقد يحتدم أوار المعارك بين الطرفين فتسعى العشيرة للبحث عن حليف لها في قبيلة أخرى؛ كما هو حال بني مالك في تحالفهم مع بني نصر بن معاوية ضد إخوانهم الأحلاف.

---

(1) انظر الأبيات في الديوان: شعر الثقفيين الجاهليين، وتفصيل تلك الأحداث في الكامل في التاريخ: 1/684–687.

(2) أنساب الأشراف: 1/74–75.

(3) يوم الطائف: هو أول يوم قتال بين الأحلاف من جهة، وبني مالك وحلفائهم من بني نصر من جهة ثانية، وانتصر الأحلاف وأخرجوهم منه إلى واد من وراء الطائف يسمى (نخب)، الكامل في التاريخ: 1/685.

(4) صاح عُفَيْف بن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة؛ يزعمون أن سبعين حبلى منها ألقت ما في بطنها، الكامل في التاريخ: 1/686.

لم يكتف بنو مالك بذلك؛ بل سعوا خلال هذه المعارك إلى التحالف مع دوس وخثعم، في مقابل ذلك اتجه الأحلاف إلى الأوس طلباً للتحالف معهم. وما من شك في أن حلفاء بني مالك لم يشتركوا رغبة في إحقاق الحق ونصرته، بل حسداً لثقيف وزعزعةً لكيانها، لكن ذلك لم يمنع وجود نصحاء مخلصين رغبوا في رأب الصدع، وجمع الكلمة؛ كما فعل أُحَيْحَةُ بنُ الجلاح - سيد الأوس- الذي نصح مسعود بن معتب الثقفي بمصالحة إخوانه وأهل قبيلته، وقال له: والله ما خرج رجل من قومه إلى قوم قط أو غيره؛ إلا أقر لأولئك القوم بِشَرٍّ مما أنف منه من قومه. فقال له مسعود: إني أخوك. وكان صديقاً له، فقال له: أخوك الذي تركْتَهُ وراءَكَ، فارجعْ إليه وصالحْهُ ولو بجدع أنفك وأذنك، فإن أحداً لن يبر لك في قومك إذ خالفته. فانصرف عنه، وزوده بسلاح، وزاده وأعطاه غلاماً كان يبني الآطام بالمدينة[1].

وشاركت ثقيف في الأحداث الجسام، والخطوب العظام، فكان لها دور في أيام حدثت بين قبائل العرب من مثل:

أ- يوم شَمطة[2]:

وهو من يوم الفجار الآخر، ويوم نخلة منه أيضاً، فقد جمعت كنانة قريشها وعبد مناتها[3] والأحابيش[4] ومن لحق بهم من بني أسد ابن خزيمة، وسلّح يومئذ عبد الله بن جدعان مئة كميٍّ بأداة كاملة، سوى من سلح من قومه والأحابيش بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة. وجمعت سليم وهوازن جموعها وأحلافها- غير كلاب وبني كعب- فإنهما لم يشهدا يوماً من أيام الفجار غير يوم نخلة - فاجتمعوا بشَمْطة من عكاظ في الأيام التي تواعدوا فيها

(1) الآطام: الحصون، يذكر ابن الأثير أنه كان أول أُطُمٍ بني بالطائف، ثم بنيت الآطام بعده، ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تُذكر، انظر الكامل في التاريخ: 686/1.

(2) شمطة: موضع قريب من عكاظ.

(3) كذا في بعض الأصول والأغاني، وفي بعضها وأيام أبي عبيدة - وعنه ينقلان- وبنو عبد مناف، انظر: حاشية محقق العقد الفريد 221/3.

(4) سموا بالأحابيش؛ لأنهم حالفوا قريشاً تحت جبل يسمى حبيشاً، فسموا بذلك، وهم أحياء القارة، وقال ابن الاثير 593/1: والأحابيش هم بنو الحارث بن عبد مناة: كنانة، وعضل، والقارة، والديش من بني الهون بن خزيمة، والمصطلق بن خزاعة، سموا بذلك لحلفهم بني الحارث، والتحبش: التجمع.

على قرن الحول، وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدُها[1]، وكذلك على قبائل قيس، غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية، وعلى إحدى مجنبتيها عبد الله ابن جدعان، وعلى الأخرى كريز بن ربيعة[2]، وحرب بن أمية في القلب، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي. فتناهض الناس وزحف بعضهم إلى بعض، فكانت الدائرة أول النهار لكنانة على هوازن، حتى إذا كان آخر النهار تداعت هوازن وصابرت، وانقشعت كنانة فاستحر القتل فيهم، فقتل منهم تحت رايتهم مئة رجل، وقيل ثمانون، ولم يُقتل من قريش يومئذ أحدٌ يُذكر؛ فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة.

ب- يوم العَبْلاء[3]:

تواصلت أيام القتال حتى جمع هؤلاء وأولئك، فالتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ، والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذُكِروا في يوم شمطة، وكذلك على المجنبتين؛ فكان هذا اليوم أيضاً لهوازن على كنانة؛ وفي ذلك يقول خداش بن زهير:

ألم يبلغْكَ ما لاقت قريشٌ ... وحيُّ بني كِنانَةَ إذ أُثِيرُوا

دَهَمْناهم بأرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ ... فظلَّ لنا بعَقْوتِهم زئيرُ[4]

وفي هذا اليوم قُتل العوّام بن خويلد، والد الزبير بن العوّام، قتله مرة بن معتب الثقفي؛ فقال رجل من ثقيف:

منّا الذي تركَ العوّام مُنْجدِلاً ... تنْتابُه الطيرُ لحماً بينَ أحجارِ

---

(1) في أسماء الرؤساء انظر: أيام أبي عبيدة 515/2 - 516.

(2) في أيام أبي عبيدة: هشام بن المغيرة، وانظر الأغاني 63/22.

(3) العبلاء: موضع قريب من عكاظ. انظر: الأغاني 63/22.

(4) البيتان في أيام العرب لأبي عبيدة 517/2 وفي ديوان خداش بن زهير: 65، وفي الأغاني 66/22 باختلاف بعض الألفاظ وزاد بيتاً ثالثاً:

نقوم مارن الخطي فيهم ... يجيء على أسنتنا الجزير

ج- يوم شرِب[1]:

ثم جمع هؤلاء وأولئك؛ فالتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ؛ فالتقوا بشرب، ولم يكن بينهم يوم أعظمُ منه، والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذُكِروا، وكذلك على المجنبتين؛ وحَمل ابن جدعان يومئذ مئة[2] رجل على مئة بعير، ممن لم يكن له حمولة؛ فالتقوا، وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان: يوم شمطة، ويوم العبلاء؛ فحميت قريش وكنانة[3]؛ وصابرت بنو مخزوم وبنو بكر، فانهزمت هوازن وقُتلت قتلاً ذريعاً؛ وقال عبد الله بن الزبعري يمدح بني المغيرة:

ألا لِله قومٌ وَ	**لَدَتْ أُختُ بني سهمِ**[4]
هِشامٌ وأبو عبدِ	**منافٍ مِدْرهُ الخَصْمِ**
وذو الرُّمْحَيْن أشباكَ	**من القوّةِ والحزْمِ**
فهذانِ يَذودانِ	**وذا من كثَبٍ يَرْمِي**[5]

وأبو عبد مناف: قصي، وهشامُ: ابنُ المغيرة، وذو الرمحين: أبو ربيعة بن المغيرة، قاتل يوم شرب برمحين، وأمهم ريطة بنت سعد بن سهم.

فقال في ذلك جذل الطعان:

جاءَت هوازِن أرسالاً وإخوَتُها	**بنو سُليمٍ، فهابوا الموتَ وانصرَفوا**
فاستُقبِلوا بضِرابٍ فَضّ جمعَهُمُ	**مثلِ الحريقِ فما عاجوا ولاعطَفوا**[6]

(1) شرب: بفتح أوله وكسر ثانيه: موضع قرب مكة (معجم البلدان).

(2) في أيام أبي عبيدة 518/2: ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير، انظر الأغاني 66/22.

(3) انظر تفاصيل وافية أوردها أبو عبيدة في روايته عن سير القتال 518/2 - 520 وانظر الأغاني 66/22 - 69.

(4) أخت بني سهم هي ريطة بنت سعد.

(5) أيام أبي عبيدة 522/2 ونهاية الأرب 429/15.

(6) انظر: أيام أبي عبيدة 522/2 ونهاية الأرب 429/15.

د- يوم الحُريرة[1]:

قال: ثم جمع هؤلاء وأولئك، ثم التقوا على رأس الحول بالحُريْرة؛ وهو اليوم الخامس، وهي حرّة إلى جنب عكاظ، والرؤساء على هؤلاء وأولئك هم الذين كانوا في سائر الأيام، وكذلك على المجنبتين، إلا أن أبا مساحق بلعاء بن قيس اليعمري كان قد مات، فكان من بعده على بكر بن عبد مناة بن كنانة، أخوه جثامة بن قيس؛ فكان يوم الحريرة لهوازن على كنانة، وكان آخرَ الأيام الخمسة التي تزاحفوا فيها، قال: فقتل يومئذ أبو سفيان[2] بن أمية أخو حرب بن أمية، وقُتل من كنانة ثمانية نفر، قتلهم عثمان بن أُسيد[3] بن مالك، من بني عامر بن صعصعة، وقُتل أبو كنف وابنا إياس، وعمر بن أيوب؛ فقال خِداش بن زهير[4]:

إنـي مِـنَ الـنَّـفَـرِ الـمُـحْـمَـرِّ أعيُـنـهُـمْ ... أهـلِ السوامِ وأهـلِ الصخْر واللُّوبِ

الـطـاعـنـيـنَ نـحـورَ الـخـيْـلِ مُـقْـبِـلـةً ... بكلِّ سَمراءَ لم تُغلب ومعلوبِ[5]

وقــد بـلَـوْتـم فـأبـلَـوْكـم بـلاءَهـمُ ... يومَ الحُريرةِ ضرباً غيرَ مكذوبِ[6]

لاقـتـهـمُ مِـنـهُـمُ آسـادُ مَـلـحـمـةٍ ... لـيْـسـوا بـزارِعـةٍ عُـوجِ العـراقـيـبِ

فـالآن إن تُـقْـبِـلـوا نـأْخـذْ نـحُـورَكـمُ ... وإن تُـبـاهـوا فـإنـي غـيـرُ مغـلـوبِ

وقال الحارث بن كلدة الثقفي[7]:

تـركْـتُ الـفـارسَ الـبـذَّاخ منهم ... تَـمُـجُّ عـروقُـه عـلـقـاً عـبـيطَـا

دعَـسْـتُ لَـبـانَـهُ بـالـرُّمـحِ حتى ... سَـمِـعْـتُ لِـمَـتْـنِـه فـيـه أطِـيـطـا

---

(1) الحريرة: تصغير حرة؛ وهي الأرض ذات حجارة سودة كأنها أحرقت؛ قال ياقوت: وهي موضع بين الأبواء ومكة، قرب نخلة (معجم البلدان).

(2) هو غير أبي سفيان والد معاوية؛ فالقتيل عمه.

(3) في الأغاني: أسد.

(4) أيام أبي عبيدة 523/2 الأغاني 71/22 (البيت الثالث فقط وذكر أبياتاً أخرى) نهاية الأرب 430/15 مجمع الأمثال 431/2، وديوان خداش بن زهير: 59، 60 تحقيق: يحيى الجبوري.

(5) سمراء: أي قناة، ومعلوب: أي رمح.

(6) في الأغاني: غير تكذيب.

(7) أيام أبي عبيدة 523/2، نهاية الأرب 430/15.

لقد أردَيْتَ قومَك يا بن صَخْرٍ … وقد جشَّمْتَهم أمْراً سليطا

وكم أسلمتُ منكم من كَمِيّ … جريحاً قد سمِعْتُ له غطِيطا

مضت أيام الفجار الآخِر، وهي خمسة أيام في أربع سنين: أولها يوم نخلة، ولم يكن لواحد منهما على صاحبه؛ ثم يوم شمطة لهوازن على كنانة، وهو أعظم أيامهم؛ ثم يوم العبلاء، ثم يوم شرب، وكان لكنانة على هوازن؛ ثم يوم الحريرة لهوازن على كنانة.

قال أبو عبيدة: ثم تداعى الناس إلى السلم، على أن يذروا الفضل ويتعاهدوا ويتواثقوا[1].

5- حياتها الاقتصادية:

الطائف بلدة أنعم الله عليها بالطبيعة الساحرة، والخضرة الوارفة، والمياه العذبة، والأرض الخصبة، فامتازت بجمال طبيعتها، وكثرة أمطارها، واعتدال مناخها، فتوافر لها من دواعي الحياة، وأسباب العيش ما لم يتوافر لغيرها من المدن.

وأنعم الله على أهلها بالهدوء والوداعة، وشملهم برعاية الدعة والاطمئنان، فلقد أسبغت عليهم الزراعة حياة الطمأنينة والأمن والاستقرار، وكلها منح ربانية لم تتوافر لغيرهم من قبائل العرب، التي رمتهم عن قوس واحدة حسداً من عند أنفسهم، ورغبة في النكال والبطش بهم.

لكن منعة تحصينات الثقفيين كانت سداً منيعاً، وصخرة عتيدةً تتحطم عليها أطماع الطامعين، فضلاً عن أن الثقفيين أيضاً هم أولو قوةٍ، وأولو بأسٍ شديدٍ.

وقد عبر عن ذلك أحد الشعراء فقال[2]:

فكونوا دون بيضِكُمْ كَقَومٍ … حَمَوْا أعنابَهُمْ من كل عادِ

وقد وصف أبو الصلت ما تجود به أرض الطائف من خيرات كثيرة، ومحاصيل وفيرة،

---

(1) انظر: العقد الفريد 223/3.

(2) معجم البلدان (وج).

فقال(1):

ويانعٌ مِنْ صنوف الكَرْم عَسْجَدُنا	**مِـنْـه، ونَـعْـصِـرُه خِـلاًّ ولـذَّانـا**
قد ادهـأَمَّـتْ وأمست ماؤُها غَـدَقٌ	**يمشي معاً أصلُها والـفَـرْعُ إبَّانا**
إلـى خـضـارمَ مـثلِ الـلـيـلِ متجئاً	**فُـومـاً وقَـضْـبـاً وزيـتـونـاً ورمَّـانـا**

تعد الطائف المدينة الثانية في إقليم الحجاز، واليمن، والعراق، فهي المحطة الثانية بعد مكة للقوافل التجارية المسافرة بين تلك الأقاليم المهمة آنذاك.

وقد كان لهذا الموقع الممتاز دوره في إذكاء روح التنافس التجاري بين مكة والطائف، فلم تكن التجارة وقفاً على مكة، بل كانت الطائف تنافسها في هذا الميدان.

وعلاقات الطائف باليمن، كانت وثيقة، فهي لحسن موقعها تختصر ثلاث مراحل أو أربعاً للمسافر إلى اليمن بخلاف طريق مكة؛ فهو أطول(2).

وقد أشاد مرداس بن عمرو الثقفي بهذا الموقع الأثير فقال(3):

فـإن اللهَ لـم يُـؤْثـرْ علينا	**غـداةَ يـجـزِّئُ الأرضَ اقتساما**
عرفْنا سهمَنا في الكف يهوي	**كـذا نـوح، وقسَّمْنا السهاما**
فلما أنْ أبانَ لنا اصطَفْينا	**سَنَام الأرضِ، إن لها سَنَاما**
فأنشأنا خضارمَ مَتْجِراتٍ	**يكون نتاجُها عنباً تُوَامَا**
ضفادعها فرائح كل يوم	**على جُوبٍ يُراكضْنَ الحَماما**
وأسفلها منازل كل حيٍ	**وأعلاها ترى أبداً حَرَامَا(4)**

هذا التفوق والتوازي هو الذي جعل قريشاً تقول: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ

(1) معجم البلدان (وج).

(2) دائرة المعارف الإسلامية 55/14.

(3) معجم البلدان: (الطائف).

(4) انظر: معجم البلدان: (الطائف).

ﭐلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾(1) ويقصد بالقريتين: مكة والطائف.

ولتبيان أهمية المدينة لابد من إبراز دورها الاقتصادي ممثلاً في مصادر إنتاجها، وأهم منتجاتها، ومقدار حاجة جيرانها لها.

أ- الزراعة:

تعد الزراعة الحرفة الأولى في الطائف، وهذا يعود لجودة تربتها الرملية الطينية، وإلى اعتدال مناخها، ووفرة مياهها.. وفي مقدمة المحاصيل الزراعية الحنطة، فهي المنتج الزراعي الأول، وعليها كانت تعتمد كل حواضر الحجاز، وخاصة مكة. ومن أفضل أنواع الحنطة، ما يعرف (باللقمي)، وينسب إلى (لقيم) إحدى قرى الطائف التي لا تزال معروفة، ولايزال هذا الاسم في بلاد نجد يطلق على الحب الجيد، ولو لم يزرع في الطائف(2).

وزرعت كذلك أصناف متعددة من البقول والمحاصيل؛ كالذرة، والسلت، والزوان، والأرز، والسمسم، والجلبان، والعدس، واللوبيا، والحمص، والماش، والدخن، وغيرها(3).

وكان للخبز المصنوع من البر ميزة خاصة عندهم، فهم إذا فخروا قالوا: منا آكل الخبز(4)! ويروى أن غيلان بن سلمة لما وفد على كسرى فقال له: أي ولدك أحب إليك؟ قال غيلان: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يرجع. فقال كسرى: مالك ولهذا الكلام، وهو كلام الحكماء، وأنت في قوم حفاة لا حكمة فيهم، فما غذاؤك؟ قال: خبز البر. قال: هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر(5).

واشتهرت في الطائف كذلك أنواع من الفواكه، فيكثر فيها النخيل، والموز، والرمان،

---

(1) الزخرف: 31.

(2) دائرة المعارف الإسلامية: 55/15، أحسن التقاسيم: 79، جغرافية شبه جزيرة العرب: 194، ما رأيت وما سمعت: 95، فتوح البلدان: 69/1. انظر: مجلة العرب السعودية: 6/1 وما بعدها، سنة 1967.

(3) فتوح البلدان: 69/1.

(4) مجلة المشرق 655/26.

(5) مجلة المشرق 655/26.

والتين، والخوخ، والسفرجل، والبطيخ، والنارنج[1].

وللأعناب دور كبير في اقتصاديات الطائف، فالعنب هو العمود الفقري للاقتصاد، وثروة الطائف قائمة عليه، يقول عنه ياقوت: «وفي أكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل، فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان، وأما زبيبها فيضرب بحسنه المثل.. وفواكه أهل مكة منها»[2].

وكانت بساتين العنب تبلغ من الاتساع مبلغاً كبيراً، وتنتج من العنب والزبيب ما لا يخطر ببال، فقد كان في منطقة (الوهط) كرم كثير لعمرو بن العاص، يصفها القزويني فيقول: «وبها كرم الوهط»، كرم كان لعمرو بن العاص معروشاً على ألف ألف خشبة، شرى كل خشبة بدرهم، فلما حج سليمان بن عبد الملك، أحب أن ينظر إليه، فلما رآه قال: «ما رأيت لأحد مثله لولا أن هذه الحرة في وسطه. قالوا: ليس بحرة بل مسطاح الزبيب. وكان زبيبه جمع في وسطه ليجف، فرآه من بعيد فظنه حرة»[3].

وتذكر كتب السير أن النبي ﷺ لما خرج إلى الطائف ينشر الدعوة، ويطلب النصرة؛ آذاه الثقفيون حتى ألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، مزروع بالأعناب على ثلاثة أميال من الطائف، وأتى رسول الله إلى حبلة من عنب، فجلس تحت ظلها إلى جدار[4].

ويذكر الأزرقي أنه كان للعباس بن عبد المطلب كرم بالطائف، وكان زبيبه يحمل إليه، وكان يداين أهل الطائف، ويقبض منهم الزبيب، فينبذ ذلك كله، ويسقيه الحجاج أيام الموسم[5].

وكانت العير تخرج من الطائف إلى مكة وغيرها من المدن محملة بالزبيب، الذي يُعتبر أحد أركان صادرات الطائف الزراعية إلى جانب الحبوب[6].

(1) فتوح البلدان: (الطائف)، أحسن التقاسيم: 79، فيليب حتى: تاريخ العرب 143/1، جغرافية جزيرة العرب: 18-.

(2) يا قوت معجم البلدان (الطائف).

(3) آثار البلاد: 98، معجم البلدان: (الوهط)، أحسن التقاسيم: 79.

(4) الرحيق المختوم: 113.

(5) أخبار مكة: 114/1.

(6) دائرة المعارف الإسلامية 55/15، ما رأيت وما سمعت: 95، جغرافية شبه جزيرة العرب: 194.

أما التمر فقد نال شهرة كبيرة واسعة، فهو طري ممتلئ بالمادة، حتى إنه يتوحل فيه الضرس[1].

أما الرمان فيكثر في وادي (ليه)، وهو كبير الحجم لذيذ الطعم[2]. واشتهرت الطائف بأزهارها المختلفة الأنواع ذات الروائح الطيبة، كالفل، والنرجس، والياسمين، والسوس، والورود المتنوعة التي يستخرج منها عطر يباع للحجاج في موسم الحج، ولقد أضفى هذا الجمال على المدينة منظراً يبعث على الانشراح لزائرها حال دخولها[3].

ولعل ذلك ما حدا بالكتاب والمؤرخين إلى وصفها بأنها قطعة من الجنة؛ بالنسبة إلى الصحراء من حولها.

كما توسع الثقفيون في استصلاح الأراضي، وزادوا نسبة الرقعة الزراعية، ساعدهم على ذلك ما عرفوا به من همة ونشاط وحيوية، نرى ذلك واضحاً في الشروط التي أبرمت مع بني عامر. يذكر ابن الأثير ذلك عنهم فيقول: «تدفعون إلينا بلادكم هذه فنثيرها، ونغرسها، ونحفر فيها الأطواء، ولا نكلفكم مؤونة، نحن نكفيكم المؤونة في العمل، فإذا كان وقت إدراك الثمر، كان لكم النصف كاملاً، ولنا النصف بما عملنا»[4].

ومما له صلة بالزراعة وكان له أثر في اقتصاديات الطائف، وجود الأشجار الكثيرة، والغابات الكثيفة، لا سيما في المناطق الجبلية المكسوة بالأشجار ذات الأخشاب الصلدة، فراجت تجارة الأخشاب، وكثر تصديرها من الطائف إلى مكة[5].

ووجدت في الطائف المراعي الكثيرة الغنية بالمزارع الخصبة، والبقاع المنبتة، وكانت ثقيف تهتم بتربية الماشية التي كانت لها قيمة كبيرة، وتدر عليهم خيراً كثيراً، فيعيشون على حليب نوقها، ويستفيدون من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين[6].

---

(1) مدينة الطائف: 33.

(2) أحسن التقاسيم: 79، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 8/152–153، جغرافية جزيرة العرب: 18–19.

(3) تاريخ العرب لفيليب حتي: 1/143، جغرافية جزيرة العرب: 18–19.

(4) مجلة المشرق 26/658.

(5) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 1/134، جغرافية شبه جزيرة العرب: 194، مكة والمدينة: 10، 13، 21.

(6) معجم ما استعجم: 1/77 جغرافية شبه جزيرة العرب: 200 – 201.

ب- الصناعة:

ما كان البدوي يفكر في الاشتغال بمورد ثابت يربطه إلى مكان لا يبرحه طَوال حياته، وتستره حيطانه عن نور الفضاء، واتساعه الفسيح الأرجاء، ومن ثم أنف من الاشتغال بالزراعة أو الصناعة، فتركوا ذلك لغيرهم ممن كانوا يعتبرونهم أقل من البدو أنفة وكبرياء، وكان مبدأ العربي: (الذل بالحراث، والمهانة بالبقر، والعز بالإبل، والشجاعة بالخيل)(1).

تحلل الثقفيون من تلك العادات القديمة، والتقاليد الموروثة، فتعلموا كثيراً من الحرف مثل الدباغة، والنجارة، والحدادة، وقد أشار إلى ذلك الدكتور جواد علي بقوله: «كذلك اختلف أهل الطائف عن غيرهم من أهل الحجاز في ميلهم إلى الحرف اليدوية مثل: الدباغة، والنجارة والحدادة، وهي حرف مستهجنة في نظر العربي يأنف من الاشتغال بها، ولكن أهل الطائف احترفوها وربحوا منها، وشغلوا رقيقهم بها، وقد استفادوا من خبرة الرقيق، فتعلموا منهم مالم يكن معروفاً عندهم من أساليب الزراعة وأعمال الحرف»(2).

وعلى أي حال فإن أهل الطائف قد عرف عنهم نشاطهم الكبير في ميدان الصناعة، سواء أكانت صناعة مدنية؛ أم صناعة حربية اقتضتها ظروفهم وقتذاك للدفاع عن مدينتهم ومواردهم فيها(3).

ولا شك في أن هذه الحرف والصناعات كانت تسهم - إلى حد بعيد - في إنعاش الوضع الاقتصادي للمدينة، وتدر على الثقفيين أموالاً طائلة، أسهمت إسهاماً كبيراً - في زيادة النشاط العمراني والصناعي للمدينة، دلّت على عراقة تحضر أهلها(4).

ومن الصناعات التي عرفوا بها صناعة الجلود (الأدم) وقد وصف الهمداني الطائف بأنها: «مدينة قديمة، وهي بلد الدباغ، تدبغ فيها الأدم الطائفية المعروكة»(5).

(1) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 33.

(2) تاريخ العرب قبل الإسلام 151/4.

(3) مصادر الشعر الجاهلي: 50 ط، دار المعارف.

(4) صفة جزيرة العرب: 120، 121، دائرة المعارف الإسلامية 55/15.

(5) صفة جزيرة العرب: 120- 121 تحقيق عبد الله النجدي، دائرة المعارف الإسلامية 55/15.

وقد وجدت هذه الصناعة مكانها المناسب في هذه البلدة نظراً لتوافر جلود الحيوانات، وتوافر الأعشاب المستخدمة في دباغة الجلود، وقد ذكر ابن المجاور أن الأدم يدبغ في الطائف، ويباع على شكل طاقات، والدباغ حرفة أكثرهم[1].

وقد أدت كثرة المدابغ في واديها إلى تغير مياهه، ونتن رائحته، أشار إلى ذلك القزويني بقوله: «وفيها مياه المدابغ التي يدبغ فيها الأديم، والطير تصرع إذا مرت بها من نتن رائحتها»[2].

ويصدر الثقفيون هذه الجلود إلى مختلف البلدان، ساعدهم على ذلك إتقانهم لهذه الصناعة، وجودة إنتاجهم، «فأديمها يحمل إلى سائر البلدان، ليس في شيء من البلاد مثله»[3].

هذا فضلاً عن صناعة الخمور التي أقبل الناس عليها؛ إذ هي صناعة محلية أقل ثمناً من الخمور الأجنبية التي كانت تستقدم من الشام والعراق[4].

وعمل أهل الطائف بحرفة الصيد، ساعدهم على ذلك وجود غابات كثيفة فيها، وما أكثر الصيادين من أهل مكة الذين كانوا يأتون ومعهم كلاب الصيد، لصيد الحيوانات والفهود والطيور؛ لأكل لحومها، والانتفاع بريشها وجلدها، وهي تعدّ مصدراً من مصادر العيش[5].

وامتاز أهل الطائف بتربية النحل واستخلاص العسل منه. والعسل أحد مصادر الثروة سواء في العصر الجاهلي أو في عصر النبي ﷺ، وتعد جبال الطائف موطناً للنحل وتربيته في الكهوف– لاسيما مناطق (شيماط) وهي من أرض الطائف– ويربى أيضاً على أشجار الفاكهة المختلفة، والورود والزهور المتنوعة.

يروى عن الأصمعي أن سليمان بن عبد الملك لما حج فأتى الطائف، ووجد ريح الندغ–

---

(1) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن (تاريخ المستبصر): 13.

(2) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد: 98.

(3) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد: 98.

(4) فيليب حتى: تاريخ العرب 143/1–144.

(5) مدينة الطائف: 32.

وهو ما ترعاه النحل، وتعسل عليه- كتب إلى والي الطائف: «انظر لي عسلاً من عسل الندغ والسماء»، وهو نبت آخر من مراعي النحل[1].

ولأن العسل مصدر للدخل فقد وجبت فيه الزكاة، فكان رسول الله ﷺ يأخذ قربة عسل عن كل عشر قربات[2]، ثم انقطع أهل الطائف عن أدائها بعد وفاته. فكتب عامل الطائف إلى عمر بن الخطاب بذلك، فأمره بأن يؤدوا إليه ما كانوا يؤدونه إلى النبي ﷺ.

ومن المعروف أن في العسل العشر إذا كان في أرض العشر، أما إذا كان في أرض الخراج وفي الجبال والكهوف وعلى الأشجار؛ فلا يؤخذ عليه العشر؛ لأنه يكون بمنزلة الثمار[3].

وقد عرف أهل الطائف كل الوسائل الحربية والدفاعية لمنع المحاصرين، ورد المهاجمين، فكانت لديهم أوتاد الحديد التي تُحمى بالنار لتُرمى على الجنود المختفين في الدبابات، وتعلموا من أهل اليمن صناعة العرادات، والمجانيق، والدبابات، واستخدموا الحجارة والنبل لرد الهجوم[4].

ثم إن أشراف ثقيف لم تكن عندهم غضاضة في تعلم مهنة من المهن، فعروة بن مسعود الثقفي وغيلان بن سلمة – وهما من أكابر القوم- ذهبا إلى جرش في اليمن لتعلم حرفة صناعة الدبابات والمجانيق هناك[5].

ج- التجارة:

عرفت مدينة الطائف في العصر الجاهلي بأنها مركز تجاري يلي مكة من حيث الأهمية، وكانت منتوجات الطائف تجد سبيلها إلى الأسواق مثل عكاظ ومجنة، وفي شبه الجزيرة العربية وخارجها، وبين القبائل المحيطة بالطائف، التي كانت تأنف من مهنة الزراعة والصناعة، كل ذلك كان له أثر كبير في ترويج تجارة الطائف وتسويق منتجاتها، فتدفقت

---

(1) معجم ما استعجم: تحت مادة حداب بني شبابة 428/1.

(2) فتوح البلدان: 67/1 يؤخذ زق عن كل عشرة زقاق، كتاب الأموال: 667- 668.

(3) فتوح البلدان: 67/1، كتاب الخراج: 40.

(4) فتوح البلدان: 67.

(5) البداية والنهاية: 345/3 وما بعده، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 154/1، مصادر الشعر الجاهلي: 50.

الأموال، واستثمرت لصالح القبيلة والمدينة معاً[1].

وكان للعلاقات التجارية الخارجية أثر في ازدهار الحركة التجارية لثقيف، فغيلان بن سلمة الثقفي أحد وجوه ثقيف، اشتغل بالتجارة مع العراق وفارس، وقد بنى له كسرى بالطائف (أطماً)، وكان قصراً مبنياً بالحجارة[2]، ووجدت أبنية مخصصة لحماية الطريق التجاري الشمالي ومراقبته اتقاءً من اعتداءات البدو[3].

ومن الثابت أن أكثر تجارة الحجاز كانت تسلك الطرق البرية السالكة الآمنة، التي لا تكلفهم كثيراً، وتتحاشى ركوب البحر الذي لا تؤمن مغبته.

وسواء أكانت تجارة ثقيف داخلية أم خارجية؛ فإنها قد ساهمت في غناهم، وزيادة أموالهم، وبناء مدينتهم، وتحصين أرضهم ضد الأعداء الطامعين فيهم، والقبائل المحيطة المتربصة بهم.

6- حياتها الاجتماعية:

للمجتمع الثقفي حياة مستقرة متقدمة بالإضافة إلى بقية أهل الحجاز، فقد تفننوا في البناء، فبنوا بيوتاً جيدةً منظمة، وأحاطوا مدينتهم ببساتين مثمرة، وحصنوا القبيلة والمدينة بسور يطيف بها، وأحسنوا استغلال مواردها، وأقبلوا على تعلم كل حرفة ومهنة، وأجادوا كل صنعة، فربحوا، واستثمروا، وكثر المال، وعم الخير.

يقول جواد علي: «وقد عاش أهل الطائف في مستوى هو أرفع من مستوى عامة أهل الحجاز، فقد رزقوا فواكه يأكلون منها، وجففوا بعضها مثل الزبيب، وأكلوا وصدروا.. حتى حظ فقراء الطائف هو أرفع وأحسن درجة من حظ فقراء المواضع الأخرى في الحجاز»[4].

وظهر هذا الثراء الواسع على المجتمع الثقفي الذي أكثر من استخدام الرقيق، فحينما

---

(1) الحياة السياسية في الدولة العربية: 46،مدينة الطائف: 3.

(2) بلوغ الأرب 321/1، مدينة الطائف: 10.

(3) مدينة الطائف: 10.

(4) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 152/4.

توجه رسول الله ﷺ لفتح الطائف، نزل إليه رقيق من رقيق أهل الطائف، وكان منهم أبو بكرة نضيع بن مسروح مولى رسول الله ﷺ، في جماعة كثيرة منهم الأزرق الذي تنسب إليه الأزارقة؛ والد نافع بن الأزرق الخارجي، فعتقوا بنزولهم إلى رسول الله ﷺ (1).

ومن مظاهر الترف التي أحاطت بهم: أن نساء العرب كُنّ يتهافتن ويتمنين اقتناء حلي نساء ثقيف، فقد روي أن خويلة بنت حكيم قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان بن سلمة، أو حلي الفارعة بنت عقيل. وكانتا من أحلى وأجمل نساء ثقيف(2).

وكان في الثقفيين أَنَفَةٌ وكبر واعتداد بأنفسهم، فحين وفدوا على رسول الله ﷺ ليسلموا، لقيهم المغيرة بن شعبة، فعلمهم كيف يحيون رسول الله، فلم يحيوه إلا بتحية الجاهلية(3).

وكان في العرب مَنْ يحسدون ثقيفاً لما فيهم من صلابة وعزيمة، وقوة شكيمة، فحققوا لأنفسهم مجداً مؤثلاً تاهوا به على العرب، كان مدعاة للزهو والفخار، فقد روي أن عيينة ابن حصين قال- حينما انصرف رسول الله ﷺ من حصار الطائف دون أن يأذن الله له بفتحها-: «أجل والله مجدةً كراماً» فقال له رجل من المسلمين: «قاتلك الله يا عيينة! أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسول الله؟ فقال: إني والله ماجئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أطؤها، لعلها تلد لي رجلاً، فإن ثقيفاً قوم مباركون»(4).

قال أمية بن أبي الصلت الثقفي(5):

نَحْنُ ثَقِيفٌ عِزُّنَا مَنِيعُ ... أعيطُ صَعْبُ المرتَقَى رَفيعُ

وقد ارتبط المجتمع الثقفي بعلاقات وطيدة مع أهل مكة، حتى بلغ ببعض الثقفيين مبلغ

---

(1) معجم البلدان: (الطائف).

(2) انظر سيرة ابن هشام 1236/4.

(3) سيرة ابن هشام 1392/4.

(4) سيرة ابن هشام 1236/4.

(5) ديوان أمية: 417.

السيادة في البطون القرشية؛ كالأخنس بن شريق حليف بني زهرة، الذي كان مسموع الكلمة فيها مطاعاً.

وكانت قريش تشرك رجال الطائف فيما يهمها من الأمور الكبيرة، فقد كان عروة ابن مسعود الثقفي أحد الرسل الذين بعثت بهم قريش لمفاوضة النبي ﷺ عند نزوله الحديبية[1].

وكان بين أهل الطائف وأهل مكة نوع من الاتفاق الودي، وهو اتفاق وثقت عراه روابط المصاهرة بين قريش والأحلاف، وقد عاش كثير من أهل مكة في الطائف، وكان لهم ضياع فيها، وكان من يقيمون من أهل الطائف في مكة لا يكادون يقلون عن أولئك، يعيشون فيها أحلافاً لأسرها الكبيرة، وخاصة الأمويين الذين كان لهم ضياع في الطائف[2].

وتذكر المصادر وجود مصاهرات أسرية قوية بين القرشيين والثقفيين منذ عهد مبكر[3]. فالكثير من رجالات قريش تزوجوا بثقفيات؛ منهم عبد مناف جد الأمويين والهاشميين، فقد تزوج بريطة الثقفية؛ وهي أم عمرو بن عبد مناف[4].

وتزوج الحسين بن علي بن أبي طالب بابنة معاوية بن معتب بن مالك بن كعب الثقفي، فولدت له علياً الأكبر المقتول مع أبيه يوم كربلاء[5]. وتزوج عبد الله بن عمر بن الخطاب صفية بنت أبي مسعود بن عمرو الثقفي[6]. وعياض بن عدي متزوج بعصماء بنت عمرو ابن أمية بن علاج الثقفي[7]، والحارث بن زهرة كان متزوجاً بلبنى بنت أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف الثقفي[8]، والحكم بن أبي العاص كان متزوجاً بثقفية[9].

(1) المغازي 594/2، مكة والمدينة: 147–148.

(2) دائرة المعارف الإسلامية 55/15، أخبار مكة 256/2، 287، الحجاج بن يوسف الثقفي: 79، فتوح البلدان: 66/1.

(3) الحجاج بن يوسف الثقفي: 77 ط، بيروت.

(4) السيرة النبوية:، 107/1.

(5) الجمهرة: 267.

(6) نسب قريش 356/10–357.

(7) نسب قريش 201/6.

(8) نسب قريش 265/7.

(9) أنساب الأشراف 160/5.

وفي المقابل وجد الكثير من الثقفيين المتزوجين بقرشيات، فمالك بن كعب الثقفي متزوج بسبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف؛ فأنجبت معتباً الجد الأعلى للحجاج بن يوسف الثقفي، وتزوج أبو الصلت بن ربيعة بأختها رقية، فأنجبت له أمية بن أبي الصلت الشاعر الثقفي المعروف[1]. وتزوج عروة بن مسعود الثقفي بآمنة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، وأبو مرة بن معتب بن مالك الثقفي تزوج بأختها ميمونة[2].

وقد ذكر ابن حبيب أن جدة آمنة بنت وهب ـ أم الرسول الله ﷺ ـ السادسة من ثقيف، وأن فاطمة بنت أسد بن عبد مناف جدتها السابعة ـ واسمها حبيبة بنت عبد ياليل ـ من ثقيف[3].

مما سبق يبدو واضحاً ما بين القبيلتين من مصاهرات قوية حتى قالت العرب: مكة من الطائف، والطائف من مكة[4].

وكان من عادة أهل الطائف الاجتماعية أنهم كانوا إذا اشتد الجدب، وعم القحط، واحتبس المطر، وامتنعت السماء، وركد عليهم البلاء، اجتمعوا وجمعوا أبقارهم وما قدروا عليه، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر – نوعان من الشجر – ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران، وألحوا في الدعاء، وقرعوا أبواب السماء، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا[5].

يقول أمية بن أبي الصلت:

سَـنَـةٌ أَزمَـةٌ تُـخَـيِّـلُ بـالـنَّـا	**سِ ترى للعِضَاة فيها صريرا**[6]
ويـسـوقـون بـاقـر الـسَّـهْـلِ للطو	**دِ مـهـازيـلَ خشـيـةً أن تَـبُـورَا**
عـاقـديـن الـنيـران في شُـكَـرِ الأَذْنَـا	**بِ عمداً كيما تهيجَ البحورا**[7]

(1) الجمهرة: 267–269.

(2) الحجاج بن يوسف الثقفي: 78 نقلاً عن جمهرة ابن حزم وسيرة ابن هشام.

(3) المحبر: 9، 17.

(4) الحجاج بن يوسف الثقفي: 79 نقلاً كتاب مدينة الطائف: 11–12.

(5) الحيوان 466/4.

(6) الحيوان 466/4.

(7) العضاه: نوع من شجر البر له شوك.

لم تختلف حياة الثقفيين القبلية عن غيرهم من القبائل العربية الأخرى، فقد طبعت بالسمات ذاتها، فالتعصب القبلي الأعمى يقوي من نيران العداوة والحروب، فشرف القبيلة إذا مُس تضرم الأرض ناراً، وتزهق الأرواح، انتقاماً للكرامة، ورداً للشرف، وأخذاً بالثأر، ومن هنا ذاعت المقولة: (في الجريرة تشترك العشيرة).

وإذا وقع احتلال لأرضهم أو نزول بديارهم كانت الحمية الجاهلية تشتط بهم، فيقاتلون غير مبالين، فيسقط القتلى، وتنزل الخسائر، وتحدث الهزائم، وكل معركة تتبعها معركة بل معارك، فالدم لا يغسله إلا الدم، ويصبح الشرف معلقاً بالثأر إلا إذا قبل أهله الدية؛ كما فعل عروة بن مسعود في دفع دية قتلى بني مالك، الذين قتلهم المغيرة بن شعبة بعد رحلة الإسكندرية بمصر[1].

وظهر في المجتمع العربي عادة وأد البنات؛ حتى لا يحدث لهن ما يجلب عليهم العار، فقتلوا بناتهم من إملاق واقع، أو خشية إملاق متوقع. وقد عبر القرآن الكريم عن هذه العادة البشعة خير تعبير، فقال سبحانه وتعالى[2]: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[3].

وعلى الرغم من وجود هذه العادة في المجتمع العربي؛ فإن الباحث لا يكاد يعثر على أثر لها في قبيلة ثقيف[4]، ولعل ذلك يعود إلى الحياة الاقتصادية المترفة للطائف، وارتفاع المستوى المعيشي للفرد فيها، على أنها لم تكن سمة المجتمع العربي كله.

وظهرت كذلك في قبيلة ثقيف العلاقات الاجتماعية الوطيدة والصلات القوية بينها وبين القبائل الأخرى، لكن ظهرت تناقضات داخل النسيج الاجتماعي للقبيلة، ومنها تقارب أفراد الطبقة الواحدة رغبة في مغنم، أو منصب، أو زعامة، أو فرضاً لمطالبهم على الآخرين،

(1) المغازي: 596/2.

(2) النحل : 58، 59.

(3) الإسراء : 31.

(4) انظر ماكتبه الدكتور جواد علي في كتاب المفصل، 90/5 – 100 فلم يذكر أن قبيلة ثقيف كانت فيها عادة الوأد برغم ذكره أسماء كثير من القبائل العربية الأخرى.

مثلما حدث بين بني مالك والأحلاف، وكيف أن غاضرة تحالفت مع عوف (الأحلاف) ضد بني مالك، لما تضاربت مصالحها مع بني مالك[1].

وقامت الأحلاف الداخلية بين القبائل، حتى تقوى كل واحدة على أختها، وذلك حين تحالفت بنو مالك وبنو نصر بن معاوية على أحلاف ثقيف؛ لأخذ الثأر منهم[2].

وكان من أثر الحياة التي يحياها العرب قبل البعثة أن وجدت لديهم عادات واعتقادات عجيبة، بعيدة عن مجال العقل والمنطق الصحيح، ومن ذلك مثلاً: الكِهَانَة والعِرافة، ويقصدون بالكهانة ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع، قال الأصفهاني– في كتاب الذريعة–: «الكهانة مختصة بالأمور المستقبلية، والعرافة مختصة بالأمور الماضية»[3]. وذلك بالاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية بالمناسبة، أو بما يكون بينها من ارتباط أو مشابهة خفية.

وقد اشتهر من كهان ثقيف عمرو بن أمية بن علاج، وهو الذي فسر لهم سقوط النجوم يوم بزوغ فجر الدعوة الإسلامية، ونزول الوحي على النبي ﷺ؛ بأن الله أراد به أمراً عظيماً، والمسلمون يعتقدون أن الأخبار كانت تنزل من سماء إلى سماء حتى تصل إلى السماء الدنيا، فتسترقها الشياطين، وتأتي بها إلى الكهان من أهل الأرض، فيتحدثون بها، ويخلطونها بالكذب؛ فهم يخطئون ويصيبون، وأن الله حجب الشياطين بهذه النجوم المقذوفة فانقطعت الكهانة.

وكانت القبيلة تنزل على حكم من تختاره من الرجال الموسومين «بالقوة والهيبة والوقار، وسداد الرأي وبعد النظر، والصبر والحلم، والجود والسخاء، والرزانة والثبات، لا يفرح للخير، ولا يكبو للضر، لا تبطره النعمة، ولا تغمه الشدة، قد أحكمته التجارب، وله خبرة بطبائع النفوس، وحسن معالجة الأمور، والعمل على إعلاء كلمة القبيلة ورفع

---

(1) المعارف: 91.

(2) مدينة الطائف: 113 – 115.

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 190.

شأنها»[1]، والقبيلة عليها حق الطاعة، فيرهنون بحكمه، وينزلون على رأيه، وقد برز من حكام ثقيف غيلان بن سلمة الثقفي[2]، وكنانة بن عبد ياليل الثقفي.

وكان الشاعر في القبيلة لسان حالها، والمذيع لأخبارها، والمسجل لأفضالها وأمجادها، والمنافح عنها، والممثل لها في أسواق العرب ومؤتمراتهم الأدبية، وكان أمية بن أبي الصلت من شعراء ثقيف المشهورين، فهو شاعر بليغ، له قوافٍ مزبدة مرعدة، حتى إن رجال عصره وصفوه بأنه «أشعر شعراء الحجاز المعروفين آنذاك»[3].

7- حياتها الدينية:

اتبع معظم العرب دعوة إسماعيل – عليه السلام – حين دعاهم إلى دين أبيه إبراهيم – عليه السلام –، فعبدت الله وحده، ودانت بدينه، فاستقرت عقيدة التوحيد في قلوب الناس، حتى طال عليهم الأمد، ثم أتى عليهم حين من الدهر، فنسوا حظاً مما ذكروا به، إلا أنه بقيت فيهم أثارة من التوحيد، وعدة شعائر من دين إبراهيم، حتى جاء عمرو بن لحي الخزاعي، وكان قد نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين، فأحبه الناس، ودانوا له ظناً منهم أنه من أكابر العلماء، وأفاضل الأولياء، ثم إنه سافر إلى الشام، فرآهم يعبدون الأوثان، فاستحسن ذلك وظنه حقاً؛ لأن الشام محل الرسل والكتب، فقدم معه بـ(هبل) وجعله في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله، فأجابوه، ثم لم يلبث أهل الحجاز أن تبعوا أهل مكة؛ لأنهم ولاة البيت الحرام[4].

وأخذ عمرو بن لحي يعلم الناس أن صنمه هذا شفيع من الله، ومن هنا سارت القبائل بعد ذلك سيرته، فكانت كل منها تنحت للإله الصور التي تراها، لتضعها في فناء الكعبة، ومع ذلك بقي البعض يتمسك بحنيفيته الخالصة، وكان معتنقوها أقلية ضئيلة جداً[5].

---

(1) في تاريخ الأدب الجاهلي: 65.

(2) تاريخ اليعقوبي 258/1 ط، بيروت، ابن حبيب: المحبر: 133–135 ط، دار المعارف العثمانية.

(3) تاريخ اليعقوبي 265/1 ط، بيروت، الأصفهاني: الأغاني 123/4– 136 ط، دار الثقافة، الجمهرة: 268.

(4) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ: 12.

(5) ابن الكلبي: الأصنام ص6–8 ط، الدار القومية 1924، تاريخ اليعقوبي 254/1–255 ط، بيروت.

ومن أمثال هؤلاء الحنفاء أمية بن أبي الصلت؛ كان شاعراً مطبوعاً، فاضت أشعاره المعبرة عن اهتمام بالغ بالمسائل الدينية والأخلاقية، وقرأ كتب الأديان الأولى متأثراً، ولبس المسوح تعبداً، وحرم الخمر، وشك في الأوثان، وذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية، طمع في النبوة، وتمنى أن تكون فيه، فحقد على النبي ﷺ حين بعثه الله تعالى، وهو الذي يقول:

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زورُ

وأمية شاعر حكيم مخضرم، عاصر الجاهلية والإسلام، يقول فيه الألوسي: «له في التوحيد والحكمة شعر كثير، وفيه يقول النبي ﷺ: آمن شعره وكفر قلبه»[1].

ومن الأصنام الرئيسة في شبه الجزيرة العربية ثلاثة أصبحت آلهة للعرب هي: مناة، أقدم أصنامهم، كانت بالمشلل على ساحل البحر الأحمر بالقرب من قديد[2] بين مكة والمدينة، ثم اتخذوا اللات في الطائف، ثم العزى بوادي نخلة، هذه الثلاث هي أكبر أصنامهم، ثم كثر الشرك والأوثان في كل بقعة من الحجاز، وكان العرب يقولون عن اللات والعزى ومناة أنهن بنات الله، وهن يشفعن إليه، فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ أنزل عليه هذه الآية، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾[3].

ولما كانت ثقيف قد اتخذت من اللات معبوداً لها، تعظمه وتقدسه؛ فلا بد أن تلقي الدراسة شعاعاً على تاريخ وجوده، وأهميته عندهم، ومكانته عند العرب.

تعددت الروايات في تاريخ وجود اللات، فبينما يذكر ابن هشام واليعقوبي أنها وضعت في الطائف بعد شيوع الأصنام في الحجاز حين نقلها عمرو بن لحي الخزاعي[4]، تذكر رواية أخرى أنها صخرة لرجل من ثقيف كان يلت السويق للحجاج، فلما مات أخبرهم عمرو بن لحي الخزاعي– الذي جعلته العرب رباً؛ لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة–

(1) الألوسي: بلوغ الأرب 121/3.

(2) السيرة النبوية: 83/1 – 85، الأصنام: 14 – 17 معجم البلدان: 116/4، المحبر: 315، ويذكر ابن حزم أن العزى كانت شجرة بنخلة، عندها وثن، تعبدها غطفان، وكانت قريش تعظمها إلى أن جاء خالد بن الوليد فقطع الشجرة، وهدم البيت، وكسر الوثن، ابن حزم الجمهرة: 491.

(3) النجم: 19 – 21 .

(4) السيرة النبوية: 77/1، تاريخ اليعقوبي 254/1– 255.

أنه لم يمت، وإنما دخل الصخرة، فأمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتاً يسمى اللات[1].

أما ابن الكلبي فيقول: «إنها كانت صخرة مربعة، وكان يهودي يلت عندها السويق»[2].

وعلى أي رواية فإن ثقيفاً عبدت اللات، وأهدت لها الهدايا والنذور، وعلقوا عليها القلائد والسيوف، وكانوا يطوفون حول هذا الصنم ويسمونه الربة[3]، ويمرون عليه في السفر والعودة، ويحلقون رؤوسهم عندها تعظيماً وتقديساً[4]، تعظيم أهل مكة للكعبة، بل يضاهون الكعبة بها[5]، فاللات عند ثقيف تسبق كل الأصنام، وقد بنوا عليها بناءً، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها[6].

حفر الثقفيون تحت صخرة اللات حفرة عرفت بالغبغب، حُفِظَت فيها الهدايا والنذور التي كانت تقدم لها، فلما هدمها وحطمها المغيرة بن شعبة بعد فتح مكة؛ أخذ جزءاً من أموالها إليه[7]، وكما كانت العرب تفعل مع أصنامها؛ كان الثقفيون يعكفون عند اللات، ويلتجئون إليها، ويهتفون بها، ويستغيثونها في الشدائد، ويحجون إليها، ويطوفون حولها، ويتقربون لها بأنواع من القرابين، فيذبحون لها وينحرون، ويخصونها بشيء من مآكلهم ومشاربهم، وبنصيب من حرثهم وأنعامهم.

ومن الطرائف أنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءاً لله أيضاً، وكانت عندهم أسباب كثيراً ما كانوا ينقلون لأجلها إلى الأصنام ما كان لله، ولكن لم يكونوا ينقلون إلى الله ما كان لأصنامهم بحال. قال تعالى: ﴿**وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ**

(1) معجم البلدان: (اللات) 4/5 السهيلي: الروض الأنف 96/1، السيرة النبوية:، 77/1 هامش 2.

(2) الأصنام: 16، والسويق هو الحنطة، أو الشعير المطحون الممزوج بالماء والعسل والسمن، ويلت بعد رجه بالماء، السيرة النبوية: 45/1 ط، الحلبي 1955.

(3) المغازي 969/3.

(4) السيرة النبوية: 83/1.

(5) السيرة النبوية: 83/1.

(6) الأصنام: 16، التاريخ الإسلامي 95/1.

(7) معجم البلدان: (اللات)، المغازي 972/3، ويذكر الكلبي في كتابه الأصنام: 20 أن الغبغب هو منحر للعزى ينحرون فيه هداياها.

﴿فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

وكان من أنواع التقرب النذر في الحرث والأنعام، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾[2].

وابتَدَعُوا كذلك البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾[3] كل ذلك تفعله العرب بأصنامها اعتقاداً أنها تقربهم إلى الله، وتوصلهم إليه، وتشفع لديه ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[4]، وقال أيضاً: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[5].

وكان سدنة اللات بنو عتاب بن مالك بن ثقيف، وتشير مصادر أخرى إلى آل أبي العاص ابن أبي يسار بن مالك من ثقيف[6].

وقد عبدَ اللات عربُ الشمال كالأنباط، وعَدُّوها أمّاً للآلهة عندهم، وَسَرَتْ عبادتها إلى تَدْمُر حتى سمي (وهب) ابن الزباء– ملكة تدمر– باللات، كما سمي بذلك آخرون.

وذُكِرت اللاتُ في اللهجة الصفوية بـ(هلات)، والهاء تدل في الصفوية على أداة التعريف (أل)، فتصير الكلمة اللات[7].

وللثقفيين في حجهم إلى الكعبة تلبية خاصة، مثلما كانت هناك تلبيات خاصة بقريش وهذيل وتميم وغيرهم، وتلبية ثقيف هي قولهم: (لبيك اللهم لبيك، هذه ثقيف قد أتوك، وقد أخلفوا المال وقد رجوك، عزاهم واللات في يديك، وأنت لك الأصنام تعظيماً إليك،

(1) الأنعام: 136.
(2) الأنعام: 138.
(3) المائدة: 103.
(4) الزمر: 3.
(5) يونس: 18.
(6) ابن الكلبي: الأصنام: 16، السيرة النبوية: 85/1، البداية والنهاية: 192/2.
(7) عبد الجبار منسي العبيدي: الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية: 105.

قد أذعنت بسلمها إليك، فاغفر لها طالما غفرت)[1].

وتبرز أهمية اللات عند ثقيف في حملة أبرهة الحبشي سنة 570م، حيث قصد أبرهة اللات معتقداً أنها الكعبة التي يريد هدمها، ففزعت ثقيف من الأمر، وبعثت معه من يدله على الكعبة، فأرسلت أبا رغال الذي مات في المغمس وهو مع الحملة، فدفن هناك، وظل الناس يرجمون قبره زمناً طويلاً[2].

يذكر ابن هشام ذلك فيقول: عند وصول أبرهة إلى الطائف، قالت له ثقيف: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد – يعنون اللات– إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه.. فتجاوَزَ عنهم[3].

ويبرز أهمية اللات عند أهل مكة وتعظيمهم لها ما أورده ابن هشام في السيرة: «أن أمية بن جمح كان يعذب بلالاً بالحرة والصخرة على صدره، ويقول له: لا والله هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد»[4].

وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول[5]: «واللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى فإنَّهُنَّ الغرانيق العُلَى، وإن شَفَاعَتهُنَّ لتُرْتَجَى».

وعندما أصيبت عين (زنيرة) بعد عتقها، قالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى. فقالت: كذبوا وبيت الله، ما تضر اللات والعزى وما تنفعان. فرد الله بصرها[6].

يقول ابن إسحاق: إن أبا لهب لقي هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشاً، فقال: يا بنت عتبة، هل نصرت اللات والعزى، وفارقت من فارقهما وظاهر

---

(1) انظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية: 39.

(2) الطبري: تاريخ والملوك 132/2 ط، دار المعارف.

(3) السيرة النبوية:، 47/1–48 ط، الحلبي 1955.

(4) السيرة النبوية: 318/1 ط، الحلبي 1955.

(5) معجم البلدان: (اللات).

(6) السيرة النبوية: 320/1.

عليهما؟ قالت: نعم، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة[1].

وقد عظمت العرب اللات، فورد ذكرها على ألسن كثير من الشعراء، يقول المتلمس في هجائه عمرو بن المنذر:

أَطْرَدَتْني حَذَرَ الهجاءِ ولا   واللاتِ والأنصابِ لا تَئِلُ[2]

وقال أوس بن حجر:

وباللاتِ والعُزَّى ومن دان دينها   وبالله إن اللهَ منهُنَّ أكبرُ[3]

وفي سفر أبي طالب إلى الشام اصطحب معه النبي ﷺ، ولما يزل غلاماً، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام؛ كان فيها راهب يدعى (بحيرا)، فدعاهم إلى طعام فحضروا، ولم يحضر رسول الله ﷺ، فطلب الراهب حضوره، فأحضره أحد الرجال وقد أقسم باللات والعزى على وجوب حضوره، وبعد الطعام، أخذ الراهب يسأل رسول الله ويستحلفه باللات والعزى، فقال له النبي ﷺ: تسألني باللات والعزى، فوالله ما بغضت شيئاً قط بغضهما ويقال: إنه سأله باللات والعزى اختباراً لرسول الله ﷺ[4].

لقد كانت ثقيف في الطائف جزءاً من مجتمع الحجاز، ارتبطت به وتشابهت معه في صور الحياة المختلفة التي عمّت مجتمع شبه الجزيرة العربية آنذاك، فكانت تشارك في حج البيت الحرام، وتساهم في حماية الأشهر الحرم، وتتبادل المنافع، وتستقسم بالأزلام، وتتبارى في الأسواق الأدبية مفاخرة وخطابة وشعراً، وتسهم مساهمة فعالة في حل المشاكل والقضايا المعقدة، ثم إنها تشابهت مع بقية القبائل في عبادة الأصنام والأوثان وتعظيم اللات.

---

(1) السيرة النبوية: 351/1.

(2) معجم البلدان: (اللات)، وفي كتاب الأصنام: 43 أنه قالها لعمرو بن هند.

(3) معجم البلدان: (اللات).

(4) معجم البلدان: (اللات).

8- موقف ثقيف من الإسلام

من خلال دراسة ثقيف وموقفها من الدعوة الإسلامية ومن الرسول ﷺ؛ نجد أن لهم صورتين: الأولى تتمثل في موقفهم من الإسلام قبل الهجرة، والثانية في موقفهم من الإسلام بعد الهجرة. وتتسم الأولى بالصدود والإعراض والرفض، والوقوف أمام الدعوة وصاحبها، ومسايرة قريش التي تربطها بثقيف مصالح عليا، أما الصورة الثانية فسوف تعرضها الدراسة لاحقاً.

أ- قبل الهجرة:

خرج رسول الله ﷺ ومعه مولاه زيد بن حارثة إلى الطائف، في شوال[1] سنة عشر من البعثة، بعد أن ضاقت به السبل، وبارت الحيل، وتقطعت الحبال، واحتدت عليه المصائب، وضنكه البلاء، واشتد عليه الأمر بوفاة عمه أبي طالب، الحصن الذي تحتمي به الدعوة الإسلامية من بطش الكبراء، وعبث السفهاء، وبوفاة زوجه خديجة رضي الله عنها سكنه، وأنسه، وملاذه، ووزيره، وذلك قبل وفاة أبي طالب بخمسة وثلاثين يوماً- وقيل: خمسة وخمسين يوماً، وقيل: ثلاثة أيام[2]- فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله بهاتين الحادثتين المؤلمتين المفجعتين، وعظمت المصيبة على رسول الله بموتهما، فسمي ذلك العام (عام الحزن)، وقال ﷺ: «ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»؛ لأنه لم يكن في عشيرته وأعمامه حامٍ له ولاذابٌّ عنه غيره[3].

ثم توالت عليه المصائب من قومه الذين تجرؤوا عليه، وكاشفوه بالنكال والأذى، ونالوا منه ما لم يطمعوا به في حياة أبي طالب، فتصالحت عليه الإحن، وتجمعت حوله المحن، فخرج إلى الطائف بصبر وثبات ورباطة جأش، رجاء أن يستجيب أهلها لدعوته، ويصغوا إلى قضيته، وينصروا ملته.

«فوطئت قدماه الطاهرتان هذه البقعة الوثنية، وما كان اختياره ﷺ للطائف إلا بشرى

(1) الرحيق المختوم: 116.

(2) انظر: إمتاع الأسماع 27/1 صححه وشرحه محمود محمد شاكر.

(3) المصدر نفسه.

لثقيف بهذا الدين النير، وهذا الرسول المبشر، حتى وإن أبت ثقيف هذا الفضل المبكر الذي خصها به الله تعالى بعد مكة، واختصها به رسول الله من بين سائر البقاع والأصقاع، حتى وإن أخذت في استمرار عنادها وصلفها وكبريائها.. فهل بدأ إسلام ثقيف يوم ارتحل إليها المصطفى ﷺ؟ أم بدأ النور يشرق على ثقيف والطائف مع هذه الرحلة المباركة؟»[1].

يورد ابن هشام خبر هذه الرحلة فيقول: لما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم رسول الله فدعاهم إلى الله وإلى نصرة الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم وهو يمرط ثياب الكعبة (أي يمزقها): إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك. فقام عنهم رسول الله وقال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني[2].

وأقام رسول الله بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سماطين (أي صفين) وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء. وزيد يقيه بنفسه، حتى لقد شج رسول الله في رأسه شجاجاً، وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فأتى إلى حبلة من عنب، فجلس تحت ظلها إلى جدار، فلما جلس إليه واطمأن؛ دعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزناً مما لقي من الشدة، وأسفاً على أنه لم يؤمن به أحد، قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي

(1) محمد سليمان الطيب: موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية 936/5.

(2) تاريخ الطبري: 419/1 ط، دار صادر.

أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن يحل علي غضبك، أو أن ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»[1].

وقد جلس ابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما يصنعه سفهاء أهل الطائف، فتحركت له رحمتهما، فدعَوَا غلاماً لهما نصرانيّاً اسمه عداس، فقالا: يا عداس، خذ قطفاً من هذا العنب إلى ذلك الرجل، وقل له يأكل منه. ففعل عداس ما أمراه به، فلما وضع العنب بين يدي رسول الله، ودعاه ليأكل منه؛ مد النبي ﷺ يده قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلدة.

فسأله رسول الله، من أي بلدة هو، وما دينه؟ فتسمى له وقال: أنا رجل نصراني من أهل نينوى. قال رسول الله: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال عداس: أو تعرف عنه شيئاً؟ قال: ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي! فأكب عداس على رسول الله يقبل رأسه ويديه، وأسلم. وابنا ربيعة يبصرانه عن بعد، ويعجبان من أمره، فلما جاءهما قالا له: ويلك يا عداس، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه؟ قال: يا سيدي ما في هذه الأرض خير من هذا، لقد أخبرني بخبر ما يعلمه إلا نبي. فقالا له: ويحك؛ لا يَصْرِفَنَّكَ عن دينك، فإن دينك خير من دينه. فثبت عداس على إسلامه[2].

وهذه الزيارة هي أول زيارة قدم بها النبي ﷺ إلى الطائف، ولا يزال المكان الذي أسلم فيه عداس معروفاً في (المثناة) يزار.

هكذا رجع رسول الله في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً حزيناً كسير القلب، روى البخاري تفصيل ذلك - بسنده - عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟

قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت- وأنا مهموم-

---

(1) السيرة النبوية: 2/419-421، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب 281/16، صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق 458/1، وفي صحيح مسلم باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين 109/2.

(2) انظر: صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم ص 113 وما بعدها.

على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب - وهو المسمى اليوم بقرن المنازل- فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل؛ فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، ذلك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1] أي: لفعلت. قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله- عز وجل- من أصلابهم من يعبد الله- عز وجل- وحده لا يشرك به شيئاً»[2].

وأفاق رسول الله ﷺ واطمأن قلبه لأجل هذا النصر الغيبي الذي أفاضه الله عليه، وأمده الله به من فوق سبع سماوات، ثم تقدم في طريق مكة حتى بلغ وادي نخلة، وأقام فيها أياماً.

وخلال إقامته هناك بعث الله إليه نفراً من الجن، فاستمعوا القرآن وآمنوا به، فكان ذلك نصراً جديداً، أقشعت أمامه سحابة الحزن والكآبة واليأس، التي كانت مطبقة عليه منذ أن خرج من الطائف مطروداً، حتى صمم على العود إلى مكة، واستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام بنشاط، وجد، وحماس[3].

وهنا قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم يا رسول الله وقد أخرجوك؟ يعني: قريشاً. فقال: يا زيد إن الله جاعلٌ لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصرُ دينِهِ ومُظْهِرُ نَبِيِّه.

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا دنا من مكة مكث بحراء، وبعث رجلاً من خزاعة إلى الأخنس بن شريق الثقفي ليجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير. فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال سهيل: إن بني عامر لا تجير على بني كعب. فبعث إلى المطعم بن عدي فقال المطعم: نعم. ثم تسلح، ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ: أن ادخل، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة، حتى انتهى إلى المسجد الحرام.

---

(1) الأخشبان: جبلا مكة: أبو قبيس، والذي يقابله هو قيقعان، انظر: الرحيق المختوم ص115.

(2) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق 458/1 وصحيح مسلم باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين 109/2.

(3) انظر: الرحيق المختوم ص 116.

فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمداً، فلا يهجه أحد منكم. وانتهى رسول الله إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، ومطعم بن عدي وولده محدقون بالسلاح حتى دخل بيته.

وقيل: إن أبا جهل سأل مطعماً: أمجير أنت أم متابع – مسلم–؟ قال: بل مجير. قال: قد أجرنا من أجرت[1].

كان هذا حديث رحلته ﷺ إلى الطائف كما روتها كتب التاريخ والسير، وأمام هذا السرد التاريخي للأحداث وما آلت إليه، لابد من طرح عدة تساؤلات لاستجلاء موقف ثقيف بوضوح من الدعوة، في مرحلة ما قبل الهجرة. وهي:

- لماذا توجه النبي ﷺ إلى الطائف بالذات دون غيرها؟
- وهل كان رسول الله ﷺ يتوقع من الثقفيين تأييداً؟
- ثم هل كانت الدعوة مفاجأة للثقفيين، إذ لم يسمعوا بها من قبل؟
- وما موقف رجل كأمية بن أبي الصلت الثقفي– وهو الذي عنده علم من الكتاب– من الدعوة وصاحبها؟
- وهل اقتصر إيذاء الثقفيين على ما فعلوه مع رسول الله حين توجه إليهم في الطائف؟
- ولماذا استجابت المدينة إلى الدعوة فآمنت بها وآوتها، وتخاذلت عنها الطائف فرفضتها ولفظتها؟
- وهل هناك تشابه بين موقفي مكة والطائف من الدعوة الإسلامية، برغم وجود التنافس بين البلدتين؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول: إن رسول الله ﷺ قد توجه إلى الطائف رغبة في نشر الإسلام فيها، وحتى تكون مركزاً تنطلق منه الدعوة إلى الأرجاء كافة، وليلقى رسول الله في الطائف الحماية له ولكل من آمن بدعوة الإسلام، بعد أن عانى المسلمون من كفار مكة

---

(1) تفصيل حادث الطائف منقول عن ابن هشام 419/1، زاد المعاد 46/2، 47، والرحيق المختوم 113–116.

كثيراً من الإيذاء والبلاء، والجهد والعناء.

لذا انطلق رسول الله ﷺ يغذ السير نحو الطائف، يستعذب الصعاب في سبيل بلوغ غايته وهي: «.. حتى أبلغ دعوة ربي»، يحدوه أمل في أن يفتح الله قلوب أهل الطائف للدعوة، فيكونوا أكثر قبولاً لها من قريش، لاسيما الأحلاف الذين تربطهم بالنبي ﷺ علاقة نسب، فأمه آمنة بنت وهب جدتها من ثقيف[1]. وإذا أسلم الأحلاف من ثقيف أو- في الأقل- كانوا مؤيدين؛ فإنهم يصبحون أداة للضغط على أهل مكة، لاسيما بني مخزوم الذين يملكون أموالا في الطائف، ونفوذاً بين الثقفيين[2].

ومما دعا رسول الله إلى الذهاب إلى الطائف أيضاً الوضع الاقتصادي بها، والمكانة الاجتماعية للثقفيين، الذين كانوا مستقلين عن القرشيين غير تابعين لهم كبقية القبائل، فضلاً عن أنها قبيلة كبيرة آمنة مستقرة في مدينتها، ثم إن قرب الطائف من مكة عامل مهم في سعي رسول الله إليها، مقارنة بالمدينة التي هي أبعد مسافة، وأقل استقراراً بسبب النزاعات بين الأوس والخزرج من جهة، واليهود من جهة أخرى، فبيئتها تمور بها خلافات وحروب طاحنة.

لكل هذه الأسباب اتجه رسول الله إلى الطائف دون غيرها، ولو نجحت هذه الزيارة وتفهمت ثقيف الدعوة؛ لحظيت الطائف بلقب مدينة رسول الله، ونالت ذلك الشرف قبل المدينة المنورة.

عاد رسول الله من الطائف إلى مكة دون أن يحقق نتيجة تذكر، وكان يتوقع ألا يجد من الثقفيين تأييداً، لكنه أخذ بأسباب التبليغ، فلم يألُ جهداً ولم يَدَّخرْ وُسْعاً في ذلك، بيد أن الثقفيين كانوا يخشون أمر الدعوة، وينظرون إليها نظرة لا تختلف عن نظرة أهل مكة إليها[3].

---

(1) المحبر: 9، 17.

(2) السيرة النبوية: 409/1، 411 ط الحلبي، حيث يذكر أن الوليد بن المغيرة بن مخزوم هو أحد المعارضين للدعوة، وممن كانت لهم أموال وديون في الطائف. وات، محمد في مكة: 219 وما بعدها، وانظر أيضاً: أحمد الشريف: مكة والمدينة: 122-123.

(3) تاريخ الطبري: 350/2.

وما دام الأمر كذلك؛ فما من سبيل إلا العودة إلى مكة، ولكن لابد أن يدخل رسول الله في جوار أحد من كبرائها، وبعد محاولات– سبق ذكرها– طلب ذلك من المطعم بن عدي الذي قبل الإجارة، فدخل رسول الله في حماية المطعم وجواره، وهكذا جعل الله لنبيه ﷺ فرجاً ومخرجاً[1].

ولم تكن الدعوة مفاجأةً لثقيف حين خرج إليهم رسول الله داعياً، فلقد وصلت أصداء الدعوة الجديدة إلى مسامع الثقفيين من رجالات الطائف، مثلما وصلت إلى آخرين، وقد تعجب الوفد الثقفي الذي خرج مع جندب بن الحارث الثقفي إلى الكاهن القضاعي، محتكماً إليه في قضية الخلاف على بئر الماء؛ بين جندب بن الحارث الثقفي وعبد المطلب، وكان منزل الكاهن بالشام، فقال لهم:

أحلف بالضياء والظلم، والبيت والحرم، أن الماء ذا الهرم – البئر– للقرشي ذي الكرم. وساعتها غضب الثقفيون، وعندها قال الكاهن:

أما وَرَبِّ القلصِ الروَاسِمْ يَحْمِلْنَ أَزْوالاً بقيّ طَاسِمْ[2]

إِنَّ سَنَاءَ المجدِ والمكَارِمْ في شيبةِ الحمدِ الندىَّ ابنِ هاشِمْ[3]

أبي النبيِّ المرتضى للعالم[4]

وتروي المصادر أن أمية بن أبي الصلت الثقفي قدم دمشق قبل الإسلام، وكان يذهب إلى هناك للمتاجرة مع أبي سفيان، وكان أمية مطلعاً على الكتب القديمة، فانتهى إلى أن نبياً مبعوثاً قد أظل زمانه، فتمنى أمية أن يكونه، وكان أمية قد أشار إلى أبي سفيان بظهور

(1) السيرة النبوية: 282/1 ط الحلبي 1955.

(2) القلص كعنق: جمع القلوص كزبور، والقلص: الطويلة القوائم من الإبل. الرواسم: جمع الراسمة، وهي الإبل السائرة رسيماً، والرسيم: سَيْرٌ لها فوق الذميل. أزوال: مفرده الزول؛ وهو الشجاع والظريف، وقيل: الفطن. القِي: قفر الأرض. الطاسم: المظلم أو الأغبر.

(3) في أنساب الأشراف 75/1: (سناد المجد والمحارم ..... سليل ابن هاشم).
شيبة الحمد لقب عبد المطلب بن هشام.
في أنساب الأشراف 75/1: (سليل).

(4) انظر: أنساب الأشراف: 74/1، 75، وانظر أيضاً: المنمق في أخبار قريش: 102.

نبي، ووصف له أوصافه، وكان ذلك في حديث خلال إحدى رحلاتهما إلى الشام[1]. وبعد بزوغ شمس الإسلام سأل أمية عن خبر محمد ﷺ، فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم إليه، وسمع منه آيات من القرآن وانصرف، فتبعته قريش تسأله عنه فقال: أشهد أنه على الحق. فقالوا له: هل تتبعه؟ قال: أنظر في أمره. وخرج إلى الشام، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[2].

ولم تقتصر أساليب إيذاء الثقفيين للرسول ﷺ على ما فعلوه معه حين قدم إليهم في الطائف، بل تعدى ذلك إلى إيذاء آخر من الثقفيين الذين كانوا يعيشون في مكة، ولهم دور وشعب فيها، ومنهم عدي بن حمراء الثقفي، وكان جاراً لرسول الله، يؤذيه بطرح رحم الشاة عليه وهو يصلي، حتى اتخذ رسول الله حائطاً يستتر به منهم إذا أراد الصلاة[3].

وكان ممن آذى رسول الله من الثقفيين أيضاً الأخنس بن شريق الثقفي، الذي كان يستمع إلى رسول الله سرّاً مع أبي جهل، وقد أنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾[4]، ويذكر الزمخشري أن الأخنس تجاوز في الظلم، وأصبح كثير الآثام، غليظاً على الرسول ﷺ والدعوة[5].

روى ابن إسحاق خبر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب التي قالت: «والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا بالغدر لمصارعكم في ثلاث. فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه.. ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارْفَضَّتْ، فما بقي بيت من بيوت مكة إلا ودخلتها منها فِلْقَة».

لقد عارضت ثقيف الدعوة الإسلامية كما عارضتها قريش، ولا أدل على ذلك من الأخبار التي يسوقها ابن كثير في البداية والنهاية، حين يذكر – مثلاً– أن المغيرة بن شعبة الثقفي قد

(1) الأغاني 99/4.
(2) الأعراف: 175.
(3) سيرة ابن هشام: 416/1، تاريخ اليعقوبي: 24/2.
(4) القلم: 10–12.
(5) الكشاف 587/4.

عرف أن أمر الدعوة الإسلامية حق، وأن محمداً نبي، وذلك خلال زياراته المتعددة إلى مكة؛ لأن رسول الله قد دعا أبا جهل إلى الإسلام وكان معه المغيرة بن شعبة، وقد اعترف أبو جهل بصدق الدعوة للمغيرة قائلاً له: «والله إني لأعلم ما يقول حقاً»[1] وما منع أبا جهل إلا الكبر والعناد.

ويسوق خبراً آخر أثناء زيارة رسول الله ﷺ إلى الطائف يوم أن رفض أهلها دعوته، وكذبوا رسالته، وأغروا به سفهاءهم برميه بالحجارة، وإخراجه من الطائف[2]، نزلت على رسول الله ـ في غمرة تلك الأحداث ـ آيات سورة الطارق، فقرأها رسول الله ﷺ على مسمع من الناس ورددها كثيراً، فكان ممن سمعها من قبيلة عدوان عبد الرحمن بن خالد العدواني، الذي دعته ثقيف وسألته أن يقرأها، لكن القرشيين الذين حضروا المجلس لسماعها كذبوه، وأغلظوا له القول، فصدقت ثقيف قريشاً، ووقفت موقفها من الآية[3].

لقد دعا رسول الله ﷺ ثقيفاً وجادلهم مرتين، راغباً في هدايتهم، آملاً في إسلامهم، لكن ثقيفاً أصرت على عنادها واستكبارها.

كان النقاش الأول في السنة الثامنة من البعثة، وذلك حين حشد أمية بن أبي الصلت جمعاً من قريش وثقيف؛ لإفحام رسول الله وهزيمته أمام الملأ، واجتمع القوم عند الكعبة، وسمح رسول الله لأمية أن يبدأ الحديث، فأخذ يخطب ويسجع وينشد الشعر، وطلب من رسول الله إجابته، فقرأ رسول الله ﷺ عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤﴾[4]»، وما إن فرغ من السورة حتى قام أمية يجر رجليه من قوة وثقل ما سمع، فسأله بعض الجمع رأيه قال: أشهد أنه على حق. ثم خرج إلى الشام[5].

كانت جموع الثقفيين تعول كثيراً على هذا النقاش، عسى أن تكون النبوة فيهم،

(1) انظر: البداية والنهاية: 3/64–65.

(2) انظر: تاريخ الطبري: 2/344–345، تاريخ اليعقوبي: 2/36.

(3) انظر: البداية والنهاية: 3/136–137.

(4) يس: 1–4.

(5) انظر: البداية والنهاية 2/226.

فيكسبون بذلك عزّاً ومجداً يفاخرون به قريشاً، فلما أخفق أمية بكلتا يديه؛ زاد حنقهم على رسول الله، فكانت الفرصة مواتيةً لهم حين زارهم في السنة العاشرة من البعثة في الطائف، حيث حصل النقاش الثاني؛ إذ قضى رسول الله فيها بعض الوقت يدعوهم فلم يستجيبوا، وخافوا على أحداثهم أن يتأثروا بدعوته[1]. وهكذا كان إيذاء الثقفيين للدعوة وصاحبها إيذاءً شديداً، في الطائف وخارجها.

وإذا جاز لهذه الدراسة أن تعقد مقارنة بين المدن الثلاث: مكة، والطائف، والمدينة– من حيث قبول الدعوة أو رفضها– فإنها تخلص إلى أن زعماء قريش قد وضعوا في مكة نظاماً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً متين البنيان، واضح المعالم، نجح في أن يبسط على مكة أماناً واستقراراً، جعل منها أكبر قوة سياسية واقتصادية في الحجاز في ذلك الحين[2].

يضاف إلى ذلك أن قريشاً كان عندها شعور بأهمية الوَحْدَةِ وضرورة المحافظة عليها، حفاظاً على المكاسب السياسية والاقتصادية التي حققتها قريش على يد زعمائها، ابتداء من قصي بن كلاب، ثم ابنه عبد مناف، ثم هاشم، ثم عبد المطلب، ومهما كان الاختلاف بين البطون، والمنافسة بين بني هاشم وبني عبد شمس، أو بين حلف المطلبين وحلف الأحلاف، فإن أحداً لم يكن مستعداً للذهاب في العداوة إلى أن يجعل وحدة قريش كلها في خطر[3].

لهذا كان خوف قريش من دعوة النبي أنها عرضت هذه الوحدة للخطر، وهذا ظاهر في أقوال كثير من زعمائهم[4]، فيذكر ابن هشام: «أن زعماء قريش من أمثال عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبي جهل بن هشام، ومن اجتمع منهم آنذاك؛ قد طلبوا الاجتماع بالرسول ﷺ، فجاء إليهم وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً في العرب أدخل على قومه مثلما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعِبْتَ الدين، وشَتَمْتَ الآلهة،

(1) الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية: 68.
(2) مكة والمدينة: 105، 111، 125.
(3) السيرة النبوية: 1/130–132.
(4) مكة والمدينة: 124، 125.

وسَفَّهْتَ الأحلام، وفرقْتَ الجماعة، فإن كنت تطلب مالاً جمعنا لك أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد مُلْكاً ملَّكْنَاكَ علينا، وإن كنت مريضاً طلبنا لك الطب من أموالنا. لكن رسول الله ﷺ قال: ما جئتكم بهذا، وأنا بعثني الله رسولاً، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً»[1].

لقد ارتضت مكة من الناحية السياسية نوعاً من التنظيم، ألغت فيه الرئاسة القائمة على الزعامة القبلية، فحكمتها العشائر والبطون، وتكوَّن منهم ما عرف بالملأ، فتوزعوا أمورَ السلطة السياسية بينهم[2]. وهم كانوا حريصين على مبدأ التناظر فيما بينهم بوصفهم زعماء، وأن لا يسود أحدهم على الآخر، ومن هنا كانت المقاومة خوفاً على انتقال السيادة منهم، أو تحولها عنهم، فتنتهي بذلك زعامة الملأ[3].

ثم إن قريشاً استمدت زعامتها الروحية ومكانتها السياسية بين القبائل العربية من الوثنية والأصنام، التي جاء رسول الله يهاجمها ويدعو الناس إلى نبذها، وفي دعوته هذه تقويض لبنيان قريش السياسي، وانتقاص من مركزها الديني، وثقلها الاقتصادي، وانفضاض القبائل عنها[4].

يذكر الدكتور طه حسين أن رسول الله ﷺ لو دعا قريشاً إلى التوحيد وحده من دون أن يمس ذلك نظامهم الاجتماعي والاقتصادي؛ لأجابته كثرتهم من غير مشقة ولا جهد؛ لأن قريشاً لم تكن مؤمنة بأوثانها إيماناً خالصاً، ولا هي حريصة عليها حرصاً دقيقاً، لكنها كانت تتخذ الأوثان وسيلة لا غاية، فهي تنتفع منها وتستمد ثروتها الاقتصادية بما كانت تجلب إليها من الثمرات[5].

إن هذا الحديث عن مكة ينطبق تماماً على منافستها الطائف، وما يقال عن هذه يقال عن تلك، ولوجود تشابه وتشابك وتنافس والتقاء بينهما سياسياً واقتصادياً واجتماعياً؛ وقفت

(1) السيرة النبوية: 1/295، 296.

(2) السيرة النبوية: 1/132.

(3) الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية: 118.

(4) بلاد الحجاز: 70 وما بعدها.

(5) الفتنة الكبرى 1/11.

كل منهما موقف المعارض خوفاً على مصالحهما المادية والسياسية من أن تتعرض للخطر، ولذا رفضت الطائف الدعوة كما رفضتها مكة، وقاومتها كما قاومتها.

وعلى العكس من ذلك تماماً كان الأمر في المدينة، إذ لم تكن المدينة وحدة سياسية كمكة والطائف، فالأوس والخزرج قبيلتان متنازعتنان لا تكفان عن الحروب والعداوات فيما بينهما. وكانت لليهود سياستهم في إضرام نار العداوة، وإيقاد الفتن، وإشعال الحروب، والإيقاع بين الفريقين، فيحالفون الأوس على الخزرج غالباً، فإذا هدأت الفتنة، وأراد القوم أن يحكِّمُوا عقولهم، وأن يوحِّدُوا صفوفَهُم، أعاد اليهود الفتنةَ لِتُطِلَّ برأسها من جديد، فيهددون العرب بالنبي المنتظر الذي أظل زمانه قائلين لهم: «إننا سنكون معه فنقتلكم قتل عاد وإرم».

ولذلك أسرع الرهط من الخزرج بعد مقابلتهم النبي ﷺ إلى الإسلام فقالوا لبعضهم: «هذا والله الذي كانت اليهود تعدكم به، فلا يسبقنكم إليه»[1].

لقد سعى الأوسيون والخزرجيون لعقد محالفات مع مكة حفاظاً على النفس والمصلحة، لكنَّ قريشاً كانت لا تقبل بسياسة المحالفات مع المدينة ومع الأطراف المتنازعة بالذات، كي لا تخلق مراكز نفوذ تضر بمصلحتها وطرقها التجارية المهمة، وهذا واضح من رفض قريش محالفة الأوس، ووقوف أبي جهل ضد هذه المحالفات[2].

أما زعماء الأوس والخزرج فقد رأوا أن صاحب الدعوة قد يستطيع توحيد صفوفهم، وإزالة العداوات من صدورهم، وإقامة نظام سياسي واجتماعي، فحين اجتمعوا برسول الله في بيعة العقبة الثانية، كانوا يشعرون أن الله تعالى قد اختصهم بهذا النبي المرتقب، وأنهم سينالون النصر على أعدائهم من اليهود بزعامة النبي الكريم، تحت راية الدعوة التي بَلَّغَهم إياها[3].

لجملة الأسباب السابقة استجابت المدينة المنورة للدعوة، فآمنت بها وآوتها، وتخاذلت

(1) السيرة النبوية: 429/1، تاريخ اليعقوبي 37/2، 38، تاريخ الطبري 353/2، 354.
(2) الكامل في التاريخ: 676/1–677.
(3) السيرة النبوية: 428/1–429.

عنها الطائف، فهجرتها ولفظتها.

ب– بعد الهجرة:

تمتد هذه المرحلة لتشمل موقف ثقيف من الإسلام منذ هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، حتى حصار الطائف.

لعل أبرز ما يلاحظ على ثقيف في هذه المرحلة هو استماتتها في مقاومة الدعوة وصاحبها، فلقد اشتركت برجالها ونسائها وسلاحها، لدفع الدعوة ومقاومتها، واتخذت في سبيل ذلك جهداً لمجابهتها، وعلى الرغم من ضراوة المقاومة؛ فإن ذلك لم يحل دون دخول بعض الثقفيين الإسلام، وهجرتهم إلى المدينة مخالفين ومعاندين ثقيفاً كلها، ومن هؤلاء عمار وعامر ولدا غيلان بن سلمة الثقفي(1).

لقد كانت مساهمة الثقفيين مع القرشيين في الحرب ضد النبي ﷺ مساهمة فعالة، فقد ساهمت ثقيف مع قريش في معركة بدر بتحريض من أبي جهل، وكان الأخنس بن شريق الثقفي قد حاول الاشتراك في موقعة بدر، إلا أن وصول قافلة – أبي سفيان– إلى مكة سالمةً جعله يعود بمن كان معه من بني زهرة(2).

وبعد معركة بدر عاد أمية بن أبي الصلت من الشام يريد الإسلام، لكنه سمع بمقتل أقاربه من الثقفيين في بدر فامتنع عن الإسلام، وبقي في الطائف حتى مات، وقد كان من المحرضين لقريش ضد الرسول ﷺ بعد بدر، وهو القائل في ذلك:

مــــاذا بِبَـــدْرٍ والـعَـقَـنْـقَـلِ ... مِـــنْ مَـــرَازِبَـــةٍ جَحَاجِحْ(3)

وفي معركة أحد اشتركت نساء ثقيف مع أزواجهن من القرشيين في قتال المسلمين(4)،

---

(1) الإصابة في تمييز الصحابة: 255/2، الجمهرة: 268.

(2) المغازي: 44/1 – 45، تاريخ الطبري: 348/2، المحبر: 459.

(3) انظر: الأغاني 126/4، وقد نهى رسول الله ﷺ عن رواية هذه القصيدة.

(4) المغازي: 201/1، أنساب الأشراف: 312/1.

منهن برزة بنت مسعود الثقفي- وهي أم عبد الله الأكبر- مع صفوان بن أمية، وخرج عمرو بن العاص بامرأته هند بنت منبه الثقفي، وكذلك أبو سفيان ومعه امرأتان من ثقيف هما هند بنت عتبة وأميمة بنت سعد، واشترك الأخنس بن شريق الثقفي بصفته حليفاً لبني زهرة، فهو يتبع قريشاً بالولاء، وقد قتل ابنه أبو الحكم بن الأخنس في المعركة(1).

ويذكر الواقدي أن قريشاً ومن انضوى إليها من العرب اشتركوا في موقعة الخندق، ولم يشر إلى اشتراك ثقيف فيها، وإن كانت قبائل قيس عيلان- ومنها سليم وغطفان- قد شاركوا فيها(2).

وفي غمرة تلك الأحداث أسلم المغيرة بن شعبة الثقفي إثر عودته من رحلته إلى مصر، فكان إسلامه ضربة كبيرة لقبيلته ثقيف وحليفتها قريش، وشهد مع النبي بيعة الرضوان، ووقف مدافعاً عن رسول الله ﷺ(3)، ومنع عمه عروة بن مسعود من أن تمس يده لحية رسول الله أثناء الحديث بينهما، فقال له محذراً إياه: «اضمم يدك». وقد كان لموقف المغيرة هذا أثر سيء في نفس عروة؛ حين وجد أن ابن أخيه هو الذي يقف بجانب الرسول ﷺ ضد قومه(4).

إن عروة كان مجسداً موقف قومه ثقيف في عداوة النبي ﷺ حين قال: «يا معشر قريش.. ألستم الوالد وأنا الولد، وقد استنفرت أهل عكاظ لنصركم، وقد استنفرت أنا نفسي وولدي ومن أطاعني»؟، وهو الذي طلب من قريش أن يرسلوه إلى رسول الله مفاوضاً في السنة السادسة من الهجرة، فقبلت قريش مطلبه، وهذا يؤكد قوة العلاقة، ومتانة الصلة التي تربط بين قريش وثقيف(5).

عاد عروة بن مسعود بعد المفاوضة ناصحاً المشركين عامة- وقريشاً خاصة- بضرورة

---

(1) المغازي: 202/1، 308، السيرة النبوية: 619/1.

(2) المغازي: 443/2، 444، أنساب الأشراف: 343/1.

(3) المغازي: 596/2 وما بعدها.

(4) المغازي: 596/2.

(5) المغازي: 594/2.

مصالحة رسول الله ﷺ؛ كي لا يحدث ما لا تحمد عقباه بينهم[1]، لاسيما أنه قد أسلم عدد من الثقفيين الذين قد يُحْدِثُونَ بإسلامهم رد فعل عنيف بين صفوف قبيلتهم؛ بانحياز المزيد من رجالهم نحو محمد وأصحابه[2]، وقد كان لموقف عروة بن مسعود من الصلح مع رسول الله ﷺ ما يسوغه إذن.

وكان من الذين أسلموا من الثقفيين في المدّة التي سبقت صلح الحديبية: عامر وعمار ولدا غيلان بن سلمة، وحكيم بن الحارث الثقفي، والمغيرة بن شعبة. أما الذين أسلموا من الثقفيين في المدة التي أعقبت صلح الحديبية؛ فكان منهم عتبة[3] بن أسيد بن جارية الثقفي، وكان يلقب بأبي بصير، وهو من أسرة الأخنس بن شريق الثقفي، جاء المدينة مسلماً بعد الحديبية، فطلب الأخنس من رسول الله رده إيفاءً بأحد شروط الصلح، وكان هذا الطلب باسم بني زهرة وليس باعتباره ثقيفاً؛ لأن أبا بصير من قريش بالحلف[4]، فسلمه رسول الله إلى رجلين بعثهما الأخنس[5]، وكان عتبة يدرك ما يضمره له الأخنس، فغافل الرجلين وقتل أحدهما، وفر إلى رسول الله، لكن رسول الله رفض ذلك، فخرج أبو بصير إلى (العيص)، وهناك استطاع أن يجمع كل من حبستهم قريش في مكة، وكوَّنوا قوة ضيقت على قريش، فلا يخرج منهم رجل إلا قتلوه، ولا عير إلا اختطفوها، فطلبت قريش من رسول الله إيواءهم في المدينة.

وكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير أن يقدم بأصحابه إلى المدينة، لكن الكتاب وصله وهو يحتضر، فمات والكتاب في يده، فَقَبَره أصحابه هناك وصلوا عليه، وبنوا على قبره مسجداً[6].

---

(1) المغازي: 2/596، 597.

(2) الإصابة: 2/255، الاشتقاق: 302.

(3) كان أبوه حليفاً لبني زهرة، أسلم يوم الفتح، وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة حنين، وأعطاه رسول الله مئة بعير، انظر: الزركلي، ما رأيت وما سمعت: 68.

(4) المغازي: 2/116 (والشرط أنه من أتى من قريش بغير إذن وليه رده إليه).

(5) المغازي: 2/625.

(6) المغازي: 2/627–629.

ثم كانت مساهمة الثقفيين الذين أسلموا مع رسول الله ﷺ في غزواته التالية، فقد اشتركوا معه في فتح خيبر ومكة، وكان من هؤلاء يعلى بن سبابة بن عوف الثقفي، وأبو حذيفة من ولد عتاب بن مالك الثقفي[1].

ولما فتح الله على المسلمين مكة ودخلت قريش في الإسلام، وانتهت بذلك معارضتها للإسلام والمسلمين؛ أدركت ثقيف أنه لابد لها أن تغير تفكيرها، وتقيم أمورها باتجاه آخر يختلف عما كانت تفكر فيه قبل فتح مكة.

فلماذا لا يتجه تفكيرها إلى أن تتبوأ الصدارة، وتحتل موقع زعامة الحجاز، بعد أن تخلت عنه مكة طواعية؟

ولماذا لا تحشد كل الطاقات والإمكانات المعادية والمحاربة والهاربة، فتؤلّف منها قوة لمواجهة الواقع الجديد لاسيما أن الظروف مواتية لها، والفرصة سانحة أمامها؟[2].

يشير الواقدي إلى: «أنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة؛ مشت أشراف هوازن بعضها إلى بعض، وثقيف بعضها إلى بعض، وحشدوا، وبغوا، وأظهروا أن قالوا: والله ما لاقى محمدٌ قوماً يحسنون القتال، فأجمِعُوا أمرَكُمْ، فسيروا إليه قبل أن يسير إليكم»[3].

وهذا ما حدث فعلاً حين أعدت هوازن وثقيف العدة لحرب النبي ﷺ، وقد تمثل ذلك في موقعة حنين، وهو ما سوف تعرض له الدراسة في الفصل القادم.

لقد طمحت ثقيف وطمعت أن تكون النبوة فيها، ولذلك لم تقبل أن تضع على رأسها رجلاً من بني عبد مناف، وهذا ما عبر عنه أمية بن أبي الصلت الثقفي حين قال: «كيف أتبع الغلام من بني عبد مناف!؟»[4]، وهو القائل أيضاً: «والله ما كنت لأؤمن برسول من غير ثقيف»، وكان يأمل أن يكون هو الرسول المنتظر[5]، فأنزل الله سبحانه وتعالى في شأنه:

---

(1) السيرة النبوية: 2/323–324، الإصابة: 3/669، 4/43.

(2) أنساب الأشراف: 1/281.

(3) المغازي: 3/885.

(4) البداية والنهاية: 2/224، الإصابة: 1/129، 130.

(5) الإصابة: 1/129، 130.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾(1).

لقد أصيبت قريش وثقيف بخيبة أمل حين ظهرت النبوة في محمد ﷺ، وما كان حربها للدعوة وصاحبها راجعاً لعدم إيمانها بصدق الدعوة وصحتها، وإنما كان حسداً ملأ قلوبهم، وأعمى أبصارهم، فنطق لسانهم بما اعتمل في صدورهم، فقال الوليد بن المغيرة: أينزل على محمد وأُتْرَكُ أنا كبيرُ قريش وسيدُها، ويُتْرَك أبو مسعود عمرو بنُ عمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين؟ حكى الله تعالى ذلك في كتابه فقال جل شأنه: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾(2).

رأت ثقيف إذن أن كلاً من عروة بن مسعود، أو كنانة بن عبد ياليل، أو مسعود بن معتب، أو الأخنس بن شريق الثقفي؛ أحق بالرسالة من محمد(3).

هكذا ربطت بين مكة والطائف علاقات وطيدة لُحْمَتُها المصاهرات الأسرية، وسَدَاها المصالح الاقتصادية والعلاقات التجارية، وما كانت ثقيف تقف هذا الموقف المعارض من الدعوة مجاملة لمكة، بل دفاعاً عن المصالح المشتركة ورعاية لها(4).

9- إسلام ثقيف:

لما فتح الله مكة على رسوله ﷺ والمؤمنين، وخضعت له قريش، خافت هوازن وثقيف، وقالوا قد فرغ محمد لقتالنا، فلنغزه قبل أن يغزونا، وأجمعوا أمرهم على هذا، وولَّوْا عليهم مالك بن عوف النصري، فاجتمع إليه هوازن وثقيف وبعض بني هلال، ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب وأغلب بني هلال؛ لأنهم رأوا في ذلك التحالف مخاطرة ومهلكة لهم(5).

---

(1) الأعراف: 175.

(2) الزخرف 31.

(3) أنساب الأشراف: 134/1، الاشتقاق: 303-306.

(4) تاريخ الطبري: 597/3 ج 266/7، أنساب الأشراف: 160/5، تاريخ المستبصر: 21، 22.

(5) المغازي: 866/3، سيرة ابن هشام: 437/2.

وكان تصميم هوازن وثقيف على مقاتلة المسلمين وكسر شوكتهم حافزاً ودافعاً إلى محالفة القبائل المجاورة، وتحريضها ضد المسلمين، حتى وإن لم يحقق ذلك قضاءً على المسلمين؛ فليكن حدّاً من توسعهم، وسدّاً أمام زحفهم، فاتجهوا إلى قبائل قيس عيلان المحيطة بهم، البعيدة عن الإسلام، لكسب تأييدهم بهذا التحالف القيسي الثقفي الذي أحيا ذكرى حرب الفجار، التي حدثت بسبب التنافس بين مكة والطائف حول زعامة التجارة العربية، وانتهت بانتصار مكة على الطائف، فما زال الثقفيون يعانون مرارة تلك الهزيمة التي جعلتهم يفكرون في الانتقام، أملاً في أن يرجح ميزان القوى لمصلحتهم، فتستأثر ثقيف بالسلطتين السياسية والاقتصادية معاً[1].

وقد رأت ثقيف في التصدي للمسلمين تحقيقا لمآرب شتى، سواء أكانت دينية أم سياسية أم اقتصادية، فمن الناحية الدينية وجدت ثقيف نفسها معنية بحماية الديانة الوثنية المهددة بالانهيار والزوال، لاسيما بعد دخول مكة في الإسلام، فلماذا لا يصبح بيت اللات في الطائف بديلاً عن البيت الحرام في مكة؟ ولماذا لا تحتل ثقيف تلك المكانة الدينية التي تميّزت بها قريش في مكة سنين متطاولة، فكانوا وما زالوا حماة البيت وسدنته، ودانت لهم العرب، فلماذا لا تحظى ثقيف بذلك؟

ومن الناحية السياسية فإن انتصار هوازن وثقيف على المسلمين وكسر شوكتهم؛ سيرفع مكانتهم بين العرب.

أما من الناحية الاقتصادية– وهي ذات أهمية كبيرة– فإن هناك رغبة حقيقية لدى الثقفيين في الاستيلاء على أموال القرشيين المستثمرة في الطائف[2]، وانهاء احتكار قريش التجارة منذ حروب الفجار، فإذا ظفرت ثقيف بتلك المكاسب فإن ذلك سيمنحها قوة في علاقاتها الخارجية، وتوطيد صلاتها بالقبائل المحيطة بها والدول المجاورة لها، وهذا سيؤدي إلى إنعاش اقتصادها، وتعريف المستوردين بمنتجاتها المحلية مباشرة دون أن يكون لقريش

---

(1) الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية: 120.

(2) سيرة ابن هشام: 2/409–411، دائرة المعارف الإسلامية 15/55، تاريخ المستبصر: 21، 22.

وساطة أو دور فيها[1].

أدركت هوازن وثقيف أن اتساع نفوذ المسلمين هو تهديد لهم؛ لذا بدأت استعداداتهم لمواجهة المسلمين قبل فتح مكة، فهم يرقبون حركتهم، ويتابعون مسيرهم، فلما رأوا المسلمين قد اتجهوا إلى مكة تلكأوا[2]، لعل قريشاً تكفيهم شر القتال، فلما استسلمت علموا أنهم المَرْمَى الثاني بعد مكة، فتهيأوا للحرب، وحشدوا جموعهم[3] في حنين، وقرروا نسيان الماضي وخلافاته، وتوحيد صفوفهم لمواجهة الخطر المحدق بهم[4].

وقد اتخذ مالك بن عوف زعيم هوازن وثقيف استعدادات كبيرة، وتعبئة عالية منها:

1- اختيار مكان المعركة وزمانها، فكان وادي حنين مسرحاً لها، وأوطاس نقطة للتجمع فيها[5]، وقاعدة انطلاق ضد المسلمين.

2- الأخذ بزمام المبادرة في الهجوم على المسلمين: فقد قرر أن يكون الهجوم من جانبهم؛ لأن النصر- في الغالب- يكون للمهاجم، أما المدافع فيكون - غالباً- في مركز الضعف، وقد آتت هذه الخطة ثمارها بعض الوقت، ثم رجحت موازين القوى لمصلحة المسلمين.

3- حشد ذراري المقاتلين وأموالهم خلف الجيش: أمر قائد هوازن وثقيف بحشد نساء المقاتلين وأطفالهم وأموالهم خلفهم؛ لأن المقاتل - حسب اعتقاده - إذا شعر أن أعز ما يملك وراءه في المعركة؛ صعب عليه أن يلوذ بالفرار.

عن أنس بن مالك ﵁ قال: «افتتحنا مكة، ثم غزونا حنيناً، فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصفت الخيل، ثم صُفَّت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك،

(1) محمد في المدينة: 71.

(2) تاريخ الطبري: 70/3.

(3) لم تذكر كتب السير عدد هذه الجموع بالضبط، إلا أن بروكلمان يذكر أنهم كانوا جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل، في حين يذكر مونتجمري وات أن تعدادهم عشرون ألف رجل، انظر: تاريخ الشعوب الإسلامية: 61، محمد في المدينة: 72.

(4) تاريخ الشعوب الإسلامية: 61، محمد في المدينة: 72.

(5) المغازي: 887/3، وسيرة ابن هشام: 437/2، وأوطاس: واد في ديار هوازن، وفيه كانت موقعة حنين، انظر: معجم ما استعجم 131/1.

ثم صفت الغنم، ثم صفت النعم»[1].

4- تجريد السيوف وكسر أجفانها: جرت عادة العرب في حروبهم أن يكسروا أجفان سيوفهم قبل بدء القتال، وهذا يؤذن بإصرار المقاتل على الثبات أمام الخصم حتى النصر أو الموت. وقد أمر مالك جنده بذلك بقوله: إذا رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم، وشدوا شدة رجل واحد عليهم[2].

5- وضع الكمائن لمواجهة جيش المسلمين والانقضاض عليهم؛ عملاً بمشورة الفارس المحنك دريد بن الصمة، وقد كادت هذه الخطة أن تقضي على المسلمين.

واشتركت ثقيف في الحرب بفرعيها: الأحلاف وبني مالك، وكان لكل منهم قائد، فقائد الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود الثقفي، وقائد بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث.

أخذ مالك بن عوف أهبته وعدته لحرب المسلمين والمبادأة في الهجوم عليهم، مزهوّاً بقوته، حازماً في تنفيذ رأيه، ضارباً صفحاً عن كل الآراء المخالفة له، ومن ذلك رفضه لرأي دريد بن الصمة الذي حذره من عاقبة جلب النساء، والأطفال، والأموال إلى المعركة، وأن ذلك لا يغني عن المقاتل شيئاً.

ذكرت المصادر أن دريد بن الصمة حين نزل الأرض ولمسها بيده قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس. فقال: نعم مجال الخيل؛ لا حزن ضرس، ولا سهل دهس، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وثغاء الشاء، وخوار البقر، وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك من الناس أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم. قال: يا معشر هوازن أمعكم من بني كلاب بن ربيعة أحد؟ قالوا: لا. قال دريد: لو كان خيراً ما سبقتموهم إليه، ولو كان ذكراً أو شرفاً ما تخلفوا عنه، فأطيعوني يا معشر هوازن، وارجعوا وافعلوا ما فعل هؤلاء. فأبوا عليه. قال: فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذلك الجذعان من عامر

(1) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (736/2 رقم 1059).
(2) انظر: مجمع الزوائد (179/6، 180) والمستدرك للحاكم (48/3، 49) صحيح الإسناد.

لا يضران ولا ينفعان.. فقال: يامالك إنك تقاتل رجلاً كريماً، وقد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا اليوم كائن لما بعده من الأيام. قال مالك: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله، وماله، وولده، ونساءه حتى يقاتل عنهم. قال دريد: ما فعلت كعب وكلاب يامالك؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد. قال: غاب الجد والحد، ولو كان يوم رفعة وعلاء لم تغب عنه كعب وكلاب. يامالك، إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، فإذا صنعت فلا تعصني في هذه الخطة، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم، وعليا قومهم وعزهم، فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك، وكان أهلك لا خوف عليهم، وإن كانت عليك ألفاك ذلك، وقد أحرزت أهلك ومالك.

فغضب مالك من قوله، وقال: والله لا أفعل، ولا أغير أمراً صنعته، إنك قد كبرت وكبر علمك، وحدث بعدك من هو أبصر بالحرب منك.

قال دريد: يا معشر هوازن، والله ما هذا لكم برأي، هذا فاضحكم في عورتكم، وممكن منكم عدوكم. فقالوا: والله لئن عصينا مالكاً وهو شاب ليقتلن نفسه[1]. فلما رأى دريد أنهم خالفوه. قال: هذا يوم لم أشهده، ولم أغب عنه.

يتبين من خلال هذا الحوار أن مالكاً كان صلباً عنيداً، مصراً على رأيه في الحرب، مستعدّاً لها، باذلاً في سبيلها كل ما تحتاجه، مزهوّاً بتأييد هذه الجموع له.

أما جيش المسلمين؛ فقد بقي رسول الله ﷺ في مكة، خمسة عشر يوماً[2]، وهذه مدة قد تكون غير كافية للاستعداد لمواجهة موقف عصيب كهذا، فقد كان مع النبي ﷺ عشرة آلاف مقاتل دخل بهم مكة فاتحاً، يضاف إليهم ألفان يقود مقدمتهم خالد بن الوليد، يذكر ابن هشام ذلك فيقول: «ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة، مع العشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، فكانوا اثني عشر ألفاً، ثم مضى رسول الله على وجهه يريد لقاء هوازن»[3].

---

(1) المغازي: 3/887، 889، تاريخ الطبري: 3/72-73.

(2) تاريخ الطبري: 3/70، المغازي 3/889.

(3) السيرة النبوية: 2/440، تاريخ الطبري: 3/73.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان بذراريهم ونعمهم، ومع النبي يومئذ عشرة آلاف، ومعه الطلقاء وهم ألفان، وسعى رسول الله لتأمين عدة الجيش، فطلب من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح إعارة، وطلب من صفوان بن أمية دروعاً، وتكفل ﷺ بالضمان، وكان نوفل وصفوان لا يزالان على شركهما.

عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إذا أتتك رسلي فأعطهم،– أو قال:– فادفع إليهم ثلاثين درعاً، وثلاثين بعيراً، أو أقل من ذلك» فقال له: العارية مؤداة يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «نعم»[1].

لقد كان فتح مكة ماثلاً في أذهان المسلمين فأحسوا بقوتهم، وتصوروا أنهم لن يُغْلَبوا أبداً، فاستهانوا بقوة عدوهم، فقال أحد الصحابة: «لو لقينا بني شيبان ما بالينا، ولا يغلبنا اليوم أحد من قلة»[2] وقول رسول الله: «خير الأصحاب أربعة، وخير السرايا أربعمئة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة كلمتهم واحدة»[3].

ويبدو أن بعض الرجال قد خرجوا مع النبي وهم حرب عليه، وأكثر رغبة في هزيمته، ولم يكن ذلك خافياً على رسول الله.

يذكر الواقدي أن من خرج مع الرسول ﷺ من الذين لم يسلموا، أو لم يتغلغل الإسلام في نفوسهم بعد؛ منهم: أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة؛ ينظرون لمن تكون الدائرة في الحرب[4].

يذكر ابن هشام خبراً يبين ما في نفوس القوم من عصبية قبلية فيقول: «فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم

(1) انظر: مسند الشاميين للإمام أحمد، حديث رقم (1124) قال المحقق: صحيح الإسناد، ورواته ثقات، صفحة: 271.

(2) المغازي: 3/889.

(3) المغازي: 3/890.

(4) المغازي: 3/895، الكامل في التاريخ: 2/263.

من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ جبلة بن الحنبل – قال ابن هشام كلدة بن الحنبل– وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطل السحر اليوم. فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك، فوالله لأن يربني رجل من قريش؛ أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن»(1).

فقد فضل صفوان رجلاً من قريش على آخر من هوازن، ومعلوم أن رسول الله قرشي، فهو مفضل عند صفوان لهذا السبب.

في أحداث المعركة: يذكر أن مالك بن عوف وصل إلى أرض تهامة الجبلية، وسيطر على الممرات الضيقة، وعسكر بجيشه بين شعاب الجبل، واستطاع أن يرقب تقدم العدو، ويخفي أوضاع جنوده، ووصل جيش المسلمين إلى أوطاس حتى فاجأهم العدو المختفي، المتربص خلف الصخور، والأودية، والشعاب، بالهجوم عليهم من علٍ كالسيل الجارف؛ مقوضاً أركانهم، مخلخلاً صفوفهم، مفرقاً جموعهم، وانتشر الذعر والفزع والهلع بين الناس، فلم يدروا من أين يأتيهم الموت، لاسيما تلك القبائل حديثة العهد بالإسلام.

لقد حلت الهزيمة بالمسلمين بادئ الأمر بهذه الخطة المحكمة، إضافة إلى عامل الغش والتمويه الذي استخدمه مالك في هذا الهجوم، حيث ساق النساء والذراري وجعلهم صفوفاً، ثم ساق الإبل والبقر والغنم، فلما رأى المسلمون ذلك حسبوهم رجالاً وبدا جيشهم مهيباً، وهذا ما زاد في إرباكهم، وبث الذعر والخوف في نفوسهم.

لكن موقف رسول الله ﷺ الحازم، وثباته في أرض المعركة، ورباطة جأشه؛ كان له الأثر الأكبر في تثبيت عزائم المسلمين، وتذكيرهم بوعودهم ومواقفهم السابقة، بواسطة النداء الذي وجهه العباس للمسلمين بصوته الجهوري المؤثر في النفوس.

تذكر المصادر أن رسول الله ﷺ قال حين رأى من الناس ما رأى: «أين أيها الناس.. قال: يا عباس.. اصرخ: يا معشر الأنصار.. يا أصحاب السمرة.. يقول: فناديت، فأجابوا: أن لبيك لبيك. قال: فيذهب الرجل منهم يريد ليثني بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها

(1) سيرة ابن هشام: 2/443–444.

في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ثم يقتحم من بعيره، فيخلي سبيله في الناس، ثم يؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة رجل استقبلوا الناس، فاقتتلوا، فكانت الدعوى أول ما كانت: يا للأنصار، ثم جعلت أخيراً: يا للخزرج.. وكانوا صُبْراً عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركابه، فنظر مجتلد القوم وهم يجتلدون، فقال: الآن حمي الوطيس»[1] ثم قال للعباس: ناولني حصيات. فناوله حصيات من الأرض، ثم قال: شاهت الوجوه. ورمى بها وجوه المشركين، وقال: انْهَزَمُوا وَرَبِّ الكعبة[2].

يذكر الطبري أن جبير بن مطعم قال: لقد رأيت قَبْلَ هزيمة القوم– والناس يقتلون– مثل البجاد الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي فلم أشك أنها الملائكة، ولم يكن إلا هزيمة القوم[3].

لقد ثبت مع رسول الله ﷺ في ذلك الموقف العصيب صفوة من صحابته المخلصين الصادقين؛ كأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، والعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب الذي تمكن من إصابة قائد الجموع – حامل الراية – عندما أصاب عرقوبي جمله، فوقع على عجزه، فوثب أحد الأنصار على الرجل فقتله، فكان سقوطه ومصرعه بداية الفوضى في صفوف المشركين.

شدد المسلمون الهجوم على العدو فأصابوا منهم مقتلاً عظيماً، ثم خارت قواهم فتراجعوا بعدما رأوا أسراهم مقيدين عند المسلمين، فقد قتل قائد بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث، وعثمان بن عبد الله أحد أصحاب راية المشركين، وجمع كبير من بني مالك قدر بأكثر من مئة قتيل[4]. ومن الأحلاف قتل اثنان هما: وهب، واللجلاج الذي قال

(1) سيرة ابن هشام: 443/2، تاريخ الطبري: 75/3.

(2) المغازي: 899/3، وفي صحيح مسلم أن رسول الله قال: «انْهَزَمُوا ورب محمد». قال العباس: فما هو إلا أن رماهم، فما زلت أرى حَدَّهم كليلاً، وأمرَهم مدبراً. انظر صحيح مسلم كتاب الجهاد (1775) باب (28) غزوة حنين، وأحمد في مسنده (1/1775) من طريق الزهري.

(3) تاريخ الطبري: 76/3، المغازي: 898/3، 902–903.

(4) المغازي: 907، في حين يذكر ابن هشام أن قتلى بني مالك كانوا سبعين رجلاً، انظر: السيرة 449/2–450.

فيه رسول الله: «قتل اليوم سيد شباب ثقيف»[1]، بينما ذم رسول الله قتلى بني مالك فقال عن عثمان بن عبد الله: «أبعده الله، إنه كان يبغض قريشاً».

إن ثقيفاً اشتركت بفرعيها – الأحلاف وبني مالك – في المعركة، لكن بني مالك استماتت في حرب المسلمين، وهذا واضح من عدد قتلاهم، في حين لم يكن اشتراك الأحلاف فعلياً، فقد قتل اثنان منهم فقط، ولربما يعود ذلك إلى رغبة بني مالك في الانتقام من قريش، أملاً في استعادة نفوذهم السياسي والتجاري، أما الأحلاف فكانوا على صلة قوية بقريش، لذا فروا من المعركة تاركين رايتهم معلقة على شجرة[2].

واستشهد من المسلمين أربعة فقط[3]، وغنم المسلمون غنائم كثيرة؛ إذ وصل عدد ما غنموه من الإبل أربعة وعشرين ألف بعير، ومن الغنم أربعين ألفاً، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية. وقد منع رسول الله قتل الذراري أثناء المعركة وبعدها[4]، ووقع كثير من المشركين في السبي؛ حتى وصل عددهم إلى ستة آلاف[5].

كان نصر المسلمين يوم حنين نصراً عظيماً مدويّاً في منطقة الحجاز، بل في بلاد العرب كلها، وذلك لعظم المواجهة بهذه الجموع التي احتشدت لحرب المسلمين والقضاء عليهم، لذا لم يجرؤ أحد بعدها أن يقف ضد رسول الله ﷺ، إذ أيقنت القبائل أن لا فائدة من حرب المسلمين، فأقبلت على رسول الله للدخول في الإسلام، أو للتحالف، أو عقد الاتفاقيات والمعاهدات.

ولابد من الإشارة إلى ما ذكره المستشرقون[6]: أن من أكبر أخطاء مالك بن عوف النصري اصطحابه النساء والأطفال والأموال، وأن وجودهم كان من أكبر عوامل الفشل،

---

(1) وهب واللجلاج من بني غيرة، انظر: المغازي: 907/3 ويذكر ابن هشام في السيرة 450/2 أن اسمه الجلاح.

(2) المغازي: 907/3.

(3) هم: أيمن بن عبيد وهو من الأنصار، وسراقة بن الحارث من الأنصار أيضاً، ورقيم بن ثابت بن ثعلبة، وأبو عامر الأشعري الذي أصيب بأوطاس، انظر: سيرة ابن هشام: 459/2، والمغازي: 922/3، وتاريخ الطبري: 81/3.

(4) المغازي: 905/3.

(5) المغازي: 943/3.

(6) محمد في المدينة: 70 وما بعدها.

وأعظم أسباب الهزيمة، فقد صرخت النساء والأطفال بعد أن اشتد القتال ففَرَرْن، وفر معهن الرجال، وولى الجميع أدبارهم هرباً من الموت وطلباً للنجاة.

ولكن الواقع يدحض هذا الزعم؛ ذلك أن أمر اشتراك النساء واستصحاب الذراري في الحروب أمر شائع معروف عند العرب، فكانت النساء تخرج إثارة للحماس، واستنهاضاً للهمم، واستثارة للعزائم، وشحذاً لقلوب الرجال على المقاومة والاستبسال، فوجودهن كان عامل قوة وتشجيع، وليس عامل ضعف وتثبيط.

والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فقد استصحب المشركون في بدر[1] القيان حتى يعزفن ويهجون المسلمين، وفي أُحُد قال صفوان بن أمية: «اخرجوا بالظعن، فأنا أول من فعل، فإنه أقمَنُ أن يَحْفَظْنَكُم ويُذَكِّرْنَكُمْ قتلى بدر». فأجابه إلى ذلك عمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وأبو سفيان بن حرب، وآخرون، وصاحت هند بنت عتبة تحث نساء مكة على الخروج[2].

واشتراك نساء هوزان ليس أمراً جديداً على العرب، بل إن النساء المسلمات كن يشتركن أيضاً في القتال، فها هي ذي أم سليم تخرج يوم حنين ومعها خنجرها، وقد ربطته حول وسطها، وكانت تدعو رسول الله لقتل الفارين، وكذلك فعلت أم الحارث[3]، وخرجت أم عمارة في أُحُد تقاتل بسيفها، وتدافع عن رسول الله فيقول لها: «ومن يُطيق ما تُطيقين يا أم عمارة؟!»[4].

أما رأي دريد بن الصمة فكان قائماً على نظرة أبعد، ومعرفة أوسع، وخبرة أعمق بالحروب وملابساتها، وأن هذا اليوم كائن لما بعده من الأيام، وأن النساء والذراري ينبغي أن يكونوا بمأمن وحِرْزٍ وعِزٍّ في بلادهم وعليا قومهم، ولاسيما أنه قد غاب الجد والحد – كعب وكلاب– عن المعركة، فلا يريد دريد – وظروف الحرب هكذا– تعريض النساء

---

(1) انظر: تفسير القرطبي 25/8، وانظر أيضاً: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: 399.

(2) المغازي: 202/1.

(3) المغازي: 887/3، وتاريخ الطبري: 77/3، وصحيح مسلم رقم (1809)، وصحيح السيرة النبوية (563).

(4) الطبقات 415/8، سير أعلام النبلاء 278/2.

والذراري للخطر.

واستصحاب النساء والذراري وإن كان عاملاً مساعداً في الهزيمة؛ فليس هو وحده سبباً في هزيمة المشركين وانتصار المسلمين، ذلك أن الله تعالى قد أيد جنده وأمدهم بمدد من عنده، ثم كان للثبات العظيم الذي أبداه الرسول ﷺ والصفوة المختارة[1] من صحابته الكرام بالغ الأثر، فتغير بذلك وجه المعركة، حتى كان النصر حليف المسلمين. قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

انهزمت جموع المشركين من هوازن وثقيف ومن حالفهما في حنين، وولت هذه الفلول أدبارها هائمة على وجهها، لا تلوي على شيء، سالكةً سبلاً مختلفة، حتى حطت بهم رحال بعضهم فعسكروا بأوطاس؛ وهم من هوازن ومن حالفها من بني نصر، وبني رئاب، ومنهم من انهزم إلى نخلة وهم بنو غيرة من ثقيف، وقد بعث رسول الله وراءهم خيلاً تتبعهم، ومنهم من سلك الثنايا، أما أغلب الثقفيين فقد هرعوا إلى مدينتهم، وهربوا إلى حصونهم يتحصنون بها، بعد أن جمعوا أكثر مما يحتاجون من المؤن والماء، وتجهزوا بما يكفيهم لمدة طويلة. ثم إنهم نصبوا على حصونهم المجانيق، وجمعوا الرماة الأقوياء الأشداء للدفاع عن المدينة، والاستماتة في سبيلها[3].

يذكر الواقدي ذلك فيقول ذلك: «ومضى رسول الله ﷺ إلى الطائف، وكانت ثقيف قد رموا حصنهم، ودخلوا فيه منهزمين من أوطاس، وأغلقوه عليهم- وهو حصن على مدينتهم له بابان- وصنعوا الصنائع للقتال وتهيأوا، وأدخلوا حصنهم ما يصلحهم لسنة لو حصروا»[4].

(1) الصفوة المختارة هم المئة الصابرة يومئذ: ثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وسبعة وستون من الأنصار، والعباس وأبو سفيان، انظر: المغازي: 901/3.

(2) التوبة: 25-26.

(3) انظر: الكامل في التاريخ: 266/2، مدينة الطائف: 73.

(4) المغازي: 924/3.

علم رسول الله ﷺ باستعدادات الثقفيين وتحصيناتهم، ورأى أنه إن ترك أمر الطائف على هذه الحال؛ فسوف تكون ملاذاً آمناً لكل المعادين للإسلام والخارجين على سلطته، ومعولاً من معاول الهدم، ومعقلاً للشرك، لذا عزم ﷺ على إزالة هذا التجمع الذي سيقف حتماً في طريق الدعوة، أو يعرقل مسارها، فاتجه فوراً إلى الطائف لملاحقة الفلول الفارة إليها المتحصنة فيها.

وبعد ذلك بدأ رسول الله في اتخاذ إجراءات سريعة محكمة، في اتجاهين:

أولهما: استعدادات كبيرة للتقدم نحو الطائف.

وثانيهما: تأمين ظهره، وتحصين مؤخرة جيشه في كل المناطق والأرجاء التي مَرَّ بها.

وبدأ رسول الله يستكمل عدته، ويستمد قوةً أخرى لجيشه، فطلب من الطفيل بن عمرو الدوسي أن يأتي بقومه ويلحق به في الطائف، فنفذ الطفيل ما أراد رسول الله، ولحق به بأربعمئة من قومه[1]، ممن يجيدون استخدام الدبابات والمنجنيق الذي اشتهر بنو دوس بفنونه واستخدامه في الحرب، وقدم الطفيل بعد مقدم رسول الله بأربعة أيام ومعه دبابة ومنجنيق[2]. وكان مع رسول الله من نسائه أم سلمة وزينب.

وجعل رسولُ الله على مقدمة جيشه خالدَ بنَ الوليد، الذي سلك طريق نخلة اليمانية[3] ثم القرن[4] ثم المليح[5]، فبحرة الرغاء[6] حتى وادي لية[7]، وهناك بنى مسجداً وصلى

(1) الطفيل بن عمرو: هو الطفيل بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي، بعثه رسول الله إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي فأحرقه، انظر: المغازي: 923/3، الإصابة 225/2-226.

(2) الخبر بتمامه أخرجه طبقات ابن سعد: 157/2.

(3) نخلة اليمانية: واد على ليلتين من مكة يقع في بطن مر، انظر: معجم البلدان: 277/5.

(4) القرن بينها وبين مكة 451 ميلاً؛ وهي ميقات أهل اليمن، معجم البلدان 332/4.

(5) المليح: واد بالطائف، معجم البلدان 196/5.

(6) بحرة الرغاء: موضع في لية في ديار بني نصر؛ وهي من أعمال الطائف، انظر: معجم البلدان: 346/1.

(7) وادي لية: واد أكبر من وادي (لقيم)، كثير المواضع، وفير الري، في أول طريق السيل إلى جهة الشرق الجنوبي، قال ياقوت: و(لية) بتشديدها من نواحي الطائف، مر به رسول الله حين انصرافه من حنين يريد الطائف، قال الفاكهي: اختلف المؤرخون أهي من الطائف أم لا؟ والطائفيون يرون أنها ليست من أوديتهم، انظر: خير الدين الزركلي، ما رأيت وما سمعت: 141.

فيه، وأمر بقتل رجل من بني ليث لقتله رجلاً من هذيل، فكان أول دم أقيد به في الإسلام، وأمر بإحراق قصر مالك بن عوف النصري فحرق[1]. ومن (لِيَّة) سلك طريقاً يقال لها (الضيقة)، ثم خرج على (نخب)[2] حتى (الصادرة)، وحرق وهو في طريقه إلى الطائف حائطاً لأحد الثقفيين، بسبب رفضه أوامره بالخروج من الحائط[3].

واستخدم رسول الله ﷺ أدوات حديثة كالمِنْجَنيق والدبابة والحَسَك[4]، وذلك حين حاصر الطائف، لا كما يذكر (وات): أن الأدوات التي استخدمها رسول الله ما هي إلا أدوات بدائية جدّاً، أخذها عن البيزنطيين[5].

وحين نزل جيش المسلمين في مكان مكشوف قريب من الحصن؛ ما كاد الجنود يضعون رحالهم حتى أمطرهم الأعداء بوابل من السهام، فأصيب من جراء ذلك أناس كثيرون، وحينئذ عرض الحباب بن المنذر على رسول الله فكرة التحول من هذا الموقع إلى مكان آمن من السهام، فَقَبِلَ رسول الله المشورة، وكلفه فقال له: «انظر مكاناً مرتفعاً مستأخراً عن القوم»، فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف[6] خارج القرية، وجاء إلى النبي ﷺ فأخبره، فأمرهم أن يتحولوا[7].

وقد قام النبي ﷺ بعملية استطلاعية لمعرفة الأماكن التي يَنْفُذُ المسلمون منها إلى الحصن، فأرسل يزيد بن زمعة بن الأسود على فرسه طالباً من ثقيف الأمان بحجة أن يكلمهم، لكن ما إن دنا منهم حتى رموه بالنبال فقتلوه، لكن يعقوب أخا يزيد بن زمعة استطاع أن

---

(1) المغازي: 925/3، وسيرة ابن هشام: 482/2 يذكر أن قصر مالك هدمه المسلمون.

(2) نَخِب: واد بالطائف، انظر: معجم البلدان: 275/5.

(3) المغازي: 925/3، سيرة ابن هشام: 482/2 يذكر أن الحائط خرب.

(4) الحسك الشائك: من الأسلحة الجديدة التي استعملها رسول الله في حصاره الطائف، وهو من وسائل الدفاع الثابتة، ويعمل من خشبتين تسمران على هيئة الصليب، حتى تتألف منها أربعة شعب مدببة، وإذا رمي في الأرض بقيت شعبة منه بارزة تتعثر بها أقدام الخيل والمشاة، فتعطل حركة السير المطلوبة في ميدان القتال، وقد أمر رسول الله جنده بنشر الحسك الشائك حول حصن ثقيف، انظر: المغازي: 927/3 حاشية رقم (3)، والطبقات الكبرى لابن سعد 214/2، والفن الحربي في صدر الإسلام، اللواء عبد الرؤوف عون: 195.

(5) محمد في المدينة: 72–73.

(6) مسجد الطائف: هو المسجد المعروف الآن بمسجد ابن عباس.

(7) انظر: المغازي: 416/1.

يكمن وراء الحصن، ويقبض على هذيل بن أبي الصلت، ويقدمه للنبي ثأراً لأخيه، فضرب الرسول ﷺ عنقه(1).

هكذا استماتت ثقيف في الدفاع عن مدينتها، فظلوا يرمون المسلمين بالنبال، ويقاومون بعناد وإصرار خمسة عشر يوماً(2)، متحصنين في مدينتهم، مطمئنين إلى مناعة أسوارهم، وكثرة مؤنهم، ووفرة غذائهم، وهذا ما حدا برسول الله ﷺ إلى أن يفكر في كيفية اقتحام المدينة وتهديم جدارها، فاستشار سلمان الفارسي، فأشار عليه بنصب المنجنيق على الأسوار، ففعل وقاتلهم عدة أيام، حتى كان يوم (الشدخة) حيث دخل المسلمون تحت الدبابة متجهين بها إلى جدار المدينة، فرمتهم ثقيف بالحديد المحمى بالنار، فحرقت الدبابة، وخرج المسلمون من تحتها، فانصب عليهم الثقفيون بالنبال، فقتلوا منهم رجالاً وأصابوا آخرين(3).

أدرك النبي ﷺ أن العملية الهجومية العسكرية لم تنجح ولن تنجح، ولابد من التعامل مع الموقف بطريقة مغايرة، فاتجه إلى استخدام أسلوب آخر وهو الهجوم المعنوي الدعائي، وله أشكال مختلفة، منها:

أمره ﷺ بقطع أعنابهم، فقد كلف يعلى بن مرة الثقفي بذلك؛ مهدداً بتدمير مصدر الثروة والغنى لهم، وطلب من كل رجل أن يقطع خمس حبلات من أعنابهم(4)، ولكن ثقيفاً لم تذعن، ولم تستجب، ولم تنزل عن عنادها، فلما رأوا صدق ما عزم عليه المسلمون من القطع؛ طلبوا من رسول الله الكف عن ذلك، مذكرين إياه بضرورة تركها لله والرحم(5).

---

(1) انظر: المغازي: 3/926–927.

(2) المغازي: 3/936 واختلفت المصادر في تحديد مدة الحصار، فالطبري يذكر في 3/82 أنه نصف شهر، في حين يذكر في: 83 من الجزء نفسه أنه أكثر من عشرين ليلة، وهذا الاختلاف يعود إلى اختلاف الرواة الذين أخذ عنهم المؤلف، أما ابن هشام في السيرة 2/482 فيذكر أكثر من عشرين ليلة، ثم يعود ويذكر سبع عشرة ليلة، وابن إسحاق: في السيرة النبوية 4/128 يذكر بضعاً وعشرين ليلة، وزاد المعاد 3/426 يقول: ثمانية عشر يوماً.

(3) المغازي: 3/927–928، يذكر ابن سعد في طبقاته 2/159 عن مكحول: أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوماً.

(4) تاريخ الطبري: 3/84، والمغازي: 3/128 وسيرة ابن هشام: 2/483.

(5) ذكر ابن حبيب أن آمنة بنت وهب جدتها السادسة من ثقيف، انظر: ابن حبيب، المحبر 9، 17 دار المعارف العثمانية

ومنها: تكليفه ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بالمناداة على نساء قريش وبني كنانة في الطائف ومخاطبتهن، فقد كانت آمنة بنت أبي سفيان عند عروة بن مسعود، والفراسية بنت سويد بن ثعلبة عند قارب بن الأسود، لكن المحاولة لم تُجْدِ نفعاً بسبب خوف الثقفيين على نسائهم من السباء، وأخذ المسلمين إياهنّ مالاً مغنوماً لا يستطيعون استرداده بعد ذلك[1].

يقول الماوردي: «لأن قتل الرجال مباح، وقتل السبي محظور؛ صار السبي مالاً مغنوماً لا يستنزلون عنه إلا باستطابة النفوس»[2].

لكن بني الأسود بن مسعود ردوا على المغيرة بن شعبة وأبي سفيان طالبين منهم حث الرسول ﷺ على عدم قطع أعنابهم، ولْيَدَعْها لهم، وبذلك استجاب رسول الله لطلبهم أملاً في الاقتراب من نفوسهم والتأثير فيها، وانتهت هذه المحاولة لمصلحة ثقيف.

واستخدم رسول الله أسلوباً آخر؛ وهو توجيه نداء إلى عبيد الطائف: أنَّ مَنْ ينزل من الحصن ويخرج إلى المسلمين فهو حر، فخرج ثلاثة وعشرون من العبيد؛ منهم أبو بكرة نفيع بن الحارث الثقفي، والمنبعث[3]، والأزرق بن عقبة، ووردان وكان عبداً لعبد الله بن ربيعة، وإبراهيم بن جابر وغيرهم[4]، فلما علمت ثقيف بهذه المحاولة سدت عليهم طرق النزول وحبستهم[5]. فلما أسلمت ثقيف بعد ذلك طالبت رسول الله برد هؤلاء العبيد، فرفض قائلاً: «أولئك عتقاء الله»، وبذلك اغتاظ الثقفيون على غلمانهم[6].

وقد وقعت في أثناء الحصار مواقف بين الطرفين، منها أسرُ مروان بن قيس الدوسي أحد زعماء قيس– وهو أُبَيٌّ بن مالك القشيري– ليفتدي به أهله الذين أصابتهم ثقيف، واستطاع

1942م.

(1) المغازي: 929/3، وسيرة ابن هشام: 483/2–484.

(2) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية: 171.

(3) كان اسمه المضطجع، فلما أسلم سماه رسول الله المنبعث، انظر: الواقدي المغازي 931/3.

(4) المغازي: 931/3 وما بعدها.

(5) أسد الغابة 205/5 وما بعدها، الإصابة: 454/4 سيرة ابن هشام: 485/2–486.

(6) المغازي: 932/3، سيرة ابن هشام: 485/2، الدكتور أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة 510/2.

بذلك أن يجبرهم على الإفراج عنهم وتسليمهم له(1).

وتسجل كتب التاريخ والسير اضطلاع أبي محجن الثقفي بـ: الدفاع عن مدينته، مزهوّاً بقوته ومهارته وخبرته في الحروب، زاعماً أن المسلمين لم يجدوا رجالاً يحسنون القتال غيرهم(2). وقد بدا ذلك في مجابهته ومحاورته عمر بن الخطاب وهو على حصن الطائف قائلاً: يا عبيد محمد، إنكم والله ما لاقيتم أحداً يحسن قتالكم غيرنا، تقيمون ما أقمتم بشر محبس ثم تنصرفون، لم تدركوا شيئاً مما تريدون، نحن قسي وأبونا قساً والله لا نسلم ما حيينا، وقد بنينا حائطاً حصيناً. فناداه عمر: يا ابن حبيب، والله لنقطعَنَّ عليك معاشك حتى تخرج من جُحْرِكَ هذا، إنما أنت ثعلب في جحر يوشك أن يخرج(3).

ومن المواقف ما فعله عُيَيْنَةُ بنُ حصن من محاولة خداع رسول الله ﷺ، وذلك بالسعي لأخذ موافقته بالدخول على ثقيف في حصنهم ليكلمهم في الإسلام، فأذن له رسول الله؛ لكنه خان الأمانة، وحث ثقيفاً على عدم الاستسلام، وأوحى لهم بأن الرسول ﷺ مَلَّ المقام في الحصار، ولما عاد ادعى أمام رسول الله بأنه حث ثقيفاً وحلفاءها على التسليم والدخول في الإسلام، وأخذ الأمان، ولكن ما إن انتهى من حديثه حتى قال له رسول الله ﷺ: «كذبت»، فقد نزل عليه الوحي يخبره بما يضمره عيينة، فانبرى عمر بن الخطاب ﷺ راغباً من رسول الله أن يأذن له بضرب عنقه، فقال رسول الله: «لا، سيتحدث الناس أني أقتل أصحابي»(4).

وعيينة هو الذي مدح المشركين أثناء الحصار لعنادهم وإصرارهم وصلابة موقفهم قائلاً: أجل والله مجدةً كراماً. فلما عاتبه أحد المسلمين بأنه يمدح المشركين بالامتناع من رسول الله قال: «إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أطؤها. لعلها تلد لي رجلاً؛ فإن ثقيفاً قوم مباركون»(5).

ولعيينة سجل حافل بخيانة المسلمين، فقد ذكر الواقدي: أن أبا بكر ﷺ أغلظ له يومئذ

(1) سيرة ابن هشام: 485/2، جوامع السيرة: 344.

(2) المغازي:930/3، 932، 935، سيرة ابن هشام:491/2 حاشية (4)، الإصابة 173/4-174.

(3) المغازي: 935/3.

(4) المغازي: 933/3.

(5) يذكر ابن هشام في السيرة 485/2 القصة ويقول: «إن ثقيفا قوم مناكير»، ويؤيد ابن الأثير ذلك 267/2.

وقال: «ويحك ياعيينة، إنما أنت أبداً توضع في الباطل، كم لنا منك من يوم بني النضير، وقريظة، وخيبر، تجلب علينا وتقاتلنا بسيفك، ثم أسلمت كما زعمت فتحرض علينا عدونا»(1).

يورد ابن هشام خبر رؤيا رسول الله ﷺ وتفسير أبي بكر لها، فيقول: «وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفاً: يا أبا بكر، رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زبداً، فنقرها ديك، فأهراق ما فيها. فقال أبو بكر: ما أظن أنك تدرك منهم يومك هذا ما تريد يا رسول الله. فقال رسول الله: وأنا لا أرى ذلك(2)».

وهنا أذعن أبو بكر وعمر لما قاله رسول الله، فقال أبو بكر: «الله ورسوله أعلم، والأمر ينزل عليه من السماء»، وقال عمر: «قد رأينا يوم الحديبية، ودخلني في الحديبية من شك ما لا يعلمه إلا الله، والخيرة فيما صنع رسول الله ﷺ، ولن أراجعه في شيء في ذلك الأمر أبداً.. والأمر أمر الله، وهو يوحي إلى نبيه ما يشاء»(3).

إن الأحداث تشير إلى أنه لم يُؤْذَنْ لرسول الله في فتح الطائف، فقد استشار رسول الله نوفل بن معاوية الديلي فقال: ما ترى؟ فقال: ثعلب في جحر، إن أَقَمْتَ عليه أخذْتَه، وإن تركْتَه لم يضرك. فأمر رسول الله عمر، فأَذَّنَ في الناس بالرحيل(4)، فتضايق بعض المسلمين من أمر الانسحاب، فأمر رسول الله بالعودة إلى القتال، فهجم المسلمون ثانية على سور الطائف فأُثْخِنُوا بالجراح، فقال رسول الله ﷺ: إنا قافلون إن شاء الله. فسُرُّوا بذلك وأذعنوا(5).

وكان الارتحال والعودة إلى الجعرانة بعد حصار دام خمسة عشر يوماً إلى عشرين يوماً، وقال رسول الله حين بدأ الارتحال: «قولوا لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، فطلب منه المسلمون أن يدعُوَ على ثقيف، فقال رسول الله: «اللهم

(1) المغازي: 933/3.

(2) سيرة ابن هشام: 484/2، المغازي: 936/3، تاريخ الطبري: 84/3-85.

(3) المغازي: 936/3.

(4) زاد المعاد: 427/3.

(5) زاد المعاد: 937.

اهد ثقيفاً وائت بهم»[1].

يذكر المستشرقون في مسألة فك الحصار والانسحاب كلاماً يشيدون فيه ببسالة بني ثقيف ومقاومتهم، وإيقاعهم الخسائر الكبيرة بالمسلمين، وأن ثبات الثقفيين هو الذي أجبر المسلمين على فك الحصار، ومن ذلك ما ذكره مونتجمري وات الذي قال: «لذلك نرى أنه بعد مُضِيّ خمسةَ عَشَرَ يوماً أوقف محمد الحصار، لقد قاوم بنو ثقيف ببسالة، وأوقعوا الخسائر في صفوف المسلمين، ورأى محمد أنه لو استمر الحصار فإن رجاله سوف يصابون بالملل، وسوف يكون هناك المزيد من سفك الدماء، وأن التوصل إلى اتفاق مع ثقيف فيما بعد سيصبح بعيداً أو صعباً، وأن مركزه في حنين سيتأثر في حالة الحصار الطويل»[2].

وأقول بداية: إن الله تعالى لم يأذن لرسوله ﷺ بفتح الطائف، وقد جاء ذلك على لسان رسول الله نفسه، فهو الذي يُوحَى إليه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[3] فالأمر وحي من الله له، وينزل عليه من السماء، سواء بالرحيل أو البقاء. ثم إن المسلمين لم يخسروا سوى اثني عشر رجلاً[4] من اثني عشر ألفاً، وهذه خسارة لا تذكر بالنسبة لخسارة الجيوش في المعارك والحروب.

على أن المسلمين لم يصابوا بالضجر والملل، بل إنهم أرادوا مواصلة القتال لبلوغ النصر وعدم الانسحاب. ثم إن مركز النبي ﷺ لم يتأثر، فقد أَمَّن ظهره، وأَمَّن الغنائم والسبايا في الجعرانة من أي أذى أو غارة، وأن رسول الله ﷺ حين قرر الارتحال والعودة إلى الجعرانة للنظر في أمر الغنائم، ترك ثقيفاً شبه محاصرة من القبائل الأخرى، التي أسلمت وأصبحت مناصرة للدين الجديد.

وبهذا وجدت ثقيف نفسها بعد هزيمتها في حنين وحصار المسلمين لها في عزلة عن

(1) زاد المعاد: 937، وانظر: الكامل في التاريخ: 267 وكذلك في سيرة ابن هشام 141/4 من طريق ابن إسحاق من دون سند، وانظر: زاد المعاد 427/3.
(2) محمد في المدينة: 74.
(3) النجم: 3–4.
(4) كانوا سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجلاً من بني ليث، انظر: سيرة ابن هشام: 486/2–487.

القبائل العربية الأخرى، بل في ظل معاداة بعضها، فشعرت بحصار آخر من نوع جديد، سبب لها أزمة اقتصادية(1).

بعد حصار الطائف–وما تبعه من أحداث– أمر النبي ﷺ أصحابه بالرحيل والعودة إلى الجعرانة، للنظر في أمر الأسلاب والأسرى والغنائم التي تركها تحت إمرة بديل بن ورقاء الخزاعي(2)، وبعد وصوله شرع في تقسيمها بين الصحابة وكل الذين شاركوا في الحرب والانتصار، وكلف بسر بن سفيان الخزاعي شراء كسوة للسبايا، فلا يخرج أحد منهم من الجعرانة إلا كاسياً، ففعل بسر ما أمر به رسول الله(3).

وأخذ رسول الله في «إعطاء المؤلفة قلوبهم من الخمس ليحببهم في الإسلام، يتألفهم ويتألف بذلك قومهم، فقد كانوا أشرافاً من أشراف الناس، منهم: أبو سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن الحارث بن كلدة، والحارث بن هشام، وغيرهم من سادات قريش»(4). وقد أعطاهم رسول الله كثيراً حتى يقوي إسلامهم، وكان للثقفيين نصيب وافر من هذه الأعطيات، فقد حصّل أسيد بن جارية والنضر بن الحارث بن كلدة مئة بعير، ومخرمة بن نوفل دون المئة(5). وكان نصيب العلاء بن حارثة خمسين بعيراً، وهم من الثقفيين المخالفين لقريش(6).

لكن رسول الله لم يعط الأنصار شيئاً؛ فظنوا أن رسول الله أصبح في غنًى عنهم بعد أن لقي قومه، فلم يعد يحفل بهم، فقالوا: لقي رسول الله قومه، أما حين القتال فنحن أصحابه، وأما حين القَسْم فقومه وعشيرته. فوصل ذلك إلى رسول الله فغضب غضباً شديداً(7).

وأتى رسولَ الله وفدُ هوازن معلنين إسلامهم، وكان مع رسول الله من سبي هوازن ستة

(1) المغازي: 955/3 وما بعدها، تاريخ الإسلام: 144/1–145، تاريخ الشعوب الإسلامية: 61–62.
(2) المغازي: 923/3، الكامل في التاريخ: 266/2.
(3) المغازي: 943/3.
(4) سيرة ابن هشام: 145/4–146، المغازي: 944/3.
(5) المغازي: 945/3–946.
(6) الطبقات 110/2.
(7) سيرة ابن هشام: 152/4–153.

آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرَى ما عِدَّتُه. وقالوا لرسول الله: إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخْفَ عليك، فامنُنْ علينا، مَنَّ الله عليك[1]. وقام رجل يقال له زهير– يكنى أبا صُرَد– فقال: «يا رسول الله، إنما في الحظائر[2] عماتك وخالاتك وحواضنك[3] اللاتي كُنَّ يكفُلْنك، ولو أنا مالَحْنا[4] الحارث بن أبي شِمْر أو النعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفَهُ وعائِدَتَه[5] علينا، وأنت خير المكفولين»[6].

فقال رسول الله ﷺ: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا، فهو أحبُّ إلينا. فقال لهم: أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم. فلما صلى رسول الله بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله: وأما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم. فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا. وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله. فقال لهم العباس: وَهَّنْتُمُوني[7].

فقال رسول الله: أمَّا مَنْ تمسك منكم بحقه من هذا السبي؛ فله بكل إنسان ستُّ فرائض،

---

(1) سيرة ابن هشام: 141/4، انظر خبر ذلك أيضاً في: الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي: 171 وما بعدها، تحقيق أحمد البغدادي.

(2) الحظائر: جمع حظيرة؛ وهي الزرب التي تصنع للإبل والغنم لتكفها، وكان السبي في حظائر مثلها.

(3) حواضنك: يعني اللاتي أرضعن النبي ﷺ، وقد كانت حاضنته من بني سعد بن بكر من هوازن، انظر: حاشية محقق سيرة ابن هشام 141/4.

(4) مالحنا: أرضعنا، والملح الرضاع، والحارث بن أبي شِمر الغساني: ملك الشام من العرب، والنعمان بن المنذر: ملك العراق من العرب.

(5) عائدته: فضله.

(6) سيرة ابن هشام: 141/4.

(7) وهنتموني: أضعفتموني بعد أن طلبتُ ذلك باسمكم، انظر: سيرة ابن هشام 142/4.

مِنْ أولِ سَبْيٍ أصيبُهُ، فردوا إلى الناس أبناءَهُم ونساءَهُم[1].

هكذا أعلن رسول الله ﷺ عن نزوله ونزول بني هاشم وبني المطلب جميعاً عن حصتهم من سبي هوازن، فاقتدى به بقية المسلمين، ووعد بالعفو عن الذين لم يحضروا معهم أمثال مالك بن عوف النصري، وقد سألهم عنه، فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف. فقال رسول الله: أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مئة من الإبل. فأُتِيَ مالك بذلك، فخرج إليه من الطائف، وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال فيحبسوه، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له، وأمر بفرس له، فأتي به إلى الطائف فخرج ليلاً، ولحق برسول الله فأدركه بالجعْرانة أو بمكة، فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مئة من الإبل[2]، وأسلم وحسن إسلامه، وقال مادحاً النبي ﷺ [3]:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ	في الناسِ كلِّهم بِمِثْلِ مُحَمَّدِ
أَوْفَى وَأَعْطَى للجزيلِ إذا اجْتُدِي	ومتى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عمَّا في غدِ

واستعمله رسول الله على لواء يقاتل به ثقيفاً، فشد عليهم الوثاق، وضيق عليهم الخناق، فكان لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه وأخذه منهم[4].

واستمات مالك في الدفاع عن رسول الله والمسلمين، وقد رغبه النبي ﷺ في ذلك، فوعده بالمال والغنائم وكل ما يحصل عليه، في مقابل الخمس لرسول الله، ولا أدل على موقف مالك وما كان يغنمه منهم من أنه أرسل مرة إلى رسول الله مئة بعير وألف شاة[5].

وظلت ثقيف على عنادها وصلفها برغم ما حاق بها، فقرر رسول الله محاصرتها بحلفائها من قبائل هوازن، ونصر، وثمالة، وفهم، ودوس، وسلمة من قيس؛ بقيادة مالك ابن عوف حصاراً اقتصادياً واجتماعياً.

---

(1) سيرة ابن هشام: 142/4.

(2) انظر: سيرة ابن هشام: 142/4.

(3) سيرة ابن هشام: 142/4.

(4) سيرة ابن هشام: 142/4.

(5) المغازي: 955/3.

ودخل الشعراء الثقفيون في معارك شعرية مع حلفاء الأمس أعداء اليوم، فقال أبو محجن الثقفي عندما نُهِبت أغنامه[1]:

تــهــاب الأعــــــداء جــانــبَــنَــا	**ثــم تــغــزونَــا بَــنِــي سَــلْــمَــهْ**
وأتـــــانــــا مــــالـــكٌ بِـــهِــمُ	**نــاقـضــاً لــلـعــهــدِ والــحــرمَــهْ**
وأَتَــــوْنَـــا فـــي مـــنـــازِلِــنــا	**ولــقــد كُــنَّــا أُولِـــــي نِــقــمَــهْ**

ترى ما الذي كان يهدف إليه النبي ﷺ من جراء تلك الأعمال والإجراءات التي اتخذها ضد ثقيف؟ وهل آتت هذه الأعمال أُكُلَها فتحقق للنبي ما أراد؟

من استعراض الأحداث نجد أن النبي ﷺ حقق بهذه الإجراءات مكاسب عدة ذات أبعاد (استراتيجية)، وعسكرية، واجتماعية، واقتصادية.

فمن الناحية (الاستراتيجية) كسب النبي ﷺ قبائل من عرب جنوب الحجاز وغربه، وضمهم إلى جانبه، فتحولوا في علاقتهم بثقيف من حلفاء إلى أعداء[2].

ومن الناحية العسكرية كسب جيشه فلم يخسر أحداً من المسلمين في معركة مفتوحة، وحصار قد يطول أمده، ويتسع مداه، ثم إن رسول الله لم يهدف يوماً ما إلى القتل وسفك الدماء، فترك لهم فرصةً للتوبة، علهم يوماً ما يثوبون إلى رشدهم فيدخلوا في الإسلام طواعية، ولهذا لم يمعن في قتلهم أو معاداتهم.

ومن الناحية الاجتماعية نجح في إقناع الثقفيين بأن كسب ودِّه وصداقته أكثر نفعاً، وأحسن فائدة لهم من معاداته[3]، ولاسيما أنهم قد حوصروا من جيرانهم، وعودوا من حلفاء الأمس، فأصبحوا في عزلة عن سائر العرب.

ومن الناحية الاقتصادية نجد أن النبي ﷺ قد نجح في تحويل كفاية الطائف بهذا الحصار

---

(1) سيرة ابن هشام: 3/955، 956.

(2) المغازي: 3/955 وانظر أيضاً: ثقيف من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية: 55.

(3) انظر: ثقيف من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية: 55.

إلى جوع واستجداء[1]، وقد جاء ذلك على لسان عبد ياليل حين قال: «قد أوطأ الأرض غلبة، ونحن في حصن في ناحية من الأرض، والإسلام حولنا فاش، والله لو قام على حصننا شهراً لمتنا جوعاً، وما أرى إلا الإسلام، وأنا أخاف يوماً مثل يوم مكة»[2].

هكذا أذعنت ثقيف للأمر الواقع، وتحقق للنبي ما أراد بتأييد الله له، وحسن سياسته، واستجاب الله دعاء نبيه: «اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم». فهل أتت ثقيف طائعةً مسالمةً تطلب الإسلام وتعتنق الدين الجديد؟ هذا ما سوف تبحثه الصفحات القادمة.

توالت المحن والضربات على ثقيف الواحدة تلو الأخرى، بعد أن تركها رسول الله ﷺ وفك عنها الحصار العسكري، وعاشت أياماً عصيبةً تعاني حصار القبائل من حولها؛ حصاراً استمر من ذي القعدة سنة 8 للهجرة إلى رمضان سنة 9 للهجرة[3].

لقد منعها جيرانها من التجارة والرعي، وتخلى عنها بعض رجالها وحلفائها فدخلوا في الإسلام؛ أمثال: يعلى بن مرة (يعلى بن سبابة) بن عثمان الثقفي[4]، والمغيرة بن شعبة، ومن حلفائها بجير بن (زهير) بن أبي سلمى[5]، فقد شهد الأول والثاني مع رسول الله بيعة الرضوان، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف[6]. كما شهد بجير – وهو شاعر– حنين، وهجا الحلفاء البدو من هوزان وثقيف[7].

ودخل في الإسلام ثقفيون من حلفاء بني زهرة؛ مثل الصلاء بن جارية (حارثة)، وأسيد

---

(1) تاريخ الشعوب الإسلامية: 62.

(2) المغازي: 967/3.

(3) سيرة ابن هشام: 154/4.

(4) المعارف: 276، ويعلى بن مرة هو من صحابة رسول الله في ثقيف، وكان قد أمره النبي بقطع أعناب ثقيف.

(5) ذهب الباحث حسين محمد سليمان في دراسته (ثقيف من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية): 56 إلى أن بجير ابن أبي سلمى ثقفي، ولا أدري إلى أي مصدر استند في تلك النسبة، والصواب أنه من مزينة فهو ابن الشاعر زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سُلمى ربيعة بن قُرط بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور المزني، فهو إذاً ليس ثقفيّاً، وهناك بجير الثقفي صحابي آخر، ولكنه ليس ابن زهير، وليس شاعراً، فوقع الباحث في خلط بينهما، وقد ذكرهما ابن الأثير في أسد الغابة 228/1.

(6) طبقات ابن خياط: 125/1، والإصابة: 687/6.

(7) طبقات ابن سعد: 312/1.

بن جارية وابنه حبيب؛ وهما ممن تألفهم رسول الله ووزع فيهم غنائم هوازن، بل ساواهم بأبي سفيان.

وهكذا دخل الإسلام نفر غير قليل من الثقفيين، فأثر فيهم الإسلام وتأثروا بتعاليمه، وأحسوا بعدالته، وكرهوا التعصب القبلي، ووقفوا مع رسول الله ضد مدينتهم وقبيلتهم، وبإسلام هؤلاء وغيرهم من رجال ثقيف وزعمائها أبناء القبيلة، وأصبح رؤساؤهم وزعماؤهم– وعلى رأسهم عبد ياليل بن عمرو– في حيرة من الأمر، يستشيرون هذا وذاك في أمر الأزمة الخانقة، والمدينة المحاصرة[1].

وازدادت الأزمة وتعقدت وتشابكت بإسلام عروة بن مسعود الثقفي، أحد كبار رجالات ثقيف، واسم لامع من أسماء أبنائها. وكان عروة غائباً أثناء حصار النبي ﷺ للطائف، فقد كان يتعلم صنع الدبابات والمنجنيق والعرادات والضبور مع غيلان بن سلمة الثقفي في جرش[2]، فلما عاد من جرش وعلم بالحصار وفتح مكة؛ شرح الله صدره للإسلام، وذهب إلى النبي معلناً إسلامه، فأدركه قبل دخول المدينة[3].

وعروة سبق أن فاوض النبي ﷺ وتعرف إليه عن قرب؛ محاوراً ومفاوضاً ومناقشاً في صلح الحديبية سنة 6هـ، ثم متأثراً بشخصية رسول الله تأثراً كبيراً، حتى ظل ذلك المشهد عالقاً في ذهنه، ماثلاً حياً في ضميره وفكره، حتى إنه عاد بعد هذه المحاورة يقول لقريش: «إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني ما رأيت ملكاً قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يُسْلِمونه لشيء أبداً»[4].

لابد أن عروة بعد هذا المشهد ساورته فكرة الدخول في الإسلام، وإن لم يعلن ذلك صراحة حتى جاء نصر الله والفتح، وسمع بحصار الطائف فخلع رداء الشرك على عتبة الإيمان، وأعلن إسلامه، ووظف طاقاته لخدمة الدين الجديد؛ مستخدماً قوة نفوذه بين

(1) المغازي: 962/3.

(2) من مخاليف اليمن من جهة مكة، انظر: سيرة ابن هشام: 130/4 (الحاشية).

(3) المغازي: 960/3، سيرة ابن هشام: 191/4.

(4) سيرة ابن هشام: 343/3.

قومه، ظناً منه أنهم لا يعصون له أمراً، ولا يردون له طلباً، راغباً في أن يأذن له رسول الله بالذهاب إلى ثقيف، قائلاً له: «أنا أحب إليهم من أبكارهم»(1)، لكن رسول الله كان يدرك بثاقب نظره وبعد رأيه طبيعة ثقيف - لما فيهم من نخوة الامتناع- أنهم قاتلوه قائلاً: «إنهم إذن قاتلوك»(2).

وتحت الإلحاح الشديد أذن له النبي بالخروج إلى الطائف، فدخلها بعد خمس ليال دون المرور على بيت اللات، وكانت زيارة بيت اللات تقليداً متبعاً عند المسافرين والعائدين، فارتسمت علامة ارتياب تبددت بعلة تعب السفر، ثم حياه القوم بتحية الجاهلية، فطلب منهم أن يحيوه بتحية الإسلام، ودعاهم إليه. هنا شخصت الأبصار، وتحيرت العقول، وعادت الريب تطل برأسها من جديد، ووقف القوم يذكرونه ويعنّفونه، لكنه أخذ يعدد لهم مناقب الإسلام ومحاسن الدين، فدبر القوم أمرهم بليل وأجمعوا على قتله، منفذين فعلتهم في اليوم التالي عند أدائه الصلاة، فأصابه أوس بن عوف- وهو من بني مالك- فأرداه قتيلاً(3)، وهكذا ضرب عروة بمقتله مثلاً رائعاً في الثبات على الدين، والتضحية في سبيل العقيدة، بدا ذلك واضحاً حين قيل له: «ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إلي، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم. فدفنوه معهم»(4).

حاول (وات) التشكيك في اقتناع عروة بالإسلام، «وحكم على تصرفه بأنه أراد أن يقطع على بني مالك الطريق نحو تحالفهم مع الرسول، أو أنه كان بعمله هذا يريد أن يعرف الرسول أنه الرجل الأول في الطائف، وأن أهلها جميعاً سوف يتبعونه»(5).

فهل أراد مكسباً ذاتياً ومغنماً شخصياً له ولقومه الأحلاف؟ وهل أراد أن يسارع إلى

(1) سيرة ابن هشام: 191/4، قال ابن هشام: ويقال من أبصارهم.

(2) سيرة ابن هشام: 191/4.

(3) زعمت بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف، أخو بني سالم بن مالك، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عتاب بن مالك؛ يقال له وهب بن جابر، انظر: سيرة ابن هشام: 192/4.

(4) انظر: سيرة ابن هشام: 192/4.

(5) انظر: ثقيف من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية: 58.

التحالف مع النبي ﷺ قاطعاً بذلك الطريق على بني مالك فلا يسبقوه إليه؟. لاشك أن هذا كلام مردود، لعدة أسباب، منها:

أولاً: أن العبرة بالخواتيم، وقد ختمت حياة عروة بشهادة رزقه الله إياها. على أن النبي ﷺ شهد له بقوله: «إن مثله في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه»[1] وهذه وحدها تكفي.

ثانياً: أن رسول الله ليس دخيلاً على قومه بل هو منهم وفيهم وعاش بين ظهرانيهم في مكة ما يزيد على خمسين عاماً، ويعلم أن عروة أحد المعنيين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾[2]؛ فهو يعلم قدر كل منهم ومنزلته.

وهناك سبب ثالث أتفق فيه مع أحد الباحثين الذي فسر رأي (وات) قائلاً: «ربما بنى (وات) رأيه فيما يختص برغبة عروة في قطع الطريق على بني مالك نحو تحالفهم مع الرسول؛ أن بني مالك كانوا حلفاء هوازن التي أسلمت، وقد تتوسط هوازن لإسلام بني مالك لدى الرسول.

والحقيقة أن هذا احتمال ضعيف، وقول مردود عليه، ذلك أن بني سفيان أسلموا قبل هوازن، وحصلوا على فيء من أموال هوازن، وهم حلفاء للأحلاف من ثقيف، وصلتهم بهم أكبر من صلة بني مالك بهوازن، يضاف إلى ذلك أن هذه كلها أفكار قبلية بعيدة عن أخلاق الإسلام، التي تعامل الجميع على قدم المساواة»[3].

«كما أن توقع عروة – على حد قول وات– اتباع أهل الطائف له وإسلامهم تَوَقُّعٌ ضعيف، بعدما رأينا من عناد ثقيف، وشدة مقاومتها للرسول أثناء حصاره مدينتهم»[4].

بموت عروة بن مسعود حزن رسول الله وقال فيه مقولته، وظلت ثقيف تواجه تبعة ما فعلت، وسوء ما عليه أقدمت، وبدا الثقفيون منفردين بعداوة المسلمين، وبدأ اليأس يدب

(1) انظر: سيرة ابن هشام: 192/4.

(2) الزخرف: 31.

(3) ثقيف من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية: 58.

(4) ثقيف من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية: 58.

إلى رؤوس القبيلة وزعمائها؛ فماذا هم فاعلون، وقد زادوا الطين بِلَّةً، والأمر شدة؟ بعد أن ضيعوا فرصاً سنحت لهم، فلم يبادروا بمد يد الصلح أثناء حصار رسول الله لهم، ثم إن كِبْرَهُمْ وغرورَهم أعماهم، حتى جنت على نفسها براقش بقتلها عروة، ثم إنهم وإن عقدوا العزم على الصلح؛ فَمَنْ مِنْ زعماء ثقيف يتقدم الآن لجمع رأيها، ورأب صدعها، وتوحيد كلمتها، وقيادة أمرها نحو تحقيق صلح ينهي الأزمة، ويحل العقدة، ويفك الحصار؟، فما العمل الآن والمصائب على ثقيف تترى؟ ألم يكن الصلح أجدر وأنفع؟

لربما حدث كبار الملأ أنفسهم بهذا، وأضمروا تلك الرغبة في صدورهم، ولكن أحداً لم يكن يجرؤ على فعل ذلك، حتى وإن تنادوا إلى الصلح مع الرسول ﷺ؛ فمن الذي يتقدم ويضطلع بهذا الجهد، وثقيف تتنازعها زعامات وانقسامات، وتحالفات وخلافات، فمَنِ الذي يبادر ويتحرك؟

لابد إذن للزعامات الثقفيةأن تسعى إلى تحكيم العقل، وتناسي الخلافات والصراعات القبلية، ومن هنا تحرك عمرو بن أمية الثقفي[1]، فزار عبد ياليل بن عمرو الثقفي – وكان بينهما شيء – «حتى دخل داره، ثم أرسل إليه من يقول له: إن عمرو بن أمية يقول لك: اخرج إليَّ. قال: فقال عبدُ ياليل للرسول: ويلك! أعمرو أرسلك إلي؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفاً في دارك. فقال: إن هذا لشيء ما كنتُ أظنه، لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك. فخرج إليه، فلما رآه رحب به، فقال له عمرو: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، قد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم. فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها.

وتحدث الناس فقال بعضهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْبٌ[2]، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع؟ فائتمروا بينهم، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله رجلاً، كما أرسلوا عروة، فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، وكان سن عروة، فأبى أن يفعل، وخشي أن يصنع به كما صُنع بعروة، فقال: لسْتُ فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً، فأجمعوا أن يبعثوا

(1) هو عمرو بن أمية أحد دهاة العرب، وأحد أشراف بني علاج من بني مالك.

(2) السرب: المال الراعي، وهو أيضاً: الطريق والنفس، انظر حاشية سيرة ابن هشام 192/4.

معه رجلين من الأحلاف هما: الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، وشرحبيل بن غيلان ابن سلمة بن معتب، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان من بني يسار، وأوس بن عوف من بني سالم بن عوف، ونمير بن خَرَشَة بن ربيعة من بني الحارث، فخرج بهم عبد ياليل، وهو ناب[1] القوم، وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلا خشية مِنْ مثلِ ما صُنِعَ بعروةَ؛ لكي يَشْغَلَ كلُّ رجل منهم- إذا رجعوا إلى الطائف- رهْطَهُ»[2].

ظهر وفد ثقيف قادماً على مشارف المدينة، حتى نزلوا قناة ألفَوْا بها المغيرة بن شعبة، يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله – وكانت رعيتها نُوَباً على أصحابه- فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين، وضبر يشتد ليبشر رسول الله بقدومهم عليه، فلقيَه أبو بكر قبل أن يدخل على رسول الله، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله، لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدثه. ففعل المغيرة، ودخل أبو بكر وأخبر رسول الله بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّحَ الظهر عنهم، وعلمهم كيف يحيون رسول الله، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية[3].

واستقبلهم رسول الله، وضرب لبني مالك قبة في ناحية مسجده، أما الأحلاف فقد نزلوا عند المغيرة بن شعبة، وكانت ضيافتهم جميعاً على رسول الله. وكان خالد بن سعيد ابن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله، حتى اكتتبوا كتابهم، كتبه خالد بيده، وكان القوم لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد[4].

وناقش الوفد رسول الله في شروط الدخول في الإسلام، فمنها ما قبلها ومنها ما رفضها، وكل ما رفضه رسول الله كان يدور في دائرة العقيدة التي لا يقبل تنازلاً فيها، أو مساساً بجوهرها[5] أو ما يتصل بها.

---

(1) ناب القوم: سيدهم.

(2) انظر الخبر من حديث يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس في سيرة ابن هشام: 192/4، 193.

(3) انظر: سيرة ابن هشام: 193/4، إمتاع الأسماع 491/1؛ وفيه: أن النبي أمر لهم بثلاث خيمات من حرير، فَضُرِبْنَ في المسجد، فكانوا يستمعون القراءة بالليل وتهجد الصحابة، وينظرون صفوفهم في الصلوات المكتوبات.

(4) إمتاع الأسماع 491/1.

(5) وقف وفد ثقيف يجادلون رسول الله وهو يدعوهم، فقال له عبد ياليل: هل أنت مقاضينا – أي قضاء مُحْكَماً، وحُكْماً

لقد سألوا رسول الله أن يدع لهم اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى ذلك عليهم، فما برحوا يسألون سنة سنة، ويأبى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى عليهم شيئاً مسمى، وتعللوا في ذلك بالخوف من قومهم، وأنهم يكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها، فأبى، رسول الله إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها[1].

وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فأبى، وقال: لا خير في دين لا صلاة فيه. فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها وإن كانت دناءة[2].

ومما سألوا رسول الله وقبله منهم: أن يعفيهم من كسر أوثانهم بأيديهم، وأن لا يستعمل على مدينتهم غير ثقفي، وأن لا تُجْبَى منهم ضرائبُ العشور، وأن لا يندبوا للحرب مع المسلمين، فكان ذلك مما تميزت به معاهدة ثقيف[3].

هكذا كتب لهم الرسول المعاهدة، وعادوا إلى بلادهم بصحبة المغيرة بن شعبة وأبي سفيان بن حرب، اللذين كلفهما النبي بتحطيم اللات[4].

وقد تخوف بعض الصحابة من هذه المميزات، لكن الرسول ﷺ طمأنهم أنهم سوف يؤدون العشور في المستقبل طواعية، وسوف يندبون للحرب[5]، وهذا من لباقة النبي ﷺ وحنكته وحسن سياسته، وسعة فقهه في معاملة النفوس، وفي سعيه الحثيث لتمكين دين الله تعالى في الأرض بإزالة معالم الوثنية، وبيوتات العبادة الكفرية من مكة وما حولها، واستيعابه طبيعة النفس الثقفية، وترتيبه – من قبل– الأمور التنظيمية للأراضي التي أضيفت

فاصلاً – حتى نرجع إلى قومنا؟ فقال: إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم. فقال عبد ياليل: أرأيت الزنى! فإنَّا قومٌ عزَّاب لابد لنا منه، ولا يصبر أحدنا على العُزبة! قال: هو مما حرم الله، قال: أرأيت الربا؟ قال: الربا حرام. قال: فإن أموالنا كلها ربا! قال: لكم رؤوس أموالكم، قال: أفرأيت الخمر؟ فإنها عصير أعنابنا، ولابد لنا منها! قال: فإن الله حرمها! فخلا بعضهم ببعض، وقال عبد ياليل: وَيْحَكم! نرجع إلى قومنا بتحريم هذه الخصال!! لا تصبر ثقيف عن الخمر ولا عن الزنى أبداً. انظر: إمتاع الأسماع 492/1.

(1) إمتاع الأسماع 492/1.

(2) إمتاع الأسماع 492/1.

(3) زاد المعاد 220/1، وسيرة ابن هشام: 194/4.

(4) سيرة ابن هشام: 194/4.

(5) البداية والنهاية: 30/5.

إلى الدولة الإسلامية، بتعيينه عتاب بن أسيد أميراً على مكة، وجعله معاذ بن جبل مرشداً وموجهاً ومعلماً ومربياً[1]، وتعيينه على هوازن مالك بن عوف قائداً ومجاهداً، ثم اعتمر ورجع إلى المدينة ﷺ.

وعلى الرغم مما تميزت به معاهدة ثقيف من امتيازات لم تحظ بها قبيلة من القبائل الأخرى؛ فإن المعاهدة لم تحقق لهم كل الشروط التي طلبوها، فاحتال أحد الوفد ويدعى (كنانة) حيلة لعلمه بثقيف، مقترحاً على أصحابه التظاهر بعدم قبول رسول الله شروطهم، وإصراره على حربهم، وذلك تخويفاً لهم، فيقبل الثقفيون بما جاء في المعاهدة دون معارضة؛ قائلاً: «أنا أَعْلَمُكم بثقيف فاكتموها إسلامكم، وخوفوها الحرب، وأخبروها أن محمداً سألنا أموراً أبيناها عليه، سألنا أن نهدم اللات، ونبطل أموالنا في الربا، ونحرم الخمر»[2]. فأخذ القوم بنصيحته.

ودخل الوفد مدينة الطائف وتظاهروا بالغم والحزن، حتى ظن الناس خطر الأمر، ثم توجهوا إلى بيت الربة (اللات) وظلوا فيه وقتاً، ثم انصرف كل منهم إلى منزله، ثم جمعوا أهلهم، ووصفوا مقابلتهم رسول الله بالصد والوعيد والغلظة والفظاظة، وأنه اشترط عليهم شروطاً قاسية كتحطيم اللات وتحريم الزنى والربا والخمر، فرفضت ثقيف ذلك، فطلب رجال الوفد منهم الاستعداد للحرب، وقالوا برمّ الحصون وتعميرها، واستعدوا للقتال، وما هي إلا أيام قلائل حتى فترت همتهم، ووهنت عزيمتهم، وطلبوا من الوفد العودة، وقبول شروط الرسول ومصالحته. فأعلن الوفد حقيقة الأمر، وقالوا لهم: «وجدناه أنقى الناس، وأوفاهم، وأرحمهم، وأصدقهم»[3].

هكذا مهد الوفد لإسلام القبيلة، وهيأها لقبول الدعوة، والرضى بشروط الصلح، فانطفأت بذلك نار عداوتهم الشديدة للإسلام. وجاء المغيرة وأبو سفيان لهدم الربة (اللات)، فقام بنو معتب – قوم المغيرة– خلفه لحمايته من غدر ثقيف، حتى لا يقتلوه كعروة، وخرجت

(1) سيرة ابن هشام: 155/4.

(2) تاريخ الخميس 137/2.

(3) تاريخ الخميس 137/2، وثقيف من صدر الإسلام: 61.

النساء – اللائي هن حديثات عهد بالإسلام– يصرخن حسرة على الصنم[1]، ويقلن:

لَـــتُـــبْـــكَـــيَـــنَّ دُفَّـــــاعْ أســـلـــمـــهـــا الــــرُّضَّـــــاعْ

لـــم يُـــحْـــسِـــنُـــوا الـــمِـــصَـــاعْ[2]

باستعراض صورتَي المعاهدة ومقارنتهما، يتبين أن رواية ابن هشام جزء من كل، وأنها لم تذكر لثقيف شيئاً من الحقوق السياسية الأساسية، فهي قاصرة على الصيد والشجر وعقوبة من يتعدى ذلك. أما النص الثاني فهو أشمل وأكمل، ويتضمن حقوقاً سياسية واقتصادية واجتماعية، ولذا فإن الصورة الثانية أولى وأحق بالدراسة والتحليل؛ لما حفلت بها من مميزات، منها:

1– أن المعاهدة نصت على «أن واديهم حرام محرم لله كله: عضاهه، وصيده، وظلم فيه، وسرق فيه أو إساءة»[3]، وهذا أضفى على المدينة صفة شرعية، ومنحها حرمة دينية، وارتقى بها إلى مستوى المدينة المقدسة. فلا اعتداء على نباتها وشجرها وصيدها، فذلك كله محرم إلا على ثقيف، ولا سرقة ولا إساءة ولا ظلم في واديهم. وهذا النص من المعاهدة «عوضها عن استقلالها الذاتي الذي دخل تحت حظيرة الدولة الإسلامية»[4].

2– نصت المعاهدة على أن «ثقيف أحق الناس بوجّ، ولا يُعْبَرُ طائفُهم، ولا يدخله عليهم أحد من المسلمين يغلبهم عليه، وما شاؤوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سواء بواديهم» لاشك أن هذه الفقرة أعطت الثقفيين حريةً مطلقةً في البناء والتعمير والزراعة والتجارة في مدينتهم، وجعلت ذلك حقاً خالصاً لا يشاركهم فيه أحد، وأنه لا يُعْترض عليهم، ولا يدخل مدينتهم أحد مستغلاً أو منتفعاً بشيء من ممتلكاتها بالغلبة أو الإكراه، بل برضاء من ثقيف.

(1) سيرة ابن هشام: 194/4.

(2) سيرة ابن هشام: 194/4.

(3) الأموال: 276.

(4) Lammens op. cit., p.163

لقد حصلت ثقيف بذلك على صك أمان لم تحظ به أيام عزها وقوتها، وبذلك راعى النبي ﷺ خصوصية الطائف، فسَدَّ الباب في وجه الأطماع الخارجية التي حسدت ثقيفاً على استئثارها وانفرادها بخيرات الطائف. وقد كان الثقفيون يخشون على أموالهم الضياع أو الاستيلاء بسبب ذلك، حتى ظهر ذلك على ألسنة شعرائهم؛ مثل مسعود بن معتب الثقفي حين قال:

لا أعرفنَّ قريشاً تشتري عَجَلِي   يا بْنَيْ أميمةَ مِنْ زَرْعٍ وحُجْرَانِ

وابنا يُسَيْعَةَ لا أخشى ضِيَاعهما   عَلَى مَوَاليَّ من سودٍ وحُمْرانِ

ويلاحظ أن قريشاً التي كانت لها ضياع في الطائف، ولها مشاركات مع الثقفيين في أموالهم وتجارتهم؛ كل ذلك أصبح مرتهناً بموافقة ثقيف. ونصت المعاهدة أيضاً «على ما سقت ثقيف من أعناب قريش فإن شطرها لمن سقاها»، فأعطى لثقيف حق مشاطرة القرشيين في غلات الأرض، والأعناب المملوكة لهم في الطائف.

3– ونصت المعاهدة على أنهم «أمة من المسلمين يتولجون من المسلمين حيث ما شاءوا، وأين تولجوا ولجوا»، فجعلتهم جزءاً من المجتمع الإسلامي لهم حق دخول أراضي الدولة الإسلامية في أي مكان وفي أي زمان، ولا يكون ذلك الدخول مرهوناً بزمان ولا مكان، على أن غيرهم ممنوع من دخول مدينتهم إلا بموافقتهم[1].

4– ونصت المعاهدة على أنهم «لا يُحْشَرون، ولا يُعْشَرون، ولا يُسْتكرهون بمال ولا نفس» فلا تؤخذ منهم صدقات المواشي إلا بمكانهم، يأتي إليهم جامع الضرائب، ولا يحق له أن يأمرهم بجلبها إليه، ولا يحق لأحد أن يجبرهم على دفع أكثر مما نصت عليه المعاهدة[2]؛ ففي كل مئتين خمسة دراهم، وهذا مبلغ زهيد قياساً على دخلهم. ومعنى (لا يُحشرون): أنهم لا يندبون لحرب بغير إرادتهم.

---

(1) الأموال: 277 حاشية (1).

(2) الأموال: 278، في الحديث: «إن وفد ثقيف اشترطوا ألا يُحْشَرُوا، ولا يُعْشَرُوا، ولا يُجَبُّوا»؛ أي: لا يؤخذ عُشْرُ أموالهم، وقيل: أرادوا به الصدقة الواجبة، وإنما فسح لهم في تركها لأنها لم تكن واجبة يومئذ عليهم، إنما تجب بتمام الحول، انظر: لسان العرب (عشر).

5- «ما كان لهم من دَيْن في رَهْنٍ فبلغ أجله، فإنه لواط مبرأ من الله. وما كان من دين في رَهْنٍ وراءَ عكاظ؛ فإنه يُقْضَى إلى عكاظ برأسه»[1] «وما كان لثقيف من وديعة في الناس، أو مال، أو نفس غنمها مودعها أو أضاعها فإنها مؤداة»[2]، لأن ثقيفاً كانت تقيم معاملاتها على الربا، وقد أنكره الإسلام ونهى عنه، ونزلت الآيات بتحريمه، وتمسك رسول الله بتنفيذه، إلا أن بعض المصادر زعمت أن رسول الله وافقهم على أخذهم الربا من الناس، أما ما عليهم من ربا فهو مرفوع عنهم[3]. وبذلك حفظت المعاهدة أموال ثقيف المدانة للآخرين، والمودعة لدى المسلمين، وألزمتهم ضرورة ردها، والالتزام الكامل بشروطها[4]، حتى نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[5].

6- ونصت المعاهدة على «أن لا يُؤَمَّرَ عليهم إلا بعضهم على بعض، على بني مالك أميرهم، وعلى الأحلاف أميرهم»[6] هكذا احترمت المعاهدة التركيب القبلي والبناء الاجتماعي للثقفيين، والشك المتبادل في علاقة بني مالك بالأحلاف. وراعت بذلك التحالفات السابقة التي ربطت بني مالك بهوازن من ناحية، والأحلاف بقريش من ناحية أخرى. وكان ذلك أمراً مَرْحَلياً من النبي ﷺ للثقفيين؛ لأنه يعلم أنه متى تمكن

(1) الأموال: 277.

(2) الأموال: 277.

(3) ثقيف من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية: 63.

(4) الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية: 174.

(5) البقرة: 278. جاء في تفسير القرطبي، وفي كتاب أسباب النزول للسيوطي: أن الآية (278) من سورة البقرة نزلت في قوم من ثقيف، كانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على أن ما لهم من ربا على الناس فهو لهم، وما للناس عليهم فهو موضوع عنهم، فلما جاءت آجال رباهم على بني المغيرة المخزوميين؛ أرسل لهم بنو عبدة (وهم بنو عمرو بن عمير من ثقيف) وكانت الديون لهم، لطلب الديون بالربا، لكن بني المغيرة رفضوا؛ لأن الربا رفع، فرفعوا الأمر لعتاب ابن أسيد - والي مكة من قبل الرسول- فأرسل عتاب إلى الرسول، فنزلت الآية، فعلمت ثقيف بها فكفت، وزعموا أن أصحاب الدين الذين أرسلوا في طلب الدين هم: مسعود، وعبد ياليل، وحبيب، وهلال، وربيعة بنو عمرو بن عمير. وهكذا بنزول الآية طلب منهم أن يتركوا الربا، إن كانوا صادقين في إيمانهم؛ لأن من شأن المؤمن الامتثال لأوامر الله، ويظهر هنا أن النص في المعاهدة كان يقصد به الرسول نصّاً مرحليّاً، ينتهي بتمكّن الإسلام في نفوس ثقيف، وهذه هي مرونة الرأي السياسي، انظر: الطائف ودور قبيلة ثقيف: 174 حاشية رقم (2) ، انظر: الإصابة: 6/551-552، وانظر أيضاً: ثقيف من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية: 64 حاشية رقم (1).

(6) الأموال: 277.

الإسلام من قلوبهم، وتعمق في نفوسهم، سيزول هذا الشرط مثلما زال في المدينة بين الأوس والخزرج؛ حتى جمعهم الإسلام فَتُسُمُّوا بالأنصار. فإلى ذلك الحين «فإن الرسول ينصرهم على من ظلمهم والمؤمنون».

كانت هذه أهم فقرات المعاهدة التي حظي الثقفيون بامتيازاتها، وأراد النبي ﷺ بها أن يؤلف بين القبائل جميعاً، لاسيما قريش وثقيف، ليفتح لهم باب الإسلام من ناحية، والألفة من حلفائهم من ناحية أخرى فقال: «ما كان لثقيف من نفس غائبة أو مال؛ فإن له من الأمن ما لشاهدهم، وما كان لهم من مال بليَّة؛ فإن له من الأمن ما لهم بوجّ، وما كان لثقيف من حليف أو تاجر فأسلم؛ فإن له مثل قضية أجر ثقيف»(1).

لقد شمل هذا الصلح عامة ثقيف من حضره أو غاب عنه، بل تعدى الصلح فشمل الحلفاء والتجار، وجعل لهم حق الدخول فيه بشرط إسلامهم.

ثم جاء تأكيد هذه الوثيقة– أو معاهدة الصلح– بكتاب آخر إلى المسلمين عامة، يقضي بضرورة الالتزام والوفاء بما تضمنه الصلح، وفيه عبارة مهمة تعطي لثقيف أماناً ما بعده أمان، وهي عبارة «إن لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو، وذمة محمد بن عبد الله النبي على ما كتب عليهم في هذه الصحيفة».

ألم تكن تلك العبارات كافية في أهمية تنفيذ ما جاء في المعاهدة، والوفاء والالتزام بالفقرات كافة؟ بلى، لكن رسول الله يريد لمعاهدة الصلح تأكيداً وتثبيتاً، وإلماحاً له دلالته على دخول ثقيف في الإسلام، وانضوائهم تحت مظلته، فألحق بالمعاهدة كتاباً آخر للمسلمين يطلب الوفاء بمعاهدة الصلح.

لقد كان غرض رسول الله وهدفه الأول هو نشر الإسلام، وهداية الناس جميعاً إلى الله وحده، وفي سبيل هذه الغاية كانت تلك الامتيازات لثقيف، وهي وإن كانت لهم محبوسة؛ فهي كذلك محسوبة، أراد بها أن يتألف قلوبهم إلى الإسلام، وأن يحببهم في الدين، وأن يجذبهم إلى العمل في ظلاله وتحت لوائه، وحينما طلب وفد ثقيف مقابلته قال ﷺ: «لا

---

(1) الأموال: 277.

يسألون شرطاً ولا كتاباً أعطيته أحداً من الناس إلا أعطيْتُهم».

لكنه في الوقت ذاته كان يدرك أنهم سيتولجون في المسلمين، وسينصهرون في بوتقة الإسلام، وستحكمهم المبادئ العليا: الأخوة، والمساواة، والإيثار لا الأثرة، وسيكون لهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما عليهم.

لقد كان ذلك واضحاً أشد الوضوح لدى عدد من الصحابة فيما نقله ابن منظور في (اللسان): أن جابر بن عبد الله– رضي الله عنهما– سُئِل عن اشتراط ثقيف: أن لا صدقة عليهم ولا جهاد. فقال: علم أنهم سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا[1].

لكن العرب– الذين كانوا حديثي عهد بإسلام– كان لهم موقف مضاد لثقيف بعد وفاة الرسول ﷺ، في نهاية عصر الراشدين وعصر الخلافة الأموية، وهو ما جعل ثقيفاً تقف مؤازرة للأمويين على طول عهدهم، وتحتمي بهم مدة خلافتهم، فاستعان بهم الأمويون وقرَّبوهم وأدنوهم[2] على نحو ما سنرى.

وعلى أي حال فإنه «بدخول ثقيف في الإسلام، انهدمت أسوار الوثنية في الحجاز، وانتهت أسطورة الأصنام»[3]، فدانت الجزيرة العربية بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

10– الثقفيون في عصر الراشدين:

بعد وفاة رسول الله ﷺ تعرضت الدولة الإسلامية لجملة من القضايا الكبرى؛ هي على الترتيب: قضية الخلافة، قضية المرتدين، قضية الفتوحات الإسلامية،، قضية إدار الأمصار، ولأن الدراسة عن ثقيف فسوف تقتصر على تتبع موقفهم من هذه الأحداث المهمة التي مرت بها الأمة، وإبراز دورهم في تلك القضايا الكبرى.

سببت وفاة الرسول ﷺ أزمة حقيقية، واختباراً عمليّاً صعباً أمام المسلمين، فكانوا

(1) انظر: لسان العرب (عشر).

(2) إلى هذا أشار الباحث حسين محمد سليمان في دراسته: ثقيف من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية: 66.

(3) الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية: 178.

أمام تحد لم يألفوه، واختيار لم يعرفوه، فهم بين قلوب مكلومة لفرط حزنهم على فراق نبيهم، وبين حيرة وتردد فيمن يقع الاختيار عليه، ليخلف رسول الله في قيادة الأمة وإمامة المسلمين؟ فمَنِ الأحقُّ الأجدَرُ بهذه المهمة العظمى؟

آلمهاجرون الذين كانت لهم الهجرة والسَّبْق إلى الإسلام، أم الأنصار الذين آوَوْا رسولَ الله والمسلمين، وكانت مدينتهم ملاذاً آمناً، وحضناً دافئاً للدعوة، فالشأن شأنهم؟ أم آل بيت رسول الله؛ فهم أهله وقرابته، وهم أحق بخلافته؟

ماذا فعلت ثقيف في غمرة تلك الأحداث؟ وفي صَفِّ مَنْ وقفت؟.

لقد نأت ثقيف بنفسها، وأخذت ترقب الأحداث من بعيد دون أن تُقْحِمَ نفسها أو تزج بأبنائها في مواطن الخلاف تلك، فلماذا؟ هل كانوا غير مبالين في مشاركة المسلمين في شأن خَطِر كهذا؟ أم أن الأمر لا يعنيهم؟ الجواب: لا هذا ولا ذاك، ولكن هناك جملة أسباب منها:

أولاً: بعد المسافة بين الطائف والمدينة المنورة التي تصطخب فيها الأحداث.

ثانياً: أن الثقفيين أسلموا متأخرين، لا فضل لهم في هجرة، ولا نصرة، ولا قرابة، ولا سبق لهم في دعوة، ولا طول عهد لهم بصحبة، ولا ذكر لهم في حضور غزوة أو شهود وقعة، ولا معرفة غزيرة لهم بعلم شرعي أو فقه ديني، فإلى أي شيء يستندون، وبماذا يطالبون؟[1].

ثالثاً: أن الثقفيين تجار يحرصون على الصلات المتينة والعلاقات الوطيدة، وينأون بأنفسهم عن حدوث أي انقسامات في وحدة الصف الثقفي من جهة، وبقبائل العرب ومركز الخلافة من جهة ثانية، وبقريش من جهة ثالثة. فاختطوا لأنفسهم - ببعدهم عن الخلافات- سياسةً ثقفيةً بعيدةَ المرْمَى، جنَّبَتْهُم متاعبَ كثيرة، وجعلتهم موضع تقدير من الخلفاء فأدنوهم، ومحل ثقة لدى الدولة فاستعانت بهم[2].

---

(1) إلى هذا أشار الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه: تاريخ الإسلام: 345/1.

(2) Lammens. op. cit., p. 165-166

يبدو أن الثقفيين قد قطفوا ثمار هذه السياسة أولاً فأعجبتهم وراقتهم، لذا ساروا على هديها طوال عصر الراشدين، فلم يقفوا من الخلفاء موقفاً معادياً بل «توددوا إليهم»[1]، وسعوا إلى العمل معهم ومؤازرتهم، وتدعيم سلطان الخلافة الإسلامية في كل الأنحاء، والأرجاء كافة.

ففي عهد أبي بكر كتب عثمان بن أبي العاص كتاباً أخبر فيه الصديق بثبات قومه على الإسلام وبارتداد من ارتد من أهل عمله، فأمره أبو بكر بمحاربتهم بمن ثبت على الإسلام[2]. وفي عهد عمر ندب أبو عبيد بن مسعود الثقفي نفسه لحرب العراق، فأمَّره عمر على الجيش برغم صحبة عدد من الصحابة والتابعين له[3].

وفي عهد عثمان ظل الثقفيون إلى جانبه، على الرغم من أنه عزل بعض الولاة منهم، وولى مكانهم بعض أقاربه، وعثمان ﵁ طائفي المولد، وله في الثقفيين صلات ونسب، وله في الطائف تجارة ومصالح، فلم ينقطعوا عن مجلسه، وقد ذكر البلاذري أنه كان في مجلس عثمان أحد الثقفيين[4].

لم يضن الثقفيون على عثمان بالنصيحة أو يحجبوها عنه، فعندما حاصره الثائرون أسرع إليه المغيرة بن شعبة وقال له: أعرض عليك ثلاث خصال؛ فاختر إحداها: إما أن تخرج فتقاتلهم، فإن معك عدداً وقوة، وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه، فتعقد راحلتك فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية[5].

ويبدو أن هذا الاقتراح كان يعبر عن السواد الأعظم للثقفيين؛ ذلك أن من مصلحتهم بقاء

---

(1) الإمامة والسياسة: 15.
(2) الرسل والملوك 319/3، 320، تاريخ ابن خلدون: 277/2.
(3) الرسل والملوك 444/4–445.
(4) أنساب الأشراف: 9/6، 10.
(5) تاريخ الخلفاء: 62.

عثمان في الخلافة[1]. كما يذكر لنا الطبري وغيره[2] وقوف المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي وقتاله دون عثمان، عندما هجم عليه المحاصرون له، فقال المغيرة:

لما تهدَّمَتِ الأبوابُ واحْتَرقَتْ يَمَّمْتُ منهُنَّ باباً غيرَ محترقِ

حقّاً أقولُ لعبدِ الله آمُرُهُ إن لم تقاتِلْ لدى عثمانَ فانطلِقِ

والله أتركُهُ مادام بي رَمَقٌ حتى يزايلَ بين الرأْسِ والعُنُقِ

هو الإمام فلسْتُ اليومَ خاذلَهُ إن الفرارَ عليَّ اليومَ كالسَّرَقِ

وقد استطاع الثقفيون – بذكائهم– أن يقفوا مع عثمان دون أن يحسب ذلك عليهم فيما بعد في علاقتهم بالأمويين، فكانت سياستهم متوازنة تحاشوا بها عتاب عثمان أو الأمويين، فقد رأوا فيهم الولاة والحكام، ثم إن مستقبل العلاقات والسياسات يحتم عليهم الاحتفاظ بودهم[3]، وإذا كان المغيرة قد أسرع إلى عثمان بالنصيحة؛ فإنه سارع إلى علي بن أبي طالب، فألقى له أخرى يظهر لنا فيها حسنُ فكرِهِ، وصوابُ رأيِهِ وذلك بأن يبقي على الولاة الأمويين مدة حتى يستقر الأمر له، ولكن عليّاً رفض، فوافقه المغيرة على رأيه خوفاً من اتهامه[4]؛ قال المغيرة:

نَصَحْتُ عليّاً في ابنِ هندٍ نصيحةً فَرَدَّ ولَمْ يَسْمَعْ له الدهْرُ ثانِيَهْ

وقلتُ له أرسِلْ إليْهِ بعَهْدِهِ على الشام حتى يستقِرَّ معاوِيَهْ

ويعلمَ أهلُ الشامِ أَنْ قَدْ ملكتَهُ فأمُّ ابنِ هندٍ عندَ ذلك هاوِيَهْ

وتحكم فيه ما تريد فإنه لداهِيَةٌ – فارفق به– وابنُ دَاهِيَهْ

فلم يقبل النصحَ الذي جِئْتُهُ به وكانت له تلك النصيحةُ كَافِيهْ

---

(1) إلى هذا أشار الباحث حسين محمد سليمان في دراسته: ثقيف من صدر الإسلام: 68 نقلاً عن حسن إبراهيم حسن في كتابه: تاريخ الإسلام 345/1.

(2) الرسل والملوك 439/4، الفتوح: 424/2، 425.

(3) إلى هذا أشار لامانس Lammens. op. cit., p. 164

(4) نهاية الأرب 20: 18، الاستيعاب: 1447/4.

ولما ساءت الأحوال وتعاظمت الفتنة؛ نبه المغيرة قومه في الطائف عند مروره بمكة على عدم الخروج مع عائشة وطلحة والزبير إلى العراق(1).

هكذا استطاع الثقفيون – برجاحة عقولهم وسداد رأيهم– أن يحيوا حياة آمنة مطمئنة، في ظل سياسة حكيمة عصمتهم من المزالق، وجنبتهم طرقاً ملتوية وعرة هم في غنىً عنها، فقد نأوا بأنفسهم عن تنافسات وتجاذبات وخلافات تدور رحاها بين ثلاث دوائر:

منها ما كان له رواسب جاهلية توارت بالحجاب أيام رسول الله، ثم أخذت تترقب الظهور على استحياء بعد وفاته، حتى برزت واضحة جلية عقب الفتوحات الإسلامية إبان عهد عثمان(2) ﷺ، وهي دائرة تنافس العصبيات القبلية القرشية المكية.

والدائرة الثانية التي أبعدت ثقيف نفسها عنها: ما تمخض عن وفاة رسول الله ﷺ بظهور مولود شرعي يُدْعى الخلافة، وما أحدثه من تجاذبات قرشية أنصارية.

ثم ما كان من نفث الأعداء بإيقاد الفتن، وجعل الأمة فريقين: أنصار عثمان، وأنصار علي، هنا انسحب الثقفيون من جيش عائشة، دون أن ينضموا إلى علي أو يكونوا معه في حربه ضد معاوية فيما بعد، فظل ثوبهم أبيض نقياً طاهراً من الدماء، وكتب التاريخ لهم البراءة من دم عثمان ودم علي، فقد اعتزلوا الفتن، وتجنبوا اتهامات لم يسلم منها حتى بعض الصحابة والتابعين(3)، وعادوا إلى الطائف ينتظرون ما تأتي به الأيام وما تتمخض عنه الليالي.

لبيان موقف الثقفيين في عصر الراشدين: لابد من استجلاء حالة المجتمع العربي إبان ظهور حركة الردة، وأسبابها بإيجاز. يصور ابن الأثير والطبري حالة المجتمع العربي حينذاك بقولهما: «إنه لما مات النبي ﷺ، وسيَّر أبو بكر جيش أسامة ارتدت العرب، وتضرمت الأرض ناراً، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً»(4).

---

(1) الرسل والملوك 453/4.

(2) عثمان: 21.

(3) Lammens: op. cit., p. 168-169

(4) الكامل في التاريخ: 342/2، الرسل والملوك 242/3.

فلماذا ارتدت العرب؟ ولماذا تضرمت الأرض ناراً؟ وهل ارتدت ثقيف - وقد تأخر إسلامها- مثلما ارتد غيرها؟ برصد حالة المجتمع العربي وموقفه من الإسلام - على الرغم من إسلام هذا المجتمع كله تقريباً - نجد أن أفراده تفاوتوا تفاوتاً كبيراً في درجات الإيمان، وفي مستويات تقبلهم للإسلام، وربما يعود هذا إلى عاملين أساسيين:

أولهما: عدم تمكن العقيدة من قلوبهم، وتشرب تعاليم الإسلام في نفوسهم.

وثانيهما: ضعف تأثرهم بشخص رسول الله وارتباطهم به[1]. وهذان العاملان يتوقفان على القرب أو البعد عن مركز الدولة في المدينة، والاتصال المستمر بشخص الرسول ﷺ، لاسيما أن وسائل اتصال القبائل معه لم تكن مباشرة أو متيسرة[2].

كان الإسلام بتعاليمه ومفاهيمه الجديدة قد أحدث هزة عنيفة في جميع أركان المجتمع الجاهلي، فإن الناس أصناف وأجناس في تقبل هذه التعاليم والقيم الأخلاقية أو الاجتماعية أو الدينية كل حسب تفهمه لها ومصلحته منها[3].

فالرعيل الأول الذين قال عنهم الله تعالى في كتابه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[4] هؤلاء كان إيمانهم بالله صادقاً، وبذلهم لله خالصاً، وثباتهم في الدين راسخاً، وقبولهم لأمر الله وأمر رسوله نافذاً. ثم هناك صنف ثان دخلوا الإسلام قسراً مرغمين حين وجدوا الإسلام قويّاً مهيباً، وانهزمت جيوشهم أمام قوته وصولته؛ مثل أهل مكة وهوازن وثقيف، فما كان لهم إلا أن يقبلوا بالدخول، وقد حكى الله تعالى عن هذين الصنفين وبذلهما فقال جل شأنه: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[5].

---

(1) إلى هذا أشار الباحث عبد الجبار منسي العبيدي في دراسته: الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية: 182.

(2) دور الحجاز: 138.

(3) التاريخ الإسلامي 277/1.

(4) التوبة: 100.

(5) الحديد: 10.

وهناك صنف ثالث؛ وهم طائفة التجار وأصحاب المال والأعمال والمصالح، الذين يحبون أن تكون حياتهم مغنماً لا مغرماً، ويفوزوا بالحسنيين، وينتفعوا بالميزتين: التجارة وسلطة الدين، فقد تعجبوا من سرعة انتشار الإسلام، وما عليهم حتى تنمو تجارتهم في ظل أوضاع مستقرة في الدولة إلا أن يعتنقوا الإسلام، ويقوموا بعبادات وفرائض بسيطة: من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وقد تمثل هذا الصنف في أهل اليمن واليمامة وعمان(1).

هكذا دخلت القبائل في الإسلام تحت ظروف متعددة، ومصالح متباينة، وأهداف مختلفة، بل إن منهم من أسلم قبل وفاة رسول الله بسنة أو سنتين، ومنهم من أسلم تبعاً لزعماء القبيلة الذين دخلوا في الإسلام حين وفدوا على رسول الله، ولم يتغلغل الدين في حياتهم، ولم يتأصل في قلوبهم تأصل العادات، وتأكد العصبيات القبلية، وترسخ مفاهيم الولاء للعشيرة والقبيلة في نفوسهم.

وظهرت بوادر الردة في أواخر حياته ﷺ على يد الأسود العنسي في اليمن، ولقيط بن مالك في عمان، ولم تظهر واضحة إلا بعد وفاته ﷺ، لاسيما بعد تولية أبي بكر الصديق، وحينئذٍ بدت في وجوه متعددة: فمن العرب من ارتد ارتداداً كلياً لافتتانهم بشخصية رسول الله، وقالوا: إنه لو كان نبياً لما مات، وإن النبوة انقضت بموته، فلا طاعة لأحد بعده. ومنهم من ادعى النبوة أملاً في الحصول على ما حصل عليه النبي من مجد في نظرهم، والتفَّتْ حولهم قبائلُهُم، فالتفَّتِ اليمن حول الأسود العنسي، وبنو حنيفة باليمامة حول مسيلمة، وبنو أسد حول طليحة بن خويلد. ومنهم من امتنع عن أداء الزكاة فقط، وعَدَّها ضريبة عليه كان يدفعها إلى محمد، لكن أبا بكر اعتبرها كلها ردَّة، فبدأ بحربهم جميعاً.

لحركة الردة أسباب أخرى تضاف إلى السببين الأساسيين اللذين هما: عدم تمكن العقيدة من قلوبهم بسبب تأخر إسلامهم، وضعف تأثرهم بشخص رسول الله وارتباطهم به. ويمكن إجمال الأسباب الأخرى فيما يأتي:

الأسباب السياسية: وتتمثل في العصبية القبلية التي ما زالت تعيش في ذاكرة القبائل

(1) انظر: سيرة ابن هشام: 450/4.

المتأخرة عن الإسلام مستنكفة أن تكون ذيلاً وتبعاً لقريش، تاركة لها أمر الانفراد بالخلافة والاستئثار برياسة العرب جميعاً[1]. ومن هنا التفت كل قبيلة حول مدعي النبوة فيها. فقال طلحة النمري عن مسيلمة: «أشهد أنك الكاذب، وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر»[2]، وقال عيينة بن حصن عن طليحة بن خويلد في بني أسد بنجد: «والله لأن نتبع نبياً من الحليفين؛ أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش، وقد مات محمد وبقي طليحة. فطابقوه على رأيه، ففعل وفعلوا»[3].

واعتقد هؤلاء وأمثالهم أن رسول الله لم يصل إلى زعامة العرب إلا بسبب عصبية قريش، فرغبوا في محاكاته، وسوف يجدون التأييد من قبائلهم[4].

هذا؛ ويذكر الباحثون أن هذا العصيان امتد إلى مكة أيضاً، لولا تدخل عتاب بن أسيد– والي مكة– وسهيل بن عمرو ونهيهما عن ذلك[5]. قال سهيل بن عمرو: «إن ذلك – يقصد الارتداد– لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه. ثم قال: والله ليتمن الله هذا الأمر كما قال رسول الله ﷺ»[6]، فكانت كلمته أقوى أثراً في النفوس.

هذه الردة لم تكن ردة عن دين فحسب، بل كانت أيضاً انفصالاً عن الدولة، وارتداداً إلى الجاهلية، ورفضاً لبيعة، وتمرداً على حكم الإسلام، وتمزيقاً لوحدة سياسية، وتنافساً على زعامة تؤججها عصبية قبلية. يذكر الدكتور الشريف: أن الزعماء الذين هزموا وأسروا؛ طلبوا أن لا يطبق عليهم قانون الارتداد، وإنما قانون الاستبراء. قال عيينة بن حصن الفزاري– حين جيء به إلى المدينة أسيراً، وقيل له: أكفرت بعد إيمانك؟–: والله ما كنت آمنت بالله طرفة عين[7].

---

(1) الرسل والملوك: 225/3، 259، 303.

(2) الكامل في التاريخ 438/2.

(3) الرسل والملوك 257/3.

(4) إلى هذا أشار الدكتور عبد الجبار العبيدي في دراسته: الطائف ودور قبيلة ثقيف: 186.

(5) الإصابة: 93/2، 94، 451، 452.

(6) الصديق أبو بكر: 82–83.

(7) دور الحجاز: 145، الرسل والملوك 260/3، الكامل في التاريخ: 348/2.

الأسباب الدينية: امتناع بعض القبائل عن دفع الزكاة، وعدها ضريبة مهينة، وأنها نوع من الصدقة كانت تدفع إلى رسول الله، انتهت بموته فلا داعي للاستمرار في تأديتها، وفهمهم هذا راجع إلى قِلَّة حظهم من العلم الشرعي، وعدم معرفتهم بالإسلام(1).

وفي صحيح البخاري ومسلم :أن مانع الزكاة قد أوعده الله ورسوله بالعذاب المقيم، والعقاب الأليم، دون التصريح بكفره أو ارتداده أو رجوعه عن الإسلام(2).

والردة: هي الاسم من الارتداد، والردة عن الإسلام: الرجوع عنه، وارتد فلان عن دينه؛ أي: كفر بعد إسلامه(3). وبناء على هذا التعريف لم يعد الصحابة مانعي الزكاة فيمن كفروا بعد إسلامهم، وهذا واضح في معارضة عمر لأبي بكر – رضي الله عنهما– في حربه لهم، محتجاً بقول رسول الله ﷺ، لكنه سرعان ما شرح الله صدره لقول أبي بكر، وأن التهاون فيها قد ينقض عرى الإسلام(4).

الأسباب الاجتماعية: تتمثل في عدم تعود العرب الخضوع للنظم الإسلامية والاجتماعية، والمبادئ الأخلاقية كالمساواة وغيرها. يذكر ابن الأثير محاورة عمرو بن العاص لقرة بن هبيرة فيقول: «قال قرة لعمرو: يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة، فإن أعفيتموها من أخذ أموالها؛ فتسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم»(5).

هذا مجمل أسباب الردة، فأين تقف ثقيف من هذه الأحداث؟

لم يعتنق أحد من الثقفيين الإسلام قبل صلح الحديبية إلا رجالاً معدودين، ووقفت ثقيف من الإسلام قبل الفتح وبعده موقفاً عدائياً متشدداً، ولم تعتنق الإسلام عمداً، بل بعد حصار اقتصادي، حَوَّلَ كفايةَ مدينتهم جوعاً واستجداءً.

لم تسلم ثقيف إلا متأخرة في العام التاسع للهجرة، وبعد وفاة رسول الله هبت عاصفة

(1) دور الحجاز: 146.
(2) صحيح البخاري: 132/2، صحيح مسلم: 62/1.
(3) لسان العرب: (ردد).
(4) انظر تفصيل ذلك في صحيح البخاري 132/2.
(5) الكامل في التاريخ: 439/2.

الردة مطوقةً الثقفيين من فَوْقِهِم حيث هوازن وسُلَيم، ومن أسفل منهم حيث مُلْكُ الأسودِ العنسي المرتد من اليمن إلى الطائف[1]، وهمَّ رجالات ثقيف بالارتداد، ولكنْ قيض الله للثقفيين أسباباً كانت من عوامل ثباتهم على الدين، فضلاً عن أنها جعلت منهم رأس حربة في القضاء على فتنة الردة، ووَأْدِها وإخماد جذوتها.

فقد وقف عثمان بن أبي العاص– والي الطائف، وهو من بني مالك– محذِّراً ومذكِّراً وقائلاً لهم: «كنتم آخر الناس إسلاماً، فلا تكونوا أولهم ارتداداً»[2]، ثم طالبهم بالمحافظة على أواصر القربى والنسب بينهم وبين أهل مكة، وذكرهم بموقف رسول الله ﷺ منهم، ومسامحته وحسن معاملته لهم، وعفوه عنهم، فتغيرت أفكار القوم، فثبتوا على الإسلام وتمسكوا به.

«ولعل قيام أبي بكر بالخلافة، ونهوض أهل (يثرب) والمدينة والصحابة جانبه؛ كان له الأثر في حسم موقف ثقيف مثلما كان له في مكة»[3]، فقد تشابهت المدينتان في ظروف الحياة المختلفة. يضاف إلى ذلك «أن الثقفيين أدركوا تماماً أن الالتزام بالإسلام والثبات عليه سيمنحهم مستقبلاً جيداً في مدينتهم، حيث سينعمون بالأمن والطمأنينة وعدم الدخول ثانية في حرب خسروها من قبل، ويمنحهم السلطان والمجد، وهم التجار الأذكياء»[4].

وإذا راجع الباحث تاريخ ثقيف؛ يجد أن العقلية الثقفية كانت دائماً تنظر إلى مصلحتها، فلا تُقْدِمُ على عمل حتى تتأكد منه وتضمن فيه مصلحتها أولاً، ولهذا اتصفت القبيلة بقوة الرأي وحسن تقدير الأمور، فصار يضرب بها المثل، يذكر ابن سعد أنه قيل في حق ثقيف: «لا رَأْيَ إلا لثقيف، ثبتوا أولاً في رأيهم، فلما تحققوا من الإسلام ودخلوا فيه ثبتوا عليه»[5]، وقال فيهم كذلك: «لا أعلم قوماً من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلاماً منهم»[6].

---

(1) تاريخ الطبري: 230/3، الكامل 440/2.

(2) الإصابة: 460/2.

(3) الصديق أبو بكر: 39.

(4) مدينة الطائف: 3 وما بعدها.

(5) طبقات ابن سعد: 53/2.

(6) طبقات ابن سعد: 53/2.

لقد اختاروا لأنفسهم عز الدنيا وسعادة الآخرة، بثباتهم على الإسلام، وباشتراكهم في القضاء على حركة الردة في جميع أنحاء الجزيرة، وبموقفهم هذا جعلوا من مدينتهم قلعة من قلاع الدولة الإسلامية، اعتمد عليها الصديق في حربه ضد المرتدين، مثلها في ذلك مثل مكة والمدينة، وقاعدة من قواعد الجند الإسلامي تمدهم بالرجال والسلاح والمال، فحين كتب عثمان بن أبي العاص الثقفي – والي الطائف– كتاباً إلى أبي بكر يخبره فيه بثبات قومه على الإسلام؛ كان لهذا الكتاب أثره وصداه في رفع الروح المعنوية للمسلمين.

هكذا كان موقف ثقيف، لذا استعملهم الصديق ﵁، فكانوا عوناً له في جهاده ضد كل الجبهات المفتئتة على الدين، والخارجة عن سلطان الدولة، وأمر أبو بكر عثمان بن أبي العاص بمحاربة المرتدين بمن ثبت على الدين من قومه وسكان الطائف، فبعث عثمان بعثاً إلى (شنوءة)، وقد تجمعت فيها جموع المرتدين من الأزد وبجيلة وخَثْعَم، يقودهم حُمَيْضَةُ ابن النعمان، وعلى أهل الطائف عثمان بن أبي ربيعة، والتقى الجمعان، وبعد قتال عنيف هزمت جموع المرتدين، وتفرقت عن حميضة بعد أن هرب من المعركة[1]، فقال عثمان ابن أبي ربيعة في ذلك شعراً:

فضضنا جمعَهُمْ والنقعُ كائِنْ وقد يُعْدِي على الغدر العقوقُ

وأبارق بارق لما التقينا فعادت خلَّباً تلك البروقُ[2]

واستعان بهم الصديق ﵁ في ردة اليمن الثانية، فاشتركت القبيلة في جيش المهاجر ابن أبي أمية، الذي خرج من المدينة المنورة بتكليف من الخليفة لمحاربة ردة خثعم في اليمن، فمرَّ بمكة والطائف، ولديه كتاب من الخليفة أبي بكر إلى عثمان بن أبي العاص، يأمره بإمداد جيش المهاجر برجال الطائف ومخاليفها حسب المقدرة، ففرض عثمان على كل مخلاف عشرين رجلاً بقيادة أخيه عبد الرحمن بن أبي العاص؛ لثقته به. وبانضمام رجال الطائف ومكة ونجران وبقية القبائل الأخرى؛ استطاع هذا التجمع الإسلامي هزيمة

---

(1) الرسل والملوك 319/3، 320، تاريخ ابن خلدون: 277/2، الكامل في التاريخ: 440/2.
(2) الرسل والملوك 320/3.

المرتدين، فقضى عليهم وعلى فتنتهم(1).

وفي ردة حضرموت وكندة: ساهمت ثقيف بقائدها المغيرة بن شعبة الذي وجهه أبو بكر ﷺ، وأمره بمساعدة المهاجر بن أبي أمية في القضاء على المرتدين وقتلهم جميعاً إن لم ينقادوا لأمر الله، وكان المهاجر قد شدد الحصار على المرتدين من جماعة الأشعث بن قيس في حصن النُّجَيْر حتى استسلموا، وأخذوا مع الأشعث أسرى إلى الخليفة، وساعتها هزمت كندة وردّتها(2).

واستعان بهم الصديق في إخماد نار الفتنة في البحرين، فاستشهد من الثقفيين حبيب ابن أسيد بن جارية الثقفي في اليمامة(3)، وكذلك أخوه حيي بن جارية الثقفي وأبو صفية المهاجر وغيرهم(4).

ومن شخصيات ثقيف البارزة التي حاربت المرتدين: مالك بن عمرو الثقفي، الذي بعثه أبو بكر ﷺ إلى مسيلمة الكذاب لنصحه وإقناعه بالعدول عن الردة، فخطب في قوم مسيلمة خطبة بليغة، دعاه وقومه إلى الرجوع إلى الله، ونبذ الشرك والوثنية والردة، وهذا ما أغضب مسيلمة غضباً شديداً، فَهَمَّ بقتله، فهرب ولم يتمكن مسيلمة منه(5).

هؤلاء هم بنو ثقيف الذين «ثبتوا أولاً في رأيهم، فلما تحققوا من الإسلام، ودخلوا فيه؛ ثبتوا عليه» فلم يرتدوا، ولم ينقضوا الأيمان بعد توكيدها، ولم ينكثوا عهدهم مع رسول الله، بل سَعَوْا فرادى وجماعات لتمكين الإسلام، ودعم الخليفة، وتثبيت دعائم الدولة، واشتركوا في القضاء على الردة، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من بقي في الميدان يقاتل في هذه المحنة العصيبة، والفتنة المدلهمة التي عصفت بالأمة.. فهل كان النبي محقّاً حين صبر عليهم، وفك حصاره عنهم، ولم يقاتلهم؟ لقد غضب المسلمون وأيسوا من منعة ثقيف، فقالوا عند منصرفهم من حصار ثقيف: ادع على ثقيف يا رسول الله. فرد عليهم بنبرة هادئة

(1) الرسل والملوك 3/329–330، الكامل في التاريخ: 2/377.
(2) الرسل والملوك 3/337، الأغاني: 16/55.
(3) الإصابة: 1/304.
(4) الاشتقاق: 302.
(5) الإصابة: 3/350.

واثقة: اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم.

لعله رأى فيهم ما قاله ﷺ لصحابته: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام؛ إذا فقهوا»، فهل أطلع الله نبيه على الغيب، وكشف أمامه الحجب، فرأى ثبات ثقيف على الإسلام في وقت أضرمت الأرض فيه ناراً، فتساهل معهم في معاهدة الصلح؟

لعلنا نستطيع هنا أن ندرك السر وراء جملة تلك الامتيازات العظيمة التي منحها لهم رسول الله، فهل كانوا جديرين بها؟

لقد برهنت ثقيف أنها خليقة بها، فأتاحت بموقفها هذا طريقاً لاحباً يؤهلها لتولي أدوار قيادية بارزة على مسرح الحياة السياسية، من عصر الراشدين حتى نهاية عصر الأمويين.

حركة الفتوحات الإسلامية:

انتهت حروب الردة بنصر المسلمين، ودحر المرتدين، وظلت روح الجهاد متقدة جذوتها، مشتعلة جمرتها في نفوس الجماعة المسلمة، وهذا ما جعلهم يحملون أرواحهم على أكفهم لإعلاء كلمة الحق، والجهاد في سبيل العقيدة الإسلامية[1]، والعمل على تبليغ الدعوة لمن لم تبلغ عنهم[2]، وبجانبهم من ثبت على دينه وحارب من أجله؛ مثل ثقيف ورجالها وغيرهم[3].

وانطلقت حركة الفتوحات الإسلامية التي بدأها محمد ﷺ، ليستأنف مسيرتها من بعده أبو بكر رضي الله عنه، الذي ما كان له أن يترك الجذوة حتى تنطفئ، فاستغل هذه العاطفة المتأججة وهذا الإيمان الصادق في نشر الإسلام خارج أرضه.

وحركة الفتوح الإسلامية ظاهرة تاريخية كغيرها من الحركات التي شهدتها الشعوب

---

(1) الطائف ودور قبيلة ثقيف: 197.

(2) الحياة السياسية: 33.

(3) الدولة العربية: 230.

قديماً وحديثاً، بعد توحدها أو نهضتها وإصلاح أمرها[1]، وقد ذهب مؤرخون وباحثون ومستشرقون إلى تحديد بواعث هذه الحركة وتفسير دوافعها والبناء عليها. ما بين قائل إنها نشأت لأجل عوامل اقتصادية، تمثلت في رغبة العرب في التمتع بخيرات البلدان المجاورة[2]، ورأي آخر بأنها كانت حلاً وتنفيساً لمشكلات العرب الداخلية والاقتصادية والسياسية، توجيه طاقتهم لمصلحة الدعوة الإسلامية، فالعرب مطبوعون على حب القتال، ولو بقوا على هذه القوة العسكرية التي نجمت عن حروب الردة؛ لأفنى بعضهم بعضاً[3].

ومن المؤرخين من يعزو الفتوحات إلى رغبة صادقة من المسلمين في نشر الإسلام؛ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[4]، وقول عمر رضي الله عنه: «إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك.. سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها»[5].

بدأت حركة الفتوحات ولم تكن حروب الردة قد انتهت بعد، واشترك الثقفيون فيها، وساهموا مساهمة عظيمة في نشر الإسلام، ففي السنة الثالثة عشرة اشتركوا مع أهل المدينة ومكة وبقية المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية، وساهموا مع جيوش أبي عبيدة وعمرو بن العاص[6] في معركة اليرموك، التي اشترك المغيرة بن شعبة فيها وأصيبت عينه[7].

واستعمل عبد الله بن مسعود بن معتب الثقفي على قيادة أحد الكراديس الحربية التي اشتركت في المعركة، وأغلب جنوده كانوا من أفراد قبيلته[8]. يذكر الطبري وابن الأثير أن عبد الله بن مسعود الثقفي كان على الأقباض؛ أي: على ما جمع من الغنائم[9].

---

(1) دور الحجاز: 161.

(2) دور الحجاز: 168؛ نقلاً عن برنارد: العرب في التاريخ: 75.

(3) الدولة العربية: 23.

(4) التوبة: 33، والصف: 9.

(5) الرسل والملوك 445/3.

(6) فتوح الشام: 8، 10، 24.

(7) طبقات ابن سعد: 284/1-286.

(8) البداية والنهاية: 8/7.

(9) الرسل والملوك 397/3، الكامل في التاريخ: 412/2.

واستشهد نافع بن غيلان الثقفي في دومة الجندل مع من شهدها من ثقيف، وقد بكاه والده وجزع عليه[1]، وتوفى عامر بن غيلان في طاعون عمواس، وكان هو وأخوه عمار قد التحقا بجيش خالد المتجه إلى الشام، وكان فارس ثقيف يومئذ، وقد رثاه أبوه غيلان[2]، وكان عثمان بن أبي العاص البشير لأبي بكر بوقعة أجنادين[3].

واشترك الثقفيون في فتح فلسطين، فدخلوها مع عبد الله بن عمر بن الخطاب[4]، وشهد بعضهم فتح مصر، وكانوا من أهل الراية[5] الذين سكنوا الفسطاط، وكان لثقيف ركن في الجانب الشرقي من مسجد عمرو بالفسطاط، وكان حبيب بن أوس سيد ثقيف في جيش عمرو، وعليه نزل يوسف بن الحكم وابنه الحجاج أثناء قدومهما مع مروان بن الحكم إلى مصر. وسميت دار ثقيف بدار أبي عرابة[6].

واشتركت ثقيف في فتوح العراق، حتى لَيُنْسَبُ إليهم الفضل في فتح بعض أقاليمه، وكان أبو عبيد بن مسعود الثقفي أول من انتدبه الخليفة عمر بن الخطاب للحرب، بعد أن دعا عمر لهذه الحرب في رابع يوم من خلافته سنة 13هـ، ثم تتابع الناس حتى اجتمعوا ألف رجل من المدينة وما حولها، أكثرهم من ثقيف، وخرج أبو عبيد مع أهله في هذا الجمع من المسلمين، فهزموا الفرس في صحراء (ملس)، وغنم كثيراً من الغنائم، واستولى على خزائن (نرس)؛ وهو ابن خالة كسرى، وأخذ من أهلها الجزية.

وبانتصارات أبي عبيد على الفرس غضب رستم - قائد الجيش- فجهز جيشاً، حتى

---

(1) الإصابة: 546/3.

(2) طبقات ابن سعد: 90/3، والإصابة: 255/2.

(3) تاريخ الإسلام: 14/3.

(4) فتوح الشام 10/1.

(5) الراية: محلة عظيمة بالفسطاط بجانب جامع عمرو، وسميت الراية؛ لأنه لما نزل عمرو محاصراً لحصن الفسطاط، وصَحِبَتْهُ قبائلُ كثيرةٌ من العرب، وكان منهم قوم من قريش وثقيف والأنصار وآخرين؛ لم يكن بهم من العدد ما ينفرد بدعوةٍ في الديوان، وكره كل بطن أن يُدْعَى باسم قبيلة غيره، فجعل لهم راية دون أن تنسب إلى أحدهم، فوافقوا جميعاً، وحاربوا تحتها ونزلوا، وسُجّلوا في الديوان بهذا الاسم، انظر: معجم البلدان: (الراية) وخطط المقريزي: 5570/1.

(6) القبائل العربية في مصر 110–117، فتوح مصر والمغرب: 153.

كانت معركة الجسر التي قتل فيها أبو عبيد بعد أن داسه الفيل وبرك عليه، ثم قتلت الفيلة سبعة من المحاربين الأشداء وكلهم من ثقيف، وهم القادة الذين أوصى بهم أبو عبيد قبيل وفاته، حتى أخذ الراية المثنى بن حارثة وانسحب بالناس[1]. ثم قطع عبد الله بن مرثد الثقفي الجسر على المسلمين قائلاً: أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا[2].

لقد كان لقطع الجسر أثر في موت الكثير من المسلمين غرقاً في نهر الفرات، وكان من الذين أبلوا في المعركة بلاء حسناً أبو محجن الثقفي، الذي هاجم الفيلة، وضرب أحدهم حتى قطع رجله، وكان رضي الله عنه لا يهاب الموت في سبيل الله[3].

أما من قتل من ثقيف يوم الجسر فمنهم: أبو عبيد بن مسعود، وحبيب بن ربيعة بن عمر الثقفي، والحكم بن مسعود أخو أبو عبيد، وابنه جبر بن الحكم، وأوس بن أوس بن عتيك الثقفي وأخوه ثابت، واستمات الثقفيون حتى استشهد منهم عدد كبير بلغ الثلاثمئة مقاتل في المعركة[4].

وشهد الثقفيون فتح الأُبُلَّة مع عتبة بن غزوان سنة أربع عشرة، وكان فيهم أبو بكرة الثقفي، ونافع بن الحارث، والمغيرة بن شعبة، وربيعة بن كلدة بن أبي الصلت الثقفي، وقتلوا من العدو عدداً كبيراً، وبعث نافع إلى الخليفة يعلمه بالفتح ويبشره بالانتصار. وتولى زياد ابن أبيه الثقفي توزيع الغنائم وهو ابن أربع عشرة سنة؛ لمعرفته بالقراءة والحساب، في مقابل درهمين عن كل يوم يعمل فيه[5].

وبعد وفاة عتبة بن غزوان استعمل عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة على البصرة، فبقي فيها سنتين[6]، واستعمله سعد بن أبي وقاص مفاوضاً بينه وبين الفرس قبل معركة القادسية؛

(1) الكامل في التاريخ: 438/2 – 439.
(2) الكامل في التاريخ: 439/2، الرسل والملوك 454/3 – 457.
(3) البلاذري، فتوح البلدان 308/3 – 309.
(4) الرسل والملوك 454/3 وما بعدها، الكامل في التاريخ: 439/2–440، البداية والنهاية: 28/7–50. كانت موقعة الجسر يوم السبت في آخر شهر رمضان سنة ثلاث عشرة للهجرة، انظر: البلاذري، فتوح البلدان 309.
(5) كان فتح الأبلة في رجب أو شعبان سنة أربع عشرة للهجرة، انظر: الرسل والملوك 590/3، والكامل في التاريخ: 485/2، وابن حزم، الجمهرة 260.
(6) الرسل والملوك 597/3.

لقوة شخصيته وجرأته، وقدرته على المناقشة، وكان أهلاً لهذه المهمة. وساهم المغيرة في فتوح المشرق مع النعمان بن المقرن، فاشترك في معركة نهاوند سنة 20هـ، وفي فتح أذربيجان سنة 20هـ، وفتح همدان سنة 23هـ(1).

لم تكن المرأة الثقفية بمنأى عن المشاركة في هذه الفتوحات، وإنما وقفت بجانب الرجل، فقد أوهمت أزدة بنت الحارث بن كلدة الثقفي– ونساء أخريات من ثقيف– العدو بأن جيشاً كبيراً ومدداً طويلاً من المسلمين مقبل عليهم، فجعلن من خمرهن رايات، حتى دب الوهن في صفوف العدو، فأعمل المسلمون فيهم قتلاً، حتى انتصروا على أهل ميسان(2).

وشارك أبو محجن في حرب القادسية، وكان مقيداً يشرف على المعركة من سجنه في قصر سعد لشربه الخمر، فعز عليه أن يرى تراجع المسلمين دون أن يشارك، فطلب من امرأة سعد أن تفك قيده، وعليه عهد الله أن يرجع إلى قيده بعد المعركة إن بقي حياً، فأطلقت سراحه وأعطته فرس سعد، فشد على الأعداء حتى كان النصر حليف المسلمين، قال أبو محجن في ذلك:

كفى حَزَناً أن تَرْتَدِي الخيلُ بالقَنَا وأُتْـرَكَ مشدوداً علي وثَاقِيَا

إذا قُمْتُ عَنَّاني الحديدُ وأُغْلِقَتْ مَصَارِعُ دوني لا تجيبُ المنادِيَا

وبعد القتال عاد أبو محجن إلى سجنه، وعلم سعد فأطلقه لشجاعته وإخلاصه(3).

وكان عثمان بن أبي العاص الثقفي والياً على الطائف في عهد النبي ﷺ، ثم أضيفت إليه ولاية البحرين وعمان في عهد عمر، وساهم في فتح الجزيرة وأرمينية(4) وأخذ من أهلها الجزية سنة 23هـ، وساهم في فتح فارس، ونزل (توج) ففتحها وبنى فيها المساجد، وجعلها داراً للمسلمين، وأسكن فيها بني عبد القيس سنة 13هـ، وساهم في فتح كازون والنوبندجان

(1) البلاذري، فتوح البلدان 371، 380، 400.

(2) البلاذري، فتح البلدان 421، وقسم الشعر في العصر الإسلامي من الدراسة.

(3) الرسل والملوك 575/3.

(4) الرسل والملوك 54/4، وابن كثير البداية والنهاية 76/7.

من أعمال سابور، وفتح سابور سنة 23هـ، وساهم أخوه الحكم بن أبي العاص في عدة فتوحات[1].

وفي فتح طبرستان سنة 30هـ استشهد في معركتها محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، واشترك عبد الله بن عقيل الثقفي في فتح خراسان، وكان جبير بن حية بن مسعود الثقفي ابن عم المغيرة ممن اشترك مع المسلمين، وكان معلماً للقرآن، ثم كاتباً في الديوان في عهد عمر، ثم ولي أصبهان في عهد زياد بن أبيه[2].

ولم يؤخذ على ثقيف في الفتوحات إلا ما أورده ابن كثير في رواية له منقولة عمن شهد حرب القادسية أن رجلاً من ثقيف ارتد عن الإسلام ولحق بالفرس، وأخبرهم بمواطن ضعف المسلمين، خاصة على الجناح الذي اشتركت فيه قبيلة بجيلة في الحرب؛ بهدف تثبيط عزائمهم وإلحاق الهزيمة بهم[3].

لكن هذه الرواية قد تكون مثل سابقاتها التي وضعت على ثقيف للنيل منهم، والتشهير بهم؛ بغضاً للحجاج وزياد بن أبيه[4]، على أن خروج رجل وخيانته لا يعني خيانة القبيلة كلها.

وعلى أي حال فإن القبيلة قد ساهمت أفراداً وجماعات في الفتوحات الإسلامية، وشاركت مشاركة مهمة فيها.

وقد أسهم الثقفيون في إدارة الأمصار، وذلك لمعرفتهم بالناحية الحضارية، حيث اتصلوا بالعالم الخارجي عن طريق التجارة، واطلعوا على أحوال البلاد الأخرى وحضارتها، واقتبسوا منها ما يمكن اقتباسه من الفرس والروم.

وكان منهم الولاة، فمن الولاة الثقفيين: عثمان بن أبي العاص الثقفي الذي ولي الطائف

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان: 477.

(2) الإصابة: 225/1.

(3) البداية والنهاية: 45/7.

(4) جواد علي، العرب قبل الإسلام 210/4.

ثم البحرين وعمان[1]، ثم ولّى أخاه الحكم على إمارة البحرين عند توجهه إلى البصرة بأمر عمر بن الخطاب، وفي عهد عثمان بن عفان أُخِذَت داره بالمدينة وأُعطِي بدلاً منها أرضاً بالبصرة؛ وهي المعروفة بشط عثمان، ومات فيها[2]، وإليه ينسب باب عثمان بالبصرة.

وكان عمر ﷺ يحسن اختيار ولاته على أساس من الخبرة والكفاءة والمقدرة، فمن ولاته الثقفيين: سفيان بن عبد الله الثقفي على الطائف، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى البحرين وما والاها عثمان بن أبي العاص[3]. وقد ساهموا مساهمة كبيرة في إدارة مظاهر النشاط المختلفة في تلك الولايات.

فكان المغيرة بن شعبة أول من ساهم في وضع ديوان في البصرة[4]، وفي عهد عثمان ابن عفان عين المغيرة والياً على أرمينية وأذربيجان، ثم عين بعده القاسم الثقفي[5]، ثم ولي الكوفة وظل بها حتى مات سنة 41هـ. وولي السائب بن الأقرع الثقفي أصبهان وما حولها سنة 24هـ[6]، واشترك في إدارة البصرة كل من نافع بن الحارث الثقفي وأبو بكرة الثقفي، وشجعا على الزراعة، وأعلما الناس بخصب أرضها وضرورة استغلالها[7]، وكانت لهما أموال وإقطاعات فيها، فكان لنافع الثقفي أول دار بنيت بالبصرة، وكان هو أول من اقتنى إِبلاً فيها، ثم بنيت دار المغيرة بن شعبة، واشترك ربيعة بن أبي الصلت في تخطيط البصرة، وكان لزهير بن عثمان الثقفي الصحابي دار بالبصرة[8].

كما مارس الثقفيون أعمالاً وأنشطة أخرى كبناء الحمامات الشعبية وإدارتها، فكان هناك حمام لعبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، وحمام لمولى زياد بن أبيه، وحمام لمسلم بن أبي بكرة، وكانت الكوفة مجالاً رحباً أيضاً لهم لممارسة أنشطة كالتجارة،

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان 99 – 100.

(2) الإصابة: 345/1.

(3) أحمد الشريف، دور الحجاز 259 – 260.

(4) البلاذري، فتوح البلدان 314.

(5) البلاذري، فتوح البلدان 241.

(6) الرسل والملوك 141/4، 422.

(7) البلاذري، فتح البلدان: 421 وما بعدها.

(8) البلاذري، فتح البلدان: 421 وما بعدها.

والزراعة؛ مثل الحجاج بن عتيك الثقفي، وقد تشابهت هذه الأعمال في مدن ومناطق متعددة؛ كالأهواز وغيرها[1].

11- الثقفيون في العصر الأموي:

كان من آثار النزاع بين الإمام علي ومعاوية: أن تكونت عدة قوى برزت على مسرح الحياة السياسية، فنشأت أحزاب وجماعات صنعت الأحداث، وغيرت مجرى التاريخ.

وقد أدى تولي معاوية الخلافة، ووصول الأمويين إلى الحكم؛ إلى ظهور قوى معارضة لمعاوية وخلافته.

وكان معاوية يعرف حقيقة موقف المسلمين جميعاً من خلافته، فلم يكن الأمر خافياً عليه، وقد تمثلت المعارضة له في جبهتين:

الحجاز حيث الصحابة من المهاجرين والأنصار في جانب، متخذة من المعارضة السلمية سبيلاً لها، وأن الأمر لا يعدو أن يكون خلافاً في الطريقة والأسلوب.

رجال القبائل الجبهة الثانية التي تتخذ من العنف والقوة سبيلاً للتعبير عن آراء مذهبية ومواقف سياسية، متمثلة في حزبي الشيعة والخوارج، وظل العراق هكذا منبعاً للفتن ومنشأً للخلافات، ومركزاً لمعارضة الأمويين على طول خلافتهم[2].

ولم يجد معاوية ما يمنع من الاستعانة ببني أمية على الرغم من علمه بحسد بعضهم له؛ وخاصة المروانيين[3]، فاستعملهم في ولايات استقرت فيها الأمور وليس فيها قلاقل مثل بلاد الحجاز، ولكنه ما كان يمكنهم من دولته، بل يضعهم تحت رقابته، ويبادر إلى عزلهم بعد مدة وجيزة. وكان إذا أراد اختبار أحدهم ولاه الطائف أولاً، فإن أعجبه ولاه مكة، فإن أعجبه ولاه المدينة.

(1) البلاذري، فتح البلدان: 340.

(2) فلهوزن، الدولة العربية: 130.

(3) فلهوزن، الدولة العربية: 129-130.

مما هو جدير بالذكر في أمر ولاية الطائف: أنه طوال خلافة معاوية– وأيضاً الخلافة الأموية كلها– كان والي مكة هو والي الطائف، وهذا يدل على أنه ما كان هناك خطر يخشى من الثقفيين أو الطائف، لذا جعل منهم معاوية سنداً له وعوناً، وقوة يعتمد عليها، إلى جانب بني كلب في الشام[1]، لكن الثقفيين كانوا الأقدر والأفضل والأذكى في أن يكونوا قوة للأمويين.

فالعلاقات الاجتماعية والسياسية والتجارية التي ربطت بينهم (أمويين وثقفيين)؛ ارتفعت إلى مستوى الإخوة الأشقاء[2]، فكانوا كالأسرة الواحدة، بدءاً بالأحلاف السياسية السابقة، ومروراً باختيار أبي سفيان ليكون مع المغيرة في هدم اللات، وامتلاك الأمويين أراضيَ بالطائف يشاركهم فيها الثقفيون بزراعتها، ويشاطرونهم غلاتها[3].

وكانت إقطاعات بني أمية كثيرة؛ منها إقطاع ابني ربيعة الذي التجأ إليه النبيﷺ حين زيارته للطائف، وما استبدله عثمان بن عفان من أراضٍ بأخرى في الطائف، وما كان لأبي سفيان فيها من أملاك، وما لمعاوية من إقطاعات فيها[4]، ثم إن الطائف كانت الملجأ الذي لجأ إليه الحكم بن أبي العاص حين طرده الرسول ﷺ من المدينة[5].

وربطت علاقات النسب والمصاهرة بين الطرفين، حتى أطلق المعاصرون على أبي سفيان (خال الثقفيين)[6].

وكان للناحية السياسية أثرٌ في تدعيم تلك الصلات، وفي اعتماد الأمويين على الثقفيين، إذ إن القبيلة لم تشترك في الفتن، ولم تتأثر بالعصبيات القبلية، بل تجنبت الدخول في أي نزاع.

لقد ارتأى الثقفيون في وصول معاوية إلى الخلافة وفي التقارب معه فرصة لتوطيد

---

(1) الخربوطلي، تاريخ العراق: 49.

(2) Lammens: op. cit., p. 164

(3) الأموال: 177.

(4) فلهوزن، الدولة العربية: 107.

(5) ابن عبد البر، الاستيعاب: 356.

(6) فلهوزن، الدولة العربية، والإصابة 2/399.

صلتهم بالأمويين، لاسيما بعد موقعة صفين التي تجنبوها، وأنهم بهذا التقارب سيعلو شأنهم في الحياة السياسية في الدولة الإسلامية اليوم، مثلما ارتفع شأن المهاجرين والأنصار من قبل[1]، وهم طامحون للوصول إلى المراكز العليا، ولن يحدث هذا إلا بالتحالف والولاء للخليفة الجديد، لكنهم كانوا حذرين حتى لا يغضبوا الآخرين من الصحابة، وبني هاشم، والشيعة، والخوارج.

رأى معاوية في التقارب مع الثقفيين من الأسباب ما يجعله حريصاً على التحالف معهم، فهم الذين ثبتوا على الإسلام فلم يرتدوا، وهم الذين لم يعارضوا خلافة أبي بكر، وهذا اعتراف ضمني لقريش بالرئاسة، وهم الذين رحبوا بخلافة عثمان بن عفان، وهم الذين تجنبوا الفتن واعتزلوها، فلم يلطخوا أياديهم بالدماء.

هذا الحياد من جانبهم أغرى معاوية بالاستعانة بهم، ولاسيما أنه الأقدر على فهم الشخصية الثقفية، والألطف[2] في معاملة الناس؛ فمن باب أولى أن يتلطف لأصهاره الثقفيين[3].

ثم إن عدم ترابط الأحلاف وبني مالك فيما بينهم، وقلة عددهم بحيث إنهم لا يعدّون خطراً؛ كان دافعاً آخر لمعاوية ليختار رجاله من ثقيف، ولكن ليس من ثقيف كلها، بل من الأحلاف حلفاء بني أمية في الجاهلية، الذين لهم صلات وروابط بينه وبينهم، خلافاً لبني مالك الذين كانوا حلفاء قيس عيلان، فأدرك معاوية أنه إن عَيَّنَهُم فلربما يكونون سبباً في الثورة عليه[4].

هكذا استعان معاوية بالثقفيين، وعلى هذه السياسة التي رسمها معاوية في تقريب الثقفيين والاستعانة بهم سار الخلفاء الأمويون من بعده، واستمر الأمويون كذلك في شراء أراضٍ بالطائف، فصاروا بذلك عصبية قوية ارتبطت فيها المصالح لكلا الطرفين، وأخلص

(1) Lammens: op. cit. p. 165

(2) فلهوزن، الدولة العربية: 114.

(3) لما وجه معاوية بسر بن أرطأة إلى الحجاز للقضاء على شيعة علي، منعه من التعرض لقيس، فلما أتى بسر الطائف، قالت له ثقيف: «مالك علينا سلطان نحن من قيس»، فتركهم، انظر: الممتع في صنعة الشعر: 272.

(4) انظر: أيام ثقيف في هذه الدراسة.

الثقفيون في الولاء للأمويين، فنالوا بذلك حظوة ومكانة، وتميزوا بثقل سياسي كبير[1]، فكانوا في بعض الأحيان يتولون أكثر من نصف مناصب الولاة في الدولة.

لكل ذلك أصاب الثقفيين ما أصاب الأمويين من الإيذاء والهجاء على أيدي الخلفاء العباسيين، حين أفلت شمس الخلافة الأموية، وبزغت شمس الخلافة العباسية.

وللحديث عن جهود الثقفيين السياسية في قيام الخلافة الأموية؛ تقف بنا الدراسة في هذا الباب عند استعانة الأمويين بالثقفيين في قيام الدولة وبنائها، وحكم ولاياتها، ومعرفة جهود الثقفيين في دعم الخلافة الأموية وتوطيدها عند قيامها، وما اضطلعوا به من جهد كبير في تذليل كثير من العقبات والصعوبات.

وقد تمثلت تلك العقبات في: عدم حصول معاوية على بيعة الأمصار له بالخلافة، وضرورة تهدئة الثائرين، وتضميد جراح المكلومين، بعد مدة الصراع التي حدثت في أواخر خلافة عثمان. وتأمين الجبهة الداخلية في الدولة من أجل التفرغ للجبهة الخارجية؛ لجهاد البيزنطيين الذين استغلوا القلاقل والاضطراب الداخلي، فعاثوا في الأراضي الإسلامية فساداً.

ولا ريب في أن أهم تلك العقبات هو الحصول على مبايعة الأمصار، وقد وجد معاوية في ذلك مشقة بالغة، بسبب صعوبة اعتراف جمهرة المسلمين بخلافته التي أحاطت بها ظروف وملابسات، على أن الموقف قد تأزم لدى معاوية بمبايعة أهل العراق وجند علي للحسن بن علي، وهذا يشير إلى احتمال استئناف القتال من جديد. يضاف إلى ذلك وجود قيادات قوية عنيدة شديدة المراس، ليس من السهل أن تقبل بالدخول في طاعة معاوية؛ مثل: زياد بن أبيه، وقيس بن سعد، وغيرهما.

لكن مثل هذه الصعوبات يمكن أن تتلاشى وتزول بوجود تقارب ثقفي أموي، وتحديداً بوجود رجال ثقفيين أذكياء فيهم عمرو بن غيلان، وفيهم داهية من دواهي العرب ألا وهو مغيرة الرأي؛ المغيرة بن شعبة الثقفي، الذي حفظت له الذاكرة الثقفية إسلامه بين يدي

(1) انظر: قصائد مدح طريح للوليد بن يزيد في هذه الدراسة.

رسول الله عام الخندق، ودفاعه عنه يوم الحديبية، ونزولَ عروة بن مسعود عليه حين أتى رسولَ اللهِ مسلماً، بعد نزوله على أبي بكر، ثم نزولَ وفدِ الأحلاف من ثقيف عليه حين أتوا رسولَ اللهِ مفاوضين ثم مسلمين، ونجاحَهُ في إقناع ثقيف بعدم الخروج في جيش طلحة والزبير وعائشة[1]، بل إن له دوراً كبيراً في تأليب الناس ضد طلحة والزبير.

وحفظ له الأمويون أنه كان البشير لمعاوية بانتهاء التحكيم لصالحه، وأنه مهد لاعتراف المسلمين بخلافة معاوية، بذلك الكتاب الذي افتعله المغيرة على لسان معاوية بأنه قد ولاه إمرة الحج[2]. وقد أشاع الثقفيون خلافة معاوية في أوساط الحجيج، مؤكدين تلك الخلافة في هذا الجمع الغفير من المسلمين.

هذا الدور للثقفيين– ولاسيما للمغيرة– أغرى معاوية بالاستعانة بهم في أمر الحسن ابن علي بن أبي طالب، الذي التف حوله بنو هاشم، والآلاف من الصحابة مهاجرين وأنصاراً، وأبناء القبائل العربية، وبايعوه جميعاً بالخلافة، وعلى ذلك اضطلع الحسن بمهام الخلافة، فعين الولاة، وأَمَّرَ الأمراء، وجَنَّدَ الأجناد، وزاد المقاتلة[3].

لكن الحسن كان يكره القتال، وكان يرى في جنده فتوراً وتقاعساً عن الخروج معه، ولهذا غادر الكوفة إلى المدائن، حيث واليها من قبل أبيه سعد بن مسعود الثقفي[4]، وما كان لمعاوية أن يدع تلك الفرص السانحة له دون استغلالها، فأخذ يشتري بعض جند الحسن، ويصرفهم عنه، ويغريهم بالمال، ثم استغل كره الحسن للقتال، فأرسل له وفداً لمفاوضته في الصلح.

---

(1) قال المغيرة للخارجين مع عائشة وطلحة والزبير: إن كنتم غضبتم على عثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان. وقال لمروان: إن هذين الرجلين يريدان الأمر لأنفسهما. انظر، الإمامة والسياسة 63/1.

(2) استغل المغيرة انشغال الناس في أمر الخلاف بين علي ومعاوية، فافتعل ذلك الكتاب بأن معاوية قد ولاه إمرة المسلمين في أداء شعائر الحج، وبذلك استطاع المغيرة أن يمهد كثيراً لقبول المسلمين بخلافة معاوية دون معارضة، أو في الأقل حدّ منها، انظر تفاصيل ذلك في الرسل والملوك 160/5 وفي سير أعلام النبلاء 20/3.

(3) الخربوطلي، تاريخ العراق: 67.

(4) عندما نزل الحسن بالمدائن أشار المختار بن أبي عبيد الثقفي على عمه بتسليم الحسن إلى معاوية؛ لكسب رضاه، وأملاً في الغنى والسلطة، ولكن عمه وبخه ذاكراً له أنه لا يحق خيانة ابن بنت رسول الله، ولاشك أن هذه الرغبة من المختار شبيهة بتلك التي فعلها المغيرة في إمرة الحج، انظر: الرسل والملوك 161/5.

فعلى من يقع اختيار معاوية؟ لم يجد أفضل من المغيرة بن شعبة الثقفي، وعبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، وعبد الله بن عامر بن كريز، واستطاعوا إرضاء الطرفين، وتحقيق صلح يتنازل الحسن بمقتضاه عن الخلافة لمعاوية(1)، بهذا حصل معاوية على بيعة أهل العراق، وبدخول العراق في طاعة معاوية، وبتنازل الحسن؛ أطلق على عام 42هـ عام الجماعة(2).

هكذا كان دور الثقفيين ودور المغيرة بن شعبة في تثبيت دعائم الدولة الأموية، ولقد استمر هذا الدور للمغيرة يوم أن دفع المغيرة عن معاوية أيضاً خطراً يهدد خلافته، وهو خطر زياد بن أبيه الذي ولاه علي بن أبي طالب فارس، وأقام بإصطخر وتحصن بها بعد مقتل علي، وجمع حوله الأعوان والأجناد، وأراد معاوية استمالته بالترغيب والترهيب(3)، ولكنه أخفق، فخافه معاوية، ولاسيما أن زياداً لمس فيه الناس حسن التنظيم، والإدارة، والقيادة، والشجاعة في شخصيته وفيما عهد إليه من أعمال. يضاف إلى ذلك أن وراءه أهل العراق والحجاز، ويحظى بتأييد من الموالي والشيعة، وهؤلاء جميعاً سيقفون وراء أي رجل يدافع عن آل بيت النبي، فكيف إذا كان هذا الرجل هو زياد بن أمية؟

قدر معاوية كل هذا، وقلق من أمر زياد فقال: «بئس الوطء العجز، داهية العرب، معه الأموال، متحصن بقلاع فارس، يدبر ويربص الحيل، ما يؤمنني أن يطيع لرجل من أهل البيت؛ فإذا هو قد أعاد عليّ الحرب جَذَعة»(4).

قلق معاوية كثيراً من زياد حتى ما كان يبيت ليلته، فقال مرة للمغيرة حين سأله عن سبب

---

(1) أتى الوفدُ الحسنَ وهو بالمدائن نازل في مضاربه، فكانوا يخرجون من عنده ويقولون للناس: إن الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح. فاضطرب العسكر، ولم يشكك الناس في صدق الوفد، فوثبوا بالحسن، فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن فرساً له ومضى في مظلم ساباط، وقد كمن الجرّاح بن سنان الأسدي فجرحه، فنزف الحسن ثم حمل إلى المدائن، ورأى أنه لا قوة له، وأن أصحابه قد افترقوا عنه، فصعد المنبر، وقال: أيها الناس إن الله هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين، انظر: تاريخ اليعقوبي 215/2.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء: 192.

(3) انظر، تاريخ اليعقوبي 218/2.

(4) كان بسر بن أرطأة قد قبض على أولاد زياد في البصرة؛ ليجبر زياداً على الدخول في طاعة معاوية، وهدده بقتلهم إن لم ينزل مستسلماً، لكن زياداً رفض تهديده، ورد عليه ردّاً لاذعاً، ولم يستطع بسر تنفيذ تهديده؛ لأن أبا بكرة الثقفي حصل على عفو عن الأولاد من معاوية، فأفرج عن الأولاد، خلّى سبيلهم، انظر، الرسل والملوك، 177/5–178.

قلقه: «ذكرت زياداً، واعتصامه بأرض فارس، فلم أنم ليلتي»[1].

هذا ما أفضى به معاوية إلى المغيرة، وواضح أنه لا يريد منه تسرية ولا مواساة، بل يطلب منه حلاً وإرشاداً ومشورة، وهو المميز بحل المعضلات[2].

فما كان من المغيرة إلا أن عرض فكرة مفاوضة زياد، ولاشك أن الفكرة فيها من الذكاء ما يضمن مصلحة الطرفين، وهنا أسرع معاوية بالموافقة، وقال للمغيرة: «ائته، وتلطف له»[3]، فمعاوية أشد رغبة في الصلح وتهدئة الأمور واستقرار البلاد. وأتى المغيرةُ زياداً، وترضاه، وأقنعه بالدخول في طاعة معاوية، فَلاَنَ زيادٌ وقبل النصح، وكان معاوية قد كتب له كتاب أمان، فأتى من فارس إلى دمشق، فأكرمه معاوية، وسمح له بالإقامة في الكوفة[4]، واستلحقه به، على الرغم من معارضة كثير من الأمويين معاوية في ذلك[5].

ومن المشاكل التي أرقت معاوية في أول خلافته أمر العراق، بجبهته القوية المناهضة المؤرقة للخلفاء منذ عهد الراشدين، بدءاً من عهد عمر بن الخطاب، فولّى أمر الكوفة للمغيرة بن شعبة، الذي ساسها بحكمة وجدارة حتى السنة الأولى لخلافة عثمان، ومن العراق خرجت الثورة على عثمان، ومنه أعلن طلحة والزبير وعائشة خروجهم على علي، والعراق كذلك موئل الشيعة والخوارج.

ولما أراد معاوية مكافأة المغيرة على صنائعه ولاَّهُ الكوفة سنة 42هـ، معتمداً عليه في توطيد الأمور له فيها، وتدعيم سلطانه بها، فكفاه المغيرة أمرها طوال ولايته عليها، مستخدماً سياسة تجمع بين الحزم واللين، طالباً من كل قبيلة أن تكفيه من فيها من أهل الأهواء، ثم إنه أضعف شوكة كل من الشيعة والخوارج بضرب بعضهما ببعض[6].

---

(1) الرسل والملوك، 5/177–178.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء: 204.

(3) الرسل والملوك 5/177.

(4) الرسل والملوك 5/179.

(5) كان زياد يطلق عليه قبل صلحه مع معاوية (زياد ابن أبيه) أو (ابن عبيد) أو (ابن سمية) نسبة إلى أمه، لكن معاوية استلحقه بأبيه وآخاه وسماه (زياد بن أبي سفيان)، انظر، ابن عبد البر، الاستيعاب 2/526.

(6) الرسل والملوك 5/174.

هذه السياسة راقت الخلفاء وأعجبتهم، وأرضت أهل الكوفة أنفسهم، فوقفوا بجانب المغيرة في القضاء على فتنة الخوارج[1]، وترحموا عليه بعد وفاته، وعدوه أحد الأخيار الذين تولوا أمر الكوفة[2].

هكذا أخلص الثقفيون للأمويين، وأسهموا معهم في قيام الدولة، والاعتراف بخلافة معاوية، وعملوا معهم في تهدئة الثائرين، وفي حقن دماء المسلمين، وفي التوفيق بين القبائل؛ بهدف تأمين جبهة داخلية، تستطيع أن تؤدي دوراً حضارياً وريادياً يشهد له التاريخ.

في نهاية هذه الدراسة التاريخية تنبغي الإشارة إلى أن هناك ثلاث حركات قام بها رجال ثقفيون ضد الدولة الأموية، كل واحدة منها تختلف عن الأخرى:

الأولى: حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقد استظلت بمظلة التشيع لآل البيت.

الثانية: حركة بكير بن وساج الثقفي، رغبة منه في الحصول على ولاية خراسان.

الثالثة: حركة المطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي، وقد تأثرت كثيراً بمبادئ الخوارج وآرائهم.

الحركتان الأولى والثالثة كانتا من الخطر والأهمية بمكان؛ لأن هدفهما هو القضاء على الخلافة الأموية، وهما نتيجة لصراع الأحزاب السياسية في ذلك العصر، بل كان لهما أثر؛ إذ تمخض عن حركة المختار ظهور جماعة من الشيعة تعرف بالكيسانية أو المختارية.

أما حركة بكير فلا تعدو أن تكون مجرد عصيان وتمرد، وكان بكير هذا عاملاً على (مرو) من قبل عبد الله بن خازن، والي ابن الزبير على خراسان، وكان ابن خازن قد استعمله وأولاه ثقته، فلما تولى عبد الملك كتب إلى بكير بعهده على خراسان، ومناه ووعده إن خلع عهد ابن الزبير، ففعل بكير، وولاه عبد الملك خراسان سنة 72هـ، واستمرت ولايته، ثم عزله وولى أمية بن عبد الله بن خالد بن أثير.

انتهز بكير فرصة خروج أمية إلى بلاد ما وراء النهر فدخل (مرو) وخلع أمية، وأجابه

(1) الرسل والملوك 5/181–185.
(2) الرسل والملوك 5/254.

أهلها، وحدث قتال بينه وبين أمية حوصر بعده بكير، فخاف على نفسه وطلب الصلح، فوافقه أمية وكان محباً للعفو.

لن يتسع المقام لبسط الحديث على تلك الحركات، فذلك يرجع إليه في مظانه من كتب التاريخ والتراجم والسير، ولكن حسبنا تلك الإشارة، ذلك أن تلك الحركات لا تمثل سياسة القبيلة الثقفية ولا وجهتها ولا توجهها. وإن كانت حركة المطرف قد أحدثت شرخاً كبيراً في بنيان الخلافة الأموية، فما إن أخمدت حتى ظهرت حركة ابن الأشعث سنة 82هـ، فانضم إليها كثيرون انضماماً هز أركان الخلافة الأموية، وكاد أن يودي بالبيت الأموي كله.

الفصل الثاني

ثقيف والشعر

المبحث الأول: الشعر الثقفي وبيئة الطائف.

المبحث الثاني: منزلة الشعر الثقفي عند القدماء.

المبحث الثالث: مصادر شعر القبيلة وتوثيقه.

المطلب الأول: رواية أشعارهم وتدوينها وفقدان ديوانهم.

المطلب الثاني: مصادر شعرهم المجموع.

المطلب الثالث: ضياع شعرهم.

المطلب الرابع: توثيق شعرهم.

المبحث الأول

الشعر الثقفي وبيئة الطائف

الأدب ترجمان الحياة الصادق، فكما يكون الأدب تكون الحياة[1]؛ فالأدب ابن البيئة والمجتمع، وهو صورة للحياة التي يعيشها الشاعر أو الأديب؛ تلهمه المعاني، وتغني خياله بالأفكار والصور المستمدة من هذه البيئة، فيتغنى بها، ويصورها أجمل تصوير، وتأتي هذه الصور والأفكار نابعةً من إحساس الشاعر وهو يعيش أحداثها، فيظهر أثرها في شعره وأدبه.

والطائف –كما مر معنا– بيئة أنعم الله عليها بالطبيعة الساحرة، والخضرة الوارفة، والمياه العذبة، وحباها من الجمال ما يخلب النفوس، «وامتن على أهلها بالهدوء والوداعة، وشملهم برعاية الدعة والاطمئنان، فعاشت منذ زمن قديم بعيدة عن لهب الصحراء القاتل، وشحة الماء المهلكة، فكان الشاعر ينعم بالأرض تكسوها نضارة زاهية، ويرى الساقية وقد انساب ماؤها عذباً فراتاً سلسبيلاً، يأكل الثمار حلوة طيبة طرية، ويستظل بالظل الوارف، يهنأ بمتع الحياة ولذائذ العيش، فمن الطبيعي أن تكون حياته أهدأ من حياة غيره، وشعره أرق من شعر أولئك الذين كانوا يصارعون لأواء الحياة وقسوتها، وينازلون الطبيعة وشدتها، ويحملون من الهواجس ما يعبر عن صراعهم، والشعر – في النهاية – صورة لهؤلاء وأولئك، واحة تزخر فيها الطبيعة بكل ما فيها من ألوان.

أمام هذا كله لابد أن يكون الثقفيون لوحة صادقة لهذه الطبيعة التي حملتهم أمانتها، ورسموا أبعادها من خلال تأثرهم رسماً إنسانيّاً رائعاً، فكانت الرقة شكلاً ومضموناً، وكانت السلاسة واقعاً وتعبيراً، وكانت الأحاسيس قدرة وتأثيراً»[2]، ممثلة فيما أبدعته قرائحهم من أشعار تسير بها الركبان.

علاوة على هذه الطبيعة الخلابة فإن أبناء ثقيف يعدون من فصحاء العرب الممتازين

---

(1) العقاد: مطالعات في الكتب والحياة: 10.

(2) انظر: نوري القيسي، شاعران ثقفيان: طريح بن إسماعيل، محمد بن عبد الله بن نمير: 114.

بصحة منطقهم، وفصاحة لغتهم، وحسن بيانهم؛ فقد روي أن كتاب الله تعالى نزل على سبع لغات، قال أبو عبيد: هي لغات قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم واليمن. وقال غيره: خمس لغات في أكناف هوازن، سعد، وثقيف، وكنانة، وهذيل، وقريش، ولغتان على جميع ألسنة العرب(1). ولذلك قال عمر بن الخطاب: لا يُمْلِيَنَّ في مصاحفنا إلا غلمانُ قريشٍ وثقيف. وقال عثمان بن عفان وهو يكتب المصاحف: اجعلوا المُمْلِيَ من هُذَيل، والكاتبَ من ثَقيفٍ(2).

وعلى الرغم من هذه الفصاحة التي امتازت بها ثقيف فإن حظها من الشعر كان ضئيلاً، فلم تحمل لنا المكتبة القديمة محفوظات من دواوينهم، أو مجموعات شعرية لهم، إلا النزر اليسير، على عكس قبائل أخرى حفظ لها شعرها؛ كشعر الهذليين مثلاً.

ودارس الأدب غالباً ما يجد شعراً مجموعاً لشعراء القبائل في سفر يحويه، أو كتاب يضمه، أو ديوان يجمعه ويؤلف بينه، لكن شعر ثقيف لم ينل حظاً من ذلك، إذ لم يجمع شعرهم، فالأبيات متناثرة متفرقة، والمقطعات مبعثرة في مختلف المصادر، على أنه ضاع منه الكثير، ولعل المصدر الرئيس الذي حفظ لنا ما بقي من شعر ثقيف؛ هو كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تليه كتب الحماسات والمختارات وغيرها من كتب التراث، وحفظت لنا كتب التاريخ والمعاجم واللغة شيئاً لا يستهان به من شعرهم، كثيراً ما يستشهد به.

وقد ذهب ابن سلام في طبقاته إلى أن ما قلل شعر الطائف أنه لم تكن بينهم نائرة ولم يحاربوا، فقال: «وبالطائف شعر وليس بالكثير، وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء؛ نحو حرب الأوس والخزرج، أو قوم يغيرون ويغار عليهم. والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان، وأهل الطائف في طرف»(3).

---

(1) ابن الجوزي: النشر في القراءات العشر 24/1.

(2) الصاحبي في فقه اللغة: 58.

(3) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء: 217.

مناقشة رأي ابن سلام:

وقول ابن سلام – الذي يعزو فيه قلة شعر الطائف إلى أنهم قوم لم يحاربوا، ولم تكن بينهم عداوة ولا شحناء ولا تحاسد – لا يُطمأن إليه؛ فصحيح أن الثقفيين عاشوا أسرة واحدة، وحياة هادئة أهدأ من حياة غيرهم؛ إلا أن ذلك ليس معناه أنهم عاشوا في دعة وسلام عبر العصور، بل إنهم ذاقوا مرارة الحرب، واصطلوا بنارها قبل الإسلام وبعده. فقد قاتلوا قبل الإسلام قبائل بني عامر بن صعصعة، في سبيل توطيد دعائم مدينتهم، وتثبيت أقدامهم في بلدتهم المميّزة بالطبيعة الساحرة، والجمال الخلاب حتى تمكنوا من السيطرة عليها، وتحققت لهم الغلبة والنصر.

وفي الإسلام ألم يقفوا سداً منيعاً مع هوازن في غزوة حنين، ذائدين عن مدينتهم بعد حصار المسلمين لهم مدة تزيد على خمسة عشر يوماً، حتى استعصت المدينة على المسلمين فلم تفلح محاولات إسقاطها؟

وبعد أن من الله عليهم بالإسلام: ألم يشتركوا في الفتوحات الإسلامية، وينخرطوا في جيوش المسلمين، حتى لمعت أسماء قادة أفذاذ منهم، نال أكثرهم الشهادة دفاعاً عن الإسلام، فإذا كان الشعر منوطاً بالحرب – كما يقول ابن سلام –؛ فهاهم أولاء بنو ثقيف قد سطروا بدمائهم ملاحم بطولية، فلماذا لم يكثر شعرهم مع أن تاريخهم مزدان بالكفاح، حافل بالنضال، مليء بالتضحيات؟

ويعقب الدكتور جميل سعيد على رأي ابن سلام هذا، فيقول: «وكيف نستطيع أن نطمئن إليه، ونحن نعرف أن الشعراء العباسيين لم يعيشوا في بادية، ولم يشهدوا حرباً ولا غارة؟

ولعل الذي أوحى له برأيه هذا أنه نظر إلى الشعر الجاهلي، فرأى أكثره قد قيل في الحرب وما يتعلق بها، وما فطن إلى أن الشعر صورة الحياة، وإذا كان الشعر الجاهلي قد قيل في الحرب؛ فما ذاك إلا لأن الحياة البدوية قد ملأتها الحروب والغارات، فجاء الشعر صورة لها»(1).

(1) انظر: جميل سعيد، تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نواس: 84.

وإذا كان الباحث يوافق الدكتور جميل سعيد في ضرورة مناقشة رأي ابن سلام؛ فإنه يخالف رأيه في نقطتين:

الأولى: أن الدكتور جميل سعيد احتج على ابن سلام بالشعراء العباسيين. ومن المعروف بداية أن كتاب ابن سلام لم يقع الإجماع بعد على أنه كتاب واحد، ومعنى ذلك أن حديث ابن سلام في الربط بين الشعر والحرب؛ إنما هو حديث منصب على الشعر في العصر الجاهلي فقط، ولعل ما يؤكد ذلك ويؤيده أن ابن سلام ذكر بعضاً من شعراء ثقيف من الجاهليين والمخضرمين، وضرب صفحاً عن شعراء ثقفيين آخرين أغزر شعراً، وأكثر إنتاجاً، وأوفر إبداعاً؛ لأنهم كانوا خارج نطاق المدة الزمنية التي يتحدث عنها.

فإذا كان الكتاب ليس واحداً، والمدة الزمنية متباينة؛ فإن الاحتجاج على ابن سلام بالشعر في العصر العباسي احتجاج ليس في محله.

الثانية: أن الدكتور جميل سعيد ربط بين الشعر الجاهلي والحرب كما ربط ابن سلام.

ولكن من خلال الاستقراء للشعر في العصر الجاهلي؛ نجد أنه ليس من الصواب التسليم بقوله أن الشعر الجاهلي قد قيل أكثره في الحرب، وحسبنا أن نلمح إلى المعلقات التي تمثل عيون الشعر العربي في العصر الجاهلي؛ لنرى أنه لم تختص معلقة برمتها بالحرب، بل إن الأشكل بالحق والأدنى إلى الصواب أن نقول: إن أكثر الشعر الجاهلي قد قيل في غير الحرب.

وإذا كان الشعر منوطاً بالحرب؛ فلماذا لا تكون الحياة الهادئة الناعمة والطبيعة الفاتنة مدعاةً لكثرة الشعر أيضاً؟ فهناك بيئات ناعمة هادئة كثيرة كثر فيها الشعر.

ولعل المنهج الذي اتبعه ابن سلام في كتابه هو الذي جعله يقول بتلك القلة، ويقدم طبقة لكثرة شعرها وجودته على أخرى– وإن كان شعرها جيداً– لقلته.

يذهب الدكتور بهجة الحديثي إلى: «أن القلة التي ذكرها ابن سلام إنما تقع على فنون الشعر وأغراضه، وكثرة شعر الشاعر الطائفي وقلته، فهذا هو مقياس ابن سلام الذي اعتمده

في كتابه طبقات فحول الشعراء وسار عليه، فالكثرة والجودة عنده مقياس لتقديم طبقة على طبقة، أو شاعر على شاعر، فكلما كانت الكثرة إلى جانب الجودة تقدم صاحبها، وأخر وإن كان جيد الشعر لقلة في شعره»[1].

من قول ابن سلام نخلص إذن إلى أن الطائف بها شعر، ولكنه ينقص عن مقدار الكثرة: «وبالطائف شعر وليس بالكثير»، وأن سبب ذلك يعود إلى ضياع شعر ثقيف، يؤيد ذلك ما روي أن يزيد بن ضبة الثقفي نظم ألف قصيدة فاقتسمها شعراء العرب وانتحلتها، فدخلت في أشعارها[2].

قال أبو عبيدة: «اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وأن أشعر ثقيف أمية بن أبي الصلت»[3]. فشعر الثقفيين قليل، وفنون الشعر وأغراضه التي طرقوها هي التي طرقها غيرهم من شعراء العرب، أما من حيث كثرة الشعراء؛ فابن سلام نفسه يقول: «وبالطائف شعر وليس بالكثير..»، إذن هناك شعراء وإن كانوا مقلين أو غير مشهورين، لكن يكفي أن ربة الشعر قد أوحت به إلى أربعة أفراد في أسرة واحدة، فإذا هم جميعاً يعزفون على قيثارة الشعر. فأبو الصلت والد أمية شاعر، والقاسم وربيعة ابنا أمية شاعران، إضافة إلى أمية نفسه. لقد اقتصر ابن سلام على ذكر شعراء الطائف الفحول المشهورين حسب منهجه في الطبقات، فعد خمسة من شعراء الطائف المشهورين وهم[4]: أبو الصلت والد أمية، وأمية بن أبي الصلت، وأبو محجن الثقفي، وغيلان بن سلمة وكنانة ابن عبد ياليل.

وممن لم يذكرهم ابن سلام وذكرهم الأصبهاني في الأغاني: طريح بن إسماعيل الثقفي، ومحمد بن عبد الله النميري، ويزيد بن الحكم، ويزيد بن ضبة. كل هؤلاء الشعراء قد أنبتتهم أرض الطائف وعاشوا فيها، وقالوا شعراً، ونقلت إلينا الكتب شيئاً من أخبارهم وسيرهم، وليس هؤلاء فقط هم كل شعراء الطائف، فهناك شعراء آخرون لم يذكرهم ابن سلام؛ إما

(1) انظر: بهجة عبدالغفور الحديثي، أمية بن أبي الصلت حياته وشعره ص 26.

(2) انظر: الأصبهاني، الأغاني 103/7.

(3) انظر: الأصبهاني، الأغاني 122/4.

(4) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء: 217. الأصبهاني، الأغاني 308/4، 190/6.

لأنهم لم يكونوا فحولاً، وإما لأنهم كانوا مقلين، ،وإما لأن لهم شعراً لكن ضاع منه الكثير.

وقلة شعر الطائف يتلمس لها الجاحظ سبباً آخر غير الذي ذكره ابن سلام، ويرى أنها «تدل على طبع في الشعر عجيب، وليس ذلك القليل من قبل رداءة الغذاء، ولا من قلة الخصب الشاغل والغنى عن الناس، وإنما ذلك عن قدر ما قسم الله لهم من الحظوظ والغرائز والبلاد والأعراق مكانها»(1).

قسمة الحظوظ والغرائز والبلاد والأعراق أمر متعارف، ومعلوم أن الله تعالى قسمه بين العباد، وسجل ذلك في كتابه الكريم: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾(2)؛ لكن الدارسين يرون أن لهذه القلة أسباباً ودوافع، فيأخذون دائماً في تعليلها وتفسيرها كما فعل ابن سلام نفسه، في حين أن ما ذكره الجاحظ لا يقوى أن يكون سبباً، بقدر ما هو تسويغ أو حديث عن حالة الشعر في الطائف.

وقد ذهب (لامانس) إلى أن الشعر في المدن عامة قليل، والطائف من جملتها، وعزا ذلك إلى بُعد هذه المدن عن الوسط الشعري الذي يكثر في الصحراء، حيث السلب والنهب والقتل؛ قائلاً: «إنها صفات يستريح إليها الأصل العربي، ويقل وجودها في المدن»(3).

ولا شك أننا نختلف تماماً مع (لامانس) فيما ذهب إليه من تصوير الحياة العربية بالسلب والنهب، المفضيان إلى الفوضى والهمجية، وكأن العرب لا تستقيم لهم حياة إلا بالسلب والنهب؛ ذلك أنها – كما زعم – «من الصفات اللازمة للعربي».

وَمَنْ قال إن السلب والنهب هما الباعث الوحيد لقول الشعر؟ وهل كان الشعر العربي في الجزيرة مبعثة هذا الدافع؟ وإلا فأين شعر الشوق واللهفة والحب والحنين؟ وأين لغة الشكوى والرثاء، وشعر المدح والهجاء، وعاطفة الفخز والاعتزاز، والمدح والحماس؟ هل كان مبعث ذلك كله (سلب ونهب)؟

(1) الجاحظ، الحيوان 380/4.

(2) الزخرف: 32.

(3) لامانس، الطائف قبيل الهجرة ص 259–260.

ثم إن هناك بيئات كثيرة وجد فيها الشعر وفُقدِ فيها (السلب والنهب) كالحجاز مثلاً، فما تفسيره لذلك؟

ليس معنى ذلك خلو البيئة تماماً من مثل هذه الأعمال، ولكن ينكر التعويل عليها كل التعويل في قول الشعر. وجماع القول أنه إذا وجدت هذه الأعمال عند العرب؛ فمردها إلى ظروف زمنية اقتضتها بيئتهم وحاجتهم، وحين تزول أسبابها ودوافعها فإن الحياة تسير طبيعية لا يحتاج العربي معها إلى ارتكابها.

بعد مناقشة هذه الآراء نتساءل: أين شعر ثقيف إذن؟

وهل كان لموقفهم من الإسلام– على نحو ما رأينا– أثر في ضياع شعرهم؟

وهل كل قبيلة حاربت الإسلام ضاع شعرها وتجنبه الرواه؟

وأخيراً: هل أُهْمل شعر القبيلة كله جملة وتفصيلاً، أم اقتصر الأمر على ذلك الشعر الذي يمثل وجهة نظر الكفر؟

يربط الدكتور يحيى الجبوري بين موقف هؤلاء من الإسلام وضياع شعرهم فيقول: «فقد لقي الإسلام عداءً شديداً، ونضالاً عنيفاً من مشركي قريش، ومن والى قريشاً من الثقفيين والأعراب واليهود، وخاض الفريقان حروباً كثيرة في بدر وأحد والخندق وفتح مكة، ثم حرب حنين والطائف، ثم الردة. ثم اشرأب عنق الفتنة وتطاول شرها، فتخطفت ثلاثة من أمراء المسلمين: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومن الطبيعي أن يتأثر الشعر بهذه الأحداث فيضيع منه الكثير»(1).

وقد استعرضت الدراسة – التي بين أيدينا– موقف ثقيف من الإسلام، ومحاربتهم للدعوة وتصديهم لها منذ بزوغ فجرها، ولاشك أنهم قالوا في ذلك شعراً يهاجمون به العقيدة الجديدة، ويخلدون به ما هم عليه، فيمدحون أبطالهم، ويرثون قتلاهم، على نحو ما فعل أمية حين رثى قتلى بدر من المشركين، ولكن بعد أن شرح الله صدور الثقفيين للإسلام، ومَنَّ عليهم بتلك النعمة الكبرى، ما كان لهم أن ينشدوا تلك الأشعار، بل تناسوها، فلم تصل

(1) الدكتور يحيى الجبوري. شعر عبدالله بن الزبعري: 23.

إلى أسماء الرواة إلا شذرات يسيرة منها.

وقد ذهبت بعض المصادر إلى أن رسول الله كان قد نهى عن رواية مرثية أمية لقتلى بدر، لأنه يهجو فيها رسول الله ﷺ، وينال من الصحابة والإسلام. وذهب الخلفاء والولاة إلى مثل ذلك حين نهوا عن رواية الشعر الذي يراد به أهل مكة والمدينة، دفعاً للتضاغن والأحقاد وبث القبح(1)، وكذلك كل شعر ينافي روح الإسلام، أو يعارض تعاليمه السامية.

مما سبق يتبين أن أي شعر كان يسيء إلى الدين يضرب عنه الرواة صفحاً، سواء أكان ذلك الشعر ثقيفاً أم قرشياً أم غير ذلك، ثم إن كثيراً من الشعر قد ضاع كذلك؛ إذا كان فيه ما يمس الأخلاق الكريمة، أو يخدش الحياء، وعلى هذا فقدنا ذلك الشعر الأصيل الذي أتى عليه الدهر فضاع مع الزمن، وذهبت به العوادي، ففقدنا بفقدانه وثيقة علمية أدبية عن حياة أمة صدق فيها قول عمر بن الخطاب: «كان الشّعْرُ عِلْمَ قومٍ لم يكن لهم علم أصحُّ منه؛ فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العربُ بالجهاد وغزوِ فارسَ والروم، ولَهِيَتْ عن الشعر وروايتِهِ، فلما كَثُرَ الإسلامُ، وجاءت الفتوحُ، واطمأنَّ العربُ في الأمصار؛ راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوانٍ مُدَوَّن، ولا كتاب مكتوب، وأَلْفَوْا ذلك وقد هَلَكَ من العرب مَنْ هلك بالموتِ والقتلِ، فحفظوا أقلَّ ذلك، وذهب عنهم كثِيرُهُ»(2).

(1) الدكتور يحيى الجبوري. شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه: 49.
(2) انظر: الخصائص 1/386.

المبحث الثاني

منزلة الشعر الثقفي ومكانته عند القدماء

إن من يتتبع شعر ثقيف يجد لشعرهم مكاناً في القلوب، ووقعاً في النفوس، وطرباً في الأسماع، أمالَ الخلفاءَ، وأعجبَ الشعراءَ والأدباءَ، وأتحف الفصحاءَ والبلغاءَ؛ لما يمتاز به من رقة ولطافةٍ، ورونق، وجمال. وقد شهد لهم علماء الشعر ورواته بالجودة والسبك والإتقان.

قال أبو عبيد: «اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وأن أشعر ثقيف أمية بن أبي الصلت»(1).

وقد ذكر الكميت أن «أمية أشعر الناس، قال كما قلنا، ولم نقل كما قال»(2). وربما كان الكميت مبالغاً، ولكن قوله يؤخذ في الحسبان؛ لصدوره عن شاعر عالم بأمور الشعر.

وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان: «عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري معها مجراها، وكذلك كان عندهم أمية بن أبي الصلت، وكان عندهم من الإسلاميين الطرماح وكميت»(3).

يرى البلاذري أن أمية كان من المجودين في الشعر(4)، وإلى ذلك ذهب الدَّمِيرِيُّ فاستحسن شعره وقال: «كان أمية يتعبد في الجاهلية، ويؤمن بالبعث، ويقول في ذلك الشعر الحسن»(5).

وما ذكره السيوطي في المزهر نقلاً عن البخاري في الأدب المفرد، قال حدثنا أبو

---

(1) الأغاني: 4/121–122.

(2) الأغاني: 4/121–122.

(3) فحولة الشعراء: 50.

(4) أنساب الأشراف: 13/5816.

(5) حياة الحيوان: 2/195.

نعيم، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، سمعت عمرو بن الشريد، عن الشريد قال: استنشدني النبي ﷺ شعرَ أمية بنِ أبي الصلت فأنشدْتُهُ، فأخذ النبيُّ ﷺ يقول: «هيه هيه» حتى أنشدته مئة قافية(1).

ويذكر النويري خبراً، فيقول: روى أبو بكر البيهقي – رحمه الله – بسنده إلى ذابل بن طفيل بن عمرو الدوسي؛ أن النبي ﷺ قعد في مسجده ذات يوم، فقدم عليه خُفَافُ بنُ نَضْلَةَ بنِ عمرو بنِ بَهْدَلَةَ الثقفي، فأنشد رسول الله ﷺ:

كَمْ قَدْ تَحطَّمَتِ القَلُوصُ بِيَ الدُّجَى … فـي مَـهْـمَـهٍ قَـفْـرٍ مـن الـفَـلَـوَاتِ

قال: فاستحسنها رسول الله ﷺ، وقال: «إن من البيان كالسِّحْرِ، وإن من الشعر كالحِكَم»(2).

وقد عَدَّ أبو منصور الثعالبي قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

تـلـك الـمـكـارم لا قـعـبـان مـن لبنٍ … شِـيـبـا بـمـاءٍ فـعـادا بَـعْـدُ أَبْـوَالاَ

عده «من الأبيات السائرة للمخضرمين»(3).

ومن أمثلة أشعار الثقفيين الإسلاميين المخضرمين قصيدة أبي محجن القافية، التي قال فيها:

لا تَسْأَلي الناسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ … وَسَائِلي الْقَوْمَ عَنْ دِيني وَعَنْ خُلُقِي

قَـدْ يَعْلَـمُ النَّـاسُ أَنَّـا مـنْ سَـرَاتِـهِـمُ … إِذَا سَمَا بَصَرُ الـرِّعْـدِيْـدَةِ الفَـرِقِ

أُعْـطِي السِّنَانَ غَـدَاةَ الـرَّوْعِ نِحْلَتَهُ … وَعَـامِـلُ الـرُّمْـحِ أَرْوِيْـهِ مِـنَ الْعَلَقِ

وَأَطْعَـنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ عَـنْ عُرُضٍ … تَنْفِي المَسَابِيْرَ بِـالإِزْبَـادِ وَالْفَـهَـقِ

---

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها 309/2.

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب 146/18.

(3) التمثيل والمحاضرة: 62.

قال أبو هلال[1]: «كان عمر ﷺ يفضل هذه الأبيات، ويتّهم رأيه فيها فلا يذكر ذلك، إلى أن قال لِعَلِيّ– كرم الله وجهه– من أشعر الناس؟ قال: الذي أحسن الوصف، وأحكم الرصف، وقال الحق.

قال: ومن هو؟

قال: أبو محجن في قوله: «لا تسألي الناس عن مالي وكثرته».

قال: أيدتني يا أبا الحسن أيدك الله، فما زلْتَ مؤيداً في كل خير.

فعقب أبو هلال على مقولة عمر: وهذا أول ما قيل: (أيَّدك الله).

ثم قال علي: قد صدق في كل ما ذكر، لولا آفة كانت في دينه من حبه الخمر، ولقد تركها آنفاً، والأَنَفُ من الكرم، والكرم من الإيمان، لقوله تعالى[2]: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

فقال عمر: يأبى الله يا بني هاشم إلا أن يُسَوِّدَكُمْ في الدين والدنيا.

قال أبو هلال[3]: قال الشعبي: «فلم يكن في الحي فتىً لا يحفظ هذه الأبيات، فَتُعَدُّ لَهُ مُرُوْءَةً».

وذكر أبو هلال[4] عن أبي محجن قال: «كان شاعراً شريفاً»، وعن قصيدته هذه فقال: «قد فُضِّلَتْ أبياته القافية على كل شعر قيل في معناها».

وفي العصر الأموي نجد يزيد بن الحكم في عداد الفصحاء المتقدمين المجيدين، حتى شهد له بذلك فحول الشعراء كالفرزدق وجرير، يسوق أبو الفرج خبراً عن الفرزدق الذي مر بيزيد وهو يُنْشِد في المجلس شعراً، فقال: من هذا الذي يُنْشِدُ شعراً كأنه من أشعارنا؟ فقالوا: يزيد بن الحكم. فقال: نعم، أَشهدُ بالله أن عَمَّتِي ولدته[5].

---

(1) ديوان أبي محجن بشرح أبي هلال: 22.
(2) الحجرات: 13.
(3) ديوان أبي محجن بشرح أبي هلال: 22.
(4) ديوان أبي محجن بشرح أبي هلال: 15.
(5) الأغاني: 207/12.

لقد نال شعر يزيد إعجاب النقاد والأدباء في عصره، حتى قال عنه أبو عمرو بن العلاء: «ويزيد مولَّدٌ يجيد الشعر»(1). وأعجب الحجاج بشعره؛ فقد ورد في الأغاني أنه قال للحجاج: أصلح الله الأمير، وإني قد رَثَيْتُ ابني (عنبساً) ببيت إنه لشبيه بهذا – أي ببيت زهير بن أبي سلمى الذي تمثل به الحجاج – قال: وما هو؟ قال: قلت:

ويأمنُ ذو حِلْمِ العشيرةِ جَهْلَهُ عَلَيْهِ ويخشى جَهْلَهُ جُهَلاَؤُهَا

قال الحجاج: فما منعك أن تقول مثل هذا لمحمد ابني ترثيه به؟ فقال: إن ابني والله كان أحبَّ إليَّ من ابنك(2).

ويدل على إعجاب الشعراء بشعر يزيد بن الحكم حتى بعد موته وحفظهم له، إكرامُ جريرٍ للعباس بن يزيد بن الحكم حين قدم اليمامة، فقد روى أبو الفرج: أن العباس بن يزيد ابن الحكم هرب من يوسف بن عمر إلى اليمامة، قال: فجلست في مسجدها، وغشيني قوم من أهلها. قال: فوالله إني لكذلك، إذا أنا بشيخ قد دخل يترجح في مشيته، فلما رآني أقبل إليَّ، فقال القوم: هذا جرير. فأتاني حتى جلس إلى جنبي، ثم قال: السلام عليك، ممن أنت؟ قلت: رجل من ثقيف. قال: أعرضت الأديم، ثم ممَّن؟ قلت: رجل من بني مالك. فقال: لا إله إلا الله! أمثلُكَ يُعْرَفُ بأهل بيته! فقلت: أنا رجل من ولد أبي العاص. قال: ابن بشر؟ قلت: نعم. قال: أيهم أبوك؟ قلت: يزيد بن الحكم. قال: فمن الذي يقول:

فَنِي الشبابُ وكلُّ شيءٍ فانِ وَعَلاَ لِدَاتِي شِيبُهُمْ وَعَلاَنِي

قلت: أبي. قال: فمن الذي يقول:

ألا لا مرحباً بفراق لَيْلَى ولا بالشَّيبِ إذْ طَرَدَ الشَّبَابَا

شبابٌ بانَ محموداً وَشَيبٌ ذَمِيمٌ لَمْ نجد لهما اصطحَابَا

فما منك الشبابُ ولسْتَ مِنْهُ إذا سألَتْكَ لِحْيَتُكَ الخِضَابَا

قلت: أبي. قال فمن الذي يقول:

---

(1) الأغاني: 212/12.

(2) الأغاني: 209/12.

تَعَالوْا نَعُدْ، ويعلم الناسُ أَنَّنَا لصاحِبِهِ في أولِ الدهرِ تَابِعُ
تَزَيَّدَ يَرْبُوعٌ بِهِمْ في عَدِيدِهِمْ كما زِيدَ في عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ[1]

قال: قلت: غفر الله لك، كان أبي أصون لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمك. فقال: رحم الله أباك، فقد مضى لسبيله. ثم انصرف، فنزلني بكبشين، فقال لي أهل اليمامة: ما نزَّل أحداً قبلك قط[2].

كما كان لشعر محمد النميري حلاوة وطلاوة آسرة، روى أبو الفرج أن عبد الله بن جعفر خرج يوماً متنزَّهاً، فصادف ابن سريج وعزة الميلاء متنزهين، فأناخ راحلته، وقال لعزة: غنيني فغنته، ثم قال لابن سريج: غنني يا أبا يحيى. فغنَّاه لحنه في شعر النميري:

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت

فأمر براحلته فنحرت، وشق حلته فألقى نصفها على عزة، والنصف الآخر على ابن سريج[3].

وأعجب سعيد بن المسيب بهذا النهج في شعر النميري، فقد نقلت بعض الروايات أنه مَرَّ في بعض أزقَّة مكة، فسمع الأخضر الحربي يتغنى في دار العاص بن وائل:

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت

فضرب برجله وقال: هذا والله مما يلذ استماعه[4].

إن جمال أبيات النميري، وتناغم كلماتها، وحسن وقعها، وتعاضد موسيقاها؛ حاز إعجاب الخلفاء فاهتزوا له طرباً، فقد روى أبو الفرج في أغانيه: أن الرشيد غضب على إبراهيم الموصلي بالرقة، فحبسه مدة، ثم اصطبح يوماً، فبينا هو على حاله إذ تذكره، فقال:

---

(1) البيتان من قصيدة للفرزدق يرد بها على جرير، انظر: منتهى الطلب من أشعار العرب 285/5، 287 وهما أيضاً في: خزانة البغدادي 115/9.
(2) الأغاني: 211/12.
(3) الأغاني: 143/6.
(4) الأغاني: 144/6.

لو كان الموصلي حاضراً لانتظم أمرنا، وتم سرورنا. قالوا: يا أمير المؤمنين، فما له كبير ذنب. فبعث، فجيء به، فلما دخل أطرق الرشيد، فلم ينظر إليه، وأومأ إليه مَنْ حَضَرَ بأن يغني، فاندفع فغنَّى:

تضوع مسكاً بطنُ نَعمان أن مشت

فما تمالك الرشيد أن حرك رأسه مراراً، واهتز طرباً، ثم نظر إليه وقال: أحسنت والله يا إبراهيم! حُلُّوا قيودَه، وغطوه بالخلع. ففعل ذلك. فقال: يا سيدي، رضاك أَوَّلاً. قال: لو لم أرض ما فعلت هذا. وأمر له بثلاثين ألف درهم(1).

فإذا أضفنا إلى جميع ما سبق تَرَدُّدَ النميري على عائشة بنت طلحة، وهي تُقْسِمُ عليه أن يُنْشِدها ما قاله من شعر في زينب، فينشدها: تضوع مسكاً... فَتُعْجَبُ بأبياتِهِ وتعطيه ألف درهم، وتقول له: «ما قلت إلا جميلاً، ولا ذكرت إلا كرماً وطيباً، ولا وصفت إلا ديناً وتقى»(2). لوجدنا أن شعر النميري قد نال حظوة وإعجاباً لدى الخاصة والعامة.

وإذا انتقلنا إلى شاعر ثقفي آخر وهو طريح، الذي حفلت كتب الأدب واللغة والمختارات بأشعاره، فإنه تطالعنا صورة أبي هلال العسكري وهو يعدُّ أبياته في مديح الوليد بن يزيد من أمدح ما قالت العرب، على ما فيها من الغلو(3)، مؤكداً جودة مديحه في أبيات أخرى(4)، وعَدَّ قوله:

سعيتُ ابتغاءَ الشكرِ فيما صَنَعْتَ بِي ... فَقَصَّرْتُ مغلوباً وإني لشاكرُ

«من أجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر؛ من قديم الشعر»(5).

وهذه الشهادة من أبي هلال العسكري تدل على قدرة الشاعر وتمكنه من فنه وأدواته، وتبوئه مكانة رفيعة على الرغم من أكداس الشعراء الذين حفلت بهم العصور، وعلى الرغم

---

(1) الأغاني: 145/6.
(2) الأغاني: 144/6، 145.
(3) ديوان المعاني: 24.
(4) ديوان المعاني: 52.
(5) ديوان المعاني: 126.

من ازدهار فنون البديع، واتساع رقعة الصور الشعرية، وهذا ما يجعل لشعر طريح بقاءً، وللشاعر حضوراً وثباتاً ورسوخاً في مواضع الاستشهاد؛ بتمكُّنٍ وجدارة واقتدار.

ولشدة إعجاب البحتري بشعر طريح فقد استشهد له في حماسته في ثمانية عشر موضعاً، بخمسين بيتاً في أبواب متفرقة، يغلب عليها الجانب الاجتماعي، والطابع الأخلاقي؛ لأنها تمثل التجربة الحياتية، والقدرة على تصوير الواقع، والحصيلة التي يخلص إليها الإنسان من مخالطة الناس ومعايشة الزمن.

لقد رددت كتب الأدب كثيراً - بين يدي حديثها عن طريح - عبارة تقول: «نشأ طريح في دولة بني أمية، واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد»(1).

فطريح وَجَّهَ جُلَّ شعرِه إلى المديح، وهذا المديح- كما يقول الدكتور نوري القيسي-: «قد استفرغه في الوليد بن يزيد، وأن هذا الاستفراغ نابع من رغبة الشاعر وصدقه وإيمانه بأثر هذا المديح، متخذاً منه سبيلاً لرسم الصورة المثالية للقيم الأخلاقية الرفيعة، التي طالما أجهد نفسه في تأكيدها ومحاولة تثبيتها؛ إما بتقريرها، وإما بنقد ما يخالفها؛ ببيان فساد تلك الدائرة التي تحيط بالوليد».

وقد أعجب النقاد والأدباء بشعر طريح - وإن لم يأخذ حظه وافراً في آثارهم - حتى قال عنه ابن قتيبة: «كان شاعراً شريفاً وله عقب بالطائف»(2). وفي خبر مقتضب قال عنه البكري في السمط: «وهو شاعر مجيد من شعراء الدولتين»(3). وفي تهذيب تاريخ دمشق الكبير: «كان طريح شاعراً مجيداً، مكيناً حسن الفصاحة»(4).

وبلغ من احتفاء الوليد به وتقديره لشعره وارتياحه لإنشاده؛ أنْ قدمه على سائر الشعراء، فقد رُوي أن طريحاً عندما أنشد الأبيات التي منها:

أنت ابن مسلنطِحِ البِطاحِ ولم ... تُطْرِقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

(1) الأغاني: 216/4.

(2) الشعر والشعراء: 568.

(3) سمط اللآلي 705/2.

(4) تهذيب تاريخ دمشق الكبير 56/7.

طرب الوليد بن يزيد حتى رُئِيَ الارتياحُ فيه، وأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي، فلا يُنشِدْني أحدٌ بعدُ شيئاً، وأمر ابن عائشة فغنى في هذا الشعر لحناً له[1].

ومما يدلل على منزلة طريح الثقفي الشعرية؛ ما ذكره أبو الفرج من أن المنصور لما أنشد القصيدة التي منها قوله:

لم يبق فيها من المعارفِ بعـ ـد الحَيِّ إلا الرمادُ والوتدُ

وعرصة نكّرت معالمها الـ ـريح بها مسجدٌ ومنتضدُ

قال للربيع: أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي معالم الحي المسجد غير طريح[2]؟

وقد وصف أبو الفرج هذه القصيدة - التي منها هذان البيتان - بقوله: «وهذه القصيدة من جيد قصائد طريح[3]».

تلك إذن طائفة صالحة من شهادات القدماء في الشعر الثقفي وشعرائه، وهي شهادات لها قيمتها وأثرها، ذلك أنها صدرت عن علماء، كل واحد منهم ناقد بصير بالشعر ودروبه ومنعطفاته، ذو ملكة متمرسة وحس رهيف، وذوق فني رفيع يمكنه من تذوق الشعر وإصدار حكم عليه.

---

(1) الأغاني: 221/4.

(2) الأغاني: 226/4، 227.

(3) الأغاني: 226/4.

المبحث الثالث

مَصَادِرُ شِعْرِ القَبِيْلَةِ وَتَوْثِيقُهُ

إن هذه الدراسة – التي بين أيدينا – وهي تتناول شعر ثقيف منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، لم تعتمد على نسخة خطية لديوان جَمَعَ شِعْرَهُمْ، أو خَلَّدَ شعراءَهم؛ لأنه ليس ثمة جمع لأشعارِهِم في الأصل، فضلاً عن أن يكون هناك ديوان لهم باقٍ حفظه لنا الزمن حتى اليوم، كما هو الحال في بعض القبائل الأخرى، إذ لم يعثر أحد من الباحثين حتى الآن على شيء كهذا.

وعلى أي دراسة علمية جادة في جمع شعر قبيلة ما وتحقيقه، أن تبحث وتنقب عن المادة الشعرية لتلك القبيلة في المصادر الأدبية واللغوية المختلفة، فتحدد أولاً أهم المصادر التي حملت شعرهم، فاعتمدت عليها الدراسة في الأخذ عنها، والوقوف أمام روايات هذه المصادر كشفاً وتمييزاً، ونقداً وتمحيصاً، ثم الوقوف ثانياً عند توثيق الشعر وتحقيقه، والنظر في نسبة بعض الأشعار ومدى صحتها أو اضطرابها، سواء أكان ذلك الاضطراب والخلط بين شعراء القبيلة أنفسهم، أم بينهم وبين شعراء القبائل الأخرى، حتى ينماز شعر هذا عن ذاك، وشعر القبيلة عن شعر غيرها، وهذا ما تسعى له الدراسة التي بين أيدينا.

المطلب الأول: رواية أشعارهم وتدوينها:

لقد حظي شعر القبائل بتوفّر أبناء القبيلة عليه، والاحتفال به، والاستماع له، والإنصات إليه في شغف واهتمام، في مجالس القبيلة مع أبنائها أو مع غيرها، ساعدهم على ذلك ما تهيأ لهم من حب للشعر وتذوقٍ له، وخبرة بمواطن حسنه، وأسرار بلاغته، فكانوا سَمَّاعِين للقول الممتاز، يتعشقون سحره، ويطربون لسماعه، ويحلو لهم ترديده وتكراره.

وكانت قبيلة الشاعر وأهله وذوو قرابته هم أكثر الناس تعلقاً بشعره واهتماماً به، فهو

المعبر عما في نفوسهم، والمذيع لأخبارهم، والمسجل لمآثرهم وأمجادهم، إلى جانب كون الشعر فنّاً تتعشقه النفس العربية.

وقد يبلغ بهم عشق النص الأدبي والإعجاب به إلى درجة تلهيهم عن بعض الأعمال، كما قال بعض بني بكر في هجاء بني تغلب؛ حين أكثروا ترداد قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي[1]:

أَلْهَى بني تغلبٍ عن كل مَكْرُمَةٍ — قصيدةٌ قالها عمرُو بنُ كلثومِ

يَرْوُونَها أبداً مُذْ كان أوَّلُهم — يا لَلرِّجالِ لِشعرٍ غيرِ مسؤومِ

ومن الأدلة على أن الثقفيين قد رووا أشعارهم: ما روي أن الرسول ﷺ قد أردف الشريد ابن سويد الثقفي[2]، واستنشده من شعر أمية بن أبي الصلت، قال الشريد: فَجَعَلْتُ أُنْشِدُهُ، وجعل يقول: «.. وكاد ابن أبي الصلت أن يسلم»[3]، وفي رواية أخرى: فأنشدته فأخذ النبي يقول: «هيه هيه»، حتى أنشدته مئة بيت[4]. وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال: قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة، فقال لها: هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً؟ قالت: نعم. فروت للرسول ﷺ أخباره، وأنشدته من شعره. فقال النبي ﷺ: «يا فارعة، إن مثل أخيك كمثل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها»[5].

كان ابن الشاعر يروي شعر أبيه، وينتقي للناس أفضل ما جادت به قريحة أبيه، ومن ذلك خبر دخول ابن أبي محجن الثقفي على معاوية، فقال له معاوية: أبوك الذي يقول:

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ — تُرَوِّيْ عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا

وَلاَ تَدْفِنَنِّي بِالْفَلاَةِ فَإِنَّنِي — أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلاَّ أذوقَها

(1) الشعر والشعراء 635/2، والأغاني 37/11.

(2) هو أبو عمرو بن الشريد: أسلم وروى عن النبي ﷺ، وعاش حتى توفي في خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، انظر: طبقات ابن سعد: 259/4.

(3) صحيح مسلم: باب الشعر، حديث رقم (6027)، مسند أحمد رقم (19991) و(19994).

(4) الخزانة 227/1 والمزهر 309/2 والحديث في صحيح مسلم، باب الشعر، حديث رقم (6022) في مسند أحمد: «مئة قافية» حديث رقم (19984).

(5) الدر المنثور: 609/3.

فقال ابن أبي محجن: لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره. قال: وماذاك؟ قال: قوله:

لاَ تَسْأَلِي النَّاسَ مَا مَالِي وَكَثْرَتهُ ... وَسَائِلِي الْقَوْمَ مَا حَزْمِي وَمَا خُلُقِي

الْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنِّي مِنْ سَرَاتِهِمُ ... إِذَا تَطِيشُ يَدُ الرِّعْدِيدَةِ الْفَرِقِ

وليس أبناء الثقفيين بدعاً في رواية أشعار آبائهم، فقد قال الراعي النميري[1]: من لم يَرْوِ من أولادي هذه القصيدة (قصيدته اللامية)، وقصيدتي التي أولها:

بَانَ الأَحِبَّةُ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَهِدُوا ... فلا تَمالُكَ عن أرضٍ لَهَا قَصَدُوا

فقد عَقَّني[2].

وكان الشعراء أنفسهم يروون أشعارهم للخلفاء، ومن ذلك ما ذكره ابن قتيبة من خبر وفود الأجرد الثقفي[3] على عبد الملك بن مروان في نفر من الشعراء، فقال له: إنه ما من شاعر إلا وقد سبق إلينا من شعره قبل رؤيته، فما قلت؟ قال: أنا القائل:

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلاَمَتَهُ ... إِنَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدُ

وللحديث عن رواية غير الثقفيين لأشعار الثقفيين نذكر أنه كان لبعض الشعراء راوٍ أو رواة، يحفظون شعرهم ويروونه وينشدونه في المجالس والمحافل، وكان رواة الشاعر – كما يقول الدكتور ناصر الدين الأسد– «أمراً موروثاً وعادة موصولة منذ الجاهلية»، وذكر أمثلة على ذلك[4] من استقرائه لرواية شعر القبائل عامة.

ويورد أمثلة على ذلك من استقرائه لرواة الشعر عند الثقفيين خاصة؛ ومن ذلك استشهاد ابن عباس بعدد من أبيات أمية بن أبي الصلت الثقفي، لتفسير بعض آيات القرآن الكريم

(1) خزانة الأدب: 131/3.

(2) انظر: ديوان الراعي النميري: 46، والقصيدة: 82.

(3) الشعر والشعراء: 734/2.

(4) مصادر الشعر الجاهلي: 238.

عندما سأله عنها نافع بن الأزرق[1].

ويُذكر أن سراقة البارقي (ت 80هـ) أشار في بيت له إلى شعر أمية فقال[2]:

وَأُمَــيَّــةُ الْـبَـحْـرُ الَّــذِي فـي شِـعْـرِهِ حُـكْـمٌ كَـوَحْـيٍ فـي الـزَّبُـورِ مُفَصَّلِ

وروى وهب بن جرير بن حازم (ت 170هـ) لأمية ثلاثمئة قصيدة، وسأله الأصمعي: أين كتابه؟ قال: استعاره فلان، فذهب به[3]. ولعل ابن حبيب (ت 245هـ) هو أول من جمع شعر أمية، وشرحه في كتاب، ويبدو أنَّ عبد القادر البغدادي[4] تلقفه فاستفاد منه في خزانته[5]، ثم ما لبث أن ضاع هذا الكتاب، مثلما ضاع كتاب (أخبار أمية) للزبير بن بكار (ت 256هـ).

لما جاء عصر التدوين في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ذهب العلماء إلى جمع أشعار فحول الشعر وأشعار القبائل من أفواه أشياخهم الرواة، ومن أفواه أبناء القبائل في البوادي، وحين يقدمون إلى الحواضر، بل إن الدكتور ناصر الدين الأسد ذهب إلى أن أشعار القبائل كانت قد جمعت منذ مطلع القرن الهجري الأول، وأن بعضها قد يكون كتب منذ الجاهلية، واستدل على ذلك بأدلة واضحة[6].

ومن الأخبار التي تهمنا ما ذكره حماد الراوية قال[7]: «أرسل الوليد بن يزيد إليَّ بمئتي دينار، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد. قال: فقلت لا يسألني إلا عن طرفيه قريش وثقيف، فنظرت في كتابي قريش وثقيف، فلما قدمْتُ عليه سألني عن أشعار بَليّ،

---

(1) هذه الأجوبة تعرف بمسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس، وقد رواها ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء 76/1–98 وأوردها السيوطي كاملة في الإتقان 157/1–175 (القاهرة 1979م) وتوجد بعضها في مصادر أخرى، وقد أفردها محمد فؤاد عبد الباقي ورتبها على حروف المعجم، وألحقها بآخر كتابه «معجم غريب القرآن»: 238–292 ودرستها اعتماداً على النص الوارد في الإتقان، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في الإعجاز البياني للقرآن (القسم الثاني).

(2) ديوانه 70 (نشر: حسين نصار).

(3) فحولة الشعراء: 33.

(4) خزانة الأدب 120/1، 121؛ 543/2؛ 286/3.

(5) الفهرست: 111.

(6) مصادر الشعر الجاهلي: 557 – 561.

(7) الأغاني: 94/6.

فأنشدته منها ما استحسنه..»(1).

هذا الخبر يؤكد أن هناك كتاباً قد حوى بين دفتيه فقط أشعار ثقيف، وأن هذا الكتاب كان عند حماد الراوية (ت 156هـ) وفي بيته، وأنه نظر فيه ليستذكر ما فيه من أشعار ثقيف. وأن الخليفة نفسه حين أراد أن «يجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها، استعار من حماد ومن جناد بن واصل الكوفي ما عندهما من الكتب والدواوين، فدوَّنها عنده، ثم رد إليهما كتبهما»(2).

ثم إن ابن سلام ذكر في كلامه عن الشعر العربي القديم أنه «كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول، وما مُدِحَ به هو وأهل بيته، فصار ذلك إلى بني مروان»(3).

وهذا الذي ذكره ابن سلام يؤكد أن النعمان بن المنذر كان حريصاً على تدوين مدائح الشعراء فيه وفي آل بيته، وبالجمع بين هذا الخبر وبين ما ذكره المرزباني من أن كنانة بن عبد ياليل بن سالم كان ممن مدح النعمان بن المنذر في قصائد كثيرة– لم تذكر لنا المصادر منها بيتاً واحداً–؛ فمن المحتمل أن تكون مدائح كنانة ضمن الديوان الذي ضم فيه النعمان مدائح الشعراء له.

ومما يدلل على أن أشعار العرب كانت مدونة ومنها أشعار ثقيف، وأن فكرة تدوينها كانت قديمة عند العرب؛ ما ذكره حماد الراوية من «أن ملك الحيرة النعمان بن المنذر (ت 602م) أَمَرَ فنُسِخَتْ له أشعار العرب في الطُّنوج – وهي الكراريس – ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيدة الثقفي، قيل له: إن تحت القصر كنزاً، فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار. فمِنْ ثم أهلُ الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة»(4).

ولئن ذهب بعض الباحثين إلى التشكيك في هذه الدعوى بسبب أن راويها حماد، وأنه

---

(1) الأغاني: 558.

(2) الفهرست: 134.

(3) طبقات فحول الشعراء: 10.

(4) الخصائص: 1/392 – 393، والمزهر 1/148 – 149.

ربما افتعلها ليفضل أهل الكوفة على أهل البصرة في الخلافات التي نشبت بين البلدين[1]، فإن البعض الآخر من الباحثين يرون أن مضمون هذه القصة يغلب عليه أن يكون صحيحاً، فمن الطبيعي أن يعتز الملوك والسادة بما قيل فيهم من مدائح، وما لهم من مآثر ومفاخر، فيعملوا على تسجيلها وتدوينها حتى يُكْتَبَ لها البقاءُ والخلود.

ويذكر أبو الفرج في أغانيه عبارة تقول: «نَسَخْتُ من كتابِ أبي سعيد السكري»، وقد كررها أبو الفرج أربع مرات حين تحدث عن أخبار غيلان، مع أنه ليس من المشهور أن أبا سعيد السكري (الحسن بن الحسين) قد جمع شعر غيلان بن سلمة، مع كثرة ما جمعه من أشعار القبائل وشعراء العرب[2].

وقد ذكر ابن النديم أسماء القبائل التي عَرَفَ أن أشعارها قد جُمِعَتْ، وَذَكَرَ أسماء جامعيها، فبلغت ثمانياً وعشرين قبيلة، معظمها من صنع أبي سعيد السكري[3]. وذُكِرَ في أخبارِ أبي عمرو الشيباني أنه «أُخِذ عنه دواوين أشعار القبائل كلها»، ونقل بسند له إلى عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال: «لمَّا جمع أبي أشعار العرب؛ كان نيفاً وثمانين قبيلة»[4].

وذكر ابن النديم أخبار المدائني[5] فذكر منها كتبه في أخبار العرب، فكان منها كتاب أخبار ثقيف[6] بخط أبي الحسن الكوفي[7].

وذكر من أخباره كتبَهُ في الأحداث، فكان منها كتاب أخبار الحجاج ووفاته، وفي

---

(1) انظر: الأدب العربي لبلاشير: 105.

(2) الأغاني: 94/6.

(3) الفهرست: 302، وانظر: مصادر الشعر الجاهلي: 545 - 547 أيضاً حيث ذكر الدكتور ناصر الدين الأسد أسماء علماء آخرين غير أبي سعيد السكري، شاركوه في صنعة بعض دواوين القبائل.

(4) الفهرست: 135 وانظر، نور القبس: 277 ومعجم الأدباء 298/19.

(5) المدائني: هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني مولى سمرة بن جندب، (ويقال سمرة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف)، ولد سنة 135هـ، ومات سنة 215هـ، وقيل: سنة 225هـ، وله ثلاث وتسعون سنة، في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلي، انظر الفهرست: 113.

(6) الفهرست: 116.

(7) الفهرست: 113.

الفتوح ولاية المغيرة بن شعبة[1]، وذكر له ابن النديم كتاب (أخبار الشعراء)، وكتاب (من نسب إلى أمه من الشعراء)[2].

ثمة مجموعة من المؤلفات كانت تضم أشعاراً من كل قبيلة على حِدَة، ومنها (كتاب أشعار القبائل) لخالد بن كلثوم الكلبي؛ وهو من طبقة أبي عمرو الشيباني[3].

وثمة مجموعة أخرى من المؤلفات كانت تتناول أعلام الشعراء مثل: (كتاب الشعراء المذكورين) لخالد بن كلثوم الكلبي، و(كتاب الديباج في أخبار الشعراء) لهشام بن محمد الكلبي، و(كتاب أخبار الشعراء)، و(كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء) للمدائني، إلى ضروب أخرى من التأليف تهتم بإيراد أشعار القبائل، ككتب الأنساب، والأيام، والمثالب، والمناقب، وغير ذلك.

وقد ذكر الآمدي[4] أشعار بعض شعراء ثقيف في كتابه المؤتلف والمختلف؛ منهم: أراكة ابن عبد الله الثقفي، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، وأبو محجن (8 أبيات)، وابن الذئبة (3 أبيات)، وعنترة بن عروس (9 أبيات)، والمحبر الثقفي (3 أبيات)، والحارث بن كلدة وله مقطوعتان إحداهما (5 أبيات) والثانية من (بيتين).

لم يذكر الآمدي في كل تلك المواضع اسم صانع هذا الكتاب، وهو دَأْبُهُ في ذكر دواوين أشعار القبائل الستين التي ذكرها في كتابه، إذ لم ينسب تلك الدواوين إلى جامعيها إلا بعضها اليسير[5].

ثم إننا لا نجد أي ذكر لديوان شاعر من شعراء ثقيف في المصادر القديمة، سوى أمية بن أبي الصلت الثقفي، الذي سبق الحديث عنه، وإن كان هشام بن محمد الكلبي قد كتب كتابا في (دخول جرير على الحجاج)[6]، وكتب هشام أيضاً كتاباً آخر في (أخبار عمرو بن معدي

---

(1) الفهرست: 115.

(2) الفهرست: 116.

(3) الفهرست: 73 وإيضاح المكنون 88/3، وتاريخ التراث العربي مج 2: 60/1 – 66.

(4) المؤتلف: 67، 68.

(5) مصادر الشعر الجاهلي: 544 – 545.

(6) الفهرست: 109.

كرب)[1]، وله كتاب آخر في فضائل قيس عيلان[2]، ومعروف أن ثقيفاً تنتمي إلى قيس عيلان. ولأبي الفضل جعفر كتاب (الأشعار والمنتخبات من أقوال الشعراء الإسلاميين)[3].

وقد غدا مشهوراً أن مجاميع أشعار القبائل التي صنعها علماؤها الأوائل قد ذهبت بها العوادي سوى ديوان شعر هُذيل – وهو مطبوع متداول– فكان من ذلك كتاب أخبار ثقيف، وقد بحثت في فهارس المخطوطات في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، وفي فهارس مخطوطات الشعر في دار الكتب المصرية، فلم أرجع بطائل.

المطلب الثاني: مصادر شعرهم المجموع:

إن عملية إعادة جمع أشعار قبيلة من القبائل العربية تتطلب الرجوع إلى مختلف المصادر مهما تباينت موضوعاتها، واختلفت عصور مؤلفيها؛ ليقف على أشعارها وأخبارها وأنسابها وأيامها، وقد كان هذا شأن ما اجتمع لدى هذه الدراسة من أشعار ثقيف، التي بلغ مجموعها (765) خمسة وستين بيتاً وسبعمئة بيت، منها (280,5) مئتان وثمانون بيتاً ونصف بيت لشعراء جاهليين، ومجهولي الجاهليين، والمخضرمين، والمستدرك على شعر غيلان بن سلمة، وشعر أمية وقصيدته الدالية. و(97) سبعة وتسعون بيتاً لشعراء في عصر صدر الإسلام. و(325) خمسة وعشرون بيتاً وثلاثمئة بيت وثلاثة أشطر لشعراء أمويين. وثلاثة وستون بيتاً لشعراء ثقفيين مجهولين من حيث الاسم أو العصر.

ومن ثم فإن ما اجتمع لدى هذه الدراسة مما نسب إلى الشعراء الجاهليين وشعراء صدر الإسلام وشعراء العصر الأموي لقبيلة ثقيف إنما هو (82) اثنان وثمانون بيتاً وثلاثة أشطر.

هذا الإحصاء لا يتضمن شعر أمية الذي جمعه الدكتور السطلي، وزاد عنده على ثماني مئة بيت، وشعر غيلان الذي جمعه الدكتور بدر ضيف الذي وصل عنده إلى ما يقارب

---

(1) الفهرست: 109.

(2) الفهرست: 108.

(3) الفهرست: 197.

الأربعين بيتاً، وشعر طريح الذي وصل إلى أكثر من مئة وثلاثين بيتاً، وشعر محمد النميري الذي يبلغ ما يقارب مئة بيت، وشعر أبي محجن الذي وصل إلى حوالي سبعين بيتاً.

ثم إن أبيات الثقفيين موزعة في مصادر متعددة من كتب التراجم المتنوعة، والاختيارات الشعرية، والحماسات، والتاريخ، والجغرافية، واللغة، والنحو، والشروح، وكتب الأدب العامة، وبعض تلك المصادر من الأهمية بمكان يجعل الباحث يتوقف إزاءها؛ ليشير إلى مواطن أهميتها من حيث عدد شعراء هذه الدراسة، والشعراء الذين تفرد بذكرهم، ومن حيث عدد الأبيات التي أوردتها المصادر، مع التنبيه على أن بعض ذلك الشعر روي لغيرهم.

وكان لكتب التراجم المتنوعة أكبر الأهمية، ولا سيما المصادر الأربعة التالية:

تاريخ دمشق لابن عساكر (571هـ)، والأغاني للأصبهاني (356هـ)، ومعجم الشعراء للمرزباني (384هـ)، والمؤتلف والمختلف للآمدي (370هـ).

أما تاريخ دمشق – وهو كتاب ترجم فيه ابن عساكر للأعلام المختلفين الذين وجد أنهم سكنوا مدينة دمشق، وما كان تابعاً لها من المواضع، أو كان لهم خبر متعلق بها – فقد بلغ عدد الشعراء الثقفيين الذين ذكرهم وترجم لمعظمهم (9) تسعة شعراء، وأنشد أشعاراً لـ(7) لسبعة منهم. أما الاثنان الآخران فأحدهما هو عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث– ويعرف بعباد القرشي، ويقال الثقفي[1]– فقد ذكر ابن عساكر أنه شاعر ولم يورد له شعراً، وأما الآخر فهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ابن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي– وهو المعروف بابن أم الحكم[2]– ولم يورد له ابن عساكر شعراً، ولم يذكر أنه شاعر، ولكن له شعراً في مصادر أخرى.

وتفرد ابن عساكر بذكر أسماء ثلاثة شعراء، أنشد لاثنين منهم؛ وهما: عبد الله بن سعيد بن عتبة الثقفي[3] (8) ثمانية أبيات، وابن الكاهلية الثقفي[4] (2) بيتان. ومجموع ما تفرد به ابن

(1) ابن عساكر 190/34.
(2) ابن عساكر 43/35.
(3) ابن عساكر: 64/29، 65.
(4) ابن عساكر: 54/35.

عساكر (17) سبعة عشر بيتاً، منها (7) سبعة أبيات ارتجزها الحجاج بن يوسف الثقفي(1). أما مجموع شعر ثقيف في تاريخ ابن عساكر فقد بلغ (103) مئة بيت وثلاثة أبيات.

أما كتاب الأغاني لأبي الفرج فقد جمعتُ أشعار الثقفيين فيه، فوجدته قد ذكر تسعة شعراء ثقفيين، استشهد لهم بأربعمئة بيت في سبع عشرة قصيدة، وأربع وستين مقطعة، وأربعة عشر بيتاً مفرداً.

أما معجم الشعراء للمرزباني –وهو كتاب لم يصلنا كاملاً– فقد اعتمدتُ نسختين محققتين أولاهما: نسخة بتحقيق عبد الستار فراج، وثانيتهما: بتحقيق فاروق اسْليم، وقد اختلف عدد الشعراء الثقفيين وشعرهم تبعاً لاختلاف التحقيق؛ كما يتضح من الجدول:

	عدد الشعراء في الدراسة	عدد الأبيات	شعراء ذُكِرُوا من دون شعر	شعراء ذُكِرُوا مع شِعرِهِم	عدد الشعراء الذين تفرد	عدد الأبيات
عبد الستار فراج	13	27	3	5	5	18
فاروق اسليم	6	22	——	6	2	11

ومما تجدر الإشارة إليه أن المحقِّقَيْن اشتركا في ستة شعراء هم: المغيرة بن شعبة، ومحمد بن القاسم بن محمد، وأبو طليق، والمغيرة بن الأخنس، ومحمد النميري، ومحمد بن القاسم أبو البهار، بنفس عدد الأبيات لكل شاعر، ليصل مجموع المشترك بين التحقيقين إلى اثني عشر بيتاً، انفرد المحقق الثاني بستة أبيات لمحمد بن القاسم بن الثقفي.

أما المؤتلف والمختلف للآمدي فقد بلغ عدد الشعراء الثقفيين الذين ذكرهم ستة شعراء، تفرد بذكر اثنين منهم وهما: ربيعة بن الذئبة الثقفي، والمحبر الثقفي، وبلغ عدد الأبيات التي أنشدها أثناء الترجمة لهم (31) واحداً وثلاثين بيتاً، منها بيتان للأجرد الثقفي، نسبهما

(1) ابن عساكر: 130/12.

للحارث بن وعلة الجرمي، وقد تفرد الآمدي بذكر ستة أبيات.

ثم هناك كتب الحماسات وبعض شروحها، ونقف عند أهمها مرتبة ترتيباً تصاعدياً حسب عدد الأبيات، مبتدئة بحماسة الظرفاء التي جمعت (11) أحد عشر بيتاً لأربعة شعراء وانفردت من بين جميع المصادر بأربعة أبيات للحجاج بن يوسف الثقفي.

وفي الحماسة الصغرى (الوحشيات) نجد فيها اختياراً لـ(5) لخمسة شعراء ثقفيين. بلغ مجموع ما اختاره (32) اثنين وثلاثين بيتاً، منها ستة أبيات منسوبة لوعلة بن الحارث الْجَرْمِيّ، وهي في كثير من المصادر للأجرد الثقفي.

وفي شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري (34) أربعة وثلاثون بيتاً لثلاثة شعراء ثقفيين، ونصف بيت ليزيد بن ضبة الثقفي.

أما حماسة أبي تمام فأنشد فيها (44) أربعة وأربعين بيتاً لثلاثة شعراء ثقفيين. وفي حماسة ابن الشجري فقد جمع فيها (55) خمسة وخمسين بيتاً لـ(7) لسبعة شعراء ثقفيين. وفي حماسة البحتري اختار (97) سبعة وتسعين بيتاً لـ(7) لسبعة شعراء ثقفيين.

وفي كتب الاختيارات الشعرية والمصادر الأدبية المختلفة نقف عند أهمها: التذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، التي جمع فيها مئة بيت وسبعة أبيات، إلى جانب ثلاثة أبيات منسوبة إلى سعيد بن المسيب وإلى محمد بن عبد الله النميري الثقفي ليصل عدد الأبيات إلى (110) مئة بيت وعشرة أبيات دون المكرر، أنشد لاثني عشر شاعراً ثقيفاً؛ متفرداً بستة أبيات لشاعرين هما: موسى الثقفي، وعبد الله بن نمير بن حسوسة الثقفي.

وفي (بهجة المجالس، وأنس المجالس، وشحن الذاهن والهاجس) لابن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي (368هـ—463هـ) ثلاثة وثمانون بيتاً، وشطر بيت لغيلان بن سلمة تفرد به ابن عبد البر، منشداً بذلك لسبعة شعراء ثقفيين في كتابه.

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ) ثمانون بيتاً، أنشد لأحد عشر

شاعراً ثقيفاً، تفرد بذكر شاعر هو مسلم بن يزيد الثقفي منشداً له ثلاثة أبيات. وتفرد بنسبة بيتين لأمية الثقفي، وبيتين آخرين لمحمد بن عبد الله النميري.

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد اثنان وسبعون بيتاً، أنشد لثمانية شعراء ثقفيين. أما البيان والتبيين للجاحظ (255هـ) فقد جمع فيه اثنين وأربعين بيتاً لثمانية شعراء ثقفيين.

وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (395هـ) سبعة وعشرون بيتاً لسبعة شعراء ثقفيين، تفرد أبو هلال بذكر أربعة أبيات لشاعرين هما: عمرو بن محمد، وأبو صفوان الثقفيين.

أما في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (350—429هـ) فقد جمع فيه ستة عشر بيتاً لشاعرين اثنين هما: أمية بن أبي الصلت، وابن عروس الذي له ثمانية أبيات، تفرد بهن الثعالبي في كتابه.

ولم أجد لابن عروس ترجمة تُعَرِّفُ به أو تدل عليه، فهل يقصد به عنترة بن عروس أم غيره؟

والراجح أن ابن عروس ليس هو عنترة بن عروس (المولى الثقفي) في العصر الأموي، وأكبر الظن أنه من شعراء العصر العباسي وأنه ليس بثقفي، ولذا ضربت صفحاً عن جمع شعره؛ فالأمر لا يعدو أن يكون تشابهاً في الأسماء.

ومعجم البلدان لياقوت (626هـ) أهم كتب الجغرافية التي جمع منها شعر ثقيف، إذ ذكر فيه ياقوت (11) أحد عشر شاعراً، وتفرد ياقوت بذكر خمسة شعراء، ليس لأربعة منهم ذكر ولا شعر إلا في معجمه وهم: الحجاج بن عتيك الثقفي، والمرداس بن عمرو الثقفي، وأبو مروان الثقفي، وأزدة بنت الحارث بن كلدة، وآخران لهما ذكر في مصادر أخرى ولكن لهما أبيات تفرد بها ياقوت؛ وهما غيلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو.

وقد بلغ شعر الثقفيين عنده مئة وأربعة أبيات وثلاثة أشطر، تفرد ياقوت بـ (26) بستة وعشرين بيتاً.

أما (تاريخ الأمم والملوك) أو (تاريخ الطبري) لمحمد بن جرير (310هـ)؛ فهو أهم كتب التاريخ التي حوت شعر ثقيف، ذلك أنه ذكر فيه (6) ستة شعراء أنشد لهم جميعاً (48) ثمانية وأربعين بيتاً.

وفي كتب اللغة ولاسيما المعجمات شيء ليس بالقليل من أشعار ثقيف، وتقف الدراسة عند كتابين هما:

الأول: كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (206 أو 213هـ)؛ قال فيه ابن النديم– وهو يَعُدُّ ما صنف أبو عمرو–: «كتاب النوادر المعروف بحرف الجيم»، وهو كتاب يهتم بإيراد الألفاظ النادرة من كلام العرب، وقد أورد فيه كثيراً من لغة ثقيف، والذي يُهِمُّنا هو ما أنشده من شعرهم إذ بلغ مجموعه (96) ستة وتسعين بيتاً.

والثاني: لسان العرب لابن منظور (711هـ) جمع فيه مؤلفه ما ورد في معظم المعجمات التي ظهرت قبله، ذكر منها ستة كتب، ومن ثم فهو يغني عنها وهي:

تهذيب اللغة للأزهري (370هـ)، والمحكم لابن سيدة، والصحاح للجوهري (393هـ) وحواشي الصحاح لابن دريد، والنهاية لابن الأثير، وأمالي ابن بري، فبلغ عدد الشعراء الثقفيين الذين وقفت على ذكرهم فيه (14) أربعة عشر شاعراً، وقفت فيه على (161) واحد وستين بيتاً ومئة بيت.

تلك كانت أهم المصادر خلال القرون فيما يتعلق بما اجتمع لدى الدراسة من شعر ثقيف، وهو غيض من فيض، وقليل من كثير، وجزء صغير من شعرهم الذي قالوه منذ الجاهلية إلى آخر عصر بني أمية، يدرك القارئ ذلك بمجرد النظر في هذا المجموع من أشلاء قصائد غالتنا بها أيدي النوائب، فلم تدع منها إلا أبياتاً قليلة، كما ترك الصقر من فرخ الحمامة التي وضعها حميد بن ثور فقال:

أُتِيحَ لَهَا صَقْرٌ مُسِفٌّ فَلَمْ يَدَعْ لَهَا وَلَداً إلا رَمِيماً وَأَعْظُمَا

المطلب الثالث: ضياع شعرهم وفقدان ديوانهم:

كان نتاجُ الشعراء الجاهليين غزيراً وفيراً؛ ولكن مما يؤسف له ضياع الكثير الكثير من شعرهم وشعر صدر الإسلام وعصر بني أمية، وأن يكون نصيبنا مما حُفِظَ من هذا التراث شيئاً قليلاً جداً.

وقد ذكر هذه الحقيقة العلماء السابقون، ونقل محمد بن سلام الجمحي عن يوسف ابن حبيب (ت183هـ): «أن أبا عمرو بن العلاء (ت 154هـ) قال: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير»[1]، وذكر ابن سلام (ت231هـ) في موطن آخر أنه: «لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها»[2]، وجاء كلام ابن قتيبة (ت276هـ) موافقاً له ومؤيداً فقال: «الشعراء المعروفون بالشعر عند قبائلهم وعشائرهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط، أو يقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفق عمره في التنقير عنهم، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال»[3].

فإذا كان هذا هو الحال عند علماء القرنين الثاني والثالث، وقد جُمِع في أزمنتهم ما أدركوه من أشعار القبائل في دواوين أشعارها دون ما سقط من يد الدهر فضاع، فكيف يكون الحال في عصرنا، وقد ضاعت تلك الدواوين إلا ديوان هُذَيْل؟ فلا ريب إذاً أنه لم يصل إلينا من أشعارهم إلا أقلُّ الأقل.

وما يُهِمُّ الباحث ها هنا هو ما ضاع من شعر ثقيف، فقد تبين أن ديوان أشعارهم ضاع مع غيره من دواوين القبائل، ولم يبق منه إلا شذرات هنا وأخرى هناك في كتاب (المؤتلف والمختلف) للآمدي، ومعجم الشعراء للمرزباني، وغير ذلك.

وقد علق الجاحظ على موضوع الشعر عند ثقيف، وذكر مقداره من حيث القلة أو الكثرة وسبب ذلك، وسبقت مناقشة رأي الجاحظ في ذلك، ونحن نوافقه وابنَ سلام في

---

(1) انظر: طبقات فحول الشعراء: 25.

(2) انظر: طبقات فحول الشعراء: 30.

(3) انظر: الشعر والشعراء: 60.

حقيقة قلة الشعر الثقفي، ونخالفهما في أسباب ذلك؛ فبينما يذهب ابن سلام إلى أنه «لم تكن بينهم نائرة»، ويذهب الجاحظ إلى أن «ذلك عن قدر ما قسم الله لهم من الحظوظ والغرائز والأعراق مكانها»، نرى أن تلك القلة ليست هي في ذاتها وإنما لقلة ما وصل إلينا من أشعارهم. ونؤكد أن شعر الثقفيين بلغ من الجودة والإتقان والكثرة ما جعل ابن سلام يعد خمسة من شعراء الثقفيين في الفحول، وأبا الفرج يذكر عدداً آخر.

وما اجتمع في هذه الدراسة بعد استبعاد المجموع من شعر أمية بن أبي الصلت الثقفي إلا قصيدته الدالية وأبياتاً ومقطوعات استدركناها، وبعد استبعاد شعر غيلان بن سلمة، وأبي محجن، ويزيد بن الحكم، وطريح بن إسماعيل، ومحمد النميري، سوى ما استدركه الباحث من قصائد ومقطوعات وأبيات مفردة لهؤلاء الشعراء، وما جمعه لشعراء ثقفيين آخرين.. فالحاصل يصل إلى (680) ثمانين وستمئة بيت، من العصر الجاهلي حتى نهاية عصر بني أمية.

هذا العدد من الأبيات الشعرية لشعراء ثقيف من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، وما بقي لشعراء ثقفيين لم تعرف عصورهم، إذا ما قورن بما جمعه أبو سعيد السكري من أشعار هذيل، وما جمعه عدد من الباحثين المعاصرين من أشعار القبائل؛ يؤكد أن ما نال أشعار ثقيف من الضياع أكبر مما نال أشعار سائر القبائل.

وقد وقفنا على أدلة تؤكد ضياع شعر ثقيف؛ منها أن هناك من الشعراء من ذكر عنهم العلماء منذ القديم أن لهم شعراً لم يحفظ، ومن هؤلاء عمرو بن شُبَيْل الثقفي، الذي ذكره ابن حجر وابن الجراح، كما ذكره المرزباني في معجمه، دون أن يورد أحدٌ له شعراً، وقال المرزباني: «إنه مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وله شعر لم يحفظ»[1].

كما تذكر المصادر «أن المغيرة بن الأخنس هجا الزبير بن العوام، فوثب عليه المنذر بن الزبير، فضرب رجله، فبلغ ذلك عثمان، فغضب وقام خطيباً.. فذكر قصة».

وتضن علينا المصادر فتسكت عن ذلك الهجاء الذي أثار المنذر وأغضب عثمان، فلا

(1) ابن الجراح، من اسمه عمرو من الشعراء: 131.

تذكر منه بيتاً واحداً.

ومن الأدلة على ضياع شعرهم أننا وقفنا على أسماء عدد من الشعراء، وإن لم نقف على شيء من شعرهم، وهؤلاء الشعراء هم: عوف بن عامر بن حسان بن مالك الثقفي وهو جاهلي، وعمرو بن شبيل الثقفي وهو مخضرم، وأبو عقيل الثقفي، وأبو عمرو الثقفي، وابن الدِّنِّبة الثقفي، وعبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث المعروف بعبادٍ القرشي ويقال الثقفي[1]، وهؤلاء لم تُعْرَف عصورُهُم، ومجموعهم أربعة شعراء؛ لم نقف على شيء من شعرهم، بَلْهَ أولئك الشعراء الذين وقفنا لكلّ منهم على بيت أو بيتين أو ثلاثة أبيات، أو نحو ذلك من الأبيات القليلة أو أنصاف الأبيات، فهم معظم شعراء هذه الدراسة.

ومن تلك الأدلة أيضاً أن هناك عدداً من الشعراء عثرنا على شيء يسير من أشعارهم، في حين أن العلماء وصفوهم بأوصاف تؤكد ضياع كثير من أشعارهم، من هؤلاء الذين ذكرهم ابن سلام[2] وعَدَّهم في الفحول، وجعلهم في طبقات شعراء الطائف المشهورين: أبو الصلت بن أبي ربيعة (والد أمية)، وأمية بن أبي الصلت، وأبو محجن الثقفي، وغيلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل.

وأول هؤلاء أبو الصلت الذي وجدنا له قصيدة واحدة من تسعة أبيات، وأرجوزة من خمسة أبيات، وبيتاً منفرداً. وباقي شعره يتألف من قصيدتين إحداهما من سبعة أبيات، والثانية من ستة وعشرين بيتاً، والقصيدتان مضطربتان في نسبتهما؛ يتنازعهما أمية وأبوه، فهل يمكن لشاعر معدود في الفحول أن يكون كل ما قاله بضعة وأربعين بيتاً؟

أما غيلان بن سلمة فإن ابن سلام يعده في الفحول، فقال: «ولغيلان بن سلمة شعر»[3]، تاركاً الأمر هكذا دون تحديد لمقدار الشعر من حيث القلة أو الكثرة، ثم جاء بعده أبو الفرج ليقول: «وغيلان شاعر مقل، ليس بمعروف في الفحول»[4]، لكن الدكتور بدر ضيف[5]

(1) ابن عساكر 190/34.

(2) طبقات فحول الشعراء: 217.

(3) طبقات فحول الشعراء: 219.

(4) الأغاني: 140/13.

(5) مجلة المورد العراقية: غيلان بن سلمة الثقفي وما تبقى من شعره.

جمع طرفاً من حياة غيلان فقال معلقاً على كلام أبي الفرج: «لكن أخبار غيلان تكشف لنا عن حياة رجل كان أكثر شعراً، وأغزر مادة مما حملته إلينا المصادر»[1].

والغريب أن أبا الفرج يقول ذلك، وهو من نقل لنا في أغانيه أخباراً عن غيلان تكشف كلها عن حياة رجل غزير الشعر، ألم تستوقفه تلك الأخبار التي دونها في كتابه؟ أم أنه قنع بما توافر له من بعض أبيات وبضعة مقطعات؟

يسوق أبو الفرج في أغانيه رواية تقول: «أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: أخبرني محمد بن سعد الشامي قال: حدثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي قال: خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة ما أنشدني لغيره، حتى صدرنا عن (الأُبُلَّة)[2]، ثم مر (بالطَّفِّ)[3] وهو يريد (الطابق)[4]، فأنشدني له».

ومن المعلوم أنها ليست بالمسافة القريبة؛ بحيث تروى فيها أبيات معدودات، هي فقط التي وصلت إلينا من جملة قصيدة، لم نظفر منها إلا بهذه الأبيات الأربعة:

وليلة أرَّقَتْ صِحَابَكَ بالطَّـ ... ـفِّ وأخرى بِجَنْبِ ذي حُسُمِ

فالجسرُ فالقصرانِ فالنَّهْرُ المُرْبـ ... ـدُ بين النخيل والأجمِ

معانق الواسطِ المُقَدَّمِ أو ... أدنو من الأرضِ غيرَ مقتحمِ

أستعملُ العَنْسَ بالقِيَادِ إلى الآ ... فاقِ أرجو نوافلَ الطُّعمِ

فأين شعر غيلان الذي أنشده كيسان بن أبي سليمان لأبي عبد الرحمن الثقفي في طريقهما من «الأبلة» مروراً «بالطف» إلى «الطابق»، مع أن ما أنشده إياه هو كله من شعر غيلان، لا يتعداه إلى شاعر آخر؟

---

(1) أشار الدكتور بدر ضيف في مقاله عن غيلان إلى عدد من الشواهد التي تؤكد غزارة شعر غيلان، انظر مقاله في مجلة المورد المشار إليها.

(2) الأبلة: بلدة تقع على شاطئ دجلة عند البصرة العظمى في زاوية الخليج.

(3) الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية.

(4) الطابق: ضاحية تقع في الجانب الغربي من بغداد.

وهناك أمر آخر يتعلق بشعر غيلان الثقفي؛ وهو أنه افتخر بما افتخر به الشعراء الآخرون، فذكر أن ثقيفاً ذات حسب ونسب، تتسنم ذروة المجد بين القبائل، وأنها كانت دوماً ملجأً للخائفين، وغوثاً للمحتاجين؛ بما يطول – كما يقول ياقوت – ذكره ويسئم قارئه، فأين شعر غيلان في هذا المضمار، وقد عرف عنه أنه كان شريف قومه ورئيسهم وسيدهم المطاع، وصاحب أمرهم في السلم والحرب؟.

لابد أن يكون لشاعر له مثل هذه المنزلة الرفيعة والمكانة المرموقة نصيب كبير، وشعر غزير في الفخر القبلي، ومع ذلك لم نعثر له في هذا المضمار إلا على أبيات لا تتعدى أصابع اليد الواحدة؛ وهي التي يقول فيها:

حَلَلْنَا الْحَدَّ مِنْ تَلعَاتِ قيسٍ بحيثُ يَحُلُّ ذُو الْحَسَبِ الْجَسِيمُ

ثم إن هناك مواقع ومشاهد حضرها غيلان وشهدها، سواء أكانت بين جيرانه، أم بين ثقيف وأبناء عمومتهم، أم بينهم وبين خثعم اليمن، فلا نكاد نظفر من ذلك بأبيات، فأين شعر غيلان في هذه المواطن، وهو الشاعر المذيع لأخبار قبيلته، المسجّلُ لمآثِرِهَا وَمَفَاخِرِهَا؟

لاشك أنه ما غفل عن هذا الدور الذي أناطه به قومه، ولا عن الأمر الذي وسدوه له، فلقد قال وأفاض، ولكن غفل عن قوله الرواة.

وتوجع غيلان وتفجع حين استشهد ابنه نافع– لما كان مع خالد بن الوليد بدومة الجندل– فجزع عليه جزعاً شديداً، وما كان موت فلذة كبده يمر عليه دون أن يهز مشاعر الأبوة، أو يحرك شغاف قلب مكلوم، وأظن أنه رثاه بمرثية طويلة حزينة باكية، لكن لم يحفظ لنا الزمن منها إلا ثلاثة أبيات أو أربعة أبيات على أقصى تقدير في بعض المصادر.

فأين ذهبت تلك المرثية الطويلة؟ وأين شعره الذي بكى فيه ابنه الآخر عامراً الذي توفي في طاعون عمواس؟؟ فهل يمكن للقارئ أن يسلم أن شاعراً مثل غيلان يرثي ولديه نافعاً وعامراً بعشرة أبيات فقط؟.

ونقلت إلينا المصادر طرفاً آخر من أخباره؛ وهو أنه أحصن عشرة من نساء العرب في

الجاهلية، ولما أسلم؛ أَمَرَهُ النبي ﷺ أن يختار منهن أربعاً ويفارق بقيتهن، ولكن لم تحمل لنا المصادر شعره في المرأة وطبيعتها، ونفسيتها، وكيفية معاملتها، بعد أن خبرها ولابسها، وعاشرها وعايشها؟ وأين غزله وتشبيبه بالمرأة وَكَلَفُهُ بها؟ إن لم يكن لطبيعته البشرية؛ فلخبرته وكثرة علاقاته الزوجية، وإن لم يكن لكثرة علاقاته الزوجية؛ فلطبيعة عصرٍ عاشه غيلان يبتدئ الشعر فيه – غالباً – بمقدمات غزلية.

لم أجد لغيلان في هذا المضمار سوى مقطوعتين، كل واحدة تحمل بيتين اثنين فقط، يقول في المقطوعة الأولى:

وَحُـــرَّةِ قَـــوْمٍ قَـدْ تَـنَـوَّقَ فِعْلُها	**وَزَيَّـنَـهـــا لـي قَـوْمُـهَـا فَـتَـزَيَّـنَـتْ**
رَحَـلْـتُ إليـهـا لا تُــردّ وَسِـيـلَـتِـي	**وحـمَّـلْـتُـها مِـنْ قَـوْمِـهَـا فَـتَـحَـمَّـلَـتْ**

وفي المقطوعة الثانية يقول:

يـا رُبَّ مِـثْـلِـكِ فـي النساءِ غَـرِيـرَةٍ	**بـيـضـاءَ قَـدْ صَـبَّـحْـتُـهَـا بِـطَـلَاقِ**
لَـمْ تَـدْرِ ما تَـحْـتَ الضُّلُوعِ وَغَـرَّهَـا	**مِـنِّـي تَـحَـمُّـلُ عِـشْـرَتِـي وَخَـلَاقِـي**

لا يمكن التسليم – بناءً على ما سبق – بأن هاتين المقطوعتين الصغيرتين هما كل ما قاله غيلان في المرأة فحسب.

وإذا كانت هذه نظرة مجملة إلى عامة شعره؛ فإن غيلان بن سلمة قد أسلم بعد فتح الطائف، وتكاد تجمع المصادر على أنه توفي سنة 23هـ، وهي مدة ليست بالقليلة، فأين أثر الإسلام ورسوله في شعر غيلان؟

إن الباحث يجد أن بعض الشعراء قد وصفوا بكثرة شعرهم وغزارته، لكن وجدنا أن مقدار ما وصل إلينا ليس بهذه الكثرة التي وصفوا بها، ذلك أن العرب اقتسموا شعره، ومن ذلك ما ذكره أبو الفرج من «أن يزيد بن ضبة الثقفي قد نظم ألف قصيدة، فاقتسمها شعراء العرب وانتحلتها، فدخلت في أشعارها»[1].

---

(1) الأغاني: 103/7.

فإذا أحصينا ما في هذه الدراسة من شعر يزيد بن ضبة الثقفي، فإننا نجد له ثلاث قصائد، وثلاث مقطعات، وثلاثة أبيات منفردة، ونصف بيت، ليصل مجموع أبياته جميعاً إلى (114,5 بيتاً) أربعة عشر بيتاً ومئة بيت ونصف البيت!!

ومنها ما نجده من أبيات مُفْرَدَةٍ، منها مطالع قصائد لم نقف على شيء من سائرها، ومنها ما فيه ضمائر تعود على أشخاص أو أشياء ذكرها الشعراء في أبيات سابقة لم نعثر عليها، كما نجد مثل هذه الضمائر في أبيات غير مفردة أيضاً، إلى غير ذلك من أمور تدل على أبيات أخرى لم يُعْثر عليها، وهذا الضرب كثير جدّاً فيما اجتمع لدى الدراسة من أشعار ثقيف، بحيث يَنِدُّ عن الحصر، فلا داعي للتمثيل له.

ومن إشارات العلماء إلى أشعار لم نقف عليها ما ذكره البيهقي بسنده إلى ذابل بن الطفيل بن عمرو الدوسي: أن النبي ﷺ قعد في مسجده ذات يوم، فقدم عليه خفاف بن نضلة بن عمرو بن بهدلة الثقفي، وأنشده القصيدة فاستحسنها رسول الله وقال: «إن من البيان كالسحر، وإن من الشعر كالحكم».

ولا نجد من هذه القصيدة إلا مقطوعة في ستة أبيات فقط! إن أبياتاً يُنشِدها شاعر بين يدي رسول الله ﷺ- سيد الفصحاء والبلغاء- فتنال إعجابه، ويستحسنها؛ لا تكون قليلة أبياتها إلى هذا الحد، ثم إن الأبيات الموجودة ليست إلا وصفاً لرحلة الشاعر إلى رسول الله ومجيئه إليه! لا نجد فيها من جمال الشعر ورونقه وبهائه الآسر للقلوب شيئاً، وهذا يرجّح أن تكون هناك أبيات كثيرة مفقودة قيلت وأعجب بها رسول الله، حتى قال فيها ما قال.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن عساكر أن عبد الله بن سعيد بن عتبة الثقفي «شاعر فارس ممن شهد فتنة أبي الهيذام، وقال فيها شعراً»، وحين نتتبع ذلك في المصادر فلا نجد لعبدالله – الذي وصفه ابن عساكر بقوله «شاعر فارس»- لا نجد له بين أيدينا شعراً بعامة، ولا نجد شعره في فتنة أبي الهيذام بخاصة؛ سوى أبيات قليلة ذكرها ابن عساكر؛ أبياته هذه لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة!

ومن إشارات العلماء ما ذكره المرزباني من أن كنانة بن عبد ياليل بن سالم الثقفي «شاعر

جاهلي، كان يمدح النعمان بن المنذر»، فإذا ما نقبنا بين مختلف المصادر فإنا لا نعثر له على شعر أبداً؛ فضلاً عن أن نجد له شعراً في مدح النعمان[1].

وبذلك يتبين أن ما أدته إلينا المصادر من أشعار ثقيف ليس إلا جزءاً قليلاً جداً من شعرهم الذي قالوه، على أننا نجد هذه المصادر تختلف أحياناً في نسبة بعض هذه الأشعار بين شعراء ثقيف أنفسهم، وبينهم وبين غيرهم من شعراء القبائل الأخرى، ومن ثم لابد من وقفة تتناول توثيق شعرهم، والحديث عن الاضطراب في نسبة أشعارهم.

المطلب الرابع: توثيق شعرهم:

لعل من أهم المشكلات التي تعترض مسيرة هذه الدراسة– وما أشبهها من دراسات في الأدب القديم– مشكلة الاضطراب. وتتمثل هذه المشكلة في ثلاثة جوانب:

الأول: الاضطراب في أسماء الشعراء وأنسابهم من تصحيف أو تحريف، أو زيادة أو نقصان، أو خلط في الأسماء، أو اختلاط في الأنساب.

الثاني: الاضطراب في رواية متن الشعر نفسه، من حيث الاختلاف في الرواية أو التصحيف، أو تحريف لبعض الألفاظ أو خلل في الوزن.

الثالث: الاضطراب في نسبة الشعر إلى هذا الشاعر أو ذاك.

أما ما يتعلّق بالجانبين الأول والثاني فقد تكفّلت حواشي الديوان ببيانه، وأما الجانب الثالث فهنا موضع مناقشته باختصار، وجمع مُفَرَّقِهِ بإيجاز؛ ليتعرف القارئ شعر الثقفيين وشعر غيرهم، وما ينسب إليهم وإلى غيرهم دون قطْعٍ بنسبته، إذ ليس ثمة دليلٌ قاطعٌ بذلك؛ لنقف على ما يجوز الاستشهاد به في دراسة شعرهم وخصائصه وما لا يجوز.

الشعر المضطرب النسبة سواءٌ أكان لبني ثقيف أم لغيرهم من القبائل على ثلاثة أضرب: فضرب يجد الباحث له دليلاً قاطعاً على الوجه الصحيح في نسبته، وضرب يجد بعض ما

---

(1) معجم الشعراء للمرزباني: 246.

يرجح كونه لهذا الشاعر أو ذاك دون أن يكون هذا المرجح دليلاً قاطعاً بنسبته، وضرب تتوازن فيه الأدلة بين هذا الشاعر أو ذاك فيبقى شعراً متنازع النسبة.

يمكن للمرء أن يتناول الشعر المضطرب بين شعراء ثقيف أنفسهم؛ من حيث عصور الشعراء بحسب تلك الأضرب الثلاثة على النحو الآتي:

أ- الشعر المضطرب بين شعراء ثقيف في العصر الجاهلي، مما اضطربت نسبته وعرف بالدليل القاطع:

نجد من هذا الضرب في أشعار الثقفيين ثلاث قطع:

المقطوعة الأولى مؤلفة من ثمانية أبيات، ومطلعها:

تَبَغَّ ابنَ عَمِّ الصِّدْقِ حَيْثُ لَقِيتَهُ فَإِنَّ ابْنَ عَمِّ السوءِ أُوغِرَ جَانِبُهْ

وقد أنشدها أبو تمام في الوحشيات: 120 أربعة أبيات، واكتفى من بعده البحتري في حماسته 1: 228 بإنشاد بيتين فقط، ومثله صنع الآمدي في المؤتلف: 261 والموازنة 1: 178 بإنشاد البيتين أنفسهما، وأنشد ابن الشجري في حماسته 1: 259 خمسة أبيات متفقاً مع سابقيه جميعاً في بيتين، ثم أنشد صدر الدين علي بن أبي الفرج (ت656هـ) خمسة أبيات في الحماسة البصرية 1: 48 متفقاً مع ابن الشجري في ثلاثة أبيات، ثم أنشد ابن حمدون في التذكرة الحمدونية 5: 55 البيتين اللذين تتفق فيهما كل المصادر السابقة، والبيتان هما:

أراني إذا استغنيتُمُ فَعَدُوُّكم وأدْعَى إذا ما الدهْرُ نَابَتْ نَوَائِبُهْ

فإِنْ يَكُ خَيْرٌ فالبَعِيدُ يَنَالُهُ وإنْ يَكُ شَرٌّ فابْنُ عمِّكَ صَاحِبُهْ

ثم إن هذه المصادر تروي هذين البيتين فقط، أو تزيد عليهما أبياتاً أخرى، وتعزوها جميعها إلى الحارث بن كلدة الثقفي.

ولم يقل أحد إن هذه الأبيات لابن الذئبة أو لأبي الدبية سوى البحتري، ويُرَجَّح كون هذه الأبيات للحارث لا لابن الذئبة ولا لأبي الدبية الطائي؛ أن ابن الذئبة له أبيات أخرى

تتشابه كثيراً مع هذه الأبيات في وزنها وقافيتها وموضوعها، وتتداخل بعض أبيات الحارث معها وتختلط بها.

ومما يقوي هذا الترجيح أن أصحاب: الحماسة الصغرى (الوحشيات)، والحماسة البحترية، والشجرية، والبصرية، وغيرهم؛ أنشدوها للحارث، وأن البحتري هو الذي اضطربت عنده الأبيات ناسباً بعض أبياتها تارة إلى الحارث، وثانية إلى ابن الذئبة، وثالثة إلى أبي الدبية الطائي. يضاف إلى ذلك أن البحتري في حماسته آخذٌ عن أبي تمام، مستقٍ منه.

المقطوعة الثانية قصيدة من أحد عشر بيتاً مطلعها:

وما كنتُ مِمَّنْ أَرَّثَ الشَّرَّ بَيْنَهُمْ   وَلَكِنَّ مَسْعُوْداً جَنَاهَا وَجُنْدُبَا

أنشد منها الآمدي (370هـ) في المؤتلف ثلاثة أبيات؛ ذاكراً أنها للمحبر الثقفي (ربيعة ابن مسعود)، ووافقه في نسبتها ابن الأثير (630هـ) في الكامل 1: 686 وزاد عليه ثمانية أبيات أخرى، وخالفهما الجاحظ (255هـ) في البيان والتبيين بإنشاد أربعة أبيات منها جعلها لربيعة ابن مسعود.

ومع أن أقدم تلك المصادر هو البيان والتبيين فإن الظاهر أنه ربما وقع تحريف وتصحيف في اسم قائلها المحبر ربيعة بن سفيان، وكل المصادر تتفق في ربيعة، لكنها تختلف في اسم أبيه، فهو في المؤتلف والكامل (ربيعة بن سفيان)، وفي البيان (ربيعة بن مسعود)، وأظن أن ذلك راجع إلى تحريف اسم مسعود، وهو أمر محتمل لتقارب رسميهما قديماً.

المقطوعة الثالثة مؤلفة من ثلاثة أبيات مطلعها:

أَطَعْتُ العِرْسَ في الشَّهَوَاتِ حَتَّى   أَصَارَتْنِي عَسِيْفاً عَبْدَ عَبْدِ

والأبيات تتوزعها النسبة إلى ابن الذئبة الثقفي في اختيار الممتع 1: 100، وابن أذينة الثقفي في البخلاء: 184، وبيتان منها في عيون الأخبار 1: 243 لابن الدمينة الثقفي، وثلاثتها لأحيحة بن الجُلاَّح في الأصمعيات: 22، وفي ديوانه: 19 بزيادة بيت رابع.

وجاء البيت الثالث منها (فمن وجد الغنى..) مع بيت رابع (ولا يمنعه من حمد..)في

حماسة البحتري للشاعر الجاهلي ابن الأسلت، وهما في ديوانه: 71، وأرجح كون هذه الأبيات لأحيحة بن الجلاح لا لأحد من الشعراء الثقفيين، أو غيرهم، وذلك للأسباب الآتية:

– أن المصادر التي نسبتها إلى شاعر ثقفي تختلف كلها في تحديد اسم الشاعر، ولم يتفق أكثر من مصدر واحد على شاعر محدد، فتارة يكون ابن الذئبة، وثانية ابن أذينة، وثالثة ابن الدمينة. وأرى أن هذه الأسماء جميعاً اسم واحد، وأنه وقع تحريف؛ نظراً لتشابه الأسماء وتقاربها رسماً.

– أن الأبيات لم تأت كاملة إلا في الأصمعيات وديوان أحيحة، بل يزيد عليها بيتاً رابعاً، وهو مما يزيد هذا الترجيح تأكيداً.

– أن ورود بيت من أبيات المقطوعة مع بيت آخر في حماسة البحتري، ونسبتهما إلى الشاعر الجاهلي صيفي بن عامر بن الأسلت؛ فهذا لا يعني أن أبيات المقطوعة له، ولاسيما أنها لم تجتمع كاملة لا في الحماسة البحترية ولا في ديوان ابن الأسلت، مثلما اكتملت في الأصمعيات وديوان أحيحة.

– أن هذه الأبيات تتفق من حيث مناسبتها وفكرتها مع طبيعة الشاعر الجاهلي أحيحة بن الجلاح، فقد «كان رجلاً صَنْعاً للمال شديد البخل، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموال الناس»[1]، وعرف عنه «تناوله في بعض أبياته بعض جوانب حياته الخاصة؛ من تواقعٍ مع زوجته، والحذر في معاملتها، أو حرصه على المال..».

ب– الشعر المضطرب بين شعراء ثقيف المخضرمين، مما اضطربت نسبته وعرف بالدليل القاطع:

نجد في أشعار الثقفيين من هذا الضرب قصيدة مؤلفة من سبعة أبيات مطلعها:

مَـنْ كـانَ يَـبْـغِـيـنَـا يُـريـدُ قِـتَـالَـنَـا فَـإِنَّـا بِـدَارٍ مَـعْـلَـمٍ لاَ نَـرِيـمُـهَـا

والأبيات ذكرها ابن هشام (ت218هـ) في السيرة النبوية 4: 133 كاملة لكنانة بن عبد ياليل

(1) انظر: معجم الشعراء الجاهليين: 10، 11.

الثقفي، على حين أنشدها البكري (ت487هـ) في معجم ما استعجم: 78 ونسبها إلى الأجش بن مرداس الثقفي.

ونلاحظ أن أقدم المصدرين هو السيرة النبوية لابن هشام، وقد ذكر ابن هشام مناسبة الأبيات، وأنها جاءت في سياق أحداث غزوة الطائف بعد حنين، فأنشدها كاملة، ونسبها إلى كنانة بن عبد ياليل بن عمرو.

ثم إن ابن حجر (ت852هـ) ذكر في الإصابة أن «ابن إسحاق أنشد له– أي لكنانة بن عبد ياليل بن عمرو– في يوم حنين شعراً يجيب به مالك بن عوف النصري».

أما البكري في معجمه فلم ينشد من القصيدة إلا أربعة أبيات، وهو متأخر عن ابن هشام، ولم يذكر مناسبة الأبيات وقصتها وأحداث تلك الغزاة في معرض استشهاده بالأبيات. ولعل ما أنشده ابن هشام في السيرة وابن إسحاق أيضاً، وما نص عليه ابن حجر في الإصابة؛ يرجِّحُ بقوة أن تكون الأبيات لكنانة لا للأجش.

ومن هذا القبيل أيضاً مقطوعة مطلعها:

ما بالُ مَنْ أَسْعَى لأجبرَ عظْمَهُ　　　حفاظاً وَيَنْوِيْ مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي

والمقطوعة مؤلفة من ستة أبيات، تنسبها بعض المصادر إلى كنانة بن عبد ياليل الثقفي، وأخرى إلى ابن الذئبة الثقفي، وثالثة إلى الأجرد الثقفي، ثم إن بعض المصادر نسبتها إلى الحارث بن وعلة الشيباني، وأخرى إلى وعلة بن الحارث الجرمي، ونسبها البحتري إلى عامر بن المجنون الجرمي.

ولقد اعتمدت في ترجيحي على أقدم هذه المصادر؛ وهو كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت276هـ).

هذه هي القطع المضطربة النسبة بين شعراء ثقيف الجاهليين والمخضرمين، أما الشعراء الثقفيون في العصر الإسلامي والأموي؛ فقد فَصَلْتُ ما قطعْتُ بنسبته إلى الشاعر الثقفي عن الشعر المنسوب إليه ورجحت كونه له، وعن الشعر المنسوب إليه ورجحْتُ كونه لغيره،

وقد أَبَنْتُ ذلك في صفحات قسم الشعر من الدراسة.

ومن ثم يمكن الانتقال في الفصلين التاليين إلى دراسة أشعار بني ثقيف وخصائصها؛ اعتماداً على تلك الأشعار التي لم يقع الاضطراب في نسبتها، وتلك التي وقع الاضطراب فيها، ووجدنا الدليل على كونها لشعراء ثقيف، وقد يستأنس بذلك الشعر الذي وقع فيه الاضطراب ولكنه يرجَّح كونه لهم، ويبقى الشعر الذي لم نقف على ما يرجح نسبته إليهم أو إلى غيرهم، فلا يصح الاعتماد عليه لاحتمال كونه لغيرهم، كما لا يصح البتة الاستشهاد بما ثبت بالدليل القاطع كونُه لغيرهم.

الفصل الثالث

الخصائص الفنية لشعر الثقفيين

المبحث الأول: الخصائص المعنوية

المبحث الثاني: الخصائص اللفظية

المبحث الأول: الخصائص المعنوية:

وضوح معانيهم وبعدها عن التعقيد والتكلف:

إن من يقرأ شعر الثقفيين يلاحظ الوضوح في معانيهم، والبساطة في أشعارهم بعامة، فلا تعقيد ولا تكلف، بل شعر يغلب عليه الطبع، وترسله السجية، فيترجم لنا الشاعر ما به من مشاعر وأحاسيس، يُعَبّر عنها بصدق وصراحة ووضوح بلغة فنية، ونغمة موسيقية، وهذه سمة يمتاز بها شعرهم كما امتاز شعر غيرهم من بقية القبائل الأخرى من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، فهي ظاهرة عامة تنتظم الشعر العربي غالباً في تلك البرهة.

يعزو الدكتور شوقي ضيف[1] ذلك الوضوح والبساطة إلى أن الشاعر العربي لم يكن يفرض إرادته الفنية على الأحاسيس والأشياء، بل يحاول نقلها نقلاً أميناً دون أن يُدْخِلَ عليها ما يمسُّ جوهَرَها، ومن ثم كانت أشعارهم وثيقة دقيقة للباحث في حياتهم وبيئتهم بجميع جوانبها.

ومن أمثلة الوضوح في شعرهم، والبساطة في لغتهم: قول أبي الصلت بن أبي ربيعة وهو يتدبر آيات ربه في كونٍ فسيح الأرجاء، معرضاً بحادثة الفيل، ذاكراً الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام فيقول[2]:

إن آيـــاتِ رَبّـــنـا ثَـاقِـبـاتٌ ... لا يُـمَـارِي فـيـهِـنَّ إلا الـكـفـورُ

خـلـق الـلـيـلَ والـنـهـارَ فـكـلٌّ ... مـسـتـبـيـنٌ حـسـابُـهُ مَـقْـدُورُ

ثـم يَـجْـلُـو الـنـهَـارَ رَبٌّ رحـيـمٌ ... بِـمَـهَـاةٍ شُـعَـاعُـهـا مَـنـشُـورُ

حُـبِـسَ الـفـيـلُ بـالـمُـغَـمِّـسِ حتى ... ظَـلَّ يَـحْـبُـو كـأنـه مـعـقُـورُ

ثم قال:

كـل ديـنٍ يـومَ الـقـيـامـةِ عِـنْـدَ الـلـ ... ـه إلا ديـنَ الـحـنـيـفـةِ زُورُ

---

(1) العصر الجاهلي: 219.

(2) ديوان أمية: 391 – 392.

فهي أبيات واضحة بسيطة، لا غرابة فيها ولا تكلف.

وكقول مسعود بن معتب الثقفي، وقد خشي أن يبيع ورثته من بعده أرضه وأمواله التي بالطائف إلى قريش، فقال:

لا أعْـرِفَـنَّ قريشاً تَشْـتَرِي عَجَلِي ... يـا بْـنَـيْ أمـيَّـةَ مِـنْ زَرْعٍ وَحُـجْـرَانِ

وابنـا يُسَيْعَةَ لا أخشَى ضِيَاعَهُمَا ... علـى مـواليَّ مِـنْ سـودٍ وحُـمْـرَانِ

فهذان بيتان آخران لا غرابة في ألفاظهما؛ إذا علمنا أن ما ذكره أسماء أولاده.

وكذلك قول المحبر الثقفي:

وما كنتُ مِمَّنْ أَرَّثَ الحَرْبَ بَيْنَهُمْ ... ولـكـنَّ مَـسْـعـوداً جَـنَـاهـا وَجُـنْـدُبَـا

قَرِيْعَي ثقيفٍ أنشبا الـحَـرْبَ بينهم ... فلمْ يَـكُ عنها مَـنْـزِعٌ حين أَنْشَبَا

عُقَاماً ضروساً بين عَـوْفٍ وَمَـالِـكٍ ... شديداً لَظَاهَا تَـتْـرُكَ الطفلَ أَشْيَبَا

وكذلك قول غيلان بن سلمة حين يفخر بقومه فيقول[1]:

حَـلَـلْـنـا الـحَـدَّ مِـنْ تَـلَـعَـاتِ قَـيْـسٍ ... بِحَيْثُ يَحلُّ ذُو الحَسَبِ الجَسِيمِ

وقـد عـلـمـتْ قـبـائـلُ جِـذْمِ قَـيْـسٍ ... ولـيـس ذَوُو الـجَـهَـالَـةِ كـالـعَـلِـيـمِ

بـأَنَّـا نـصـبـحُ الأعـداءَ قِـدْمـاً ... سـجـالَ الـمَـوْتِ بـالـكـأسِ الوخيمِ

وَأَنَّـا نَـبْـتَـنِـي شَـرَفَ الـمَـعَـالي ... ونُـنْـعِـشُ عـشـرةَ الـمَـوْلَـى العديمِ

وَأَنَّـا لَـمْ نَـزَلْ لـجـأً وكـهـفاً ... كـذاكَ الـكـهـلُ مِـنَّـا والـفـطـيـمُ

أو كقول علقمة بن نضلة الثقفي:

لَعَمْرُكَ إنَّ الخَمْرَ ما دُمْتُ شَارِباً ... لـمـذْهِـبَـةٌ مَـالِـي وَمُنْسِيتي حِلْمِي

وَجَـاعَـلَـتِـي مِـنَ الـضـعـافِ قُـوَاهُـمُ ... ومُـورِثَـتِـي حَـرْبَ الصديقِ بِـلا عِلْمِ

(1) معجم البلدان (ثقيف). وفي البيت الأخير إقواء.

فتلك أمثلة لشعر ثقفي جاهلي لا غرابة في ألفاظه ولا معانيه. فإذا تفيأنا ظلال العصر الإسلامي وجدنا أمثلة غاية في الوضوح أيضاً؛ منها قول الأسود بن مسعود يمدح رسول الله ﷺ فيقول:

أمسَيْتُ أعبد ربي لا شريك له … رَبَّ العِبَادِ إِذَا مَا حُصَّلَ البَشَرُ

أهلُ المحامدِ في الدُّنْيَا وَخَالقُهَا … والمجتدَى حِينَ لا ماءٌ وَلاَ شَجَرُ

لاَ أَبْتَغِي بدلاً بالله أعبدُهُ … مادام بالجِزْعِ من أركانِه حَجَرُ

أنتَ الرسولُ الذي تُرْجَى نوافِلُهُ … عند القحوطِ إذا ما أَقْحَطَ المَطَرُ

وفي العصر الأموي نجد الحجاج بن يوسف الثقفي يرسل رسالة إلى عبد الملك بن مروان، مسوّغاً ما فعله في أسرى دير الجماجم، مذيلاً رسالته بهذه الأبيات فيقول:

إذا أنا لا أبغي رِضَاكَ وأتقي … أذاك فيومي لا تُوَارَى كَواكِبُهْ

وما لامرئٍ بعد الخليفةِ جُنَّةٌ … تَقِيهِ مِنَ الأَمْرِ الذي هو رَاكِبُهْ

أُسَالِمُ مَنْ سالَمْتَ من ذِي هَوَادَةٍ … وَمَنْ لَمْ تُسَالِمْهُ فإني محارِبُهْ

ولكن ليس للقارئ أن يتوقع الوقوف على قطع خالية من الغريب خلوّاً تامّاً، فقد تأتي الأبيات واضحة وإن شابها قليل من الألفاظ الغريبة؛ كقول ابن الذئبة الثقفي:

لَعَمْرُكَ ما لِلْفَتَى من مَفَرْ … مَعَ الموتِ يَلْحَقُهُ والكِبَرْ

لَعَمْرُكَ ما لِلْفَتَى صُحْرَةٌ … لَعَمْرُكَ ما إنْ لَهُ مِنْ وَزَرْ

أَبَعْدَ قبائِلَ مِنْ حِمْيَرٍ … أَتَوا ذَا صَبَاحٍ بذاتِ العِبَرْ

بألفِ أُلُوفٍ وَحُرَّابَةٍ … كَمِثْلِ السماءِ قُبَيْلَ الْمَطَرْ

يُصِمُّ صِياحُهُمُ المُقْرَبَا … تِ وينفونَ مَنْ قَاتَلُوا بالذَّفَرْ

سَعَالِي مِثْلُ عديدِ التُّرَا … بِ تَيَبَّسَ منهُمْ رِطَابُ الشَّجَرْ

فهي أبيات واضحة، وإن كان في البيت الأخير ألفاظ (سَعَالي)، (عديد التراب)، (رطاب الشجر)، وهي غريبة لكنها لا تحجب المعنى.

وهناك أبيات تكون الألفاظ الغريبة أكثر كثافة؛ لكنها لا تحجب المعنى، ولا تجعله غامضاً مبهماً، وإن كانت تُعَنِّي القارئ شيئاً ما، كقول غيلان بن سلمة يصف ذئباً[1]:

وَمُعَرِّسٍ حين العشاءُ به ... الحَبْسُ فالأنواءُ فالعقْلُ

قد بَثَّهُ وَهْناً وَأَرَّقَني ... ذِئْبُ الفَلَاةِ كَأَنَّه جَذْلُ

فتركْتُهُ يَعْوِي بِقَفْرَتِهِ ... وَلِكُلِّ صاحبِ قَفْرَةٍ شَكْلُ

غرابة بعض ألفاظهم تزول باستشارة المعاجم:

وقد تأتي الألفاظ الغريبة في بعض الأحيان شديدة الكثافة، فتقف حاجزاً منيعاً أمام فهم المعنى، حتى إذا ما كشفناه عنها زالت غرابتها، ووجدناها واضحة لا غموض فيها، ومن ذلك قول غيلان بن سلمة أيضاً[2]:

في الآلِ يَخْفِضُهَا وَيَرْفَعُهَا ... رَيْعٌ كَأَنَّ مُتَونَهُ السحْلُ

عَقْلاً وَرَقْماً ثُمَّ أَرْدَفَهُ ... كَلَلٌ عَلَى أَلْوانِهَا الخمْلُ

كدمُ الرعَافِ عَلَى مآزِرِهَا ... وَكَأَنَّهُنَّ ضَوَامِراً إِجْلُ

وفي العصر الأموي نجد يزيد بن الحكم يقول[3]:

بِكُلِّ يَفَاعٍ بُومُهَا تُسْمِعُ الصَّدَى ... دعاءً مَتَى ما تُسْمِعِ الهَامَ تَنْأَجِ

وقول طريح:

---

(1) الحيوان 1/378.

(2) الحيوان 6/335.

(3) اللسان (صدى)، اليفاع: المشرف من الأرض، والجبل. تنأج: تصيح.

وَلـيّــنُ الـمِـنْـخَـرَيْـنِ مُـعْـتَـدِلُ الـمَـارِ نِ لاَ سَــابِــلٌ وَلاَ جَعْدُ(1)

وقول يزيد بن ضبة ـ وهو من موالي ثقيف ـ يصف فرس صيد للوليد بن عبدالملك:

وأحــــوى سَــلِـسُ الـمَـرْسِـــ ـــنِ مِـثْـلُ الـصَّــدَعِ الـشَّـعْـبِ

سَــمَــا فَـــــوْقَ مُــنـيـفَــاتٍ طِـــوالٍ كـالـقَـنَـا سُـلْـبِ

طَـويــلُ الـســاقِ عُـنْـجُـوجٌ أشـــقُّ أَصْــمَــعُ الـكَـعْـبِ

سَــلِـيـمٌ نــائِــلٌ أَبْـجُــ ـــلُـهُ فـي ثُـنَـنٍ هُـلْـبِ

عـلـى لأْمٍ أَصَـمٍّ مُـضْـمَـ ـــرِ الأشـعَـبِ كـالـقَـعْـبِ

تَــرَى بَـيْـنَ حـوامِـيـهِ نُـسُـوراً كَـنَـوَى الـقَـسْـبِ

أسباب تحول دون بلوغ المعاني:

إن هذه الألفاظ الغريبة لاشك أنها تقف حاجزاً منيعاً أمام القارئ فتحجبه عن بلوغ المعاني، وهذا مما يؤدي إلى ضبابية كثيفة تحول دون وضوح الرؤية، وتتمثل تلك الأسباب إضافة إلى توعر اللغة وغرابة الألفاظ، في ضياع أبيات تتصل بها المعاني، ثم ما يحدث في الشعر من تحريف أو تصحيف أو غير ذلك.

أ– غرابة الألفاظ:

أما عن السبب الأول؛ وهو وجود ألفاظ غريبة في بعض شعر الثقفيين – كما هو الحال في الأمثلة الأخيرة السابقة – فإن وجودها في أشعارهم لا يعني كثافتها أو كثرتها في كل نتاجهم، بل هي في مواضع قليلة منه، ومردّ ذلك مرده إلى وجود عوامل أخرى مؤثرة في غرابة الألفاظ هذه، منها رغبة الشاعر في طلب القوافي المعتاصة، والحوشي من الشعر؛ مثل يزيد بن ضبة، ومنها أيضاً روافد ثقافة الشاعر، أو اختلاطه بالآخرين، ورحلاته إلى

(1) شعر طريح بن إسماعيل: 104.

بلاد كثيرة، أو تضمينه شعره بعض الألفاظ الدينية التي تحتاج إلى استشارة معجم لإزالة غموضها؛ كما هو الحال في شعر أمية بن أبي الصلت مثلاً.

يقول ابن قتيبة[1] عن تلك الغرابة الموجودة في شعر أمية: «وأتى بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب، وكان يأخذها من أهل الكتاب»، منها قوله[2]:

بـآيـةِ قَــامَ يَـنْـطِـقُ كُـلُّ شَـيْءٍ ... وَخَــانَ أَمَــانَـةَ الـدِّيْـكِ الـغُـرَابُ

ويسمي الله تعالى في شعره (السليطط)، بقوله[3]:

إِنَّ الأَنَـــامَ رَعَـايَـا اللهِ كُـلَّـهـمُ ... هُوَ السَّلِيطَطُ فَوْقَ الأَرْضِ مُسْتَطِرُ

ومنها أيضاً (الحاقورة) في قوله[4]:

وَكَـــأَنَّ رَابِـعَـةً لَـهَـا حَـاقُـورَةٌ ... في جَنْبِ خَامِسَةٍ عَنَاصٍ تُـمْـرَدُ

ويعني بها السماء الرابعة.

ومنها (الصاقورة) في قوله[5]:

لِـمُـصَـفَّـدِينَ عَـلَـيْـهِـمُ صَـاقُـورَةٌ ... صَـمَّـاءُ ثَـالِـثَـةٌ تُـمَـاعُ وَتُجْمَدُ[6]

قال ابن فارس: «وكذلك الصاقورة في شعر أمية من الشاذ، ويقال إنها السماء الثالثة، وما أحسب ذلك من صحيح كلام العرب، وفي شعر أمية أشياء»[7].

ومن أمثلة الغريب أيضاً في شعر أمية قوله[8]:

---

(1) انظر: الشعر والشعراء 1/459-461.

(2) ديوان أمية: 339.

(3) ديوان أمية: 386.

(4) ديوان أمية: 359، الجَنْب: القُرْب، العناص: الشعر المنتصب قائماً في تفرق، واستعارها للسماء، تُمْرَدُ: من مَرَدَ الشيء إذا ليّنه.

(5) ديوان أمية: 359، الصاقورة: السماء الثالثة، الصماء: الصُلْبَة التي لا تخلخل فيها.

(6) الأزمنة والأمكنة: 2/6.

(7) مقاييس اللغة: 3/297.

(8) ديوان أمية: 346.

مَاذا بِبَدرٍ فالعَقَنْـ ... ـقَلِ مِن مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحْ
شُمْطٌ وَشُبَّانٌ بِهَا ... لِيلٌ مَغَاوِيْرٌ وَحَاوِحْ
مِنْ كُلِّ بَطْرِيقٍ لِبِطْـ ... ـرِيقٍ نَقِيِّ اللَّوْنِ وَاضِحْ[1]

وهذه الألفاظ الغريبة والتراكيب المعقدة الملتوية كثيرة في شعر أمية الديني، أما شعره غير الديني فيلحظ فيه أن ألفاظه وتراكيبه لا تعقيد فيها ولا غموض.

ب- ضياع بعض الأبيات:

ومما يزيد في غموض المعاني ضياعُ أبياتٍ سابقةٍ تتعلق بها الأبيات التي وصلت إلينا، كقول عبد الرحمن بن عتاب الثقفي:

أَنَا ابنُ عَتَّابٍ وسيفي وَلْوَلْ
والموتُ عِنْدَ الجَمَلِ المُجَلَّلْ

فنجد إلى جانب غرابة ألفاظ من مثل (ولول)- وهو اسم للسيف كما ذكر صاحب اللسان- و(المجلل)، عدم وجود أبيات أخرى توضح المعنى، أو تبين المناسبة أو غير ذلك.

أو كقول عبد الرحمن بن أم الحكم يصف خيلاً، في قصيدة لم يصلنا منها إلا بيت واحد فقط هو قوله:

أجشُّ هزيمٌ جَرْيُهُ ذُو عُلاَلَةٍ ... وذلك خيرٌ في العَنَاجِيجِ صَالِحُ

فيضاف إلى غرابة بعض ألفاظ البيت مثل (أجش)، (هزيم)، (العناجيج) ضياع أبيات القصيدة، فهل هو يصف خيلاً له أم لغيره، وهل كان ذلك في رحلة صيد، أم في سفر، أم في حرب؟ وأين بقية القصيدة؟ إلى غير ذلك، كقوله أيضاً:

لاَ هَنِيئاً بما شَرِبْتَ مَرِيئاً ... ثم قُم صَاغِراً وَغَيْرَ كَرِيمِ

---

(1) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: 133.

لا أحـــبُّ الـنَّـديـمَ يُـومِـضُ بـالعَيْـ ـــنِ إذا مـا انْـتَـشَـى لِـعِـرْسِ الـنَّـدِيـمِ

فمَنْ هذا النديم المُهَان الذليل؟ وكيف «يومض بالعين»؟ ولماذا لا يهنأ بما شرب؟ وما الذي جعله ينفر منه؟ هذه أسئلة لربما تدور بذهن المتلقي فتجعل النص مبهماً، والقارئ حائراً.

وهناك أبيات لأحلافي من ثقيف يرثي ذئباً، لم يصل إلينا منها إلا بيتان فقط هما مطلع القصيدة، أما موضوعها – وهو رثاء الذئب – فلم نعثر على شيء منه؛ يقول:

أبـى حُـبُّـكُـمْ يـابكـرُ إلاَّ تَـجَـدُّدَا عِـيـاداً كما عِـيـدَ السَّلِيمَ المُسْهِدا

ولا الـقَـلْـبُ لا يَـــزْدَادُ إلا صَبَابةً فَـدَيْـتُـكَ حتى أَصْـبَـحَ الـرأْسُ أَفْـنَـدَا

ومن أمثلة غموض المعاني التي تكون بسبب ضياع أبيات سابقة متعلقة بالأبيات التي وصلت إلينا قول أبي طليق الثقفي:

رَأَيْـتُـكَ تَـدْعُـوني إذا مَـا دَعَـوْتَـنَـا دعـــاءَ يَـهــودٍ مُسْبِتين عـلـى نَـهْـرِ

عَلَى عَـنْـدَمِـيّ الـلـونِ مَـنْ شَمَّ ريحَهُ من الناسِ يوماً قَـالَ رائـحـةُ الخَمْرِ

وَلاَ خَـيْـرَ فـي الـحُـدَّاثِ إلا ثَـلاَثَـةٌ سَـــوَاءٌ كَـأَمْـثَـالِ الأَثَــافِــيّ لـلـقِـدْرِ

فَــإِنْ كـان فيهـمْ رابـعٌ كـان مُسْمِعاً يُسَلِّي بـأصـواتٍ لَـهُ شَجَنَ الصَّدْرِ

فنجد أن الأبيات متعلقة بأبيات سابقة ضائعة، وضياعها يجعل المعنى غامضاً أمام القارئ، وإن لم يكن فيما وصل إلينا ألفاظ غريبة، وهذا أيضاً شبيه بقول عبد الله بن نمير بن حسوسة الثقفي وهو يعزي رجلاً، ولربما يعزي نفسه ويذرعها بالصبر، وقد هفا به فؤاده وطار شوقاً إلى لقاء محبوبه ورؤيته فيقول:

تَـعَـزَّ بِـصَـبْـرٍ لا وَجَـــدِّكَ لَــنْ تَـرَى عِرَاضَ الحِمَى إحدى اللَّيَالِي الغَوَابِرِ

كـأنَّ فُـــؤَادي مِـنْ تَـذَكُّـرِهِ الحمَى وأَهــلَ الحِمَى يَهْفُو بِـهِ ريشُ طَائِرِ

وقد تأتي ألفاظ البيت غريبة بحيث لا يعرفها أهل اللغة أنفسهم، ومن ذلك قول أمية ابن

أبي الصلت:

والأرضــ نَوَّخَـهَا الإلــهُ طَـرُوقَـةً للمـاءِ حتى كُـلُّ زَنْــدٍ مُسْفَدُ(1)

قال الأصمعي: «لا أعرفُهُ، وقد سألتُ عَنْهُ فلم أَجِدْ مَنْ يعرفُهُ». فهذا الأصمعي وعيسى بن عمر، ومن سأله عيسى من أهل اللغة، لم يعرفوا هذا البيت، وفسره ابن قتيبة من دونهم فقال: «معناه أن الله جعل الأرض كالأنثى للماء، وجعل الماء كالذكر للأرض، فإذا مطرت أنبتت.. وهكذا كل شيء حتى الزنود، فإن أعلى الزندين ذكر، والأسفل أنثى، والنار لهما كالولد»(2).

ج- التصحيف والتحريف:

وأحياناً يكون الغموض ناتجاً عن التحريف أو التصحيف، وهو في مواضع عدة من أشعارهم، فمثلاً في قول أمية(3):

عَسَــلٌ مـا ومِـثْـلُـهُ عُـشَــرٌ مَـا عـائـلٌ مـا وَعَــالَــتِ الـبَـيْـقُـورَا

هكذا روي البيت (عَسَلٌ مَا) وهو تصحيف صوابه (سَلَعٌ مَا).

ومعنى البيت أنهم كانوا يستمطرون بالسَّلَع والعُشَرِ، وهما ضربان من الشجر فيعقدونهما في أذناب البقر، ويضرمون فيها النار. وفي الحيوان: (وعالت البنقورا) وقد روى الجاحظ على هذا النحو حكاية لتصحيف الأصمعي، فقال: «هكذا كان الأصمعي ينشد هذه الكلمة، فقال له علماء بغداد: صَحَّفْتَ، إنما هي البيقور، مأخوذة من البقر»(4).

والدليل على أن الرواية (سلعٌ ما) قول الآخر:

أجـاعــلٌ أنــت بـيـقـوراً مسـلّمـةً ذريـعــةً لــك بـيـن الله والـمـطـرِ

---

(1) «مسفد» بمعنى منكح، تقول: سفد الذكرُ الأنثى والله أَسْفَدَهُ؛ كما تقول: نَكَحَ والله أَنكَحَهُ. نوَّخها: أبركها، الطروقة: أنثى الفحل، الزند والزندة: خشبتان تستقدح بهما النار، ديوان أمية: 356.

(2) تأويل مشكل القرآن: 68 – 69.

(3) ديوان أمية: 399.

(4) الحيوان: 468/4.

وقد يأتي التصحيف مخلاً بالوزن والمعنى؛ كقول أبي طليق الثقفي:

وَلاَ خَيْرَ في الحُدَّاثِ إلا ثَلاَثَةٌ ... سَوْدَاءُ مِثْلُ الأَثَافِيّ في القِدْرِ

هكذا ورد البيت في مصدره في طبعة (كرنكو) لمعجم المرزباني، فَقَلَّبْتُ البيت وجهاً لظهر، وظهراً لوجه؛ تحريفاً وتصحيفاً، فوجدت أن صوابه:

ولا خَيْرَ في الحُدَّاثِ إلا ثَلاَثَةٌ ... سَوَاءٌ كَأَمْثَالِ الأَثَافِيّ لِلْقِدْرِ

وفي قول الحجاج:

أَيَرْضَى بِذَاكَ النَّاسُ أَوْ يَسْخَطُونَهُ ... أَمُ احْمَدُ فِيْهِمْ أَمْ أُلاَمُ فَأُقْذَعُ

نجد أن كلمة (أم) التي في أول الشطر الثاني ضائرة وزناً ونحواً، ولعلها تصحيف، وإلا فإن الأصل أن تكون همزة فقط.

يلاحظ قارئ شعر ثقيف وجود ألفاظ غريبة في أشعارهم، قد تقتحم على القارئ سمعه فيرى فيها وحشية وغرابة، وصورة من صور البداوة، على الرغم من أن الشاعر الثقفي عاش في أحضان طبيعة ساحرة، وخضرة وارفة، ونضارة زاهية، وجمال خلاَّب، فكان من الطبيعي أن ترق ألفاظه، وتعذب كلماته، فيرسم لوحاته من وحي ما تزخر به الطبيعة والبيئة من ألوان النعيم والجمال، شعراً عذباً رقيقاً سهلاً.

لكن لغة الثقفيين في أشعارهم يسودها التوعر والجفاء، فلم يكونوا كغيرهم من شعراء القرى والمدن، ولم يقف الأمر عند حد الشعراء الجاهليين منهم دون أموييهم، ولكن كان سمتاً عامّاً غالباً عليهم، مع أن اللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحياة، تتطور بتطورها، فهي- كما يقول الدكتور بدر ضيف- مثل «الكائن الحي تتطور بتطور العقليات، وتنهض بنهضة الأذواق، وتتأثر بالعوامل الثقافية، فتنمو ألفاظ وتأخذ دلالات جديدة، وتتوقف ألفاظ أخرى عن الاستعمال فتهجر؛ لأنها لا تناسب ذوق العصر، أو ترق؛ لأنها تخاطب جمعاً من الناس لهم صفات معينة»(1).

---

(1) شعر طريح بن إسماعيل الثقفي: 75.

يذهب الدكتور بدر ضيف في دراسته شعرَ طريحٍ الثقفي إلى أن لغة الشعر عند طريح قد اتجهت اتجاهين؛ أحدهما: ناحية الجزالة، والوحشية، والغرابة، والآخر: ناحية الرقة، والسهولة، والسلاسة(1).

ويبدو أن هذا التقسيم للغة الشعر عند الثقفيين – لاسيما في العصر الأموي – يكاد يشملهم جميعاً، إلا من شذ عن ذلك مثل محمد بن عبد الله النميري، فإن من يتتبع لغته يجد عذوبة الألفاظ ورقتها، وبساطة التراكيب، والبعد عن التعقيد اللفظي والمعنوي؛ متفرداً بلغته عن غيره من الشعراء الثقفيين في ذلك العصر.

يقول النميري فيما نسب إليه:

راحتي في مَقَالَةِ العُذَّالِ وَشِفَائِي في قِيلِهِمْ بَعْدَ قَالِ

لا يطيبُ الهَوَى ولا يَحْسُنُ الـ حُبُّ لِصَبٍّ إلا بخمسِ خِصَالِ

بِسَمَاعِ الأَذَى وَعَذْلِ نَصِيحٍ وعِتَابٍ وَهِجْرَةٍ وتقالِ(2)

لقد اقترن عنده الحب بالأذى، والعشق باللوم، والوصل بالهجر، وكأن الراحة لم تكن الغاية المتوخاة من هذا الحب، وإنما كان الأذى هو الغاية التي إليها يسعى، وعليها يحرص؛ «لأن جذوة الحب كانت تستعر في ظلال الصدود، ونوازع النفس تتأجح في خِضَمِّ التقالي»(3).

ويعبر الشاعر هنا عن حالة وجدانية مثيرة، أو موقف عاطفي مؤلم، أو انفعال آنيٍّ تؤججه نوازع مخيفة، في خفة ألفاظ هي أقرب إلى النفس، وأبعد عن التكلف، وأصدق في التصوير.

لعل النميري كان بمسلكه هذا مثالاً صادقاً معبراً عن بيئة الطائف الجميلة التي ينتمي إليها، وليس هو نموذجاً مكرراً من الشعراء الثقفيين، أو أنهم ينضوون معه تحت رواق الرقة والسلاسة وبساطة التراكيب، كما ذهب إلى ذلك الدكتور نوري القيسي؛ جامعاً الشعراء

(1) شعر طريح بن إسماعيل الثقفي: 75.
(2) زهر الآداب: 45 وديوان الصبابة: 218.
(3) شعراء أمويون، القسم الأول: 120.

الثقفيين تحت هذا الرواق، ظناً منه أن ما يقال عن النميري الثقفي يقال عن بقية الشعراء الثقفيين، فقال: «وهي ظاهرة تدخل في إطار شعراء ثقيف، الذين ترعرعوا في الطائف التي عرفت ببيئتها الجميلة»(1).

لم تكن الرقة والسلاسة (ظاهرة) عند الشعراء الثقفيين، بل شذ صوت النميري فتفرد بأسلوبه العذب الرقيق في اللغة، فكان بِدْعاً من الشعراء الثقفيين المعاصرين له.

وإذا ما عادت الدراسة إلى التقسيم الذي ذكره الدكتور بدر ضيف للغة الشعر عند طريح؛ فإنها تجد أن ألفاظ طريح خشنة مستوحشة غريبة، فهو يصف رجالاً بأنهم أسود أقوياء يدفعون أعداءهم دفعاً، فيقول(2):

غُبْسٌ خَنَابِسُ كُلُّهُنَّ مُصَدَّرٌ ... نَهْدُ الزُّبُنَّةِ كالفَرِيشِ شَتِيمُ

يقول الدكتور بدر ضيف: «لقد استشهد صاحب اللسان بألفاظ هذا البيت الدالة على الغرابة مثل: (غبس، خنابس، مصدر، الزبنة، الفريش، شتيم) كونها ألفاظاً موغلةً في الغرابة، جاء بها من وحشة الصحراء، وعمق البداوة، وكأنه لم ير حضارة ولم يشاهد مدنية(3)».

لقد سمع الخليفة العباسي المهدي قول طريح في مدح الوليد بن يزيد(4):

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطَحِ البِطَاحِ وَلَمْ ... تُطْرِقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

طُوبَى لِفَرْعَيْكَ مِنْ هُنَا وَهُنَا ... طُوبَى لأعراقِكَ التي تَشِجُ

لو قُلْتَ للسَّيْلِ دَعْ طريقَكَ والمو ... جُ عليه كالهَضْبِ يَعْتَلِجُ

فقال الخليفة لطريح: «والله لا تقول لي في مثل هذا أبداً، ولا أسمع منك، وإن شئت وصلتك». لقد رفض المهدي أن يمدح بمثل هذه الألفاظ المتوعرة التي ما عادت تلائم العصر، ولا تمثل روحه أو ذوقه.

(1) شعراء أمويون: 121.

(2) شعر طريح بن إسماعيل: 122.

(3) شعر طريح بن إسماعيل: 76، 77.

(4) تاريخ الطبري: 183/8.

ولئن أغْضَبَنَا طريحٌ وحيَّرَنَا بلغته القديمة، فأغلق أمامَنا المعنى بسبب غرابة المبنى؛ فلقد أرضى الرواةَ وأعجب علماءَ اللغةِ، الذين تروقهم تلك الألفاظ الرصينة الجزلة التي تشبه لغة الجاهليين في أشعارهم؛ حيث قوةُ الشعرِ وألفاظُه الفخمةُ الضخمةُ، ومن ذلك وصف طريح روضة يسمعنا فيها صوت البعوض وزجله، وأن الروضة تأنس به كثيراً، وأن الجراع تروي أُثُولَهَا وأَرَاكَها، فيقول(1):

ما مُسْبِلٌ زَجَلَ البَعوضِ أَنيسُهُ   يروي الجَرَاع أُثُولَهَا وأَرَاكَهَا

وتأمل الغرابة مع التعقيد في قول طريح أيضاً(2):

وُلاَةٌ حُمَاةٌ يَحسِمُ الله ذو القُوَى   بهم كلَّ داءٍ يُضْبِنُ الدينَ مُعْضِلُ

هذه الغرابة في الألفاظ نجدها عند يزيد بن الحكم في قوله(3):

بكلِّ يفاعٍ بومُها تُسْمِعُ الصَّدَى   دعاءً مَتَى ما تُسْمِعِ الهامَ تَنْأَجِ

وقوله أيضاً(4):

تشكو إذا ما مَشَتْ بالدِّعْصِ أَخْمَصَهَا   كَأَنَّ ظَهْرَ النَّقَا قُفٌّ لَهَا ظَلَفُ

وقد تساءل الدكتور بدر ضيف قائلاً: هل كان للشعر القديم سطوة على القلوب والأذواق حتى القرن الثاني الهجري؟ وهل ظل الشعراء الثقفيون أسرى هذا النمط الشعري القديم، فلم يجددوا في الأسلوب ولم يطوروا في اللغة؟.

يبدو أن النمط القديم للشعر ظل مسيطراً على قلوب الشعراء والرواة والعلماء، وليس معنى ذلك أنه لم يكن هناك تجديد أو تطور في اللغة، فقصائد طريح، ويزيد بن الحكم، وغيرهما، تشهد بتطور لغة الشعر كثيراً، ولكن القديم- كما يقول الدكتور بدر ضيف(5)-

---

(1) اللسان (أثل) طريق سابلة وروضة مسبلة: أي يطرقها الناس، الزجل: رفع الصوت وخص به التطريب، الجراع: مجاري المياه، الأثول: كل أنواع الشجر.

(2) اللسان (ضبن).

(3) اللسان (صدى).

(4) اللسان (ظلف)، القُف: الغليظ من الأرض، الظلف: الأرض التي لا يُتَبَيَّن لها أثر لصلابتها، الدعص: منعرج الرمل.

(5) شعر طريح بن إسماعيل الثقفي: 77، 78.

كان له من القوة، والثبات، والرسوخ؛ ما يجعل تيار التجديد ومؤثراته تأتي على استحياء، فنجد طريحاً يلقي لنا بيتاً بدويَّ اللَّغَةِ في صدره، جديداً رقيق الألفاظ في عَجُزِه؛ فيقول[1]:

كالبيضِ بالأُدْحِيّ يلمَعُ في الضُّحَى ... فالحُسْنُ حُسْنٌ والنعِيمُ نَعِيمُ

لقد أثرت حضارة دمشق في نفسية طريح؛ فأَثْرَتْ لغته بألفاظ جديده في شعره، ما كانت معهودة عنه ولا مأثورة في نظمه، «وكأنما يجري في عروقه تياران أو دمان: قديم وجديد»[2]، يقول مادحاً[3]:

جـوادٌ إذا جِـئْـتَـهُ راجـيـاً ... كَـفَـاكَ الـسُّـؤَالَ وإنْ عُـدْتَ عَـادَا

خـلائـقُـهُ كَـسَـبِـيـكِ الـنُّـضَـا ... رِ لا يَـعْـمَـلُ الـدهـرُ فيها فَـسَـادَا

وكذلك أتت رياح التجديد ومؤثراته على شعر يزيد بن الحكم، فإذا الجزالة والرصانة تسير جنباً إلى جنب مع الرقة والسلاسة في الألفاظ فيقول:

أمسى بأسماءَ هـذا القلبُ مَعْمُودَا ... إذا أقـولُ صَـحَـا يـعـتـادُهُ عِـيـدَا

كـأنـني يـومَ أُمْـسِـي لا تـكـلِّـمُـنِـي ... ذو بُـغْـيَـةٍ يبتغي مـا لـيس مَـوْجُـودَا

كـأن أحـور مـن غـزلان ذي بَـقَـرٍ ... أَهْـدَى لـه شَـبَـهَ العَـيْـنَـيْـنِ والجِيدَا

أجـري على مَـوْعِـدٍ منها فَتُخْلِفُنِي ... فـلا أَمَـلُّ ولا تُـوفِـي الـمَـوَاعِـيـدَا

وتأتي ألفاظه سهلة واضحة في حكم إنسانية خالدة فيقول[4]:

رأيـت السَّخِيَّ النفسِ يأتيه رِزْقُـهُ ... هنيئاً ولا يُعْطَى على الحِرْصِ جَاشِعُ

وكـلُّ حـريـصٍ لـن يـجـاوِزَ رِزْقَـهُ ... وكـم مِـنْ مُـوَفَّـىً رِزْقَـهُ وَهْـوَ وَادِعُ

لاشك أن الحياة المتحضرة في الشام قد ألقت ظلالها على هؤلاء الشعراء الثقفيين،

---

(1) شعر طريح بن إسماعيل الثقفي: 121، الأُدحي والأُدحوة: موضع بيض النعام وتفريخه.

(2) شعر طريح بن إسماعيل الثقفي: 79، 80.

(3) البيتان في أمالي المرتضى 574/1.

(4) البيتان في نهاية الأرب 377/3 وحماسة البحتري 353/1 ومجموعة المعاني: 180.

فأشاعت انسيابية وسلاسة وسهولة وترفاً في الألفاظ، ورقةً في المعاني والعبارات. فهل نحن أمام شعر يمثل ثقافتين، أم أننا بين زمنين؟ يبدو أننا أمام زمنين: زمن البيئة الثقفية حيث موطن هؤلاء الشعراء ولغتهم النزَّاعة إلى البيئة الصحراوية البدوية، واختلاطهم بالبادية، فشعرهم صورة لها، وزمن البيئة الشامية حيث التطور والتغير الذي أصاب الحياة، وطرأ على الأحياء اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، فتغيرت طرائق التعبير وتراكيب الجمل.

ومهما يكن من أمر؛ فإن وجود هذه الألفاظ الغريبة في شعر الثقفيين لا يُخْرِجُهَا عن كونها ألفاظاً فصيحة واضحةً، معلومةَ الدلالة لدى أبناء تلك العصور، ولكنها سقطت من الاستعمال العام مع الأيام، فأضحت غريبة بالنسبة لما أعقبها من عصور.

على أن ضياعَ كثيرٍ من شعرهم أدى إلى غموضِ أشعارٍ أخرى لم تكن كذلك في عصورهم، ولذا فإن الدراسة تؤكد أن السمة العامة الغالبة على شعرهم هي الوضوح، وبسط المعنى حتى لا يشوبه غموض، وليست هذه سمة شعر الثقفيين وحدهم، بل هي في عامة أشعار العرب.

ولقد أشار ابن رشيق إلى هذه السمة في صنعة الشعر القديم، إذ رأى أنها كانت تعني «النظر في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام قوافيه، وتلاحم الكلام بعضه ببعض»[1].

والدراسات التي تناولت أشعار القبائل - كتغلب، وقشير، وأسد، وطيئ، وتميم[2] - خير شاهد وأكبر دليل على الوضوح والبعد عن التعقيد، وأن أشعارهم واضحة وضوح الحياة، بسيطة بساطة البيئة التي نبتت فيها، وإن وُجِدَتْ غرابةٌ في بعض ألفاظها فإنها تزول بعد استشارة المعجمات، التي تجلو المعنى وتكشف الغموض.

الصور البيانية:

تتبعتُ الصورَ الخياليةَ في شعر الثقفيين، ولاحظتُ أنها لا تخرج في مصادرها عن الصور

(1) انظر: العمدة 258–267.

(2) انظر: شعراء تغلب 320/1، وشعراء بني قشير 264/1، وشعراء بني أسد 306/1، وشعراء طيئ 652/1.

البيانية لأشعار العرب– ومنهم ثقيف– في العصر الجاهلي والإسلامي، إلى آخر عصر بني أمية، فهي مستمدة من البيئة التي أحاطت بهؤلاء الشعراء، إلا أمية بن أبي الصلت فلم يستمد صوره من مفردات بيئته الطبيعية وما كان يدور فيها فحسب؛ بل إن ما جاء من تلك الصور والتشبيهات يتعلق غالباً بوصف السماء والنجوم، وستعرض الدراسة نماذج من تشبيهاته في نهاية الحديث عن التشبيه.

أ– التشبيه:

إذا وقف الباحث على التشبيه في أشعار الثقفيين؛ فإنه يجد أن التشبيه عندهم له جانبان:

جانب قديم موروث يمثله الشعر الجاهلي، وجانب جديدٌ مُحْدَثٌ مسحت عليه الحضارة بشتى أشكالها ومختلف ألوانها، وهذا التقسيم لا يشمل التشبيهات فحسب، وإنما يشمل الصورة الشعرية بأضربها الثلاثة: التشبيه، والاستعارة، والكناية، من الواضح أن الجانب الجديد المُحْدَث لم يظهر إلا مع تغير الحياة وأنماطها في بداية القرن الثاني الهجري.

والصورة البيانية ليست غاية في ذاتها، وإنما هي وسيلة وطريقة من طرائق التعبير، استخدمها الثقفيون وغيرهم لما لها من قيمة وأثر في إبراز معانيهم، وزيادة إيضاحها، إلى جانب الفصاحة والجزالة التي كانوا يمتازون بها كغيرهم من العرب.

ولقلة ما وصل إلينا من أشعار للثقفيين في العصر الجاهلي– على الرغم من محاولات الإحاطة والاستقصاء– تقلّ الصور البيانية التي وقفنا عليها في شعرهم تبعاً لذلك.

فمن أمثلة التشبيهات ما ذكره ابن الذئبة الثقفي عن تلك الحرب التي دارت رحاها في اليمن بقيادة (أرياط)، بأمر من النجاشي وإيعاز من قيصر الروم، بألف ألوف هم أهل حرب ومهارة في القتال، أوقعوا الرعب في صدور قبائل حمير، فصياحهم يصم الخيل العتاق، وكانوا عليهم مثل السماء في برقها ورعدها وغيمها قبيل المطر، فأبادوهم بذات العَبَر.

أَبَعْدَ قبائل من حِمْيَرٍ   أُبِيدُوا صَبَاحاً بذات العَبَرْ[1]
بألفِ أُلوفٍ وحُرَّابةٍ   كمثلِ السماءِ قُبَيْلَ المطرْ
يُصِم صِيَاحُهُمُ المُقْرَبَا   تِ وينفون من قاتلوا بالذَّفَرْ

لقد كان الجيش كثيفاً مثل عدد التراب، فلم يكن جيشاً عاديّاً، بل جنّاً مرعباً تيبس منهم رطاب الشجر، يقول ابن الذئبة[2]:

سَعَالِيَ مثلَ عَدِيدِ التُّرا   بِ تَيَبَّسَ مِنْهُمْ رِطَابُ الشَّجَرْ

نلحظ أن السماء، والمطر، والصياح، والصباح، والمقربات، وجلبة الجيش والحُرَّابة، والسعالي، والتراب، ورطاب الشجر، وغيرها من أجزاء الصورة ومفرداتها: تآزرت وتضافرت في خلق صورتين تشبيهيتين، استطاع الشاعر أن يستمد مكوناتهما من الطبيعة والبيئة والحياة التي يعيشها.

وحين يجيب كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير على مالك بن عوف؛ فإنه يفخر بقبيلته ثقيف التي قَوَّمَتْ بني عمرو بن عامر، وأنهم حاربوهم حتى أجلوهم عن الطائف، وما ذاك إلا لأنهم أشداء في البأس والقتال، دروعهم لا تنْفَكُّ عنهم، لذا تظهر أجسادهم كأنها محروقة سوداء، فإذا خلع الأبطال دروعهم عن أجسادهم يوماً؛ رأيت جلودهم سوداً للبسهم إياها، فحالُ أجسادهم السوداء ورؤوس مسامير الدروع التي يلبسونها؛ مثلها مثل السماء في الليل البهيم تزينها النجوم. يقول[3]:

علينا دلاصٌ من تراثِ محرقٍ   كلونِ السماءِ زيَّنَتْهَا نُجُومُها

وإذا تأملنا شعر غيلان بن سلمة أيضاً؛ وجدنا الوضوح والبساطة والسهولة سماتٍ ظاهرة في شعره، فنراه يشبه ليلاه وقد أحاطت بها عيون الرقباء بطلوع الشمس يوم غيم، أو حين

---

(1) سيرة ابن هشام 72/1، 73.
(2) سيرة ابن هشام 72/1، 73.
(3) انظر: سيرة ابن هشام: 133/4 ومعجم ما استعجم: 78.

غروبها، وهي صورة من البيئة التي يعيشها. يقول(1):

إنـمـا شَـبَّـهْـتُـهَـا إذْ تَـــراءَتْ   وعـلـيـهـا مِـــنْ عُـيـــونٍ رَقِـيْـــبُ
بِـطُـلُـوْعِ الـشَّـمْـسِ في يـومِ دَجْـنٍ   بُـــكْـــرَةً أو حـــان مِـنْـهَـا غَـــرُوبُ

وله تشبيه نحا فيه منحى القدماء الذين استحبوا في الفرس الصوت الشديد، فشبَّه صوته بالجرس فقال(2):

نــهــدٍ كـتَـيْـسٍ أقـــبَّ مـعـتَـدلٍ   كـأنـمـا فـي صَـهِـيـلـه جَـرْسُ

وفي وصف الملوين والسماء والنجوم يشبه الجَدْي (النجم) بالفرس الحصان وعليه سرجه، إلا أنه لا يصدر عنه صهيل. فيقول(3):

الـجَدْيُ كالفَرَسِ الحصان شَدَدْتُهُ   بـالـسَّـــرْجِ إلا أنـــه لا يـصـهـلُ

وهو يصف هَوْدَجاً يتهادى في السراب فيرفعه ويخفضه، ويشبه السراب بالثوب الأبيض فيقول(4):

فـي الآلِ يخفضُـهـا وَيَـرْفـعُـهَـا   رَيْـــعٌ كـــأنَّ مـتـونَـه الـسّـحْـلُ
عـقْـلاً ورقْـمـاً ثـم أرْدَفَـــهُ   كـلـلٌ عـلـى ألـوانـهـا الـخـمْـلُ
كـدم الـرعـافِ عـلـى مـآزِرِهَـا   وكـأنَّـهُـنَّ ضَـوَامِـراً إجْـلُ

وللحارث بن كلدة أبيات يقول لصاحبه إن اختياره لم يكن عن علم وخبرة سابقة، إلا الرجاء والطمع أن يكون صواباً، مثله مثل من يستغيث ببطن السيل يظنه غزيراً، فإذا به يبتل بالمطر(5).

إن اخـتـيـارَكَ لا عَـنْ خـبـرَةٍ سَلَفَتْ   إلا الـرجـاءُ ومـمـا يـخـطئُ الـبَـصَـرُ

---

(1) الأغاني: 199/13.
(2) الموازنة: 99.
(3) محاضرات الأدباء 544/4.
(4) الحيوان 335/6، اللسان 499/9، 349/13، والإصابة 64/8.
(5) انظر: المؤتلف والمختلف للآمدي: 172 وابن الشجري: 72 وملوحي 200/1.

كالمستغيثِ ببَطْنِ السيلِ يَحْسَبُهُ جَـزْراً يبادِرُه إذْ بَلَّهُ المَطَرُ

فالسيل والمطر من وحي البيئة والطبيعة التي يعيش فيها، فكان تشبيهه منها.

وفي العصر الأموي يقول النميري الثقفي(1):

وبيضاءَ مِكْسَالٍ كَعُوبٍ خَريدَةٍ لَذيذٍ لِذي لَيْلِ التَّمَامِ الْتَزَامُهَا

كَأَنَّ وَمِيضَ البَرْقِ بيني وَبَيْنَهَا إذَا حَانَ مِنْ بَعْضِ البُيُوتِ ابْتَسَامُهَا

فثغر المحبوبة مضيء مشرق يشع نوراً حين تبتسم كأنه البرق يومض.

وفي شعر الحجاج نجد استخدامه للتشبيه في كل بيت من أبياته الأربعة يقول(2):

قَدْ أَتَيْتُ العِراقَ وَهْيَ كَنَارٍ مِنْ ذُكُورٍ تَلوحُ مِثْلَ الرِّيَاطِ

وَعَنَاجِيجُ فوقَها كلُّ قرنٍ باسلُ الحدِّ كالحُسَامِ الأَبَاطِي

ورماحٌ ترى الأسنةَ فيها كالمصابيحِ كلَّ يوم وِرَاطِ

فقتلتُ الملوكَ والصيد فيها ثم غادرتُها كمِثْلِ الصِّراطِ

وفي شعر عبد الله بن أراكة الثقفي نجد تشبيهاً يستمد صورته من وحي البيئة الصحراوية والجبلية، حين يرثي أخاه عَمْراً فيقول(3):

أصْبَحْتُ بَعْدَ أخِي وَمَصْرَعِه كالصَّقْرِ خَانَ جَنَاحه الكَسرُ

شبه نفسه بالصقر وهو رمز القوة والشموخ والاستعلاء، والصقر ليس إلا ابن أراكة، وقد هيض جناحه وكُسِر بِفَقْدِ أخيه، فجناحه يدفُّ على الثرى لا يستطيع النهوض؛ بَلْه الطيران.

في شعر طريح الثقفي نجد جملة من التشبيهات البيانية التي تأثر فيها بالشعراء الجاهليين، واستخرج جزئياتها من صورهم وأخيلتهم، حتى إذا قرأناها ألفيناها صوراً معهودة لها نظائر

(1) انظر: ديوان الصبابة: 270.

(2) حماسة الظرفاء 143/1، 144 تحقيق محمد بهي الدين، الرياط: جمع ريطة؛ وهي الملاءة إن كانت قطعة واحدة، الوراط: الخديعة والغش.

(3) الوحشيات: 144.

في تراثنا الجاهلي، ومن ذلك قوله(1):

بـاتَ الخيالُ من الصُّلَيْتِ مُـؤَرِّقـي   يَـفْـرِي الـسَّـرَاةَ مَـعَ الـرَّبَـابِ المُلْثِقِ

مَـا رَاعَـنِــي إلاَّ بَـيَـاضُ وُجَـيْـهِـهِ   تَحتَ الـدُّجُـنَّـةِ كالسِّرَاجِ المشْرِقِ

فطيف ولده الصليت لا يفارقه، وصورة خياله تفري السراة وهم يسمعون صوت الرباب المصاحب لحركتهم ليلاً، وما صفحة وجه ابنه إلا كالسراج في الليلة الظلماء.

والصورة فضلاً عن أنها تستلهم مفرداتها من وحي الطبيعة وطبيعة البيئة، فإنها تستمد أصولها من صور الجاهليين.

وقول طريح أيضاً(2):

مالي أُزَادُ وأُقْصى حِينَ أَقْصِدُكُمْ   كما تُـوُقِّـيَ مِـنْ ذي الـعُـرَّةِ الـجَـرَبُ

استمده طريح من حياة العرب الذين كانوا يطلون الجمل الأجرب بالقار، ويبعدونه فيظل وحيداً حتى لا يعدي الصحيح، وقد سبقه إلى هذا التشبيه شعراء جاهليون، ومنهم النابغة الذبياني حين قال:

فـلا تَـتْـرُكَـنّـي بـالـوعـيـدِ كَـأَنَّـنِـي   إلى الناسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القَارُ أَجْرَبُ(3)

ودرج القدماء على رسم صورة حسية جميلة للمرأة، فهي بَضَّة، ريَّا الساقين، ذات جيد كالغزال، وقَدٍّ كالكثيب يكاد أن ينهال، ولقلائدها صوت فيه عذوبة الألحان، إن نامت خلاخلها فإن قلائدها لا تنام، وهي صورة جاهلية مكوناتها من البيئة العربية.

يقول طريح(4):

نـامَـتْ خَـلاخِـلُـهَـا وَجَــالَ وِشَاحُهَا   وَجَـرى الـوِشَــاحُ على كثيبٍ أَهْـيَـلِ

---

(1) الأغاني 309/4، ومختاره 365/4.

(2) تهذيب ابن عساكر 57/7، والحماسة البصرية 20/2.

(3) ديوان النابغة: 73.

(4) اللسان (يقظ) 248/9، (قوم) 78/16.

فاستيقظَتْ منه قلائدُهَا التي عُقِدَتْ على جيدِ الغزالِ الأَكْحَلِ

هكذا نهج طريح نهج القدماء في استلهام الصور البيانية، يتعاطى مفرداتها ومكوناتها من البيئة، حتى في مدحه لقومه ثقيف، يصور الحق عندهم في المال مثلَ الغنائم تُحْوَى وتُنْتَهَب، يقول(1):

فمالُهُمْ حُبُسٌ في الحق مُرْتَهَنٌ مثلُ الغنائم تُحْوَى ثم تُنْتَهبُ

وقد أَثرَت الحضارة الأموية في أشعار الثقفيين، من ذلك ما أضفاه طريح على تشبيهاته وصوره من مسحة الحضارة وألوانها الزاهية، فأرانا جانباً من الإشراق والجمال المتجدد، فقال(2) ضمن مدائحه التي استفرغها في الوليد:

خلائقُهُ كسَبِيكِ النُّضَا رِ لا يعملُ الدهْرُ فيها فَسَادَا

وهو الذي يطلب من الوليد كساء من البشر– فهو دليل معروفه– في صورةٍ معنوية فيقول(3):

فاكْسِنِي البِشْرَ إنه شاهِدُ العُرْ فِ كما شاهِدُ القنوط الوجومُ

هذه نماذج مما حملته أشعار ثقيف من تشبيهات التمسوا مكوناتها من البيئة، واستلهم بعضهم معانيها من شعراء جاهليين، أما أمية بن أبي الصلت فقد ذهب في تشبيهاته بعيداً عن البيئة التي يحياها في المشبه، وإن كان قد عاد إليها في المشبه به، فقال(4):

خَرِقٌ يَهِيمُ كَهَاجِعٍ في نَوْمِهِ لم يقْضِ رَيْبَ نُعَاسِهِ فَيُهَجَّدُ

شبه سير القمر بالنائم الذي لم يجهد فيقضي ريب نعاسه.

وفي بيت آخر شبه الناس يوم الحشر بالقطعة الكبيرة من الجراد فقال(5):

(1) الأغاني 311/4.

(2) أمالي المرتضى 574/1.

(3) الدر الفريد 255/2.

(4) ديوانه: 184، الخرق: المندهش، يعني أن القمر لا يتأخر في مغيبه آخر الشهر؛ كهذا المندهش الذي لم يقض كامل نومه فيواصل سيره.

(5) ديوانه: 244 مستوسقين: مجتمعين على طاعته، زفته الريح: أسرعت به.

مُسْتَوْسِقِيْنَ مَعَ الداعي كَأَنَّهُمُ رِجْلُ الجَرَادِ زَفَتْهُ الرِّيْحُ تَنْتَشِرُ

وشبه لون النجوم في السماء بلون النبات الأصفر في الأرض الرمادية فقال:

رَسَخَ الْمُهَا فيْهَا فَأَصْبَحَ لَوْنُهَا في الوَارِسَاتِ كَأَنَّهُنَّ الإِثْمِدُ[1]

وشبه السماء وملاستها بالبحر الهادئ الذي لم يتموج، أراد لِمَلاَسَتِهِ وليس لجريه، يقول:

فَكأنَّ بِرْقِعَ والمَلائِكُ حَوْلَهَا سَدِرٌ تَوَاكَلَهُ القوائمُ أَجْرَدُ[2]

ويأتي التشبيه توضيحاً لمعنى يريده الشاعر وتأكيداً له، كما هو في تشبيه ابن الذئبة الثقفي وقع جيش الروم والحبشة على قبائل حمير، وكثافته وكثرته الكاثره (كمثل عديد التراب)، وكذلك في تشبيه ابن أراكة لحالته التي يُرْثَى لها في رثائه أخاه عمراً (كالصقر خان جناحه الكسر)، وكما هو أيضاً في تشبيه طريح لنفسه مع الوليد في اعتذارياته بأنه يُقْصَى ويُبْعَد حين يقصده، فحاله كالجمل الأجرب المطلي بالقار المعزول عن الآخرين.

وإما أن يأتي التشبيه زينة يزين بها الشاعر شعره؛ كما في وصف طريح أخلاق الوليد بقوله:

خلائقُهُ كسبيكِ النضار لا يعمل الدهر فيها فسادا[3]

أو كقوله في وصف صفحة وجه ابنه (الصليت) بأنها كالسراج:

ما راعني إلا بياضُ وُجَيْهِهِ تحتَ الدُّجُنَّةِ كالسِّرَاجِ المشرقِ[4]

ويأتي التشبيه في أشعار العرب لهدف ثالث لا نجده فيما وصل إلينا من أشعار ثقيف، وذلك لنَقْلِ الوصف مِنْ موضوع إلى موضوع؛ مثل قول حُمَيْد بن ثَوْرٍ الهلالي[5] منتقلاً

---

(1) ديوانه: 359 المها: الكواكب، الوارسات: من الورس؛ وهو شيء أصفر يخرج على الرمث بين آخر الصيف وأول الشتاء، إذا أصاب الثوب لوّنه، الإثمد: الكحل.

(2) ديوانه: 358 برقع: اسم السماء الدنيا، وقيل اسم للسماء السابعة، سدر: بحر، تواكله القوائم: تواكلته الرياح فلم يتموج، انظر: شرح ديوان المتنبي 375/2.

(3) أمالي المرتضى 574/1.

(4) الأغاني 309/4، ومختار الأغاني 365/4.

(5) ديوانه: 198 وانظر: حميد بن ثور الهلالي: حياته وشعره: 139–140.

من التغزل بـ (جُمْلٍ) إلى وصف الظَّبية:

كـأَنَّ الـرِّعَـاثَ والنِّطَافَ تَصَلْصَلَتْ ... لـيـالِيَ جُـمْـلٌ لِـلـرِّجَـالِ خَلُوبُ[1]

بِـوَحْـشِـيَّـةٍ أَيْـمـا ضـواحـي متونِها ... فَمُلْسٌ وأيـمـا كَشْحُها فقَبِيبُ[2]

ثم راح يصف تلك الظبية، وربما يرجع فقدان هذا الهدف من أهداف التشبيه؛ إلى أنه لم تصل إلينا قصائد كاملة من أشعار القوم إلا نادراً، ولعل فيما ضاع من شعرهم أمثلة من هذا الضّرب.

ب- الاستعارة:

للاستعارة سلطان على أشعارهم؛ لكن هذا السلطان يختلف انتشاره في شعر الجاهليين منهم عن انتشاره في شعر مَنْ جاء بعد الإسلام، ولقلة ما وصل إلينا من شعر الثقفيين الجاهليين؛ فإنه تصعب المقارنة بين العصرين فيما يتعلق بالاستعارة؛ لرصد حركة التطور التي طرأت على الشعر العربي الثقفي منذ العصر الجاهلي إلى عصر بني أمية، ولكننا نلحظ - بناءً على ما بين أيدينا من أشعار للثقفيين- أن الاستعارة في العصرين الإسلامي والأموي أكثر ظهوراً من الاستعارة في أشعار الجاهليين.

فإذا ما بحثنا في شعر أمية بن أبي الصلت - وهو الأكثر شعراً، والأغزر نتاجاً بين الثقفيين- فإننا نجد أن الاستعارة في شعره نادرة، ومنها مثلاً استعارته الأنهار للنور كما في قوله:

عليه حـجـابُ الـنـورِ والـنـورُ حَـوْلَـهُ ... وأنــهــارُ نــورٍ حَــوْلَــهُ تَـتَـوَقَّـدُ

وعند غير أمية نجد قول أبي الصلت بن أبي ربيعة يمدح سيف بن ذي يزن وجيشه بعد ظفره بالحبشة، وقد استعار لهم (الأسْد) ولعدوهم (سود الكلاب) فقال[3]:

أَرْسَلْتَ أُسْداً على سُوْدِ الكِلاَبِ فَقَدْ ... أَضْحَىْ شَرِيْدُهُمْ في الأَرْضِ فُـلاَّلاَ

---

(1) الرِّعاث: القروط، والنِّطاف: اللآلئ الصافية، وتصلصلت: صوَّتت.

(2) الوحشية: الظبية، أيْما: أمَّا، ضواحي المتن: ما برز منه للشمس، الكَشْح: الخَصْر، القبيب: الضامر.

(3) التيجان في ملوك حمير: 317، والشعر والشعراء: 461.

وفي شعر غيلان بن سلمة نحصل على قدر من الصور والاستعارات، فعيناه تجودان بالدمع، ولو استطاع لجعل عامراً بين ضلوعه: يقول(1):

عيني تجودُ بِدَمْعِها الهَتَّانِ سحّاً وتبكي فارسَ الفُرْسَانِ

لو أستطيع جعلتُ مني عامراً بين الضلوع وكلُّ حيٍّ فانِ

وهو الذي يرعى نجوم الليل وَهْناً، وأنَّى له أن يبصرها وقد فاضت عيناه بدمعٍ، وهو الأب الملتاع لفقد أولاده، ولو استطاع لجعل نافعاً بين عكد لسانه، فيقول(2):

ما بال عيني لا تُغَمِّضُ ساعةً إلا اعْتَرَتْنِي عَبْرَةٌ تغشاني

أرعى نجومَ الليلِ عند طلوعِها وَهْناً وَهُنَّ مِنَ الغروبِ دوانِ

فلو استطعت جَعلتُ مني نافعاً بين اللَّهاةِ وبين عَكْدِ لساني

وعند عثمان بن أبي العاص الثقفي صورة المآتم تخمش الوجوه، والموت يُرى على سبيل الاستعارة، فيقول(3):

لعَمْرُكَ لولا الليلُ قامَتْ مآتمٌ حواسِرُ يخمشْنَ الوجوهَ على عَمرِو

وأفلتَنَا فوتُ الأسِنَّةِ بَعْدَمَا رأى الموتَ والخطِّيَّ أَقْرَبَ من شِبْرِ

لا تختلف الاستعارة من حيث مصدرُها الحسيُّ الماديُّ عن التشبيه، وهذا ما نراه إذا رجعنا إلى الاستعارات السابقة عند أمية، وغيلان، وعثمان بن أبي العاص، حين نَقَلَتِ التعبيرَ عن أشياءَ معنوية تُفْهَمُ بالعقل إلى أشياءَ مادية تُلْمَسُ بالحواس، فقد صوَّر عثمان الموت بأنه كائن يُرى، واستعار أمية الأنهار للأنوار حيث العظمة والعزة الإلهية، فزاد ذلك في وضوح المعاني التي أرادها، إلى جانب ما يوفره التعبير عن المراد بالاستعارة من جمال فني.

وهناك أمثلة أخرى تؤدي هذين الغرضين من جمال فني وتوضيح المعنى المراد، في

(1) الأغاني 202/13.

(2) الأغاني 208/13.

(3) معجم الشعراء للمرزباني: 89، 90، والإصابة 388/6.

أشعار الشعراء الآخرين من بني ثقيف، فالود والإخلاص رائدان يقودان طريحاً في معاملته للخليفة، وبهما تتقارب المسافات، يقول[1]:

يقودني الـودُّ والإخـلاصُ مُخْتَرَمِي   من أبْعَـدِ الأرضِ حتى منزلي كَثَبُ

وفي شعر يزيد بن الحكم نرى الشحناء تُضْمَر وتُسَر، وكأنها شيءٌ ماديٌ يُخفى، وذلك حين يقول[2]:

أخـي يُسِرُّ لِـيَ الشحناءَ يُضْمِرُهَا   حتى وَرَى جوفَه من غِـمْـرِهِ الـداءُ

والجهل– وهو السفه– شخص يُبتغَى ويطلَب، والحِلم شخص يرضي الحلماء، قال يزيد في رثاء ولده عنبس[3]:

جَـهُـوْلٌ إذَا جَـهْـلُ العَشِيْرَةِ يُبْتَغَى   حَـلِـيْـمٌ ويُـرْضـي حِـلْـمَـه حُـلَـمَـاؤُهـا

والشيب إن حل فلا مرحباً به، فهو يطرد الشباب كما قال يزيد[4]:

ألاَ لاَ مَـرْحَـبـاً بِـفـرَاقِ لَـيلَـى   وَلاَ بـالـشَّـيْـبِ إذْ طَـرَدَ الـشَّـبَابَا

ج– الكناية:

وثمة أسلوبٌ آخرُ من التعبير البياني، استخدمه شعراء ثقيف بُغْيَةَ توضيح معانيهم وتقديمها جليَّةً جميلة فنيّاً؛ وذلك هو الكناية، فإذا أراد المحبِّر الثقفي أن يعبر عن شدة الحرب وهولها وضراوتها بين عوف ومالك؛ لم يقل إنها شديدة مروعة، بل عبر عن ذلك بقوله (تترك الطفل أشيبا):

عُـقَـاماً ضَرُوساً بين عـوفٍ ومالكٍ   شـديـداً لظاها تـتـرك الطفل أشيبا

ومدح أمية بن أبي الصلت عبد الله بن جدعان التيمي قائلاً: إن علمك بما يجب عليك من حق القاصد لك؛ يحملك على مبادرة المعروف وتعجيل العطاء، كَنَّى عن ذلك بقوله:

(1) الأغاني 311/4، ومختاره 366/4.

(2) الأغاني 294/12، والخزانة 56/1.

(3) الأغاني 289/12، ومختاره 375/8.

(4) الأغاني 290/12–292.

(فأنت فرع) كناية عن الشرف، وأصل الفرع الغصن؛ لأنه أشرف ما في الشجرة وأعلاه[1]، قال أمية:

وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرْعٌ ... لَكَ الْحَسَبُ المهذَّبُ والسَّنَاءُ

وكنى أمية بن أبي الصلت عن ذل السؤال ببذل ماء الوجه فقال[2]:

وليس بِشَيْنٍ لامرئٍ بذلُ وَجْهِهِ ... إليك كما بعضُ السؤالِ يَشِينُ

ولما هُزم المشركون، أقبل أبو محجن قافلاً، فرأته امرأة من المسلمين، فظنت أنه منهزم فقالت:

مَنْ فارسٌ كَرِهَ الطِّعَانَ يُعِيرُني ... فَرَساً إِذَا نَزَلُوا بِمَرْجِ الصَّفَّرِ

فأجاب أبو محجن إجابة عدها أبو هلال العسكري «كناية لطيفة». قال أبو محجن[3]:

إنَّ الكرامَ على الجيادِ مَقِيلُهُمْ ... فَذَرِي الجِيَادَ لأَهْلِهَا وَتَعطَّرِي

وحين صورت الفريعة بنت همام حسن طلعة نصر بن حجاج، وجمال محياه، وإشراق صورته؛ قالت:

سامي النواظر من بَهْزٍ لَهُ قَدَمٌ ... تُضِيءُ صُوْرَتُهُ في الحَالِكِ الدَّاجِي

وصور عبد الله بن سعيد الثقفي شدة الطعن في الهيجاء وكثرة الدماء، فكنى بقوله:

والخيلُ عابسةٌ قد سُرْبِلَتْ بِدَمٍ ... يغيبُ فيه لها الأرْسَاغُ والثُّنَنُ

وحين مدح القاسم بن أمية بني دهمان بكرمهم وعدم بخلهم لم يقل (هم كرماء وليسوا بخلاء)، وإنما قال (لا ينكتون الأرض)، فالبخيل ينكت الأرض ببنانه أو بعود.

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم ... لتطلب العلّات بالعيدانِ

وحين يمدح استقبالهم وأنهم يهشون ويبشون في وجوه ضيوفهم، يعبر عن ذلك مكنياً

---

(1) انظر شرح حماسة أبي تمام: 869/2.

(2) ديوانه: 499.

(3) انظر: ديوان أبي محجن بشرح العسكري: 39.

فيقول:

بَـلْ يبسُطُونَ وجوهَهُمْ فَتَرى لها　　　عِنْدَ اللّقَاءِ كَأَحْسَنِ الأَلْوَانِ

وحين رثى النميري الثقفي زينب؛ فإنه كنى عن الصنج ذي الأوتار – وهو آلة من آلات الطرب– بأنها ستبكيها (مرنان العشي) فيقول[1]:

سيَبكيكِ مِرْنَانُ العَشِيّ يجيبه　　　لَطِيفُ بَنَانِ الكفِّ دُرْمٌ مَرَافقُهْ

وعمد طريح إلى الكناية فصور الحقد قد ملأ صدور أعدائه حتى الأذقان، فقال[2]:

أمُشْمِتٌ بِيَ أقواماً صُدُورُهُم　　　عليَّ منك إلى الأذقان تَلْتَهِبُ

ويلاحظ أن تلك الصور البيانية استُلْهِمَتْ من البيئة الحسِّيَّةِ المادية في أشعار ثقيف، وليست تلك بالملاحظة الخاصة بأشعار ثقيف وحدهم؛ بل هي ملاحظة عامة في أشعار قبائل العرب منذ الجاهلية إلى آخر العصر الأموي، ولا يشذّ عن هذا الحكم إلا النادر من صورهم[3].

ولا ريب أن اختلاف البيئة التي كان يعيش فيها الشعراء كان يؤدي إلى اختلاف الصور، ذلك أن بيئة البادية غير بيئة الجبال وغير بيئة القرى، وغير البيئة القريبة من الأنهار، فإذا ما تنقل الشاعر في هذه البيئات المختلفة جاءت صوره متنوعة، فشعراء البوادي يكثرون من تشبيه الظعائن وما عليها من ثياب حُمْرٍ وصفر بالنخل مكمَّماً أو غير مكمم؛ كقول عبيد ابن الأبرص الأسدي[4]:

كَأَنَّ ظُعْنَهُمُ نَخْلٌ مُوَسَّقَةٌ　　　سُوْدٌ ذوائِبُهَا بالحِمْلِ مكمُومَهْ

وقول بشر بن أبي خازم الأسدي[5]:

---

(1) انظر: الأغاني 143/6، وتجريده 771/2، ورغبة الآمل 138/8.

(2) انظر: الأغاني 311/4، الحماسة البصرية 20/2.

(3) انظر: العصر الجاهلي: 220–221.

(4) ديوانه: 128، وموسقةٌ: محمَّلة بالثمار، وذوائبها: أي أطرافها، سود: شديدة الاخضرار من الري.

(5) ديوانه: 2، ومحلّم: اسم نهر.

كــأنَّ حُـمُـولَـهُـمْ لـمـا اسـتَـقَـلَّـتْ		نـخـيـلُ مـحـلِّـمٍ فـيـهـا انـحـنـاءُ

وكقول حُمَيْد بن ثور الهلالي، وكانت ديارهم بين الحجاز ونجد(1):

ولـقـد نـظـرت إلـى الْـحُـمُـولِ كأنَّهَا		زُمَــرُ الأشــاءِ بِـجَـانِـبَـيْ حَـرْسِ

وكقول حميد أيضاً(2):

فـآنَـسْـتُ أدبــارَ الـحُـمُـولِ كَـأَنَّـهَـا		مـخـارِفُ نَـخْـلٍ لـم تُـكَـمَّـمْ حَـوَامِـلُـهْ

أما بكر بن وائل فكانت مساكنهم بالقرب من شواطئ الخليج العربي وغربيّ الفرات، ولذلك كثر في أشعارهم تشبيه الظعائن بالسفن، كقول طرفة بن العبد البكري(3):

كــأن حُــدوجَ الـمـالـكـيـةِ غُــدْوَةً		خـلايـا سَفينٍ بـالـنـواصِـفِ مِـنْ دَدِ

وإذا تتبع الباحث أشعار كل بيئة؛ لاحظ أثر البيئة في صور شعرائها التي تأتي توضيحاً لمعانيهم.

المحسنات المعنوية:

لا تقتصر الأساليب التي اتبعها شعراء ثقيف لتوضيح معانيهم على التصوير البياني من تشبيه، واستعارة، وكناية، بل هناك أساليب أخرى نجدها في شعرهم أسهمت في ذلك، وهي استخدامهم لما يعرف بالمحسنات المعنوية.

أ- الطباق والمقابلة:

أول ما يستوقفنا من هذه المحسنات: الطباق والمقابلة، وكلاهما مبني على أساس من الجمع بين الأضداد في الشعر والنثر، فإذا كان الجمع بين الضدين كان طباقاً، وإذا كان بين أكثر من ضدين كان مقابلة(4).

---

(1) ديوانه: 97 والأشاء: النخل الصغار، وحَرْس: جبل في ديار عبس.
(2) ديوانه: 118، والمخارف: جماعة النخل لم تُكمَّم: لم تُغَطَّ.
(3) ديوانه: 7، 8، والحدْج: من مراكب النساء، والخلايا: السفن العظام، والنواصف: مجاري الماء إلى الأودية، ودَدِ: اسم موضع، أراد: كأنَّ حدوجها بالنواصف خلايا سفين.
(4) انظر: العمدة: 576، 590.

وتكمن فائدتهما البلاغية في جلاء صورة كل ضد ومعناه بضده، إذ تقوم في العقل مقارنة بين كل منهما، كما قال القائل:

والضدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

وقال الآخر: **وبضدها تتمايز الأشياء**

ومن أمثلة الطباق قول أمية بن أبي الصلت:

فَيَفْنَى ولا يَبْقَى سوى القاهرِ الذي يميتُ ويُحْيي دائماً ليس يَمْهَدُ(1)

فطابق بين (يفنى) و(يبقى) وبين (يميت) و(يحيى). ومنه قوله أيضاً:

وقد يقتل الجهلَ السؤالُ ويشتفي إذ عاينَ الأمرَ المهمَّ المعاينُ(2)

فطابق بين (يقتل) و(يشتفي).

ومن الطباق أيضاً قول أبي محجن الثقفي:

قد يُقتر المرء يوماً وهو ذو حَسَبٍ وقد يثُوبُ سوامُ العاجِزِ الحَمِقِ(3)

قد يَكْثُرُ المالُ يَوْماً بعد قِلَّتِهِ ويكْتَسِي العُوْدُ بَعْدَ الْجَدْبِ بالورقِ

فطابق بين (الإقتار)– بمعنى الإقلال– وبين (يثوب). وبين (ذو حسب) صاحب المكانة الرفيعة و(العاجز الحمق) وهو الضعيف ذو المنزلة الوضيعة. وفي البيت الثاني طابق بين (يكثر) و(قلته).

والطباق كثير في شعر أبي محجن، فمنه قوله أيضاً:

وقال لي الندمانُ لما تركْتُهَا أألجِدُّ هذا منك أم أنت تَلْعَبُ(4)

---

(1) انظر: المستدرك على شعر أمية.

(2) ديوانه: 309 وفي أمالي القالي 38/3، وسمط اللآلي 362/1، والروض الأنف 77/2، وألف باء 83/2.

(3) ديوان أبي محجن: 20 وكلمة يثوب تأتي بمعنى يرجع، وتأتي أيضاً بمعنى يكثر، ثاب إليه قومه: أي نهضوا وكثروا حوله، والتثويب في الأذان: هو جمع الناس للصلاة، وفي القرآن ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ لأنهم يكثرون عنده، انظر: ديوان أبي محجن بشرح أبي هلال العسكري: 20.

(4) ديوان أبي محجن: 41.

فطابق بين (الجد) و(تلعب) لبيان جدية تركه الخمر وبعده عنها.

ومن الطباق قول كنانة بن عبد ياليل الثقفي:

وَقَدْ عَلِمَتْ إنْ قَالَتِ الحَقَّ أَنَّنَا إِذَا مَا انْثَنَتْ صُعْرَ الخُدُودِ نُقِيمُهَا

نُقَرِّبُها حَتَّى يَلِينَ شَرِيسُهَا وَيَرْجِعَ لِلْحَقِّ المُبِينِ ظَلُومُهَا

فطابق بين (انثنت) و(نقيمها). وفي البيت الثاني بين (نُقَرِّبُها) و(يرجع)، وبين (شريسها) و(ظلومها) أي: مظلومها.

ومن ذلك أيضاً قول الحارث بن كلدة الثقفي؛ معاتباً أمية بن أسيد بن علاج الثقفي:

ألا رُبَّ من يغشى الأباعِدَ نَفْعُهُ وتشقى بِهِ حتى الممات أقارِبُهْ

فإن يكُ خَيْرٌ فالبعيدُ ينالُهُ وإن يكُ شرٌّ فابن عمِّكَ صاحِبُهْ

فطابق بين (الأباعد) و(أقارب)، وفي البيت الثاني طابق بين (خير) و(شر)، وبين (البعد) و(ابن عمك). ونجد بين الصدر والعجز في البيت الثاني مقابلة، أراد الشاعر بواسطة الطباق والمقابلة بيان المفارقة لما ينال البعيد من خير يحرم منه القريب، وأن خيره لغيره لا لأهله.

وقول الفريعة بنت همام عن نصر بن حجاج:

سامي النواظر من بَهْزٍ لَهُ قَدَمٌ تُضيءُ صُوْرَتُهُ في الحَالِكِ الدَّاجِي

فطابقت بين (تضيء) و(الحالك الداجي)؛ لبيان بياض غرته، وحسن طلعته، وجمال صورته.

وقولها أيضاً:

أمنيةٌ لم أُرِدْ فيها بِضَائِرَةٍ والناس مِنْ هالكٍ فيها وَمِنْ ناجِ

فطابقت بين (هالك) و(ناج). والأمثلة كثيرة على هذا النوع من المحسنات.

فإذا تفحصنا شعر ثقيف في العصر الأموي؛ وجدنا هذا النوع من المحسنات المعنوية

في شعر طريح، فهو يطابق في مجال الاعتذار بين موقفين: موقف الشامتين وسرورهم، وموقف الناصحين وإشفاقهم، يقول[1]:

فَذُو الشَّمَاتَةِ مَسْرُورٌ بَهَيْضَتِنَا ... وَ ذُو النَّصِيحَةِ والإِشْفَاقِ مُكْتَئِبُ

ويقابل بين (العسر) و(الغنى)، فهما أمران لا يدومان، يقول[2]:

قد يعلمون بأن العُسْرَ منقَطِعٌ ... يوماً وأن الغنى لابُدَّ منقَلِبُ

ويرى الناسَ أعداءً للفقير، إخوة للغني، فيصوغ البيت صياغة حكمية تقتضي هذه المقابلة، يقول[3]:

والناسُ أعداءٌ لكلِّ مدقعٍ ... صِفْرِ اليَدَيْنِ وإخوةٌ للمكثِرِ

ويتوسع في ذلك ليقابل بين الحروف كما كان القدماء يفعلون، فيقول[4]:

وما «نَعَمْ» منك للعافين مُسْجَلَةٌ ... من التخلق لكنْ شِيمَةٌ خلقُ

ساهَمْتَ فيها وفي «لا» فاختُصِصْتَ بها ... وطارَ قومٌ بـ «لا» والذمّ فانطلَقُوا

وفي شعر يزيد بن الحكم أيضاً يكثر هذا النوع من المحسنات فيقابل بين المعنيين المتضادين فيقول:

قد يُقْتِرُ الحَوْلُ التَّقِـ ... ـيُّ ويُكْثِرُ الحَمِقُ الأَثِيمُ[5]

فبين (يُقْتِر) و(يُكْثِر) طباق، وبين (التقي) و(الأثيم) كذلك طباق، فهو يقابل بين المعنيين المتضادين؛ ليزيد المعنى الذي يريده وضوحاً.

وفي موطن آخر يقول:

---

(1) انظر: تهذيب ابن عساكر 57/7، ومختار الأغاني 366/4.
(2) انظر: الأغاني 311/4.
(3) انظر: الدر الفريد لابن أيدمر ورقة 289/أ، وعيون التواريخ 97/5.
(4) انظر: الأغاني 101/6، 102.
(5) اللسان (حمق).

كـــل امـــــريءٍ ســتئـيـمُ مِـنْــ ـــه الـعـرسُ أو مـنـهـا يئيمُ[1]

والـــنـــاســ مــبـتــنِـيــانِ محــ ـــمـودُ الـبـنـايَـةِ أو ذَميمُ[2]

وفي شعر الحجاج بن يوسف الثقفي نجد أمثلة متكررة لهذا اللون البديعي، كما في رسالته وأبياته التي بعث بها إلى عبد الملك بن مروان؛ مسوغاً ما فعل في قتل أسرى دير الجماجم؛ فقال:

أسـالِمُ مـن سالَمْتَ من ذي هـوادةٍ ومـن لـمْ تُـسَـالـمْـهُ فـإنـي مُـحَـارِبُـهْ

إذا أنـا لـم أُدْنِ الشفيقَ لِنُصْحِهِ وَأُقْـصِ الـذي تَسْرِي إلـيَّ عَـقَـارِبُـهْ

فَـمَـنْ يَـتَّـقِـي يـومِـي ويـرجُـو مَـوَدَّتِـي ويخشى غـداً والـدهْـرُ جَـمٌّ نَـوَائِـبُـهْ

فطابق بين (المسالمة) و(المحاربة)، وفي البيت الثاني قابل بين (أُدْنِ) و(أُقْصِ)، و(الشفيق) و(الذي تسري إلي عقاربه).

وفي شعر الأجرد الثقفي مفارقة تُظْهِرُ عِظَمَ المقابلة بين شخصين: أحدهما يسعى في الخير والصلح لرأب الصدع، وجبر الكسر رشداً وتعقلاً، والآخر ينوي الكسر، فيضمر العداء والشقاق سفاهة وبلاهة، يقول:

مـا بـال مـن أسـعى لأجْـبُـرَ عَـظْـمَـهُ حفاظاً وينوي من سَفَاهَتِهِ كَسْرِي

إلى غير ذلك من أمثلة الطباق والمقابلة المبثوثة في أثناء شعرهم الجاهلي وغير الجاهلي، التي لم تكن ترِدُ إلا عفواً، وليس عن طريق الصنعة أو التعمد لإحداث أثر ما في نفوس السامعين، فكانت صنعتهم طبيعية غير متكلفة، إنما تكلفها الشعراء في آخر القرن الثاني الهجري.

(1) اللسان (أيم).

(2) اللسان (بنى).

ب- التكرار:

وثمة أضربٌ أخرى من المحسنات المعنوية شاركت في توضيح معانيهم وإبرازها؛ مثل التكرار، وهو أن يكرر الشاعر لفظاً أو معنى من المعاني، وأكثر ما يقع ذلك في الألفاظ دون المعاني، وله مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها(1)، ويكون التكرار لأسباب مختلفة، فمنها ما يكون على سبيل التشوق والاستعذاب، ومنه ما يكون على سبيل الفخر والاستعلاء، أو على سبيل التعظيم للمحْكِيّ عنه، أو على سبيل العتاب، أو غير ذلك.

من ذلك قول ابن الذئبة الثقفي:

لَعَمْرُكَ ما لِلْفَتَى مِنْ مَفَرْ ... مَعَ الموتِ يَلْحَقُهُ وَالكِبَرْ

لَعَمْرُكَ ما للفتى صُحْرَةٌ ... لَعَمْرُكَ مَا إنْ لَهُ مِنْ وَزَرْ

وقد أراد الشاعر من ذلك التكرار المصحوب بالقسم تأكيد معنى واحد؛ هو أن لا مفر من الموت، ولو كان الفتى يتسنم جبلاً عالياً فلا عاصم له، ولا منجي له من الموت الذي يلحقه ويلاقيه حتى في الكبر.

ومن التكرار أيضاً قول كنانة بن عبد ياليل بن عمرو الثقفي:

يا عمرو لا تأخذْك فيهم رأفَةٌ ... احذَرْهُمُ حَذَرَ امرىءٍ لاَ يَمْزَحُ

واحذَرْهُمُ كالمصْطَلِي بِجَحِيمِها ... إنَّ القرابةَ كلَّ يوم تُنْزَحُ

ومن التكرار قول عمرو بن مسعود بن معتب الثقفي؛ مخاطباً معاوية بن أبي سفيان:

يا أيها الملكُ المبدي لَنَا ضَجَرا ... لو كان صَخْرٌ لنا لَمْ يُولِنَا ضَجَرا

وعمرو قد عاش إلى أن أسن، فهو يذكر لمعاوية ما كان بينه وبين أبيه صخر من صداقة ومودة، فكأنه ينعى ما مني به في زمانٍ غير زمانه، وقد تغير به الحال فلقي من السأم والملل والضجر ما لم يلقه، مكرراً (ضجرا) في عجزي الشطرين الأول والثاني بالتأكيد توجعه وتبرمه، وسوء حاله وشكايته.

---

(1) انظر: العمدة: 362.

ومما جاء على سبيل التشوق إلى المحبوب: قول يزيد بن ضبة مكرراً اسم هند التي يهفو إليها قلبه وتُصبي فؤاده، ولا بأس بهذا التكرار للاسم كما يقول ابن رشيق: «ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو نسيب»(1) قال يزيد بن ضبة:

إلـــى هـــنـــدٍ صَـــبَـــا قَـلـبي ... وَهِـــنْـــدٌ مـثـلُـهـا يُـصْـبِـي

وَهِـــنْـــدٌ غَـــــادَةٌ غَـيْـدَا ... ءُ مـــنْ جُــرْثـومـــةٍ غُـلْـبِ

ومـــا إنْ وَجَـــدَ الـنـاسُ ... مـــن الأَدْواءِ كالحُـــبِّ

لـقـد لــجَّ بـهـا الإعـــرا ... ضُ والـهَـجْـرُ بـلا ذَنْـبِ

ولـمـا أَقْـضِ مِـنْ هِـنْـدٍ ... ومـن جـاراتِـهـا نَـحْـبِـي

أرى وجـــدي بـهـنـد دا ... ئـمـاً يـــزداد عـــن غـبِّ

ومن التكرار ما يكون على سبيل الاستعلاء والفخر بالذات، ومنه قول يزيد بن الحكم(2):

وأبـي الـذي فـتـحَ الـبـلادَ بسيفِهِ ... فـأذَلَّـهـا لـبـني الـزمـانِ الـغـابِرِ

وأبـي الـذي سلب ابـنَ كسرى رايـةً ... في الملكِ تخفقُ كالعُقَابِ الكاسِرِ

وإذا فخرتُ فَـخَـرْتُ غيرَ مُـكَـذَّبٍ ... فَـخْـراً أدقُّ بِـهِ فَـخَـارَ الـفَـاخِـرِ

الأمثال ووظيفتها في شعرهم:

لما كانت الصور البيانية والمحسنات المعنوية وسيلة لتوضيح معانيهم وإبرازها؛ فإنهم استخدموا كذلك الأمثال الحسية للغرض نفسه، ذلك أن المثل يتوافر فيه من أسباب البيان ما يجعله وسيلة راقية من التعبير، إذ نجده يكثف قصة في كلمات موجزة مع إصابته للمعنى،

(1) ابن رشيق: 360.

(2) أمالي الزجاجي: 219، والخزانة 1/55.

وجودة التشبيه باستخدامه[1]، فَغَايَةُ المَثَل أنه يجلو المعنى ويؤكِّدُه ويثَبِّتُهُ في الذهن، ويُقَرِّبُهُ إلى المتلقي لكونه مِمَّا عُرِفَ وحَفِظَ مِنْ قَبْلُ[2].

والمثل فيما اجتمع لدى الدراسة من أشعار بني ثقيف منذ الجاهلية إلى آخر عصر بني أمية؛ كما يقول ابن رشيق: «يجري مجراه في أشعار العرب لذلك الزمان، أي إنه إنما يأتي في ثنايا الشعر قليلاً دون تكلف، ليكون زينة في الشعر كالشامة في خد الحسناء، مع ما يقدمه من جلال المعنى المراد؛ فالمثل في شعرهم يختلف عن المثل في شعر بعض المولَّدين الذين أُغْرِمُوا به، وتكلفوه فأكثروا منه في شعرهم؛ كصالح بن عبد القدوس»[3].

حين نطالع شعر أمية بن أبي الصلت نجد له بيتاً مأخوذاً من مثل عربي سائر، يقول أمية:

دُعْمُوصُ أَبْوَابِ الْمُلُو ... كِ وَجَائِبٌ لِلْخَرْقِ فَاتِحْ[4]

وهو من المثل القائل (أَهْدَى مِنْ دُعَيْمِيصِ الرَّمْلِ)[5] قالوا: إنه كان رجلاً دليلاً خِرّيتاً غلب عليه الاسم، فيقال: (هو دُعَيْمِيصُ هذا الأمر) أي: العالم به.

وعندما أراد الحجاج بن يوسف الثقفي أن يصور لعبد الملك بن مروان مدى التزامه وإخلاصه، وإيمانه المطلق بوحدة الدولة والحفاظ على مصالحها، وأنه حينما عاقب أو قتل في دير الجماجم– الذين يعاتبه الخليفة عليهم– إنما عاقب الخارجين عن شرعية خلافة البيت الأموي، مؤكداً له أنه شديد الولاء للخليفة حريص على طاعته، منفذ لأوامره، راغب في إرضائه، فيستعين بمثلين فيقول:

إذا أنا لا أبغي رضاك وأتقي ... أذاك فيومي لا توارى كواكِبُهْ

(لا تُوارَى كواكبه): ضربه مثلاً لشدة الأمر.

---

(1) انظر: مجمع الأمثال 6/1.

(2) انظر: العجاج: حياته ورجزه: 351.

(3) انظر: العمدة: 487.

(4) البيت لأمية في ديوانه:، 20 وكتاب العين 338/2 وتاج العروس 582/17 (دعمص).

(5) انظر: جمهرة الأمثال 375/2 وخزانة الأدب 276/2 والدرة الفاخرة 434/2 والمستقصى 442/1 وثمار القلوب: 105 والأمثال 351/1 ومجمع الأمثال 590/3.

وفي البيت الثاني يقول:

وَقِفْ بي عَلَىْ حَدِّ الرِّضَا لا أَجُوزُهُ مَدَى الدَّهْرِ حتى يُرْجِعَ الدَّرَّ حَالِبُهْ

وهو مأخوذ من المثل القائل: (حتى يَرْجِعَ الدَّرُّ في الضَّرْعِ)[1] وهذا محال.

وحينما تعب النميري من كثرة تطوافه في الأرض، وهرب إلى اليمن، ومكث فترة في عدن، وخيال الحجاج يطارده ولا يفارقه، استعان بمثلين في بيتيه ليقول في البيت الأول:

هاك يدي ضاقت بلاد بِرُحْبِها وإن كنتُ قد طوَّفْتُ كل مكانِ

وهو مأخوذ من المثل القائل: (ضاقَتْ عليه الأرضُ بِرُحْبِهَا)[2] ويضرب لمن يتحير في أمره. وفي البيت الثاني يقول:

فلو كانت العنقاءُ منك تطيرُ بي لخِلْتُكَ إلا أن تَصُدَّ تَرَانِي

وهو مأخوذ من مثلين أحدهما: (حَلَّقَتْ بِهِ عَنْقَاءُ[3] مُغْرِبٌ)[4]؛ وهو مَثَلٌ يضرب لما يُئِسَ منه[5]. وثانيهما: (طارت بهم العنقاء)[6].

قال ابن الطلبي: كان لأهل الرس نبي يقال له (حنظلة بن صفوان)، وكان بأرضهم جبل يقال له (دمخ) مَصْعَدُهُ في السماء، قيل: فكانت تنتابه طائرة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل من أحسن الطير، فيها من كل لون، وكانت تقع مُنْتَصِبة، فكانت تكون على ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكله، فجاعت ذات يوم وأعوزها الطيرُ، فانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء (مُغْرِب) بأنها تُغْرِبُ بكل ما أخذته.

---

(1) انظر: مجمع الأمثال 504/1 وتمثال الأمثال 420/2 والمستقصى 58/2.

(2) مجمع الأمثال 312/2.

(3) والعنقاء: طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم، وأغرب أي: صار غريباً، وإنما وصف هذا الطائر بالمغرب لبعده من الناس، ولم يؤنثوا صفته؛ لأن العنقاء اسم يقع على الذكر والأنثى كالدابة والحية، ويقال: عنقاء مغربٌ على الصفة ومغربِ على الإضافة، انظر مجمع الأمثال 312/2.

(4) انظر: مجمع الأمثال 500/1 وخزانة الأدب 132/7، 133، 183/11 والحيوان 121/7 واللسان 343/8 (ملع).

(5) قال الخليل: سُمّيَتْ عنقاء؛ لأنه كان في عنقها بياض كالطوق، ويقال: لطول في عنقها.

(6) انظر: مجمع الأمثال 326/2 والمستقصى 150/2 والعقد الفريد 121/3 وكتاب الأمثال لمجهول: 73، خزانة الأدب 135/7 وجمهرة الأمثال 16/2 واللسان 141/1 (غرب)، (ملع)، (عنق).

ثم إنها انقضت على جارية فضمتها إلى جناحين لها صغيرين ثم طارت بها، فشكوا ذلك إلى نبيهم، فقال: اللهم خذها، واقطع نسلها، وسلط عليها آفة. فأصابتها صاعقة فاحترقت، فضربت العرب بها مثلاً في أشعارها.

وحينما يصور الأجرد الثقفي حاله مع قومه بأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه، فإنه يَضْرِبُ في البيت الأخير مثلاً فيقول:

وإنـي وإيَّاهـم كـمَـنْ نَـبَّـهَ القَطَا ... وَلَـوْ لَـمْ تُنبَّهْ باتَتِ الطيْرُ لا تَسْرِي

والبيت فيه معنى المثل السائر: (لو تُرِكَ القَطَا لَيْلاً لَنام)[1].

وعندما أراد عبد الرحمن بن أم الحكم أن يصور صفاء الخمر ونقاءها؛ ضرب لذلك مثلاً في أنك ترى فيها (قذى العين)؛ وهو مثل يضرب في كل ما دق وصغر وخفي، يقول:

وكـأسٍ تـرى بين الأَثَـافِـي وبينَها ... قَـذَى الْعَـيْـنِ قَـدْ نـازعْـتُ أُمَّ أَبَـانِ

وأراد الحارث بن كلدة أن يقدم نصيحة لصديقه الذي أخطأ في اختياره، فأزجى له مثلاً سائراً يقول: (السعيد من وعظ بغيره)[2]، قال الحارث:

إن اخـتـيـارَكَ لا عَـنْ خـبـرةٍ سَلَفَتْ ... إلا الـرجـاءُ ومـمـا يـخطئُ الـبَـصَـرُ

إن الـسـعـيـدَ لَـهُ فـي غَـيْـرِهِ عِـظَـةٌ ... وفـي الـتـجـارِبِ تحكيمٌ ومُـعْـتَـبَـرُ

أي إن ذا الجَدِّ من اعتبر بما لحق غيره من المكروه، فيجتنب الوقوع في مثله. وكان أول من قال ذلك مَرْثد بن سعد، أحد وَفْدِ عاد الذين بُعِثوا إلى مكة يستسقون لهم، فلما رأى ما في السحابة التي رُفِعَتْ لهم في البحر من العذاب أسلم مَرْثد، وكتم أصحابُه إسلامَه، ثم أقبل عليهم فقال: ما لكم حَيَارَى كأنكم سكَارَى، إن السعيد من وعظ بغيره، ومن لم يعتبر الذي بنفسه يلقى نكال غيره، فذهبت من قوله أمثالاً.

واستعان الحجاج بن عتيك الثقفي بمثل هو في الأصل بيت شعري، فقال:

---

(1) مجمع الأمثال للميداني 139/3، 95/4.

(2) مجمع الأمثال للميداني 153/2، والأمثال النبوية 467/1، وجمهرة الأمثال 512/1 وزهر الأكم 168/3 وفصل المقال: 327 وكتاب الأمثال: 227 وكتاب الأمثال لمجهول: 42 والمستقصى 325/1.

يـــــا حـــــبـــــذا الإمـــــــــــارهْ   وَلَـــــوْ عَـــلَـــى الحجارة[1]

وهو مثل قاله مصعب بن عبد الله بن الزبير: إنما قال ذلك عبد الله بن خالد بن أسيد حين قال لابنه: ابن لي داراً بمكة، واتخذ فيها منزلاً لنفسك. ففعل، فدخل عبد الله الدار فإذا فيها منزل قد أجاده وحَسَّنَه بالحجارة المنقوشة، فقال: لمن هذا المنزل؟ قال: هذا المنزل الذي أعطيتني. فقال عبد الله: يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة!

ويا للأسف ضاعت بقية أبيات الحجاج بن عتيك الثقفي، فلم يصلنا منها إلا هذا البيت، ولهذا لم نستطع معرفة بقيتها أو مناسبتها.

ولما رثى أبو محجن الثقفي أبا عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي يوم قس الناطف فقال:

يا ضُـلَّ ضُـلَّ المنايا ما تـركْـنَ لَنَا   عـزّاً نـبـوءُ بِـهِ مـا هُـدِّل الـوَرقُ

فاستخدم أبو محجن المثل القائل: (ضُلَّ بنُ ضُلٍّ)[2]؛ وهو مثل يضرب لمن لا يُعْرَفُ هو ولا أبوه. وأبو محجن يريد أن يقول: ما أضل المنايا! ومثله قول جذيمة الأبرش: (يا ضُلَّ ما تجري به العصا) والعصا فرس جذيمة، ركبها مولاه (قيصر) ونجا، وتورط جذيمة فقال: ما أضل جَرْيَها؛ لأنها تجري بغير صاحبها، ويقال: فلان ضُلّ بن ضُلّ، وقُلّ بن قُلّ؛ إذا لم يعرف أصله[3].

ولمَّا عاتب يزيد بن الحكم ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص قال:

بـدا منـك غـشٌّ طالـما قـد كَـتَـمْـتَـهُ   كما كَـتَـمَـتْ داءَ ابـنِـهَـا أُمُّ مُـدَّوِي

فأمُّ مُدَّوِي يضرب بها المثل لمن يوري بالشيء عن غيره ويكني به عنه، وأصل المثل أن خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية، فجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه، فدخل الغلام فقال: أَأَدَّوِي يا أُمِّي؟ فقالت: اللجام معلق بعمود البيت. أرادت بذلك كتمان زَلَّةِ

(1) انظر: مجمع الأمثال للميداني 610/3، والفاخر: 176.

(2) انظر: مجمع الأمثال للميداني 311/2، وجمهرة الأمثال 42/1، واللسان 565/11 (قلل)، وفي اللسان (ضلل).

(3) انظر: ديوان أبي محجن: 29.

الابن وسوءِ عادته[1].

وحين يعظ يزيد بن الحكم ابنه بدراً فإنه يمتاح من معين التراث وأمثال السابقين؛ مُدَلِّلاً على أن لا نعيم يبقى، وأن لا بؤس يدوم بهذا المثل، فيقول:

وَتَخْرُبُ الدنْيَا، فَلَا ... بؤسٌ يَدُومُ ولا نَعِيمُ

كل امرىءٍ ستئيمُ مِنْـ ... ـهُ العِرْسُ أو مِنْهَا يَئِيمُ

وأصله مثل ضربه أكثم بن صيفي فقال: (كلُّ ذاتِ بَعْلٍ سَتَئِيم)، قال الشاعر:

أفاطم إني هالكٌ فتبيني ... ولا تجزعي كل النساء تئيمُ[2]

يقال: آمت المرأة تئيم أُيُوماً؛ أي: صارت أيِّماً، وقوله: (ستئيم) أي: ستفارق بعلها فتبقى بلا زوج[3].

وحين أراد أبو محجن أن يفخر بنفسه وبأخلاقه؛ ذكر أن من شيمه حفظ الأسرار وكتمانها فقال:

وأطعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ عَنْ عُرُضٍ ... وأكتُمُ السِّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ العُنُقِ

وهو ناظر فيه إلى المثل القائل: (السر أمانة)[4]، وفي الحديث المرفوع: «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت، فهو أمانة، وإن لم يستكتمه»[5].

ونجد إضافة إلى ما سبق نماذج أخرى من أمثال العرب اقتبسها الثقفيون وضمنوها أشعارهم، فلمسناها في شعر يزيد بن الحكم الثقفي، وشعر أبي محجن الثقفي، وشعر طريح الثقفي، وغيرهم.

---

(1) هكذا روى ابن منظور في اللسان (دوا).

(2) البيت لامرىء القيس في المستقصى 226/2 ولم أقع عليه في ديوانه، وبلا نسبة في جمهرة الأمثال 157/2، انظر: مجمع الأمثال للميداني 10/3.

(3) انظر: مجمع الأمثال 10/3.

(4) انظر: جمهرة الأمثال 510/1 وفصل المقال: 56 وكتاب الأمثال: 57 والمستقصى 325/1 ومجمع الأمثال 128/2.

(5) انظر: إتحاف السادة المتقين 216/6 والسنن الكبرى 10/ 247 وموسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 292/1.

وإذا كانت تلك الأمثال مما كان شائعاً بين العرب؛ فإنا قد بحثنا في شعر ثقيف عسى أن يكون لهم من أشعارهم ما جرى مجرى الأمثال؛ فوجدت أن اليوسي[1] قد أنشد لأمية بن أبي الصلت أبياته في مدح عبد الله بن جدعان القريشي التيمي التي يمكن أن تجري مجرى الأمثال، قال أمية:

أَأَذْكُـــرُ حَاجَتِي أَمْ قَـدْ كَفَانِي ... حَـيَـاؤُكَ إِنَّ شِـيمَـتَكَ الْـحَـيَـاءُ

وَعِـلْـمُـكَ بِـالْـحُقُوقِ وَأَنْـتَ فَـرْعٌ ... لَـكَ الْحَسَـبُ الـمـهَـذَّبُ والسَّـنَاءُ

وَأَرْضُـــكَ كُـــلُّ مَـكْـرُمَـةٍ بَنَاهَا ... بَـنُـو تَـيْـمٍ وَأَنْـتَ لَـهَـا سَـمَـاءُ

خَـلِـيْـلٌ لا يُـغَـيِّـرُهُ صَـبَـاحٌ ... عَـنِ الْخُـلُقِ الْكَـرِيْـمِ وَلاَ مَـسَـاءُ

إِذَا أَثْـنَـى عَـلَـيْـكَ الْـمَـرْءُ يَوْماً ... كَـفَـاهُ مِـنْ تَـعَـرُّضِـهِ الـثَّـنَـاءُ

تُـبَـارِيْ الـرِّيْـحَ مَـكْـرُمَـةً وَمَـجْـداً ... إِذَا مَـا الْـكَـلْـبُ أَجْـحَـرَهُ الـشِّـتَاءُ

قال اليوسي[2]: «والذي يُتَمَثَّلُ به كثيراً منه هو قوله: (أأذكر حاجتي.. البيت). وقوله: (خليل لا يغيره.. البيت) مع الذي بعده، وقد يقرن بينهما، والمضْرِبُ واضح.

وكثيراً ما ينشد السادات الصوفية: كريم لا يغيره صباح»[3].. وذلك في الثناء على الله عز وجل.

ومن تلك الأشعار التي جرت مجرى الأمثال قول أبي محجن الثقفي[4]: (وينفع أهله الرجل القبيح) و(تحت الرغوة اللبن الصريح)، قال أبو محجن:

أَلَـمْ تَـسَـلِ الْـفَـوَارِسَ مِـنْ سُلَيْمٍ ... بِـنَـضْـلَـةَ وَهْـوَ مَـوْتُـوْرٌ مُـشِـيْحُ

رَأَوْهُ فَـــازْدَرَوْهُ وَهْـوَ خِـرْقٌ ... وَيَـنْـفَـعُ أَهْـلَـهُ الـرَّجُـلُ الْـقَـبِـيحُ

فَـلَـمْ يَـخْـشَـوْا مَـصَـالَـتَـهُ عَـلَـيْـهِمْ ... وَتَـحْـتَ الـرِّغْـوَةِ الـلَّـبَنُ الـصَّـرِيْحُ

(1) انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم 150/1.
(2) زهر الأكم في الأمثال والحكم 150/1.
(3) زهر الأكم في الأمثال والحكم 150/1.
(4) ديوان أبي محجن: 52.

ثم إني وجدت في نسيج أشعارهم ما يؤلّف مادةً لأَنْ يصنع منها العرب أمثالاً، وتجري على ألسنتهم أقوالاً، فكان المثل تعبيراً عن حكاية ثقفية، أو عن أبيات لشاعر أو شاعرة ثقفية، فصار بذلك إضافة ثقفية جديدة، تضم إلى رصيفاتها في خزانة التراث الأدبي الإنساني الخالد.

من ذلك ما قالته العرب في المثل القائل: (أَتْيَهُ مِنْ فقِيدِ ثَقِيفٍ)[1]؛ وهو نتاج قصة الأخوين اللذين كانا بالطائف في الجاهلية، وقد تزوج أحدهما بامرأة من بني كُنَّة، ثم رام سفراً، فأوصى بها أخاه الذي كان يتعهدها بنفسه، فذهبت بقلبه فضني، وأخذت قوَّته فعجز عن المشي ثم عن القعود، وجاء أخوه فوجده على تلك الحال، فاستطب له الحارثَ بنَ كلدة– طبيب العرب –الذي لم يجد به علةً من مرض، ووقع له أنَّ ما به من عِشْق، فدعا بخمر وَفَتَّ فيه خبزاً فأطعمه إياه، ثم أتبعه بشربة منه، فتحرك ساعة ثم نفض رأسه فقال:

ألِـــمَّـــا بـــي عـــلـــى الأبـــيـــا … تِ بـــالـــخِـــيـــفِ نَـــزُرْهُـــنَّـــهْ

غَـــــزَالٌ ثـــم يـــحـــتـــلُّ … بـــهـــا دُورَ بـــنـــي كُـــنَّـــهْ

غَـــزَالٌ أحـــورُ الـعَـيْـنَـيـ … ـــنِ فـــي مـــنـــطِـــقِـــهِ غُـــنَّـــهْ

فعرف أنه عاشق، فأعاد عليه الخمر فقال:

أيـــهـــا الـــجـــيـــرة اسْـــلَـــمُـــوا … وقِـــفُـــوا كـــي تُـــكَـــلَّـــمُـــوا

خَـــرَجَـــتْ مـــزنـــةٌ مـــن الْـــ … ـــبَـــحْـــرِ رَيَّـــا تُـــحَـــمْـــحِـــمُ

هـــي مـــا كَـــنَّـــتـــي وَتَـــزْ … عُـــمُ أَنِّـــي لـــهـــا حَـــمُ

فعرف أخوه ما به، فقال: يا أخي هي طالق ثلاثاً فَتَزَوَّجْهَا. فقال: هي طالق ثلاثاً يوم أتزوجُهَا. ثم ثاب إليه ثائب من العقل والقوة، ففارق الطائف وهام في البر، فما رُئي بعد ذلك، فمكث أخوه أياماً ثم مات كمداً على أخيه، فضُرِبَ به المثل وسمي فقيد ثقيف.

---

(1) انظر: المستقصى 38/1 والدرة الفاخرة 99/1 وجمهرة الأمثال 284/1 ومجمع الأمثال 381/1.

ومن ذلك أيضاً ما قالته العرب (أَصَبُّ مِنَ الْمُتَمنّيَة)(1)؛ وهو مَثَلٌ من أمثال أهل المدينة سار في صدر الإسلام، والمتمنية: هي الفارعة بنت همام الثقفية التي عشقت نصر بن حجاج السلمي، وكان أحسن زمانه صورة، فضنيت من حبه، ودنفت من الوجد به، ثم لهجت بذكره حتى صار ذكره هِجِّيرَاهَا، فمر عمر بن الخطاب ذات ليلة بباب دارها فسمعها تقول:

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فَأَشْرَبَهَا ... أم هَلْ سبيلٌ إلى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ

فقال عمر: من هذه المتمنية؟ فعرف خبرها، فاستحضر الفتى المتمنَّى، فلما رآه بهره جماله، فقال له: أأنت الذي تتمناك الغانيات في خدورهن! لا أُمَّ لَكَ، أما والله لأُزِيلَنَّ عنك رداء الجمال. ثم دعا بالحَجَّام فحلق جُمَّتَهُ، ثم تأمله فإذا هو أجمل. فقال: وأي ذنب لي في ذلك؟ قال: صدقت، الذنب لي أن تركْتُكَ في دار الهجرة. ثم أركبه جملاً وسيره إلى البصرة، وكتب إلى مجاشع بن مسعود السُّلَمِي: إني قد سيرت المتمنَّى نصر بن حجاج السلمي إلى البصرة. فاستلب نساءُ المدينة لفظة عمر فَضَرَبْنَ بها المثل وَقُلْنَ: (أَصَبُّ من المتمنية) فسارت مثلاً.

وهذا ليس بشيء إذا ما قيس بما ذهب مثلاً من أشعار بني أسد، أو ما ذهب مَثَلاً من شعر هذا الفحل أو ذاك من فحول الشعراء.

إن ما سبق الحديث عنه من الصور البيانية، والمحسنات المعنوية، والأمثال، يُعَدُّ ضرباً من الصنعة في الشعر، لكن هذه الصنعة كما لاحظنا لم تكن متكلَّفةً؛ كما هو الحال لدى أصحاب الصنعة من شعراء العصر العباسي- كأبي تمام، ومسلم بن الوليد، وأشباههما- وإنما هي وسيلة من وسائل التعبير الفني عند الشعراء عامة، نجد أمثلتها في أشعارهم، كما نجد لها أمثلة في أشعار سائر القبائل، وتتميز عندهم جميعاً بمزية واحدة هي الطبع وعدم التكلف.

(1) انظر: المستقصى 20/1 وجمهرة الأمثال 588/1 والدرَّة الفاخرة 274/1 وخزانة الأدب 80/4، 83، 84، ومجمع الأمثال 297/2.

مصادر معانيهم:

لاشك أن الأمثال التي استمدها شعراء ثقيف مما توارثه العرب تعد من مصادر المعاني التي وردت في أشعارهم، ولكن نجد إلى جانب هذا المصدر مصادر أخرى، منها أخبار العصور السابقة وعِبَرها، ومعتقدات الجاهلية، وأوابدها، وأعرافها في أشعار الجاهليين والمخضرمين، وما دار على ألسنة العامة من أخبار وقصص وحكايات على ألسنة الطيور والحيوانات، وما كان من معرفتهم بالحروب والمعارك والأيام، وما استجد بعد الإسلام من أفكار دينية أو سياسية أو مذهبية، مع التأثير القرآني في أشعار من جاء بعد الإسلام خاصة، كل ذلك كان مادة أَثْرَتِ الشعرَ الثقفي، ورفَدَتْهُ بروافد عديدة من المعاني المختلفة.

إن من يقرأ شعر ثقيف يجد في أشعارهم أثرَ تلك الحياة التي كانوا يَحْيَوْنَها، والعقائد التي يعتقدونها، والعادات والأعراف التي كانوا يراعونها، فمن مصادر معانيهم تلك الأحداث الجسام، والخطوب العظام التي حدثت في الجاهلية، منها ما ذكره أبو الصلت بن أبي ربيعة بشأن حادثة الفيل، حين أراد أبرهة الحبشي هدم الكعبة بجيشه وفيله مارّاً بالمغمس، وقد جاء ومعه ملوك كندة وأبطالها فهم ملاويث في الحروب صقور، وكانت غمةً وكآبةً جلاها ربٌّ رحيم، فآياته ثاقبات لا يماري فيهن إلا الكفور، إذْ فروا جميعاً خائفين مذعورين بعد أن بعث الله عليهم طيراً أبابيل فأهلكتهم. قال أبو الصلت(1):

إن آيـــات ربِـنَـا ثـاقـبـاتٌ	**لا يـمـاري فـيـهِـنَّ إلا الـكـفـورُ**
خـلـقَ الـلـيـلَ والـنـهـارَ فـكـلٌّ	**مُـسْـتَـبِـيـن حـسـابُـهُ مـقـدورُ**
ثـم يـجـلـو الـنـهـارَ رَبٌّ رَحِـيـمٌ	**بـمَـهَـاةٍ شُـعَـاعُـهَـا مَـنْـشُـورُ**
حـبـس الـفـيـل بـالـمـغـمِّـس حتى	**ظـل يـحـبـو كـأنـه مـعـقُـورُ**

وقد مرت معنا أبيات للمحبر الثقفي أنشدها مسجلاً بها تلك الحرب التي وقعت بين بني مالك وبني نصر بن معاوية على الأحلاف من ثقيف؛ فكان مما قاله:

---

(1) انظر: السيرة النبوية: 1/94.

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ أَرَّثَ الشَّرَّ بينَهم ... ولكنَّ مسعوداً جَنَاهَا وجُنْدُبَا

قَرِيعَيْ ثقيفٍ أنْشَبَا الشَّرَّ بينَهُمْ ... فَلَمْ يَكُ عَنْهَا مَنْزَعٌ حين أَنْشَبَا

عِنَاقاً ضَرُوساً بين عوفٍ ومالكٍ ... شديداً لظَاهَا تَتْرُكُ الطفلَ أَشْيَبَا

ومن أوهام العرب وأوابدهم أن إخراج الحية من جحرها بسبب العزيمة والإقسام عليها، يقول الجاحظ: «وقد قالت الشعراء في الجاهلية والإسلام في رقى الحيات، وكانوا يؤمنون بذلك ويصدقون به»، ومنهم من زعم أن إخراج الحية من جحرها إلى الراقي إنما كان للعزيمة والإقسام عليها، ولأنها إذ فَهِمَتْ ذلك أَجَابَتْ ولم تتمنع.

ويبدو أن أمية بن أبي الصلت الثقفي كان معروفاً بذلك، إذ يرى الجاحظ أن النابغة قد ذهب في الحيات مذهب أمية بن أبي الصلت وعدي بن زيد وغيرهما، قال أمية[1]:

والحَيَّةُ الحَتْفَة الرقْشَاءُ أخرجها ... من جُحْرِهَا آمناتُ اللهِ والقَسَمُ

إذا دعا باسمها الإنسان أَوْ سَمِعَتْ ... ذاتَ الإلهِ بدا في مَشْيِها رَزَمُ

من خلفها حِمَّةٌ لولا الذي سَمِعَتْ ... قد كان ثَبَّتَها في جُحْرِها الحِمَمُ

نابٌ حديدٌ وكفٌّ غيرُ وادعةٍ ... والخُلْقُ مختلِفٌ والقولِ والشِّيَمُ

إذا دُعِينَ بأسماءٍ أَجَبْنَ لها ... لنافثٍ يعتريه اللهِ والكلِمُ

لولا مخافةُ ربٍّ كانَ عذَّبَهَا ... عرجاءَ تَظْلَعُ في أنيابِها عَسَمُ

وقال أيضاً في الحية وإبليس الذي كلمه آدم من جوفها[2]:

كَذِي الأفعى تُرَبِّبُها لَدَيْهِ ... وَذِي الجِنِّيِّ أَرْسَلَها تُسَابُ

---

(1) انظر: ديوان أمية، 462–463، الحتفة: الموت والهلاك، الرقشاء: التي فيها نقط سواد وبياض، آمنات: مفردها آمنة، وأراد بها القسم الذي يذكره الحاوي لتخرج الحية، الرَّزَم: عدم القدرة على النهوض هزالاً أو إعياء، وهذا إشارة إلى زحف الحية في سيرها، الحِمّة: الموت، والجمع حمم، الحديد: القاطع، كَفّ: أراد كفَّ الحية على التشبيه، وأراد به ما لديها من استعداد للشر دائم، اعتراه: أصابه، النافث: أراد به الحاوي، تظلع: تعرج، العسم: يُبْسٌ في المرفق والرسغ تعوج منه اليد والقدم.

(2) انظر ديوان أمية: 340.

فــلا ربُّ الــمــنِــيَّــةِ يــأمَــنَــنْــهــا ... ولا الــجِــنّــيُّ أَصْــبَــحَ يُــسْــتَــتَــابُ

ومن العرب من يزعم أن كل شيء ينطق، وكان ذلك والحجارة رطبة، قال أمية[1]:

وإذْ هُــمْ لا لَــبُــوسَ لَــهُــمْ تَقيهم ... وإذْ صَــخْــر الــسِّــلَامِ لَــهُــمْ رِطَــابُ

....

بــآيــةِ قــام يــنــطــقُ كــلُّ شــيءٍ ... وخــانَ أمــانــةَ الــديــكِ الــغُــرَابُ

وكان من أوهام العرب وأوابدهم أن القزعة التي على رأس الهدهد، ثواب من الله تعالى على ما كان من بره لأمه؛ لأنه لما ماتت جعل قبرها على رأسه، وأنهم يجعلون الرائحة المنتنة التي فيه بسبب تلك الجيفة التي كانت مدفونة في رأسه، وفي ذلك يقول أمية[2]:

غَــيْــمٌ وظَــلْــمَــاءٌ وَفَــضْــلُ سَــحَــابَــةٍ ... أزمــانَ كُــفِّــنَ واسْــتَــرَادَ الــهــدهــدُ

يــبــغِــي الــقَــرَارَ لأُمِّــهِ لــيُــجِــنَّــهَــا ... فــبــنــى عــلــيــهــا فــي قــفــاه يَــمْــهَــدُ

مــهــداً وطــيــئــاً فــاسْــتَــقَــلَّ بِــحَــمْــلِــهِ ... فــي الــطــيــر يحملها ولا يَــتَــأَوَّدُ

مــن أمِّــهِ فــجُــزِي بِــصَــالــحِ حَــمْــلِــهَــا ... ولــداً وكــلَّــفَ ظــهــره مــا تَــفْــقــدُ

فــتــراهُ يَــدْلَــحُ مــا مَــشَــى بِــجــنــازةٍ ... منْها وما اختلف الجديدُ المُسْنَدُ

ومن العرب من يعتقد أنهم حين يشتد عليهم الجدب، ويعم القحط، ويحتبس المطر، يسوقون البقر إلى الأطواد، ويعلقون في أذنابها الشجر، ويضرمون فيها النيران استمطاراً، وَيَرَوْنَ أن ذلك من أسباب السقيا، قال أمية:

سَــنَــةٌ أزمــةٌ تُــخَــيَّــلُ بــالــنــا ... سِ ترى للعِضَاهِ فيها صَرِيرَا[3]

ويــســوقــون بــاقــر الــســهــل لــلــطَّــوْ ... دِ مــهــازيــلَ خــشــيــةً أن تــبــورَا

(1) انظر ديوان أمية: 337، 338.

(2) الأبيات في الحيوان 3/511، ونهاية الأرب 10/ 547.

(3) الحيوان 4/466 وانظر ذلك عند أبي الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي في كتابه (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب)، فقد عقد فيه باباً هو الباب الثاني عشر بعنوان: في ذكر نيران العرب في الجاهلية: 463.

عـاقـديـنَ الـنـيـرانَ فـي شُـكَـرِ الأَذْ ... نَـابِ عَـمْـداً كيما تهيج البُحُورَا[1]

فـاشـتـوتْ كـلُّـهـا فـهـاجَ عليهم ... ثـم هـاجَـتْ إلـى صبيرٍ صبيرا[2]

فـرآهَـا الإِلــهُ تُـرْشَـمُ بـالـقَـطْـ ... ـرِ وأمسـى جنابُهمْ ممطورَا[3]

وكانت معرفتهم بالأخبار، والقصص، والحكايات، والأحاديث التي تدور على ألسنة العامة؛ ترفد الشعراء وتمدهم، فيصوغون منها أبياتاً شعرية، ومن ذلك مثلاً قصة الديك والغراب، وحديثها: أن الديك كان نديماً للغراب، وأنهما شربا الخمر عند الخمار، ولم يدفعا الثمن، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن، وأبقى الديك رهينا محبوساً عند الخمار، وفي هذا يقول أمية[4]:

وَمَـرْهَـنُـهُ عـن الـغـرابِ حَـبِـيـبِـهِ ... فـأوفـيتَ مَـرْهـونـاً وخَـانَ مُسَابِيَا

أدلَّ عَـلَـيْـهِ الـديكُ إِنِّـي كَـمَـا تَـرَى ... فـأقْـبِـلْ على شأني وهـاكَ رِدَائِـيَـا

أمِـنْـتُـكَ لا تَـلْـبَـثْ مـن الـدهـرِ ساعةً ... ولا نِصفَها حتى تـؤوبَ مَـآبِـيَـا

ولا تُدْرِكَنْكَ الشمسُ عند طُلُوْعِهَا ... فـأغْـلَـقَ فِـيْـهِـمْ أَوْ يَـطُـولَ ثـوَائِـيَـا

فـردَّ الـغـرابُ والـرداءُ يَـحُـوزُهُ ... إلـى الـديـكِ وَعْـداً كـاذبـاً وأمـانـيـا

إلى أن يقول[5]:

هُـنَـالِـكَ ظَـنَّ الـدِّيْـكُ إِذْ زَالَ زَوْلُـهُ ... وَطَـالَ عَـلَـيْـهِ الـلَّـيْـلُ أن لا مُـفَـادِيَـا

فلما أضَـاءَ الصُّبْحُ طـرَّب صرخةً ... ألا يـا غـرابُ هـل سمعتَ نـدائـيَـا

عـلـى وُدِّهِ لَـوْ كَـانَ ثَـمَّ مُـجِـيـبُـهُ ... وَكَـانَ لَـهُ نَـدْمَـانَ صِـدْقٍ مُـوَاتِـيَـا

وَأَمْسَى الْغُرَابُ يَضْرِبُ الأَرْضَ كُلَّهَا ... عَتِيقاً وَأَضْحَى الدِّيْكُ في القَدِّ عَانِيَا

---

(1) العضاه: نوع من شجر البر له شوك.

(2) فاشتوت: مستها النار، الصبير: الجبل.

(3) ترشم: من الرشم وهو العلامة.

(4) ديوان أمية: 536 – 537.

(5) ديوان أمية: 533 – 535.

فَـذَلِـكَ مِـمَّـا أَسْـهَـبَ الـخَـمْـرُ لُبَّـهُ وَنَـــادَمَ نَـدْمَـانـاً مِـنَ الـطَّـيْـرِ عَـادِيَـا

ومن معرفتهم بالأخبار ما أخبر به أبو أحمد الحسن بن عبد الله، عن الجلودي، عن المغيرة بن محمد، عن إبراهيم بن عبد الرحمن، عن العتبي، عن أبيه قال: خرج أبو سفيان ابن حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة، فلما ساروا ثلاثاً قال أبو سفيان: إنا في سيرنا هذا لعلى خطر؛ لأنا نقدم على ملك لم يأذن لنا في القدوم، وليست بلاده لنا بمتجر، فأيكم يذهب، فإن أصيب فنحن برآء من دمه، وإن يغنم فله نصف الربح؟ فقال غيلان بن سلمة الثقفي: أنا أمضي بها، وقال(1):

فلو رآنــي أبــو غَـيْـلانَ إذ حُـسِـرَتْ عَـنِّـي الأمـــورُ بـأَمْـرٍ مَـالَـهُ طَـبَـقُ

لـقـالَ رَغْـبٌ وَرَهْـبٌ أنـتَ بينَهُمَا حبُّ الحياةِ وهَـوْلُ النفْسِ والشفَقُ

إمـا مُـسِـيـفٌ على مَـجْـدٍ ومَـكْـرُمَـةٍ أَوْ أُسـوةٌ لَـكَ فيمن تُهْلِكُ الـوَرِقُ

فخرج في العير، وكان أبيضَ طويلاً جَعْداً، فتخلَّقَ ولَبِسَ ثَوْبَيْن أصفرين وشَهَرَ نَفْسَهُ، وقعد بباب كسرى حتى أذن له، فدخل عليه وشباكٌ من الذهب بينه وبينه. فقال له الترجمان: يقول لك الملك، ما أَدْخَلَكَ بلادي بغير إذني؟ فقال: لستُ من أهل عداوةٍ لك، ولم أكن جاسوساً، وإنما حملتُ تجارةً فإنْ أردتَهَا فهي لك، وإن كرهتَهَا ردَدْتُها. قال: فإنه ليتكلم إذْ سمعَ صوت الملك، فخر ساجداً، فقال له الترجمان: يقول لك الملك ما أسجدك؟ قال: سمعت صوتاً مرتفعاً حيث لا ترتفع الأصوات، فظننتُهُ صوتَ الملك، فسجدْتُ. قال: فشكر ذلك له، وأمر له بنمرقة توضع تحته، فرأى فيها صورة الملك، فوضعها على رأسه، فقال له الترجمان: الملكُ يقول لكَ بعثْنَا بها إليك لتقعُدَ عليها. قال: قد علمتُ، ولكن رأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم أعضائي. فقال له: ما طعامُكَ في بلادك؟ قال: البُرّ. فقال: هذا عقلُ البُرّ. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وبعث معه مَنْ بَنَى له أُطُماً بالطائف، فكان أولَ أُطُمٍ بُنِيَ بالطائف. قال أبو محجن(2):

(1) تاريخ الطبري 107/6، الأغاني 206/13، لطف التدبير: 210، والإصابة 64/8.

(2) ديوان أبي محجن: 44.

وعَمّي الذي أَهْدَى لكِسْرَى جِيادَهُ لدى البابِ مِنْهَا مُرْسَلٌ ووقُوفُ

عَشِيَّةَ لاقَى التَّرجمانَ وربَّهُ فأدَّاهُ فَرْداً والوفُودُ عُكُوفُ

ومن المعاني المتداولة أيضاً تَنَكُّرُ الدارِ وعِرْفَانُها؛ كما قال طريح الثقفي:

تَسْتَخْبِرُ الدِّمَنَ القِفَارَ وَلَمْ تكنْ لِتَرِدَّ أخباراً على مُسْتَخْبِرِ

فَظَلَلْتَ تحكُمُ بَيْنَ قَلْبٍ عارفٍ مَغْنَى أحبَّتِهِ وَطَرْفٍ مُنْكِرِ[1]

وقد أخذه طريح من قول امرئ القيس:

لمن طللٌ دُرِسَتْ آيُهُ وغيَّرَهُ سالفُ الأَحْرُسِ

تُنْكِرُهُ العينُ من حادثٍ ويعرِفُهُ شَغَفُ الأَنْفُسِ[2]

ومن المعاني المتداولة بين الشعراء أنهم وصفوا سرعة الناقة لخوفها من الضرب والزجر، أو يفعل بها أحد فعلاً يذعرها فيجعلها تسرع، أو خوفها من عواء ذئب في الفلاة، فتظل في نشاط مع طول الرحلة، ونوق أخرى غيرها قد أتعبها السير، فاحتاجت إلى الاستحثاث والزجر.

قال طريح:

تكادُ تَخْرُجُ مِنْ أَنْسَاعِهَا مَرَحاً إذَا ابْنُ أَرْضٍ عَوَى بِالبِيدِ أَوْ ضَبَحَا

هو ناظر فيه إلى قول الكميت في وصفه ناقةً:

بِزَجْرَةِ أخرى مِنْ سِوَاهُنَّ تُضْرَبُ[3]

وقول إبراهيم بن هرمة:

---

(1) انظر: الأنوار ومحاسن الشعراء: 217.

(2) انظر: محاضرات الأدباء 554/4. وفي البيت الثاني خَرْم.

(3) انظر: ديوان الكميت: 193/3، وصدر البيت:

إِذَا اعْصَوْصَبَتْ فِي أَيِنُقٍ فَكَأَنَّمَا

تكَادُ تَخْرُجُ مِنْ بين الجِبَالِ إِذَا ... ما قَالَ غيري لأُخْرَى غَيْرِها عَاجِ[1]

ونجد في شعر الثقفيين معاني مشتركة بين الشعراء، من ذلك قصيدة يزيد بن ضبة الثقفي في وصف فرسه، فثمة تَشَابُهٌ كبير بينها وبين قصيدة عقبة بن سابق أحد الشعراء الجاهليين[2]، وبمقارنة القصيدتين نجدهما متفقتين معنى ولفظاً، وقافية ووزناً، فلا اختلاف بين البيت عند يزيد والبيت عند عقبة إلا في كلمة واحدة فقط، ومن ذلك قول يزيد:

ترى بين حواميه ... نسوراً كَنَوى القَسْبِ

وقول عقبة[3]:

لَهُ بَيْنَ حَوَامِيهِ ... نُسُوراً كَنَوى القَسْبِ

يقول يزيد:

عتيدُ الشّد والتقريـ ... ـب والإحضارِ والعَقْبِ

ويقول عقبة[4]:

جوادُ الشَّدِّ والتقريـ ... ـب والإحضارِ والعَقْبِ

يقول يزيد:

يزينُ الدارَ موقُوفاً ... ويشفي قرم الرَّكْبِ

ويقول عقبة[5]:

يزينُ البيتَ مَرْبُوطاً ... ويشفي قرم الرَّكْبِ

ويصف سرعة فرسه وحركته ونشاطه بالصفة التي وصف بها امرؤ القيس فرسه، مشبهاً إياه بالخذروف. يقول يزيد:

---

(1) انظر: شعر إبراهيم بن هرمة 81 و(عاج عاج): زَجْرٌ للناقة.

(2) موسوعة الشعر الجاهلي 4/592، وانظر: وصف الخيل في الشعر الجاهلي: 213 – 214.

(3) موسوعة الشعر الجاهلي 4/ 595.

(4) موسوعة الشعر الجاهلي 4/ 595.

(5) موسوعة الشعر الجاهلي 4/ 595.

وإنْ وجَّهَهُ أسرَعَ كالخذروفِ في الثقْبِ

ويقول امروؤ القيس[1]:

درير كخذروف الوليد أمَّرهُ تقلّب كفيه بخيط موصّلِ

هذه الأمثلة من شعر يزيد بن ضبة دليل قوي على صحة الرواية القائلة: إن يزيد بن ضبة نظم ألف قصيدة، فاقتسمها شعراء العرب وانتحلتها، فدخلت في أشعارها[2].

ومن تأثر الشعراء الثقفيين بالشعراء السابقين في معانيهم: ما نجده في قصيدة عينية لطريح الثقفي مطلعها[3]:

نامَ الخَلِيُّ مِنَ الهُمُومِ وَبَاتَ لِي لَيْلٌ أكَابِدُهُ وَهَمٌّ مُضْلِعُ

وهي قصيدة تتفق قافية ووزناً، ومعنى ومبنى، مع قصيدة أبي ذؤيب الهذلي، حتى كأنه يعارضها، ومطلعها:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّعُ والدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

وكان العرب يطلون الجمل الأجرب بالقار، ويعزلونه حتى لا يُعدِي السليم، يقول طريح[4]:

ما لِي أُزَادُ وأُقْصَى حِينَ أَقْصِدُكُمْ كَمَا تُوُقِّيَ مِنْ ذِي العُرَّةِ الجَرَبُ

هو ناظر فيه إلى قول النابغة في اعتذاره للنعمان بن المنذر:

فلا تَتْرُكَنِّي بالوعيدِ كَأَنَّنِي إلى الناسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القَارُ أَجْرَبُ

ونطالع أبياتاً أخرى ليزيد بن الحكم الثقفي يشكو ممن حوله، حزيناً، ساخطاً، متذمراً من أقرب الناس إليه، فهذا أخوه عبد ربه الثقفي يقابل الإحسان بالإساءة، والخير بالشر،

---

(1) ديوان امرئ القيس: 19.

(2) انظر الأغاني 103/7.

(3) سبق تخريج البيت.

(4) وهو مثل مَرَّ سابقاً في الدراسة دليلاً على استلهام طريح صوراً بيانية من الجاهليين.

والرضا بالحقد، فيقول[1]:

أخـي يُسِرُّ لِـيَ الشَّحْنَاءَ يُضْمِرُهَا حتى روى جَـوفَـهُ مِـنْ غِـمْـرِه الـداءُ

حَــرَّانُ ذو غُـصَّـةٍ جـرّعـتُ غُصَّتَهُ وقـد تَـعَـرَّضَ دُونَ الـغُـصَّـةِ الـماءُ

والشاعر يعيش حالة نفسية أليمة حزينة كتلك التي تجرع مرارتها من قبل طرفة بن العبد فقال[2]:

وَظُـلْـمُ ذَوِي الـقُرْبَى أَشَـدُّ مَضَاضَةً على النفسِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المهَنَّدِ

ويلاحظ في شعر ثقيف أنه إلى جانب تلك المعاني المستمدة من التراث الجاهلي والدين الإسلامي، هنالك معانٍ اخترعها شعراء ثقيف وابتكروها، فأخذها الشعراء عنهم، من ذلك قول أمية بن أبي الصلت:

أَأَذْكُــــرُ حَـاجَـتِـي أَمْ قَـدْ كَـفَـانِـي حَــيَــاؤُكَ إِنَّ شِـيـمَـتَـكَ الْـحَـيَـاءُ

وَعِـلْـمُـكَ بِـالـحُـقـوقِ وَأَنْـــتَ قَـرْمٌ لَـكَ الْـحَـسَـبُ الـمـهـذَّبُ والسَنَاءُ

كــريــمٌ لا يُـــغَـــيِّـــرهُ صَـــبَـــاحٌ عـن الـخُـلُـقِ الـسَّـنِـيّ وَلاَ مَسَاءُ[3]

وهي أبيات تخيرها ابن رشيق، فوضعها في باب الاقتضاء والاستنجاز[4].

وقد أخذ ابن الرومي هذا المعنى فقال:

يَـا مَـنْ إذَا التعريضُ صَافَحَ سَمتَهُ أَغْـنَـى الـعُـفَـاةُ بِـهِ عن التَّصْرِيحِ[5]

واستلهم المتنبي هذا المعنى فقال:

أَقَـلُّ سَـلاَمِـي حُـبُّ مَـا خَـفَّ عَنْكُمُ وَأَسْـكُـتُ كَـيْـمَا لاَ يكـونَ جَـوَابُ

---

(1) الأبيات في الأغاني 294/12، والخزانة للبغدادي 56/1.

(2) ديوان طرفة: 80.

(3) انظر: ديوان أمية بن أبي الصلت: 333 – 334.

(4) انظر: العمدة: 437.

(5) انظر: ديوان ابن الرومي 339/1 دار الكتب العلمية.

وفي النفْسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطَانَةٌ   سكوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ[1]

وعن أمية أخذ شاعر آخر هذا المعنى فقال:

لأَشْكُرَنَّكَ معروفاً هَمَمْتَ بِهِ   إنَّ اهتمامَكَ بالمعروفِ معروفُ

ولا أَلومُكَ إن لَمْ يُمْضِهِ قَدَرٌ   فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مَصْرُوفُ[2]

وقد أورد الدكتور صلاح المنجد في مقدمة تحقيقه ديوان أبي محجن أثر أبي محجن، وتأثير شاعريته في الشعراء من بعده، فقال[3]:

وقد تأثر بعض الشعراء العباسيين بأبي محجن في خمرياته، ومنهم الشاعر العباسي المخضرم أبو الهندي[4] القائل:

اجْعَلُوا إنْ مِتُّ يَوْماً كَفَنِي   وَرَقَ الْكَرْمِ وَقَبْرِي مِعْصَرَهْ

وادفنُوني وادفِنُوا الراحَ مَعِي   واجعلوا الأَقْدَاحَ حَوْلَ المقْبَرَهْ

إِنَّنِي أَرْجُو مِنَ اللهِ غَداً   بَعْدَ شُرْبِ الرَّاحِ حُسْنَ الْمَغْفِرَهْ

قال المنجد: وهذا يذكرنا بقول أبي محجن:

إذا مِتُّ فادْفِنيّ إلى أصلِ كرمةٍ   تُرَوِّي عظامي بعد موتي عروقُهَا

ولا تَدْفِنَنِّي بالفلاةِ فإنَّني   أخافُ إذا ما مِتُّ أن لا أذوقهَا

وقول أبي محجن أكثر نعومة ورقة[5].

ومما سبق إليه الشعراء الثقفيون وعده ابن رشيق من التوليد: قول أمية بن أبي الصلت-

(1) انظر: شرح ديوان المتنبي 324/1.

(2) انظر: العمدة: 437.

(3) ديوان أبي محجن بشرح العسكري: 6، 7.

(4) هو غالب بن عبد القدوس بن شيث بن ربعي، شاعر مطبوع، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان جزل الشعر، حسن الألفاظ، لطيف المعاني، أخمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب ومقامه بسِجِسْتَانَ وخراسان، وشغفه بالشراب، ومعاقرته إياه، وفسقه وما يتهم به من فساد الدين، وهو أول من وصف الخَمر من شعراء الإسلام، انظر: الأغاني 20: 209.

(5) ديوان أبي محجن بشرح العسكري: 7.

أيضاً– يمدح عبد الله بن جُدْعان:

لِـكُـلِّ قَـبِـيـلـةٍ ثَـبَـجٌ وَصُـلْـبٌ وَأَنْـتَ الـرَّأسُ أَوَّلُ كُـلِّ هَادِ[1]

وعنه أخذ نُصَيْب[2] فقال لمولاه عمر بن عبد العزيز:

فأنتَ رأسُ قريشٍ وابنُ سَيِّدِهَا والرأسُ فيهِ يكونُ السمعُ والبَصَرُ

قال ابن رشيق: «فولَّد هذا الشرح وإن كان مُجْملاً في قول أمية بن أبي الصلت.. ثم أتى عليُّ بن جبلة[3] فقال يمدح حميد بن عبد الحميد:

فالناسُ جِسْمٌ وإمامُ الهُدَى رأسٌ، وأنتَ العَيْنُ في الرأسِ

فأوقع ذِكْرَ العَيْنِ على مُشَبَّهٍ معين، ولم يفعل نصيب كذلك، لكن أتى بالسمع والبصر على جهة التعظيم؛ لأن من ولد عمر ولي عَهْد، ففي قول علي بن جبلة زيادة.. وجاء ابن الرومي فقال:

عَيْنُ الأميرِ هي الوزيـ ـرُ وأنتَ ناظِرُها البَصِيرُ

فرتب أيضاً ترتيباً فيه زيادة، فهذا مجرى القول في التوليد»[4].

ومن ذلك أيضاً قول أمية بن أبي الصلت[5]:

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً الْمَوْتُ كأسٌ والمَرْءُ ذائِقُهَا

---

(1) الثبج: مَحَرَّكَةُ ما بين الكاهل إلى الظهر، ووسطُ الشيء ومعظمُه، وصدر القطا.

(2) نُصَيب الأكبر: هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، كانت أمه سوداء فوقع عليها أبوه فجاءت بنصيب، فوثب إليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه، وكان شاعراً فحلاً مقدماً في النسيب والمديح، ولم يكن له حظ في الهجاء، وكان عفيفاً، توفي في حدود العشرين بعد المئة، انظر: فوات الوفيات 197/4.

(3) هو أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن، المعروف بالعَكَوَّك، الشاعر المشهور، أحد فحول الشعراء المبرزين، قال الجاحظ في حقه: كان أحسن خلق الله إنشاداً، ما رأيت مثله بدويّاً ولا حضريّاً، وكان من الموالي، ولد أعمى، وكان أسود أبرص، وله في أبي دُلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي غر المدائح، غضب عليه المأمون متَّهِماً إياه بالكفر والإلحاد والمجون في بعض أشعاره، فأمر بإخراج لسانه من قفاه، فمات، وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة ومئتين ببغداد. العكوَّك: هو السمين القصير مع صلابة، انظر: ابن خلكان 350/3–354.

(4) انظر: العمدة: 222.

(5) انظر: أمالي المرتضى 533/1.

فأخذ طريح هذا المعنى فقال(1):

والشيبُ غايةُ مَنْ تأخَّرَ حَيْنُهُ   لا يستطيعُ دِفاعَهُ مَنْ يَجْزَعُ

وأخذ مروان بن حفصة عن طريح بن إسماعيل الثقفي هذا القول، فقال(2):

وَمَنْ مُدَّ في أيامِهِ فَتَأَخَّرَتْ   مَنِيَّتُهُ، فالشيبُ لاشكَّ شامِلُهْ

ثم جاء شاعر آخر فقال(3):

قُلْ لِعِرْسِي ليس شَيْبِي بِعَجَبْ   مَنْ يَعِشْ يا أمَّ عَمَّارٍ يَشِبْ

وقال أبو العتاهية(4):

مَنْ يَعِشْ يَهْرَمْ وَمَنْ يكْبُرْ يَمُتْ   والمنَايا لا تُبَالِي مَنْ أتَتْ

فابتكار أمية وسبقه إلى هذا المعنى جعل الشعراء من بعده يولدون من قوله أقوالاً.

ومن المعاني الجديدة التي سبق إليها الشعراء الثقفيون ما قاله طريح الثقفي:

يا ليت شِعْرِي عَنِ الحيّ الذين غَدَوْا   هَلْ بَعْدَ فُرقَتِهِم للشملِ مُجْتمعُ

أتْبَعْتُهم مُقْلةً جادَتْ بأدمُعِها   والقلب مني على آثارهم قِطَعُ

فكل ما كنت أخشى قد فُجِعْتُ به   فليس لي من فراقٍ مرةً جَزَعُ

والبيت الأخير من هذه الأبيات ينطوي على معنى جديد، ففقدان الأحبة أعظم ما مُنِيَ به، ولذا فهو لا يأبه بفقدان أي شيء آخر، وقد شاع هذا المعنى من بعده.

وطريح وإن كثر تأثُرُهُ بالقدماء، إلا أنه قد ساير عصره، وسار القديم مع الجديد في فنه وشعره، وقد يأتي صدرُ البيت قديماً في لغته ومعناه، ويأتي عجزه جديداً قشيباً في مبناه، قال طريح:

(1) أمالي المرتضى 533/1.

(2) أمالي المرتضى 533/1.

(3) أمالي المرتضى 533/1.

(4) أمالي المرتضى 533/1.

كالبِيضِ بـالأُدْحِيّ يَلَمَعُ في الضُّحَى　　　　فالحُسْنُ حُسْنٌ والنَّعِيمُ نَعِيمُ[1]

فإذا قرأنا أبياته في المديح فلا يسعنا إلا أن نقول كما قال المرتضى في أماليه: «وهو من المعاني التي سبق إليها»، قال طريح:

جـــوادٌ إذا جِـئـتَـهُ راجـيـاً　　　　كَـفَـاكَ الـسـؤالَ وإِنْ عُـدْتَ عَـادَا

خـلائِـقُـهُ كَـسَـبـيـكِ الـنُّـضَـا　　　　رِ لا يعملُ الـدهـرُ فيها فَسَادَا[2]

فهذان البيتان لا يحسب أحد أنهما من الشعر الأموي في شيء، بل نجد لهما نظائر في الشعر العباسي؛ فهما به أشبه، وبتركيبه أقرب.

وطريح المتمكن من موهبته، المجيد لفنه؛ يبتكر المعاني والصور التي لم يُسْبَقْ إليها، ومن ذلك قوله:

أصلحْتَني بـالـجـودِ بَـلْ أَفْـسَـدْتَـنـي　　　　وتـركْـتَـنـي أَتَـسَـخَّـطُ الإحْـسَـانَـا

مَـنْ جَـادَ بَـعْـدَكَ كـان جـودُكَ فَـوقَـهُ　　　　لا كَـانَ بـعْـدك كـائـنـاً مَـنْ كَانَا[3]

فبَسْطُ يد الممدوح له جعله يحتقر أيَّ جودٍ ممن سواه.

أو قوله:

مـثـلُ نـجـومِ الـسَّـمَـاءِ إِنْ أَفَـلَـتْ　　　　مِـنْـهَـا نـجـومٌ بَـدَتْ نَظَائِرُهَا[4]

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تؤكد أن شعراء ثقيف تركوا أثراً في الشعراء الذين جاءوا مِن بَعْدِهم، مثلما أنهم تأثروا بغيرهم، وهذا حكم عام على شعراء قبائل العرب، إذ نجدهم متأثرين ومؤثرين، بل هو حكم عام على الشعراء كافة؛ إذ لابد للشاعر أن يثقف نفسه بحفظ أشعار المتقدمين، إلى جانب امتلاكه أدوات فنه الأساسية التي لا غنى عنها، من وزن ونحو ولغة وموهبة، هذا مع ضرورة اطلاعه على أشعار معاصريه، وقد نبه النقاد على

---

(1) انظر: الأغاني 301/4.

(2) انظر: أمالي المرتضى 574/1.

(3) انظر: الأشباه والنظائر للخالديين: 14/1.

(4) انظر: محاضرات الأدباء 160/1.

ذلك[1]، ولذا تمتزج في شعر كل شاعر معان مستمدة من تجربته الخاصة في الحياة؛ بمعان استمدها من تجارب الآخرين.

يبرز أثر الإسلام واضحاً في النسيج الشعري الثقفي، يستوي في ذلك الشعراء الجاهليون كأبي الصلت بن أبي ربيعة، وابن الذئبة، والمخضرمون كأمية، وأبي محجن الثقفي، والإسلاميون كالأسود بن مسعود والأمويون كالنميري، وطريح، والحجاج بن يوسف، والمختار بن أبي عبيدة الثقفي، وغيرهم.

ويتنوع شعرهم بتعدد مصادر أخذهم أو اقتباسهم من الإسلام وكتابه الكريم، فمنها ما يظهر فيه الأثر القرآني واضحاً، ومنها ما يظهر فيه أثر المعاني الدينية دون أن يكون فيه أثر قرآني، ومنها بعض المعاني السياسية المأخوذة عن مفاهيم دينية.

فمما ظهر فيه الأثر القرآني واضحاً قول أبي الصلت بن أبي ربيعة:

إن آيات ربنا ثاقباتٌ ... لا يماري فيهن إلا الكفورُ

ولعله متأثر فيه بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾[2].

ومما يظهر فيه الأثر القرآني واضحاً قول ابن الذئبة:

لَعَمْرِكَ ما لِلْفَتَى مِنْ مَفَرْ ... مَعَ الموت يلْحَقُهُ والكِبَرْ

لَعَمْرُكَ ما للفتى صَحْرَةٌ ... لعمرك ما إنْ لَهُ مِنْ وَزَرْ

وهو مأخوذ عن معنى قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾[3].

وقول ابن الذئبة أيضاً:

إن المَنِيَّةَ بالفتيانِ ذاهبةٌ ... وَلَوْ تَقَوْهَا بأَسْيافٍ وَأَدْرَاعِ

---

(1) انظر: العمدة: 361 – 364، ومنهاج البلغاء: 27.

(2) العنكبوت: 47.

(3) القيامة: 6–11.

مأخوذ عن معنى قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(1).

وقول ابن الذئبة أيضاً:

بينا الفتى يبتغي من عيشه سدداً إذ حان يوماً فنادى باسمه الداعي

هو مأخوذ عن معنى قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾(2)، أو قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾(3).

ومن الشعراء المخضرمين أمية بن أبي الصلت(4)، وله شعر ديني متأثر فيه غالباً بالقرآن، وأبياتهُ إنما هي آيات قرآنية نُظِمَتْ نَظْمَ شعرٍ، وله أخبار كثيرة إن صحت؛ فهي تشير إلى أنه لم يبق إلى جوار النبي مدة طويلة لكي يسمع منه أو من أصحابه، وتذكر مصادر أخرى أنه لم يكن ينظم شعره على نسق القرآن(5).

يتساءل الدكتور بهجة الحديثي فيقول: كيف نظم أمية ذلك الشعر المطابق للقرآن؟ أنظمَهُ في الجاهلية قبل الإسلام؟ أم نظمه بعد الإسلام متأثراً بالقرآن، أم هو منحول عليه، نحله المسلمون ونسبوه إليه(6)؟

ثم يقول: وحتى نجيب عن هذه الاستفسارات؛ فإن الأمر يتطلب منا أن نعرف تاريخ نظم تلك القصائد، وهذا أمر عسير، ونحن إن علمنا بعضها كقصيدته التي رثى بها قتلى قريش في وقعة بدر؛ فإننا لا نستطيع معرفة بقية تلك القصائد، كما أننا لا نملك دليلاً أي دليل لإثبات شعره المطابق للقرآن أنظمه قبل الإسلام أم بعده؟

ويخلص الدكتور بهجة الحديثي إلى أن شعر أمية الديني يمكن تقسيمه إلى قسمين: قسم

(1) النساء: 78.

(2) القمر: 6.

(3) يس: 49.

(4) سمع أمية بخبر النّبوة فهرب إلى اليمن، ثم إلى البحرين، ثم عاد بعد ثماني سنوات والتقى بالنبي ﷺ، وسمع منه سورة (يس)، ثم خرج بعدها إلى الشام، وعاد إثر معركة بدر الكبرى ليرثي قتلى المشركين، ورجع إلى الطائف، ومات بها كافراً ولم يسلم، انظر، التاريخ الكبير 127/3.

(5) التاريخ الكبير 127/3.

(6) انظر: أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: 127.

يظهر فيه أثر الحنيفية والكتب المقدسة والتوراة والإنجيل، وقسم يظهر عليه أثر القرآن. ويميل الباحث إلى أن القسم الأول من الشعر له كما يظهر من لغته وأسلوبه ومعانيه، وأما الثاني فيميل إلى أن يكون منحولاً عليه، وهذا واضح من ركاكة لغته، وضعف صياغته، وأسلوبه المستمد من القرآن[1].

فشعر أمية دخله الانتحال، ووضع فيه ماليس له، ولكن ذلك لا يعني أن جميع شعره منحول، كما يقول الدكتور طه حسين الذي ذهب إلى «أن هذا الشعر الذي يضاف إلى أمية بن أبي الصلت وإلى غيره من المتحنفين الذين عاصروا النبي ﷺ وجاءوا قبله؛ إنما نحل نحلاً، نحله المسلمون ليثبتوا أن للإسلام قدمة وسابقة في البلاد»[2].

ويرد الأستاذ محمد الخضر حسين عليه قوله؛ ويرى «أن الرواية التي جاءت عن النبي ﷺ: «آمن شعره وكفر قلبه» صحيحة، فما يروى من شعرٍ يُعزَى إلى أمية وفيه تحنف محتمل لأن يكون ثابتاً عنه، ويقول: ليس من أدب البحث التسرع إلى الحكم بانتحاله لمجرد ما فيه من التحنف، وإنما ينظر فيه كشعر خالٍ من هذا المعنى، فإن لم يصل إلى الطعن في نسبته إلى أمية من طريق اللفظ والمعنى أو الرواية؛ جاز لنا أن نكتبه في ديوان أمية، ونقول عند إنشاده: هذا شعر أمية»[3].

ويناقش الأستاذ محمد الخضر حسين المسألة في كتابه الشعر الجاهلي، فيقول: «وإذا كان يرمي (طه حسين) بانتحال الشعر وافترائه جماعة التابعين ليمهدوا كما يقول للنبوة، فهو سَفَهٌ وتخريف؛ لأن الدين كان قد وثب وثبته، وقويت شوكتُه، وعلت كلمتُه، وشد شدَّه، وبلغ من الشهرة حَدَّه، وصار لا معنى للتمهيد للبعثة»[4].

إن أمية بن أبي الصلت معروف في الأحناف، الذين كانوا على دين قريب من الإسلام، ودعوا إلى التوحيد، وهذا أمر ثابت تاريخياً، وقد أشار القرآن إلى ذلك التحنف في غير

---

(1) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: 127.

(2) في الأدب الجاهلي: 145.

(3) نقض كتاب في الشعر الجاهلي: 220.

(4) نقض كتاب في الشعر الجاهلي: 220.

موضع فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(1)، فمن الطبيعي أن يقول أمية ذلك الشعر الذي نجد عليه تلك المسحة الدينية، فالكتب المقدسة بين يدي أولئك الحنفاء تنطق بكل ذلك، فلم لا تكون تلك الأفكار والأشعار إرهاصات سبقت الدين الإسلامي ومهدت له؟ كل ذلك يكون ولكن: «قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد»، وعلى أي حال فما يُهِمُّنا هو وجود أثر الإسلام وتعاليمه في شعر الثقفيين ومنهم أمية، الذي قال عنه الرسول ﷺ «كاد أن يسلم»(2)، وذلك بعد ما سمع قصيدته التي يقول فيها:

الحمد لله ممسانا ومُصْبحنا ... بالخيرِ صَبَّحَنا ربي ومسَّانا

اللفظ والمعنى قريبان من قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾(3).

يرى ابن عساكر أن قول رسول الله هذا، يعني أنه قرب من أن يسلم لاشتمال شعره على التوحيد والحكم البديعة(4)، وفي (حياة الحيوان) أن النبي ﷺ قال ذلك لما سمع قوله(5):

لك الحمدُ والنعماءُ والملكُ ربنا ... فلا شيءَ أعلى منك جَدّاً وَأَمْجَدُ

مليكٌ على عَرْشِ السماءِ مُهَيْمِنٌ ... لعزتِهِ تعنو الوجوه وتسجدُ

عليه حجابُ النورِ والنورُ حولَهُ ... وأنهارُ نورٍ حوله تتوقدُ

والأبيات فيها من آيات الحمد والثناء على الله تعالى مما امتلأت به آيات الكتاب العزيز مثل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾(6)، وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾(7).

---

(1) آل عمران: 67.

(2) الأغاني 129/4، وانظر أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: 128.

(3) الروم: 17.

(4) التاريخ الكبير 120/3.

(5) حياة الحيوان 195/2.

(6) طه: 5–6.

(7) طه: 111.

ولكثرة حديثه عن الحياة الأخرى لقبه الأصمعي بشاعر الآخرة، وكان يقول: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب[1].

ويرى ابن سلام أنه كان «كثير العجائب وهو يذكر في شعره خلق السماوات والأرض، يذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء. قال: وكان قد شام أهل الكتاب»[2].

وفي قصيدته السابقة يقول[3]:

وأنَّى يكون الخلق كالخالق الذي — يدوم ويبقى والخلائقُ تَنْفَدُ

هو الله باري الخلقِ والخلقُ كُلُّهُمْ — إماءٌ له طوعاً جميعاً وأَعْبُدُ

والقصيدة طويلة يحس قارئها فيها بأثر الحنيفية واضحاً، فلغتها وأسلوبها ومعانيها، أشبه بسائر شعر أمية، ولهذا يُستبعد أن تكون منحولة عليه.

ويظهر أثر الحنيفية واضحاً أيضاً في قوله[4]:

الحمد لله الذي لم يتخذ — ولداً وقدر خلقه تقديراً

وهو شبيه بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[5].

وقوله أيضاً[6]:

وعنا له وجهي وخلقي كلُّهُ — في الخاشعين لوجهه مشكورا

---

(1) فحول الشعراء: 35، الأغاني 125/4.

(2) طبقات فحول الشعراء: 220.

(3) انظر الديوان، والقصيدة كاملة في (المستدرك على صُنَّاع الدواوين المطبوعة) من الدراسة التي بين أيدينا.

(4) ديوان أمية: 409.

(5) الفرقان: 2.

(6) ديوان أمية: 409.

وهذه القصيدة كسابقتها إلا أنها أكثر أخذاً لألفاظ القرآن الكريم وعباراته، أما معانيها فتدل على ثقافته الواسعة واطلاعه على الكتب المقدسة.

وقد ذكر اليوسي[1] أبيات أمية بن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان:

كَـــرِيـــمٌ لا يُـــغَـــيِّـــرُهُ صَـــبَـــاحٌ عَـــنِ الْـخُـلُـقِ الْـكَـرِيـمِ وَلاَ مَـسَـاءُ

إِذَا أَثْـنَـى عَـلَـيْـكَ الْـمَـرْءُ يوماً كَـفَـاهُ مِـنْ تَـعَـرُّضِـهِ الـثَّـنَـاءُ

قال اليوسي: «كثيراً يُنْشِد السادات الصوفية: كريم لا يغيره.. البيت، يتمثلون بذلك عند التنبيه على أن التعرض لمواهب المولى جلت كلمته، ومزيد منحه الجميلة، ومننه الجزيلة، بطريق الثناء والشكر والذكر، وكثرة التحميد والتبجيل والتعبد والمجاهدة؛ أبلغ من التعرض لذلك بمجرد الدعاء طلباً لنيل حاجة»[2].

وأمية ليس بدعاً من الشعراء في هذا النهج الديني الذي سلكه، فهذا زهير بن أبي سلمى يقول[3]:

فلا تكتمنَّ اللهَ ما في صُـدُورِكُـمْ ليخفى ومهما يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُـؤَخَّـرْ فيوضَعْ في كتابٍ فَيُدَّخَرْ لِـيَـوْمِ الحِسابِ أو يُعَجَّلْ فَيَنْقَمِ

ومن قبله قال أوس بن حجر[4]:

أطـعـنـا ربـنـا وعـصـاه قـومٌ فَـذُقْـنَـا طَـعْـمَ طَـاعَـتِـنَـا وَذَاقُـوا

ولبيد القائل[5]:

إنـمـا يـحـفـظُ الـتُّـقَـى الأبـرارُ وإلـى اللهِ يَـسْـتَـقِـرُّ الـقـرارُ

وإلـى الله تـرجـعـون وعـنـد اللهِ وِرْدُ الأُمـورِ والأَصْـدَارُ

---

(1) زهر الأكم: 150/1.

(2) زهر الأكم: 151/1.

(3) ديوان زهير: 18.

(4) ديوان أوس: 57.

(5) ديوان لبيد: 38، 41.

كـل شـيء أحـصـى كـتـابـاً وَعِـلْـمـاً وَلَــدَيْــه تَـجَـلَّـتِ الأَسْــــرارُ

ومن المعاني الدينية التي برزت في شعر الثقفيين: ما ذكره أبو محجن الثقفي في شعره مِنْ تَرْكِ الخمر، التي عشقها وأحبها وأغْرم بها، وكانت تدب على لسانه فينفثها، حتى حُدَّ بسبب شربها ومعاقرة كؤوسها سبع مرات، ثم تاب عنها لله توبة نصوحاً فلم يعد إليها، قال:

أَلَـمْ تَـرَ أَنّـي وَدَّعْـتُ ما كنْتُ أَشْرَبُ من الخمر إذ رأسي لَكَ الخيْرُ أَشْيَبُ

وكـنـتُ أُرَوِّي هَامَتي مِـنْ عُقَارِهَا إِذِ الـحَدُّ مـأخـوذٌ وإذْ أَنَـا أُضْـرَبُ

فلما دَرَوْا عَـنّـي الـحـدودَ تركتُها وأَضْمَرْتُ فيها الخيرَ والخيرُ يُطْلَبُ

سـأتـركُـهـا لِلَّه ثـم أَذُمُّـهـا وأهْـجُـرُها في بيتِهَا حيثُ تُشْرَبُ

هكذا قضت الروح الإسلامية على منادمة أبي محجن للخمر وحبه لها. وإذا كان مِنْ تعلقٍ بها، أو أن لها حقوقاً يجب أن تُوفَّى، فإنه يذمها لأنها تسفه شاربها؛ يقول:

رأيــتُ الـخَـمْـرَ صَـالِـحـةً وَفِـيـهـا مـنـاقِـبُ تُـهْـلِـكُ الـرجُـلَ الحَليمَا

فَــلاَ واللهِ أشْــرَبُـهــا حَـيَـاتِـي ولا أَسْــقِـي بِـهَـا أَبَــداً نَـديـمَـا

وهو ناظر في هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ﴾(1).

وأبو محجن يعلن توبته، ويأخذ المواثيق على نفسه ألا يعود إلى شرب الخمر، وقد تأثر بالإسلام، وفَهِمَ الآياتِ البينات، وتغلغل حب الإسلام في قلبه، فندم على ما فعل، وعزم على ألا يعود، ولجأ إلى الله طالباً العفو والمغفرة. يقول(2):

أَتُــوبُ إلـى اللهِ الـرحـيـمِ فـإنـهُ غـفـورٌ لِـذَنْـبِ الـمـرْءِ مَـا لَـمْ يُـعَـاوِدِ

ولسْتُ إلى الصهباءِ ما عشتُ عائداً ولا تـابـعـاً قـولَ السفيهِ الـمُـعَـانِـدِ

وكـيـفَ وَقَـدْ أعـطـيـتُ رَبِّـي مواثِقاً أعـودُ لها، واللهُ ذو العرشِ شاهِدِي

---

(1) البقرة: 219.

(2) ديوان أبي محجن صنعة أبي هلال العسكري: 35، 36.

وهو ناظر في هذه التوبة إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾(1)، وفي البيت الثالث ناظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٩١﴾(2).

فإذا ما انتقلنا إلى العصر الإسلامي وجدنا التأثر أيضاً بالمعاني الدينية، وتأكيد أصول الدين، وتثبيت دعائم العقيدة الإسلامية؛ في قول الأسود بن مسعود الثقفي في أبياته التي يمدح بها رسول الله ﷺ:

أَمْسَيْتُ أَعْبُدُ رَبّي لاَ شَرِيكَ لَهُ ... رَبَّ العِبَادِ إِذَا مَا حُصِّلَ البَشرُ

أَهْلُ المَحَامِدِ في الدنيا وَخَالِقُها ... والمُجْتَدَى حينَ لاَ مَاءٌ وَلاَ شَجَرُ

لا أبتغِي بَدَلاً باللهِ أَعْبُدُهُ ... ما دام بالجَزْعِ مِنْ أَرْكَانِهِ حَجَرُ

وفي العصر الأموي وجدنا النميري حين شبب بزينب أخت الحجاج؛ أتى بتشبيب مخالف لكثير من الشعر الذي قيل في عصره، فلم يصف محاسنها الجسدية، ولم يتعرض لذكر مفاتنها المثيرة، بل مدحها بما يوافق روح الإسلام، فهي ذات طهر وعفاف، وتقوى وصلاح، تتزود بالأعمال الصالحة، تفي بالنذور، وتلتزم الحجاب، وعلى هذا النهج أثنى سعيد بن المسيب فقال: هذا والله مما يلذ استماعه. ولما ظفر الحجاج بالنميري استنشده ما قال في زينب، فقال النميري:

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ ... بِهِ زَيْنَبٌ في نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ

خَرَجْنَ إلى البيتِ العتيقِ بعُمْرَةٍ ... نواحبَ في نَذْرٍ ومؤتجراتِ

يخمِّرْنَ أطرافَ البنانِ من التُّقَى ... ويخرجْنَ جنحَ الليلِ معتجِرَاتِ

وهنا قال الحجاج: صدقت، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة.

ثم تابع النميري فقال:

---

(1) الزمر: 53.

(2) النحل: 91.

فلما رأت ركب النميري راعها وكن مِنَ ان يلقينه حذراتِ

قال الحجاج: حق لها أن ترتاع؛ لأنها في نسوة خفرات صالحات.

ثم تابع النميري فقال:

مررن بفخ رائحات عشيةً يلبين للرحمن معتمراتِ

قال الحجاج: صدقت، لقد كانت حجاجة، صوامة، قوامة ما علمتها. ثم أمَّنه الحجاج فلم يعرض له.

وفي أبيات أخرى لطريح نلحظ فيها تأثره بالمعاني الإسلامية، فليس للإنسان إلا ما سعى، وأفضل عمل يقوم به الإنسان ما كان يبتغي به وجه الله محتسباً الجزاء في الآخرة، وإن مما يزيد في الأجل صلة الأرحام كما ورد في الحديث: «من أراد أن يُنَسَّأَ له في أجله فلْيَصِلْ رَحِمَه»[1]، فهو يحض على صلة الأرحام حتى يجازى عليها المرء عاجلاً وآجلاً. قال[2]:

وأفضلُ أعمال الفتى الزادُ لِلَّتي تدومُ وتحلوُ لي عليها العواقبُ

وأفضلُ بِرٍّ بِرُّكَ الرَّحْمَ التي عليها تجازى آجلاً بالرغائبِ

وحُسْنُ ثَنَا الأبرارِ في كلِّ مَحْفلٍ يدوم له ما جَدَّ في السيرِ راكبُ

وحين حضرت الحجاج الوفاة ذكر الموت وكربته، واللحد ووحشته، والدنيا وزوالها، والآخرة وأهوالها، فأنشأ يقول:

إن ذنبي وزن السماوات والأَرْ ضِ وَظَنِّي بخالقِي أن يُحَابِي

فَلَئِنْ مَنَّ بالرِّضا فهو ظني وَلَئِنْ مَرَّ بالكتابِ عَذَابِي

وهي كلها معان إسلامية مأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية، ناظر فيها إلى قوله الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

(1) صحيح مسلم: باب البر والصلة والأدب، حديث رقم 6688.

(2) اليمني، مضاهاة أمثال كليلة ودمنة، وانظر الديوان ضمن (المستدرك على صناع الدواوين المطبوعة).

﴿٥٣﴾[1]، وإلى قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[2].

وإلى الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبد ي بي....»[3]، وأن العبد لا يموت إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى.

ومن الشعراء الإسلاميين الذين ذكروا في شعرهم معاني سياسية مأخوذة عن مفاهيم دينية: همام بن الأغفل الثقفي، وكان ممن خرجوا على عثمان وقتلوه يوم الدار، وعلى عليٍّ يوم صفين، فقال:

قد قَرَّتِ العينُ مِنَ الفسَّاقِ	ومن رؤوس الكفرِ والنفاقِ
إذ ظهرتْ كتائبُ العِراقِ	نحن قَتَلْنا صاحِبَ المُرَّاقِ
وقائدَ البغاةِ والشقَاقِ	عثمانَ يومَ الدارِ والإحراقِ
لما لَفَفْنا ساقَهم بساقِ	بالطِّعنِ والضربِ من العِناقِ

وفي شعر طريح أيضاً نجد تلك المعاني السياسية المأخوذة عن مفاهيم دينية ومصطلحات إسلامية، وطريح يستلهم هذه المعاني من القيم الإسلامية والتعاليم الدينية التي حض عليها الإسلام. يقول مخاطباً الوليد بن يزيد[4]:

أنت إمامُ الهدى الذي أصلـ	ـحَ اللهُ به الناسَ بعد ما فَسَدُوا
لما أتى الناسَ أنَّ ملكَهُمُ	إليكَ قد صارَ أَمْرُهُ سَجَدُوا
واستبشروا بالرضا تَبَاشُرَهُمْ	بالخُلْدِ لَوْ قيل إنكم خلدُ
وعجَّ بالحمد أهل أرضك حتـ	ـى كاد يهتز فرحة أُحُدُ

هذه الكلمات (إمام الهدى، سجدوا، والخلد، والحمد) ذات دلالات إسلامية، لتوطيد

(1) الزمر: 53.

(2) الحجر: 49.

(3) انظر: سنن الترمذي: باب الدعوات حديث رقم 3952، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(4) شعر طريح بن إسماعيل: 102.

خلافة الوليد وتثبيت دعائمها سياسياً.

هكذا رأينا أن شعر القوم اشتركت في تكوين نسيجه المعاني المستمدة من تراث الجاهلية، من أشعار وأمثال وعقائد، والمعاني المستمدة من الدين الإسلامي، على أن هذه الخيوط الدينية تتسم كلها بالوضوح والبساطة مع الإيجاز، بخلاف ما نجده لدى شعراء القرون التالية، ولاسيما المتصوفة منهم؛ وهذه سمة عامة للمعاني الإسلامية لعصر صدر الإسلام وعصر بني أمية.

كما يلاحظ أن الشعراء الثقفيين كانوا متأثرين[1] بغيرهم، ومؤثرين فيمن بعدهم، وهذا ما نبه عليه النقاد[2] من ضرورة أن يكون لدى الشاعر اطلاع واسع على أعمال الآخرين من المعاصرين، وحفظ لأشعار المتقدمين، إلى جانب امتلاكه أدوات فنية أساسية من وزن، ونحو ولغة؛ حتى يطور شاعريته، ويصقل موهبته، ويمزج معاني تجربته الخاصة بمعان استمدها من تجارب الآخرين، «ويريق عليها من وهجه ما يجعلها وحدة لها كيان خاص، تشعرك أنك أمام شيء جديد متميز، فيه من لحوم الخراف الشيء الكثير، ولكنها صارت في تجاليد ليث»[3].

(1) انظر: العجاج حياته ورجزه: 359 – 374 وشعراء تغلب 318/1 – 319 وشعر بني أسد 328/1 – 345 وشعراء قبيلة طيئ 655/1، 659 – 663.
(2) العمدة 361 – 364، ومنهاج البلغاء: 27.
(3) المازني شاعراً: 115.

المبحث الثاني: الخصائص اللفظية

لعل أهم ما ينبغي معالجته في الدراسة الشعرية لشاعر أو لشعراء قبيلة ما؛ فيما يتعلق بالخصائص اللفظية في الدراسة الفنية ثلاثة أمور:

أولها: المنهج المتبع في بنية النصوص الشعرية.

ثانيها: رصد إيقاعات الموسيقا الداخلية والخارجية.

ثالثها: الجانب اللغوي وأبرز القضايا النحوية.

منهجهم في بنية النصوص الشعرية:

إن أول ما نلحظه عند شعراء ثقيف في بناء نصوصهم الشعرية هو قلة القصائد الكاملة فيما جمعته الدراسة لهم، بالنسبة إلى المقطعات والأبيات المفردة، وذلك إذا عددنا القصيدة ما بلغ سبعة أبيات أو جاوزها، والمقطعة ما بلغ أقل من ذلك على رأي بعض النقاد[1].

إذ بلغ عدد القصائد عندهم (25) خمساً وعشرين قصيدة فقط، في حين وصل عدد المقطعات إلى (96) ستٍ وتسعين مقطعة[2]، بعد استبعاد المقطعات المكررة المنسوبة إلى أكثر من شاعر من شعراء القبيلة، وبعد استبعاد (3) ثلاث مقطعات لبشير بن النكث المنسوب إلى ثقيف وليس منهم، ومقطعة أخرى أجزم بأنها منسوبة نسبة غير صحيحة إلى الحجاج ابن يوسف الثقفي.

وثمة أبياتٌ مفردةٌ كثيرةٌ لا أدري أهي بقايا قصائد أم بقايا مقطعات، وصل عددها إلى (61) واحد وستين بيتاً، بعد استبعاد بيت لبشير بن النكث الثقفي.

ونجد أن القصائد التي جُمِعَت للشعراء الثقفيين الجاهليين والمخضرمين هي خمس

(1) العمدة: 164.

(2) ضممتُ إلى هذا الإحصاء أراجيز الشعراء الثقفيين، وما كان عدد أبياته سبعة عددته قصيدة، وما كان أقل عددته مقطوعة؛ وإن كان ابن رشيق يرى أن الأرجوزة قصيدة كثرت أبياتها أو قلّت، انظر: العمدة: 159.

قصائد، بعد استبعاد قصيدتين يتنازعهما أمية وأبوه، أثبتهما الدكتور السطلي في ديوان أمية.

نجد من دراسة بنية الشعر الثقفي أن الشعراء الثقفيين لم يسيروا على النهج التقليدي للقصيدة العربية، من حيث الوقوف على الأطلال، والمقدمة الغزلية، ثم التحول عنها إلى بقية الأغراض الشعرية، حتى عند أمية نفسه، فإن ما جُمِع له من شعر يخلو من المقدمات الغزلية والطللية، عدا قصيدته التي قالها في الفخر، وبدأها[1] بقوله:

عرفْتُ الدارَ قد أقَوْتْ سنينا　　　لزينَبَ إذْ تَحُلُّ بِها قَطِينَا

وقصيدته الثانية– إن صحت نسبتها إليه– التي يقول في مطلعها:

غداً جِيْرَانُ أَهْلِكِ ظَاعِنينَا　　　لِدَارٍ غيرِ ذَلِكَ مُنْتَوِينَا

وقصيدة كنانة بن عبد ياليل:

سَقَىْ مَنْزِلَيْ سُعْدَى بِدَمْخٍ وَذِي حُساً　　　مِنَ الدَّلْوِ يوماً مُسْتَهِلٌّ وَرَائِحُ

أما أبو الصلت فقد استهل قصيدته بالفخر لا يعدل عنه إلى غرض آخر، فقال:

نحن المبنُّونَ في وَجٍّ على شرفٍ　　　تلقى لنا شُفَعاً منه وأرْكَانَا

واستفتح المحبر الثقفي قصيدته في وصف الحرب التي دارت بين ثقيف وبني نصر بقوله:

وما كنت ممن أَرَّثَ الحَرْبَ بينهم　　　ولكن مسعوداً جناها وجُنْدُبَا

واستهل أبو محجن قصيدة له بحمد الله أن نجاه وخلصه من حارسه[2]:

الحمد لله نَجَّاني وَخَلَّصَنِي　　　مِنِ ابْنِ جَهْرَاءَ والبُوصِيَّ قد حَبَسَا

وكقوله أيضاً[3]:

لَقَدْ عَلِمَتْ ثَقِيفٌ غير فَخْرٍ　　　بأَنَّا نَحْنُ أكْرَمَهمْ سُيُوْفَا

(1) ديوان أمية: 503.

(2) ديوان أبي محجن صنعة أبي هلال: 24.

(3) ديوان أبي محجن صنعة أبي هلال: 43.

من ذلك أيضاً قول كنانة بن عبد ياليل:

مَـنْ كـانَ يَبْغِينَا يُـرِيـدُ قِتَالَنَا فَـإِنَّـا بِـدَارٍ مَـعْـلَـمٍ لاَ نَـرِيـمُـهَـا

هكذا لم يطل الشعراء الجاهليون والمخضرمون الثقفيون قصائدهم، ولم يعددوا الأغراض إلا ما ندر، وفي دائرة ضيقة جدّاً، فهم يهجمون على الموضوع بلا تمهيد، وكل قصيدة أو قطعة تستقل بموضوع واحد، يعبرون عنه تعبيراً سريعاً متدفقاً ينسجم مع عواطفهم، التي يصورون ما فيها من دفقات سريعة أيضاً.

هذا الأمر ينتظم شعر الثقفيين الجاهليين والمخضرمين على حد سواء، إلا إذا استثنينا قصيدة كنانة بن عبد ياليل بن سالم الثقفي، وقصيدة أمية المشار إليها آنفاً، وأخرى لأبي محجن هي لاميته التي قالها يوم الجسر، على عكس سائر منظوماتهم التي ليس لها مقدمات.

أما قصيدة أبي محجن اللامية التي قالها يوم الجسر؛ فقد انفرد بمقدمتها الطيفية، وَذِكْرُ الطيف[1] هنا لون من ألوان الغزل والتشبيب؛ لكنه غريب في قصيدة تضم رثاء شهداء تلك الموقعة، وعلى رأسهم القائد أبو عبيد الثقفي. قال أبو محجن[2]:

أَنَّـى تَسَـدَّتْ نَحْوَنَا أُمُّ يوسفٍ وَمِـنْ دونِ مَسْرَاهَا فياف مَجَاهِلُ

إلـى فتيةٍ بالطَّفِّ نِيلَتْ سَرَاتُهُمْ وغُـودِرَ أَفْـراسٌ لهم وَرَوَاحِـلُ

ولهذه القصيدة نظير في الشعر العربي، ذلك أن لدريد بن الصِّمَّة قصيدة في الرثاء، بدأها بالغزل حيث قال في مطلعها[3]:

أرَّث جديدُ الحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ بعَافِيَةٍ أَمْ أَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ

قال ابن رشيق: «وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً، كما يصنعون ذلك

(1) كما في قصيدة زهير بن جناب التي مطلعها:

أمِـن آل سلمى ذا الخيالُ المـؤرّقُ وقد يَمِـقُ الطيفَ الطروبُ المَشَوَّقُ

ديوان بني كلب بن وبرة: 46، وانظر: شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي: 107.

(2) ديوان أبي محجن: 30، أبو محجن شاعر مخضرم؛ لكن قصيدته هذه من الشعر الإسلامي من حيث مناسبتها وأحداثها.

(3) العمدة: 430.

في المدح والهجاء»، قال ابن رشيق: وقال ابن الكلبي، وكان علاَّمةً: «لا أعلم مرثِيَّةً أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة..» وذكر البيت السابق[1].

هكذا لم نعثر للشعراء الثقفيين على مقدمات تقليدية في أشعارهم إلا كنانة وأمية في ثلاث قصائد نادرة، ولعل سبب ذلك يعود إلى ضياع كثير من شعرهم، إذ لم تصل إلينا قصائدهم كاملة، يضاف إلى ذلك أنهم ربما رغبوا في أن يتخففوا في منظوماتهم من تلك المقدمات، وأن يعفوا أنفسهم من النهج التقليدي للقصيدة العربية.

ولا يختلف شعراء ثقيف في الإسلام عن أسلافهم في الجاهلية في منهج القصيدة، فلقد ساروا على النهج التقليدي حيناً، وتخلَّوْا عنه في أحايين كثيرة، ونلاحظ أن ما التزموا فيه المنهج التقليدي فيما وصل إلينا من شعرهم كان نادراً.

ففي العصر الإسلامي (الراشدي) لم أعثر على أي مقطوعة أو قصيدة فيها مقدمة غزلية، بل يلج الشاعر إلى الموضوع مباشرة دون أي مقدمات.

في العصر الأموي نجد قصائد يزيد بن الحكم تخلو من هذه المقدمات، وإن كنت وجدت له قصيدة يجري في مطلعها مجرى الشعراء الجاهليين الذين يستهلون قصائدهم بالمقدمة الغزلية، وذلك قوله في مطلع قصيدة مَدْحٍ لسليمان بن عبد الملك:

أمسى بأسماءَ هَـذَا القلبُ مَعْمُودَا ... إذا أقُــولُ صَـحَـا يـعـتـادُه عِـيـدَا

كـأنَّ أَحْــوَرَ مِـنْ غِــزْلاَنَ ذِي بَقَـرٍ ... أهــدى لـه شَـبَـهَ العَـيْـنَـيْـن والـجـيـدَا

أَجْــري على مـوعـدٍ منها فتخلفُنِي ... فـلا أَمَــلُّ ولا تُـوفِـي الـمَـوَاعِـيـدَا

ويتحرر يزيد بن ضبة من هذه المقدمة، لكن لا نعدم له قصيدة أنشد فيها الفخر والعتاب، قالها عند منصرفه من الشام، مستهلاً إياها بمقدمة غزلية على غرار شعراء الجاهلية، واصفاً معاناته من محبوبته سلمى فقال:

أَرَى سَـلْمَى تَـصُـدُّ ومـا صَـدَدْنَـا ... وغَـيْـرَ صُــدُودِهَـا كُـنَّـا أَرَدْنَـــا

---

(1) العمدة: 430.

لَـقَـدْ بَـخِـلَـتْ بـنـائِـلِـهَـا عَـلَـيْـنـا		وَلَــوْ جَـــادَتْ بِـنَـائِـلِـهَـا حَـمِـدْنَـا
وقـد ضَنَّتْ بما وَعَــدَتْ وأَمْسَـتْ		تُـغَـيِّـرُ عَـهْـدَهَـا عـمـا عَـهِـدْنَـا
تُـلِـمُّ عـلـى تَـنَـائِـي الــدارِ مِـنَّـا		فـيُـسْـهِـرُنـا الـخـيـالُ إذَا رَقَـدْنَـا

وقصيدة أخرى في وصف فرس الوليد بن يزيد، الذي قال ليزيد بن ضبة: أحسنت الوصف وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيباً، وأعطه الغزيل وعمر الوادي.

وتخلو مطالع القصائد عند طريح من هذه المقدمات، ولكن ذلك لا يمنعه– على الرغم من تأخره إلى العقد السابع من القرن الثاني الهجري– من الحنين إلى القديم، واقتفاء آثار السابقين في الوقوف على الأطلال، واستخبار الدمن القفار، إلى مدحٍ مشفوعٍ بفخرٍ بقبيلته ثقيف أخوال الوليد. قال طريح(1):

تَسْتَخْبِرُ الـدِّمَـنَ القفارَ وَلَـمْ تكُنْ		لِـتَـرِدَّ أَخْـبَــاراً عـلـى مُـسْـتَـخْـبِـرِ
فَظَلَلْتَ تحكمُ بين قَـلْـبٍ عـارفٍ		مـغْـنَـى أحِـبَّـتِـهِ وَطَـــرْفٍ مُـنْـكِـرِ
واعْـتَـامَ كَـهْـلُـكَ مـن ثقيفٍ كُـفْـأَهُ		فَـتَـنَـازَعَـاكَ فـأنْـتَ جَـوْهَـرُ جَـوْهَـرِ
فَـنَـمَـتْ فــروعُ القـريـتـين قُصَيُّها		وقَـسِـيُّـها بِـكَ في الأَشَـمِّ الأكْـبَـرِ

ولطريح وقوف متكرر على الطلل، ومشاهدة ما بقي فيه من معالم وأثر، ليجد في ذكر تلك الآثار، ووقوفه حزيناً أمام الديار؛ متنفساً للتعبير، ورغبة في الحنين إلى ذكريات قديمة، نَعِمَ في ميعته هو وسلمى بهناءة العيش ورغد الحياة. قال طريح(2):

أقْــفَــرَ مِــمَّــنْ يَـحُـلُّـهُ الـسَّـنَـدُ		فـالـمـنْـحـنَـى فـالـعَـقِـيـقُ فـالـجُـمُـدُ
لـم يَـبْـقَ فـيـهـا مـن الـمـعـارفِ بعـ		ــد الـحـيِّ إلا الـرمـادُ والـوتَـدُ
وَعَـرْصَــةٌ نَـكَّـرَتْ معالمها الريـ		ــحُ بـهـا مَـسْـجِـدٌ ومُـنْـتَـضَـدُ
لـم أَنْــسَ سـلـمـى ولا لـيـالـيـنـا		بـالـحَـزْنِ إذْ عـيـشُـنَـا بِـهَـا رَغَـدُ

(1) شعر طريح بن إسماعيل الثقفي: 107.
(2) شعر طريح بن إسماعيل الثقفي: 101.

إذْ نَـحْـنُ فـي مَـيْـعَـةِ الـشـبـابِ وإذْ   أيَّـــامُــنَـــا تِـــلْـــكَ غَـضَـــةٌّ جُـــدُدُ

إن كثرة القصائد التي تخلى فيها الشعراء الثقفيون في العصر الأموي عن المقدمات التقليدية في أشعارهم، يعد إسهاماً في تطوير منهج القصيدة العربية، وتمهيداً أمام شعراء العصر العباسي لإسقاط المقدمات، واتخاذ المطالع القوية، وبراعة الاستهلال عوضاً عنها، مع من أسهم في ذلك من شعراء العصر الأموي(1).

يجد المرء في شعر ثقيف إلى جانب قصائدهم منهجاً آخر، هو منهج المُقَطَّعَة، والمقطوعة هي ما كان عدد أبياتها أقل من سبعة أبيات، وقد عُرف هذا المنهج عند شعراء الجاهلية، وتغلبُ المقطعاتُ على أشعارهم التي قد يكون كثير منها بقايا قصائد كاملة.

ومما جاء على هذا المنهج في شعرهم الجاهلي قول ابن الذئبة الثقفي:

لـعـمـرك مـا لـلـفـتـى مـن مـفـرْ   مـع الـمـوت يـلـحـقـه والـكـبـرْ

ولمسعود بن معتب مقطوعة أخرى يخشى فيها ضياع أمواله، وأن يبيعها ورثته لقريش فقال:

لا أعـرفَـنَّ قريشًاً تشتري عَجَلي   يا بْـنَـيْ أُمَـيْـمَـةَ من زرعٍ وحُـجْـرانِ

إلى غير ذلك.

وهناك مقطعات لشعراء مخضرمين قيلت في صدر الإسلام؛ كقول خُفَاف بن نضلة في مطلع مقطوعة يمدح فيها رسول الله ﷺ :

كَمْ قَدْ تَحَطَّمَتِ القلوصُ بِيَ الدُّجَى   فـي مَـهْـمَـهٍ قَـفْـرٍ مِـنَ الـفَـلَـوَاتِ

وله مقطعة أخرى قال فيها:

أصْـبَـحْـتُ شيخاً كبيراً هـامَـةً لِغَدِ   يَـزْقُـوْ لَـدَى جَدَثِي أَوْ لاَ فَبَعْدَ غَدِ

ومن مقطعات الثقفيين في العصر الأموي قول يزيد بن الحكم(2):

(1) العجاج حياته ورجزه: 379.

(2) حماسة البحتري 181/1.

وَمَا فَضْلُ مَنْ كَانَتْ سَرِيعاً عِدَاتُهُ   وَمَنْ هُو إِنْ طَالَبْتَهُ الوَعْدَ مَاطِلُهْ

وقول المغيرة بن شعبة:

أَدْرَكْتِ مَا مَنَّيْتُ نَفْسِيَ خَالِياً   لِلهِ دَرُّكِ يَا بْنَةَ النُّعْمَانِ

وقول الحجاج بن يوسف الثقفي:

إِذَا مَا لَقِيْتُ اللهَ عَنِّيَ رَاضِياً   فَإِنَّ شِفَاءَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكِ

وقول عبد الله بن أراكة:

مِنْ خَيْرِ مَا ادَّخَرَ الكِرَامُ مَدَائِحٌ   تَبْقَى لِصَاحِبِهَا عَلَى الدَّهْرِ

وقول محمد بن القاسم الثقفي:

أينسى بنو مروان سمعي وطاعتي   وإني على ما نابني لصبور

يمكن القول بعد إنعام النظر فيما توافر للدراسة من شعر ثقيف: أن شعراءهم كانوا أقدر على المقطعات منهم على المطولات، وأن منهج المقطعة هو الأغلب على شعرهم، في مقابل انحسار القصيدة انحساراً واضحاً، ثم إن قصائدهم – على قلتها– لم تأت على المنهج التقليدي إلا نادراً.

ويمكن إرجاع ذلك إلى عدة عوامل، أهمها: ضياع قسم كبير من شعرهم، قد تكون بعضُ تلك المقطعاتِ أجزاءً منها.

وقد يكون بسبب قلة شعر ثقيف بعامة، ومثلهم في تلك القلة مثل بقية شعراء القرى والمدن. ولئن ذكر ابن سلام خمسة شعراء ثقفيين وعَدَّهُم في الفحول[1]؛ فإن ابن قتيبة في الشعر والشعراء لم يترجم لأحد من شعراء ثقيف لا في الجاهلية ولا في الإسلام، سوى الأجرد الثقفي[2]. وابن ميمون– وقد جعل شرط كتابه ألا يختار إلا القصائد– لم يختر قصيدة واحدة من شعر ثقيف، ولم يكن ذلك عن ضعف المستوى الفني للشعراء الثقفيين،

(1) طبقات فحول الشعراء 259/1 – 270.

(2) الشعر والشعراء 734/2.

أو لأن نَفَسَهُمْ كان قصيراً فليست لهم القدرة على الإطالة أو مجاراة فحول الشعراء، وإنما كان بسبب هذا الضياع الذي أصاب أشعارهم.

ويبدو أن بروز منهج المقطعة وصل إلى أن يكون ظاهرة من الظواهر العامة في أشعار العرب منذ الجاهلية إلى عصر بني أمية، هذا الحكمُ يعتقد أنه ينطبق على جميع القبائل بعد أن يستثنى من كل قبيلة فحولها. هذا ما أشار إليه دارسو أشعار أسد وتغلب وطيّئ[1]، وهي ظاهرةٌ ملاحظة فيما جُمِعَ من أشعار قُشَيْر، وعُقَيْل، وهَمَدَان، وذُبْيَان، وإن لم ينصّ على ذلك دارسو أشعار هذه القبائل.

رصد إيقاعات الموسيقا الداخلية والخارجية:

تقف الدراسة هنا عند الجانب الموسيقي من الخصائص اللفظية للشعر الثقفي، وتنقسم هذه الموسيقى –كما هو معلوم لدى الدارسين– إلى موسيقى داخلية، وموسيقى خارجية. فالموسيقى الداخلية تقوم على المحسنات اللفظية، والموسيقى الخارجية تقوم على الوزن والقافية.

أ– الموسيقا الداخلية:

نجد في شعر ثقيف ضروباً مختلفة من الكلام أطلق عليها البلاغيون في العصر العباسي اسم المحسنات اللفظية، وقد صنفوها وقسموها ووضعوا لكل ضرب منها اسماً، وتفننوا فيها، وأكثر بعض الشعراء منها في شعرهم حتى أصبحت متكلفة مصطنعة.

وقد اهتم علماء البلاغة بالمحسنات لما لها من قيمة فنية في الشعر، إذ تزيد موسيقاه حُسْناً، وتُحْدِث في الأذن وقعاً، وفي النفس أثراً، وتتعاضد موسيقا البيت الداخلية والخارجية فتنشيء في الأسماع نغماً، وفي القلوب طرباً. وتأتي هذه المحسنات في شعر ثقيف ـ كما هي عند غيرهم من العرب ـ عَفْوَ الخاطر دون استدعاء، فلم يقصدوا إليها قصداً،

---

(1) انظر: شعراء تغلب 321/1، وشعراء بني أسد 352/1–353 وشعراء قبيلة طيئ 665/1–666.

وإنما وقعت في شعرهم بداهة وارتجالاً.

ومن تلك المحسنات ما يعرف بالجناس، وهو قليل في شعرهم، ومنه قول أمية بن أبي الصلت(1):

فما أَعْـتَـبَـتْ فـي الـنـائـبـاتِ معتّباً ولكنها طَـاشَـتْ وَضَـلَّـتْ حُلُومُهَا

فجانس بين (أعتبت) و(معتب).

ومن الجناس قول أبي الصلت الثقفي:

أَرْسَلْتَ أُسْداً على سود الكِلاَبِ فقد أضحى شريدُهُمُ في الأرْضِ فُـلاَّلاَ

فجانس بين (أسداً) و(سود).

ومنه أيضاً ما نسب إلى ابن الذئبة الثقفي:

فـمـن وجـد الـغـنـى فَلْـيَـصْـطَـنِـعْـهُ ذخـيـرتَـهُ ويـجـهـدْ كـلَّ جَـهْـدِ

فجانس في البيت بين (يجهد) و(جَهْد).

ومن الجناس قول ابن الذئبة أيضاً:

بـألـف ألـوف وحُـرَّابَـةٍ كـمـثـل الـسـمـاء قـبـيـل الـمـطـر

ومن الجناس قول المحبر الثقفي:

مُـضَـرَّمـةً شـبّـاً أَشَـبَّـا وقُـودَهَـا بـأيـديـهِـمَـا مـا أَوْرَيَـاهَـا وأَثْـقَـبَـا

فجانس بين (شبّاً) و(أشبّا).

ومما جاء من الجناس في شعرهم بعد الإسلام قول عبد الله بن سعيد بن عتبة الثقفي:

أَنَـا أَصُـدُّ وفـي كَـفَّـيَ ذو شُطَبٍ صَمْصَامَةٍ تَـتَـعَـدَّى كـلَّ صَمْصَامِ

فجانس بين (صمصامة) و(صمصام).

---

(1) ديوان أمية: 484.

وقول محمد بن عبد الله النميري في زينب:

وقامت تـراءَى بين جَمْعٍ فأفْتَنَتْ ... بـرؤيـتِـهَـا مَــنْ لاَحَ مِــنْ عَـرفَـاتِ

فجانس بين (تراءَى) و(رؤيتها)، وقوله أيضاً:

ألاقٍ أنــتَ فـي الـحِـجَـجِ البَـوَاقـي ... كـمـا لاقَـيْـتَ في الـحِـجَـجِ الـثـلاثِ

جانس بين (ألاقٍ) و(لاقيت)، وبين (الحجج) و(الحجج)، وقوله أيضاً:

كـأنَّ فــؤادِي مِــنْ تـذكُّـرِهِ الحِمَى ... وأهـلَ الحِمَى يهفُو بِـهِ ريشُ طَائِرِ

فجانس بين (الحمى) و(الحمى)، وقوله أيضاً:

إلـى أن بَـدَا رأسـ إسـبـيـلَ طالعاً ... وإسبيلُ حِصْنٌ لـم تَـنَـلْـهُ الأَصَـابِـعُ

جانس بين (إسبيل) و(إسبيل)، وقوله في زينب:

أَحْـــبِـــبْ بِـتِـلْـكَ مَـوَاقِـفـاً ... وَبِـــزَيـــنَـــبٍ مِـــنْ وَاقِـــفِ

جانس بين (مواقف) و(واقف).

وقوله أيضاً في ليلى:

أُحِبُّ الحمىَ مِنْ حُبِّ لَيْلَى وَسَاكِناً ... عَلَى الغَمْرِ إن خُبِّرْتُ لَيْلَى على الغَمْرِ

فجانس بين (أُحِبُّ) و(حُبِّ) وبين (الغَمْر) و(الغَمْر).

وقول يزيد بن الحكم يرثي ابنه عنبساً:

جـهـولٌ إذا جَـهْـلُ العشيرةِ يُبْتَغَى ... حَليمٌ وَيَـرْضَـى حِـلْـمَـهُ حُـلَـمَـاؤُهَـا

ويـأمَـنُ ذُو جَـهْـلِ العَشِيرةِ جَهْلَهُ ... عليه وَيَـخْـشَـى جَـهْـلَـه جُـهَـلاَؤُهَـا

فجانس في البيت الأول بين (جهول) و(جهل)، وبين (حليم) و(حلم) و(حلماء)، وفي البيت الثاني بين (جهل) و(جهله) المكررة مرتين و(جهلاؤها).

وقول يزيد أيضاً:

إن تَحْتَسِبْ تُوْجَرْ وَإِن تَبْكِهِ تكُنْ كَبَاكِيَةٍ لَمْ يُحْيِ مَيْتاً بُكَاؤُهَا

جانس بين (تبكه) و(باكية) و(بكاؤها).

وقال يزيد أيضاً:

نَكَأْتَ قُرُوحاً في القُلوبِ فأَصْبَحَتْ بِرَاءً وَهَلْ يُشْفَى على الثَّتَ القَرْحُ

جانس بين (قروحاً) و(قرح).

ومن الجناس أيضاً قوله:

فَيَدْحُو بِكَ الدَّاحِي إلى كُلِّ سَوْءَةٍ فيا شَرَّ مَنْ يَدْحُو بِأَطْيَشَ مُدْحَوِّ

ومن الجناس قوله أيضاً:

أَسْعَى فَيَكْفُرُ سَعْيي ما سعيْتُ له إني كَذَاكَ مِنَ الإخوانِ لَقَّاءُ

وكم يدٍ لي عِنْدَهُ وَيَدٍ يَعُدُّهنَّ تِرَاتٍ وَهْيَ آلاَءُ

إلى غير ذلك من أمثلة الجناس الكثيرة المبثوثة في أشعار الثقفيين، لاسيما الإسلاميين والأمويين. وتبدو قيمته الفنية في أنه ضربٌ من تكرار الصوت المستحسن في الآذان، المحبب إلى الأسماع، ولاسيما أنه يأتي في شعرهم دون استكراه، وهذا مما يضفي عليه جمالاً آخر.

ونجد في شعر الثقفيين من المحسنات اللفظية التي تغني موسيقا الشعر: ما يعرف عند البلاغيين برد العجز على الصدر، وهو أن تأتي في أول البيت بلفظ ثم تأتي به أو بما يشاركه في الاشتقاق في آخره[1]، «وإذا نُظِمَ الشعرُ على هذه البنية، تيسر استخراج قوافيه قبل أن تطرق السمع، أو ينتهي إليها المنشد»[2]، فهو شبيه بالجناس من حيثُ قيمتُه الفنيةُ والموسيقيةُ من استحسان المكرر والطرب له؛ لكنه يزيد على الجناس أنه يحدث تآلفاً وترابطاً بين الموسيقا الداخلية المتمثلة بالتكرار، وبين الموسيقا الخارجية المتمثلة بالقافية،

(1) الوافي في العروض والقوافي: 272، وشرح الكافية البديعية: 82، وقانون البلاغة: 102.

(2) قانون البلاغة: 102.

وذلك أن الشاعر يجعل المكرر من الألفاظ والحروف في قافية البيت وما يسبقها. فمن ذلك قول أبي الصلت الثقفي:

وَمَا وَأَدْنَا حذارَ الهَزْلِ مِنْ وَلَدٍ فيها وَقَدْ وَأَدَتْ أَحْيَاءُ عَدْنَانَا

وقوله أيضاً:

يَرْمُونَ عَنْ شُدُفٍ كَأَنَّها غُبُطٌ في زَمْخَرٍ يُعْجِلُ المرْميَّ إعْجَالاَ

ومن شعرهم في العصر الأموي ما جاء فيه هذا الضرب البلاغي أيضاً، ومن ذلك قول يزيد بن الحكم:

وما يرجو الكبيرُ من الغَوَاني إذا ذَهَبَتْ شَبِيبَتُهُ وَشَابَا

عَقَائِلُ من عَقَائِلِ أهلِ نَجْدٍ ومكةَ لم يُعَقّلْنَ الرّكابَا

وَلَمْ يَطْرُدْنَ أَبْقَعَ يَوْمَ نَجْدٍ ولاَ كَلْباً طَرَدْنَ وَلاَ غُرَابَا

ففي الأبيات الثلاثة ردَّ الشاعرُ الأعجازَ على صدورها كالآتي:

في البيت الأول (شابا) على (الكبير)، وفي البيت الثاني (يُعَقّلْنَ) على (عقائل)، وفي البيت الثالث (طردن) على (يطردن).

وقوله أيضاً في مدح سليمان بن عبد الملك:

إنْ يحسدوك فكَمْ من صالحٍ حَسَدُوا هذا نَبِيُّ الهدى قد كانَ مَحْسُودَا

وقوله أيضاً:

قد قلْتَ خَيْراً وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ لو كان منك بِفِعْلٍ صُدّقَ القِيلُ

علَّلْتُموني وَعَقْلِي غَيْرُ مُشْتَرِكٍ ولا تقوم لذي العَقْلِ التَعَالِيلُ

يا ليت شعري أَجَانٍ نَفْعَ خَيرِكُمُ أَمْ غَوَّلَتْ خَيْرَكُمْ مِنْ دُونيَ الغُولُ

وفي هذه الأبيات رد الأعجاز على صدورها.

وفي عتابه ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص قال له:

فَدَيْتَ امْـرَأً لَـمْ يَـدْوِ لِلنَّأْيِ عَهْدَهُ   وَعَهْدُكَ مِنْ قَبلِ التَّنَائي هُوَ الدَّوِي

ونجد هذا الضرب البلاغي أيضاً عند الحجاج في رسالته إلى عبد الملك بن مروان، يقول:

أُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتَ مِنْ ذِي هَوَادَةٍ   وَمَـنْ لَـمْ تُسَالِمْهُ فَإنِي محارِبُهْ

ومهما أردتَ اليومَ مِنّي أَرَدْتُهُ   وما لم تُـرِدْهُ اليومَ إنـي مُجَانِبُهْ

وأمـري إليك اليومَ ما قلتَ قلتُهُ   وما لم تقلْهُ لَمْ أَقُـلْ ما يُقَارِبُهْ

وكقول ابن أراكه:

وَلَسْتُ بِصُفْرِ الْقَلْبِ مِنْ طَلَبِ العُلاَ   وَلكنْ يَدِي صُفْرٌ من البيضِ والصُّفْرِ

وشعر الثقفيين حافل بنماذج كثيرة لهذين الضربين اللذين يَرْفِدان الموسيقا الخارجية للشعر بجو من الموسيقا الداخلية، إذ تأتي الكلمة في حشو البيت، ثم لا يلبث صداها أن يتردد في موضع آخر منه، فتطرب له الأذن طربها للصدى.

ومما يرفِدُ موسيقا الشعر بعناصرَ جديدةٍ ما يسمى (لزوم ما لا يلزم)؛ وهو أن يلتزم الشاعر في قوافيه ما لا يجب التزامه من الحروف، ويكون في بيتين أو أكثر، فمن ذلك التزام مسعود بن معتب الثقفي الراء المفتوحة في بيتين من مقطعة نونية مردفة بالألف، فقال:

لا أعرفَنَّ قريشاً تَشْتَرِي عَجَلِي   يا بَنِيْ أُمَيْمَةَ من زَرْعٍ وحُجْرَانِ

وابنا يُسَيْعَةَ لا أخْشَى ضِيَاعهمَا   على مواليَّ من سُودٍ وحُمْرَانِ

والتزم فقيد ثقيف النون الساكنة في جميع أبيات مقطعة رويها هو حرف النون المفتوحة فقال:

يـهـيـجُ ما يهيجُ ويـذكُـرُ   أيُّهَا القَلْبُ الحزينُ ما يكُنَّهْ

أَلَـمَّـا بِـي على الأَبْيَـا   تِ بالخيفِ أَزُرْهـنَّهْ

غــــــزالاً مـــا رأيـــــــتُ الـيَــوْ مَ فــي دُورِ بِـنِــــي كُـنَّــهْ

والتزم غيلان بن سلمة اللام المفتوحة في بيتين؛ حرف الروي فيهما هو القاف المكسورة المردفة بالألف الساكنة، فقال:

يـا رُبَّ مِـثْـلِـكِ في الـنـسـاءِ غـريـرةٍ بـيـضَــاءَ قَــدْ مـتَّـعْـتُـهَـا بِـطَـلاَقِ

لـم تــدْرِ مـا تحت الضلوعِ وَغـرَّهَـا مِـنّـي تـحـمُّـلُ عِـشْـرَتِـي وَخَـلاَقِـي

والتزم علقمة بن نضلة الثقفي اللام الساكنة في بيتين من مقطعة ميمية مكسورة، فقال:

لَـعَـمْـرُكَ إنَّ الخمرَ مَـادُمْـتُ شارباً لـمذهِـبَـةٌ مـالي ومُـنْـسِـيَـتِي حِلْمِي

وجـاعـلـتـي مـن الـضـعـافِ قـواهُـمُ ومـورِثَـتِـي حَـرْبَ الصديقِ بِـلاَ عِلْمِ

وهذا الضرب من المحسنات لم أجد له أمثلة كثيرة فيما وقع تحت يديَّ من شعر الثقفيين في العصر الجاهلي، على أنه ورد كثيراً في شعرهم بعد الإسلام، ومن ذلك التزام محمد بن عبد الله النميري الراء المفتوحة في قصيدة تائية مردفة بالألف في جميع الأبيات، سوى ثلاثة أبيات تنسب له وإلى سعيد بن المسيب، أخلَّ بيتان فيها بهذا الالتزام. قال:

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مَشَتْ بــه زيـنــبٌ فـي نـســوةٍ عَـطِـرَاتِ

تَـهَـادَيْـنَ مَـا بَيْنَ المحصَّبِ مِنْ مِنىً وَنَـعْـمَــانَ لا شُـعْـثـاً ولا غَـبِـراتِ

مَــــرَرْنَ بِـفَـخٍّ رَائِــحَــاتٍ عَـشِـيَّـةً يـلـبـيـنَ لـلـرَّحْـمـنِ مُـعْـتَـجِـرَاتِ

والتــزم الحجــاج الــلام المكســورة في جميع الأبيات من قصيدة كافيَّةٍ مكسورة، قال:

إذا مـا لـقـيـتُ اللَّهَ عَـنِّـيَ راضـيـاً فــإن شـفـاءَ الـنـفْـسِ فيما هُـنَـالِـكِ

فـحـسْـبِـي بـقـاءُ اللهِ مـن كــلِّ ميتٍ وحسبي حـيـاةُ اللهِ مـن كــلِّ هـالِـكِ

والتزم ابن أراكة الميم الساكنة في بيتين من مقطعة رائية مضمومة فقال:

يـا عَـمْـرُو لـلـضِّـيـفَـانِ إذْ نـزَلُـوا والـحَـرْبِ حـيـن ذَكَـا لَـهَـا الـجَـمْـرُ

يا عمرُو للشَّرْبِ الكرَامِ إذا أَزَمَ الشتاءُ وَعَزَّتِ الخمْرُ

والتزم يزيد بن ضبَّة الباء الساكنة في ثلاثة أبيات من قصيدة بائية مكسورة، فقال:

أرى وَجْدِي بِهِنْدٍ دَا ئماً يزدادُ عَنْ غِبِّ

وقد أطوِلْتُ إعراضاً وما بُغْضُهُمْ طِبِّي

ولكنْ رِقْبَةُ الأَعْيُنِ قَدْ تَحجُزُ ذَا اللُّبِّ

والتزم يزيد بن ضبة الدال الساكنة في جميع الأبيات من قصيدة نونية مفتوحة، فقال:

أرى سلمى تَصُدُّ وَمَا صَدَدْنَا وَغَيْرَ صُدُودِهَا كُنَّا أَرَدْنَا

لَقَد بَخِلَتْ بِنَائِلِها عَلَيْنَا وَلَوْ جَادَتْ بِنَائِلِهَا حَمِدْنَا

هذا الضرب من ضروب المحسنات اللفظية من محاسن الشعر؛ لأن الأذن إنما تنتظر تكرار حرف الروي الذي هو ركن أساسي من الموسيقا الخارجية للقصيدة لابد منه، فإذا ما شفع الشاعر حرف الروي بحرف آخر قبل الروي طَرِبت له الأذن، وارتاحت النفس.

وثمة ضرب آخر من المحسنات اللفظية يغني موسيقا الشعر، وهو التصريع، وذلك بأن يقصد الشاعر إلى جعل آخر المصراع الأول من البيت؛ كآخر المصراع الثاني في الوزن والروي والإعراب، وأحسن ما يكون التصريع عندما يأتي في أثناء القصيدة، وقد ورد هذا الضرب من المحسنات اللفظية في مطالع عدد ليس بالكثير من أشعار ثقيف، وقد ورد شيء منه في أثنائها، فمن ذلك في أشعار الجاهليين قول ابن الذئبة الثقفي:

لعمرك ما للفتى من مَفَرْ مع الموت يلحقه والكِبَرْ

وقول فقيد ثقيف:

أيُّها الجيرةُ اسْلَمُوا وقِفُوا كَيْ تُكَلَّمُوا

ومن التصريع في أشعار من جاء بعد الإسلام قول الشاعر المخضرم عمرو بن مسعود الثقفي:

أصْـبَـحْـتُ شيخاً كبيراً هَـامَـةً لِغَدِ   يَـزْقُـو لَـدَى جَدَثي أَوْ لاَ فَبَعْدَ غَـدِ

وقوله أيضاً:

يا أيها الملكُ الـمُـبْـدِي لَنَا ضَجَرَا   لو كـان صَخْرٌ لَنَا لَـمْ يُولِنَا ضَجَرَا

ومن التصريع قول محمد النميري:

لـزينـبَ طَـيْـفٌ تَـعْـتَـرِينِـي طَـوَارِقُـهْ   هُـدُوءاً إِذَا النَّجْمُ ارْجَحَنَّتْ لَوَاحِقُه

وقوله أيضاً:

طربتَ وشاقَتْكَ المنازِلُ مِـنْ جَفْنِ   ألا ربما يـعْـتَـادُكَ الـشَّـوْقُ بالحزْنِ

وقول يزيد بن الحكم:

أمسى بأسماءَ هَـذَا القلبُ مَعْمُودَا   إذا أقـولُ صَـحَا يعـتـادُهُ عِـيـدَا

وقوله أيضاً:

يـا أيـهـا الـنَّـازِحُ الـشَّـسُـوعُ   ودائِـعُ الـقَـلْـبِ لا تَـضِـيـعُ

وقول ابن أراكة الثقفي:

آب الـغَـزِيُّ ولـم يَـؤُبْ عَـمْـرُو   لِلَّهِ مَـا وَارَى بِـهِ الـقَـبْـرُ

وقول يزيد بن ضبة:

إلـى هـنـدٍ صَـبَـا قـلـبي   وهـنـدٌ مِـثْـلُـهَـا يُـصْـبِـي

وقوله أيضاً:

سُـلَـيْـمَـى تِـلْـكَ فـي الـعـيـرِ   قِـفِـي أَسْـأَلْـكِ أو سِـيـرِي

وقوله:

لـم يَـنْـسَ سَلْمَى فُـؤَادُكَ الـسَّـدِكُ   وكـيـف تَـصْـبُـو وأَنْـتَ مُـحْـتَـنِـكُ

وفي قصيدة أخرى أتى بهذا التصريع في مطلعها، ثم كرره في أثنائها كثيراً؛ قال:

أرى سلمى تَصُدُّ وما صَدَدْنَا وغيرَ صُدُودِهَا كُنَّا أَرَدْنَا
لقد بَخِلَتْ بِنَائِلِها عَلَيْنَا وَلَوْ جادَتْ بِنَائِلِها حَمِدْنَا
وما هِيضَتْ مَكَاسِرُ مَنْ جَبَرْنَا ولا جُبِرَتْ مُصِيبَةُ مَنْ هَدَدْنَا
وكان أبوك قد أَسْدَى إلينا جسيمةَ أمرِهِ وَبِهِ سَعِدْنَا
نرى حقّاً لِسَائِلِنَا عَلَيْنَا فَنَحْبُوهُ ونُجْزِلُ إِنْ وَعَدْنَا

وأتى طريح الثقفي بهذا الضرب في قصيدة له فقال:

أَقْفَرَ مِمَّنْ يَحُلُّهُ السَّنَدُ فالمنْحَنَى فالعَقِيقُ فالجُمُدُ

وقال في قصيدة أخرى:

حَلَّ المَشِيْبُ فَفَرْقُ الرأْسِ مُشْتَعِلُ وَبَانَ بالكُرْهِ مِنَّا اللَّهْوُ والْغَزَلُ

ويرجع حسن هذا الضرب إلى أن الأذن تنتظر الروي في آخر البيت، فإذا به يفجؤها في آخر الشطر الأول، ويكون ذلك أحسن وأطرف إذا ما جاء في أثناء القصيدة بعد البيت الأول؛ لأن الأذن تكون قد اعتادت على ورود حرف الروي في القافية وحدها فإذا بها تلتقي به في موضع لا تتوقعه، ولا تنتظره فيه.

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن عدداً من شعراء ثقيف ما كانوا يحرصون على تصريع المطلع، مثل الشعراء الآخرين، وهذا من مظاهر العفوية في شعرهم أيضاً، ومن هؤلاء أبو محجن الثقفي الذي لم أجد له في شعره إلا مقطعة واحدة مصرَّعة المطلع أولها:

ألم ترني وَدَّعتُ ما كنت أشربُ من الخمر إذ رأسي لك الخيْرُ أشْيَبُ

ومما يَرْفِدُ الموسيقا الداخلية للشعر بإيقاعات جميلة، وعناصر جديدة: ما يسمى بحسن التقسيم، وهو توزيع العبارات توزيعاً موسيقياً متناسقاً، وتقسيم البيت إلى جمل متساوية في الطول والإيقاع، وقد ذكر الشعراء الجاهليون هذا الضرب في شعرهم قليلاً، ومن ذلك قول أبي الصلت الثقفي حين هنأ سيف بن ذي يزن بانتصاراته على الأحباش(1):

(1) ديوان أمية: 456 مع اختلاف في روايات البيت.

غُـرٌّ جَـحَـاجِـحَـةٌ، بِـيـضٌ مَـرَازِبَـةٌ   أُسْـدٌ تُـربَّـبُ في الغَيْضَاتِ أَشْـبَالاَ

هذا الضرب ورد قليلاً أيضاً عند شعراء ما بعد الإسلام، فقال يزيد بن الحكم:

إن تَحْتَسِبْ تُوْجَرْ، وإِنْ تَبْكِهِ تكُنْ   كـبـاكِـيَـةٍ لـم يُـحْـيِ مَـيْـتـاً بُـكَـاؤُهَـا

وقوله أيضاً(1):

لِسَانُكَ لي أَرْيٌ، وَغَيْبُكَ عَلْقَمٌ   وشـرُّكَ مَبْسُـوطٌ وخَـيْـرُكَ مُلْتَوِ

وقول طريح بن إسماعيل الثقفي عن أعدائه الذين وَشَوْا به(2):

إن يَسْمَعُوا الخير يُخْفُوهُ، وإن سَمِعُوا   شرّاً أذاعـوا، وإن لم يسمعوا كذبوا

فقد قسم البيت على أقسام، ثم ألحق بكل قسم ما يليه المعنى الذي قصده.

وقوله أيضاً عن نسب الوليد بن يزيد وأسرته وأصله(3):

إن حاربوا وَضَعُوا، أو سَالَموا رَفَعُوا   أو عَاقَدوا ضَمِنُوا، أو حَدَّثُوا صَدَقُوا

وقوله للوليد أيضاً(4):

فـأنـت غـيـثُـهُـمُ نـفـعـاً، وطـودُهـــمُ   دَفْعاً، إذا مَا مُـرَادُ المنتَشِي جَدَبَا

ب- الموسيقا الخارجية:

سنقف في هذه الصفحات عند أبرز عناصر موسيقا الشعر؛ وهي الموسيقا الخارجية في الوزن، وذلك بالنظر في البحور التي صاغ عليها الثقفيون أشعارهم، وما اتسم به شعرهم من ظواهر عروضية، ثم النظر في قوافيهم، ومعرفة ما استعملوه كثيراً من حروف الروي، وما اعترى تلك القوافي من عيوب تشينها.

بحور الشعر التي نظم عليها شعراء ثقيف قصائدهم ومقطعاتهم وأبياتهم المفردة ـ التي

(1) خزانة الأدب: 496/1 – 497.

(2) شعر طريح بن إسماعيل: 94.

(3) شعر طريح بن إسماعيل: 113.

(4) شعر طريح بن إسماعيل: 93.

اجتمعت لدى الدراسة ـ هي أحد عشر بحراً من بحور الشعر المعروفة؛ وهي: الطويل، والبسيط، والوافر، والرجز، والكامل، والخفيف، والهزج، والسريع، والمنسرح، والمتقارب، والرمل، وقد جَمَعْتُ عدد الأشعار– قصائد ومقطعات وأبيات مفردة– في جدول إحصائي يبين عدد النصوص التي جاءت على كل بحر، وقد تبين لي أنهم أكثروا من استخدام البحور التي شاع استخدامها في الشعر الجاهلي أكثر من غيرها. والجدول الآتي[1] يوضح تلك الأبحر، وما جاء من أشعارهم على كل منها:

م	البحر	عدد الأبيات المفردة	عدد المقطعات	عدد القصائد	المجموع
1–	الطويل	16	30	14	60
2–	البسيط	9	18	3	30
3–	الوافر	11	13	3	27
4–	الرجز	7	11	3	21 (منها بيت منفرد ومقطعة واحدة على مجزوء الرجز)
5–	الكامل	9	11	1	21 (منها بيتان منفردان ومقطعة على مجزوء الرجز)
6–	الخفيف	9	6	1	16 (منها مقطعة وقصيدة على مجزوء الخفيف)
7–	الهزج	–	3	2	5
8–	المتقارب	1	–	–	4

(1) أثْبَتُّ في هذا الجدول ما صحَّت نسبته إلى شعراء ثقيف، وما نسب إليهم وإلى غيرهم ورجَّحْتُ كونَه لهم، في حين أسقطت ما ثبت أنه لغيرهم يقيناً، أو ترجيحاً، وما بقي متنازعاً دون أن أقف على مرجِّح في نسبتها، وعددت النص المنسوب إلى أكثر من شاعر ثقفي مرة واحدة، والمعيار الذي أقمتُ عليه الجدول هو النص الشعري سواءٌ أكثرت أبياته أم قَلَّتْ.

م	البحر	عدد الأبيات المفردة	عدد المقطعات	عدد القصائد	المجموع
9-	السريع	3	—	—	3 (منها بيت منفرد على مشطور السريع)
10-	المنسرح	—	3	—	3
11-	الرمل	—	2	—	2
	المجموع	65	100	27	192

تخير شعراء ثقيف لمعانيهم وموضوعاتهم أوزاناً تتوافق مع الغرض والمناسبة، وتتواءم مع المعاني، وتخدم ما يقصدون إليه. وبالنظر إلى الجدول السابق نلحظ استئثار البحر الطويل بأكبر عدد من نصوصهم وهو ستون نصّاً، «وبحر الطويل أرحب صدراً، وأطلق عنانا، وألطف نغماً»(1)، وأقدر على استيعاب المعاني وعرضها، وقد أكثر الشعراء القدماء من استخدامه في باب الأخبار والقصص وسرد الأحداث، والتغني بالماضي، «ومَنْحَى الشعراء فيه يناسب معاني التغني بجلالة الماضي، وعنصر القصص، والنعت فيه من الطراز الذي يدعو السامع لأن يصغي ويتفهم، قبل أن يهتز ويرقص»(2).

وجاء من بعده البسيط الذي استأثر بثلاثين نصّاً، «والبسيط أخو الطويل في الجلالة والروعة، إلا أن الطويل أعدل مزاجاً منه»(3)، «ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النقيضين: العنف واللين، وتكاد صبغته على وجه الإجمال تكون إنشائية إذا افترضنا في الطويل صبغة خبرية»(4)، «والبسيط بحر النقيضين: إما الشدة، وإما الرقة، ولا توسط في ذلك»(5).

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 443/1.
(2) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 450/1.
(3) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 507/1.
(4) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 508/1.
(5) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 525/1.

وجاء من بعده الوافر في سبعة وعشرين نصّاً، وقد أكثر منه شعراء ثقيف لما يتسم به من التدفق واستيعاب العاطفة «سواءٌ أكان ذلك في الغضب الثائر والحماسة، أم في الرقة الغزلية والحنين.. فهو بحرٌ مسرع النغمات متلاحقها، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق، وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دُفعاً دُفعاً»[1].

وجاء الرجز في واحدٍ وعشرين نصّاً، والكامل أيضاً في واحد عشرين نصّاً، فالخفيف في ستة عشر نصّاً، فالهزج في خمسة نصوص، فالمتقارب في أربعة نصوص، فالسريع والمنسرح في كل منهما ثلاثة نصوص، فالرمل في نصين شعريين.

ليست هذه الدراسة لبحور الشعر عند ثقيف إلا صورة لما توافر للدراسة من أشعار غير مجموعة في ديوان، وعلى هذا فليس فيها من شعر أمية بن أبي الصلت[2]، وغيلان ابن سلمة، ومحمد النميري، ويزيد بن الحكم، وطريح الثقفي؛ إلا ما أخلت به دواوينهم، واستدركته الدراسة على صناع الدواوين المطبوعة لشعر القبيلة.

ومما يحسن ذكره أنه بعد عرض هذا الإحصاء لشعر ثقيف، ومقارنته بإحصاءات الدراسات الأخرى لأشعار بقية القبائل؛ نجد أن الإكثار من استخدام البحر الطويل، والبسيط، والوافر، والرجز، والكامل، والخفيف، لا يقتصر على شعراء ثقيف وحدهم، بل إن دراسة أشعار كل من أسد، وتغلب، وطيئ، وذبيان انتهت إلى النتيجة نفسها، وقد فاز البحر الطويل بأوفر حظ وأوفى نصيب، يتلوه البسيط ثم الوافر في معظم أشعار تلك القبائل، وهذا ما أشار إليه أبو العلاء المعري حين نبه على أن البحر الطويل هو أكثر بحور الشعر استخداماً، وذكر البحر البسيط، ولئن وافق إحصاء قبيلة ثقيف كلام أبي العلاء فتقدم البحر البسيط على الوافر بفارق طفيف؛ فإنَّ الوافر يتقدم على البسيط في أشعار عدد من القبائل؛ ومنها أسد وطيئ وبنو كلب بن وَبْرَة وغيرهم.

كما نلحظ أن الشعراء الثقفيين نظموا في بحور نادرة كالمنسرح وذلك مثل قول الحجاج بن يوسف:

---

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 332/1.

(2) أضفت إلى هذا الإحصاء قصيدة أمية بن أبي الصلت الدالية، التي عثرت عليها كاملة (57 بيتاً) في المخطوطة.

مَـــنْ يَــكُ ذَا لـمـةٍ يُكَـشِّـفُـهـا فـإنــي غَـيْـرُ ضــائـرِي زعــرِي

وقول يزيد بن الحكم:

أصبح في قيدك السماحةُ والجو دُ وَفَـضْـلُ الـصَّـلاَحِ والْـحَسَـبُ

وقول يزيد بن ضبة:

لـم ينس سلمى فـؤادُكَ الـسَّـدِكُ وكـيـف تَـصْـبُـو وَأَنْــتَ مُحتنِكُ

كما نظم بعضهم على بحر المديد، وهو من البحور التي لا تدور على ألسنة الشعراء كثيراً، وذلك مثل قول يزيد بن الحكم:

يـا أيـهـا الـنـازِحُ الـشـسـوعُ وَدَائِــعُ الـقَـلْـبِ لا تَـضِـيـعُ

ومن الظواهر العروضية التي تستوقف الباحث في شعر ثقيف ظاهرة الخَرْمُ، وقد نَبَّهَ ابنُ رشيقٍ على كثرة ورودها في أشعار العرب، فقال: «وقد يأتون بالخرم كثيراً ـ وهو ذهاب أول حركة عن وتد الجزء الأول من البيت ـ وأكثر ما يقع في البيت الأول...»[1].

ثم نَبَّهَ على أن أصل الخرم هو عيب في الأنف، ومن ثم فهو كذلك عيب في الشعر، ثم عَلَّلَ كثرة وروده في أشعار العرب القدماء فقال: «وإنما كانت العرب تأتي به؛ لأن أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر، ثم يرى فيه رأياً، فيصرفه إلى جهة الشعر، فمن ها هنا احتُمِلَ لَهُم وقبح من أفعال غيرهم»[2].

وذكر التبريزي: «أن الخرم يقع في كل بحر يبدأ بتفعيلة أولها وتد مجموع، وهُنَّ ثلاث تفعيلات: (فَعُولُن) و(مَفَاعِيلن) و(مُفَاعَلَتُن)»[3]، فهو لذلك يقع في الطويل والمتقارب، لأنهما يبدآن بـ(فعولن)، وفي الهزج لأنه يبدأ بـ(مفاعيلن)، وفي الوافر لأنه يبدأ بـ(مفاعلتن)، ولكن هذا لم يقع إلا في أربعة مواضع من الشعر المجموع لثقيف في هذه الدراسة؛ وإن كان قد وقع كثيراً في شعرهم بعامة.

(1) العمدة: 124.

(2) العمدة: 124.

(3) الوافي في العروض والقوافي: 42 – 43.

فمن الخرم الذي في أشعارهم مما جمعته الدراسة قول مسعود بن معتب:

لا قَيْسُكُمْ منا ولا نحن منكم ... ولكننا أولادُ نَبْتِ بنِ يَقْدُمَا

وقول كنانة بن عبد ياليل بن عمرو:

مَنْ كَانَ يَبْغِينَا يُرِيدُ قِتَالَنَا ... فَإِنَّا بِدَارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيمُهَا

وقول يزيد بن الحكم:

إن تحتَسِبْ تُؤْجَرْ وإِنْ تَبْكِهِ تَكُنْ ... كباكيةٍ لم يُحْيِ ميتاً بكاؤها

وقول الأجرد الثقفي:

ما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظاً وينوي من سفاهته كسري

وهناك أمثلة من الخرم وقعت في أشعارهم ليست ضمن المجموع لهم في الدراسة هنا، وذلك من مثل قول أبي محجن[1]:

أَنَّى تَسَدَّتْ نحونا أُمُّ يوسُفٍ ... وَمِنْ دون مَسْراهَا فياف مجاهلُ

وقول يزيد بن الحكم[2]:

لا يفرحَنَّ الشامتون فإنما ... يعيشون بعد الذاهبين لياليا

والأصل: ولا يفرحن. فحذف الواو.

وقوله أيضاً[3]:

من يك سائلاً عني فإني ... أنا ابن الصيد من سلفي ثقيف

وما جاء في شعرهم من خَرْمٍ أدى إلى اضطراب قليل في أوزان بعض أشعارهم، على أن ذلك لم يكن في أشعارهم وحدهم، ثم إن له ما يسوغه من كلام ابن رشيق.

---

(1) ديوان أبي محجن: 30.

(2) يزيد بن الحكم حياته وشعره: 36.

(3) المجمع العلمي العراقي: يزيد بن الحكم الثقفي حياته وشعره: مج 31، ج 1/ 25.

وقد غلبت حروف الروي اللينة السلسة– كالراء، والباء، والميم، واللام، والدال، والنون، والسين، والعين– على قوافي أشعار ثقيف، وهي حروف تقع رويّاً بكثرة[1].

ولم يأت في شعرهم من القوافي الوعرة المعتاصة إلا بعض النصوص على روي القاف، والحاء، والكاف، والتاء، وهي حروف متوسطة الوقوع روياً في شعر العرب من حيث الشيوع والانتشار، أما الحروف قليلة الوقوع رويّاً كالضاد؛ فلم يأت شيء منها في شعرهم المجموع هنا، وأتى على روي الطاء مقطعتان، وأتى على روي الهاء بيت واحد.

أما الحروف نادرة الوقوع رويّاً– كالذال، والغين، والشين، والصاد، والظاء، والواو، والزاي– فلم يقع منها شيء في شعرهم رويّاً، ووقعت الثاء والخاء كلٌّ منهما بيت واحد فقط.

والجدول الآتي يبين عدد النصوص التي وردت على كل روي.

(1) هذا على حسب تقسيم الدكتور إبراهيم أنيس لحروف الروي حسب ذيوعها وانتشارها في الشعر العربي؛ انظر: الفصل الثامن من كتابه موسيقا الشعر، وهو بعنوان: (القافية) ص 246 وما بعدها، وقد فصل القول في تفسير وقوع الحروف رويّاً؛ فقال: «ولا تعزى كثرة الشيوع أو قلتها إلى ثقل في الأصوات أو خفة، بقدر ما تعزى إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة»، موسيقا الشعر: 248.

م	حروف الروي	الأبيات المفردة	عدد المقطعات	عدد القصائد	المجموع	مجموع الأبيات
1–	الهمزة	1	2	–	3	5
2–	الباء	8	12	6	26	111
3–	التاء	نصف بيت	4	2	6,5	56,5
4–	الثاء	1	–	1	2	8
5–	الجيم	1	2	–	3	12
6–	الحاء	3	5	1	9	37
7–	الخاء	1	–	–	1	1
8–	الدال	5	4	2	11	70
9–	الراء	10	17	6	33	138
10–	السين	1	–	–	1	1
11–	الطاء	–	2	–	2	8
12–	العين	2	3	1	6	22
13–	الفاء	2	1	–	3	4
14–	القاف	8	4	1	13	30
15–	الكاف	5	4	–	9	17
16–	اللام	4	15	1	20	68
17–	الميم	8,5	13	2	23,5	62,5
18–	النون	2	11	3	16	98
19–	الهاء	1	–	–	1	1
20–	الياء	1	1	1	3	14
	المجموع	65	100	27	192	765

ولا ريب أن كثرة استخدامهم الراء رويّاً راجع إلى أن هذا الحرف هو أكثر حروف العربية دوراناً على ألسنتهم، يلاحظ هذا الأمر بالنظر السريع في المقدار الذي تأخذه الكلمات التي تنتهي أصولها بحرف الراء؛ في المعجمات التي تأخذ بأواخر الكلمات كاللسان، والقاموس، والتاج، وهذا الأمر ملاحظ في الباء، والنون، والدال، واللام، والميم.

أما حروف الروي التي خلا منها شعرهم كالذال، والشين، والصاد، والظاء، والواو والزاي، والغين، فذلك راجع إلى صعوبة النظم على روي هذه الأحرف، لقلة الأصول العربية التي تنتهي بها، ومعظم تلك الحروف لا يحمل من جمال الجرس ما تحمله تلك الأحرف التي أكثروا من استخدامها رويّاً.

ومع أن الثقفيين تخيروا لقوافيهم حروف روي سلسلة لينة فإن منهم من لجأ إلى القوافي المستعصية فطوعها لنفسه، وسخرها لشاعريته، وقد تحدَّثَ عن هذه الظاهرة صاحب كتاب المرشد فقال[1]: «وأشقُّ الواوات في القوافي هي التي تأتي في أواخر بعض الأسماء المنقوصة نحو (مرعو) والروي يكون في هذه الحالة (وي)، وأقول: إن يزيد بن الحكم له قصيدة على هذا النحو مطلعها[2]:

تُكَاشِـرُنـي كَـرْهـاً كـأنـك ناصحٌ ... وعينُكَ تُبْدِي أن صَـدْرَكَ لي دَوِي

وهي وحيدة في بابها كما قال صاحب الخزانة[3]، وأحسبه عنى بقوله: «في بابها» أي في رويها؛ لغرابته»[4].

لم تخل قوافي شعراء ثقيف من بعض العيوب التي تشوبها، كالإقواء، والسناد، والإيطاء. والإقواء: هو اختلاف حركة الروي من كسر إلى ضم أو العكس. وقد جاء الإقواء في ثلاثة مواضع، الأول: ما نسب إلى محمد النميري، وهو قوله:

ولـم تـر عيـني مـثل سـربٍ رأيـتُـهُ ... خَـرَجْنَ علينا مِـنْ زُقَـاقِ ابـنِ واقـفِ

---

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 62/1.

(2) الأغاني 213/12.

(3) خزانة الأدب: 111/1.

(4) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 162/1.

فالقصيدة فائية مضمومة، ولكن جاءت حركة روي هذا البيت مكسورة.

والثاني في شعر غيلان بن سلمة في قوله:

وأنَّـــا نَـبْـتَـنِـي شَـــرَفَ الْـمَـعَـالِـي وَنُـنْـعِـشُ عَـثْـرَةَ الْـمَـوْلَـى الْـعَـدِيْـمِ

وَأَنَّـــا لَـــمْ نَـــزَلْ لَـجْـأً وَكَـهْـفـاً كَـــذَاْكَ الـكَـهْـلُ مِـنَّـا وَالْـفَـطِـيـمُ

فأبيات المقطعة ميمية مكسورة، ولكن جاءت حركة روي البيت الأخير ميماً مضمومة.

والموضع الثالث وقع في شعر طريح وهو قوله:

وَأَفْـضَـلُ أعـمـالِ الْفَتَى الـزَّادُ لِلَّتي تَـدُومُ وَتَـحْـلُو لِـيْ عَلَيْهَا العَـوَاقِـبُ

وَأَفْـضَـــلُ بِـــرٍّ بِـــرُّكَ الـرَّحْـمَ الَّـتِـي عَـلَـيْـها تُـجـازَى آجِــلاً بِـالـرَّغَـائِـبِ

وَحَسْنُ ثَنَا الأَبْــرَارِ في كـلِّ مَحْفلٍ يـدومُ لَـهُ مَـا جَـدَّ في السَّيْرِ رَاكِـبُ

فأبيات المقطعة بائية مضمومة، ولكن جاءت حركة روي البيت الثاني باءً مكسورة.

وقد ذكر الأخفش أن الإقواء يأتي كثيراً في شعر العرب(1).

ووقع السناد في شعرهم في موضعين. والسناد: هو كل فساد قبل حرف الروي في القافية(2) وهو أنواع، منها: سناد التوجيه، وهو: اختلاف حركة ما قبل الروي المقيد من بيت إلى آخر من أبيات القصيدة(3)؛ وهو عيب من عيوب القافية عند الخليل، والأخفش لا يراه عيباً لكثرة ذلك في الشعر عند الفصحاء بين الكسر والضم، أما الفتح مع الكسر أو الضم فهو قبيح عنده أيضاً(4).

وقد وقع ذلك في أبيات لمحمد النميري قال فيها:

ألا مَـــنْ لِـقَـلْـبٍ مُـعَـنَّـىً غَـــزِلْ يُـحِـبُّ الـمُـحِـلَّـةَ أخـــتَ الـمُـحِـلّْ

---

(1) القوافي: 46.

(2) العمدة: 145.

(3) العمدة: 146.

(4) الموشح: 17.

تـــراءت لـنـا يــوم فَـــرْع الأرا ... ك بـيـن الـعـشـاء وبـيـن الأُصُـــلْ

كــأنَّ الـقَـرنـفُـلَ والـزَّنْـجَـبِـيـلَ ... وريـحَ الـخُـزَامَـى وذَوْبَ العَسلْ

يُـــعَـــلُّ بـــه بَـــــرْدُ أنـيـابِـهـا ... إذا مـا صفا الـكـوكـبُ المعتـدِلْ

وقـــالـــت لـجـارتـهـا هـــل رأيــــ ... ـتِ إذْ أعـرض الـركـبُ فِعْل الرجلْ

ووقع سناد التوجيه أيضاً عند المغيرة بن شعبة في قوله:

إنــمــا مـوضـع سِـــرّ الـمـرْءِ إنْ ... بـــاح بـالـسـر أخـــوهُ الـمـنـتَـصِـحْ

فـــإذا بُـــحْـــتَ بِـسِـــرٍّ فـإلـى ... نـاصـحٍ يـكـتُـمُـهُ أَوْ لاَ تَـبُـحْ

وسناد التوجيه لا يعده البعض عيباً؛ ذلك «أن الحرف الصامت الذي يسبق الروي المقيد ليس له اسم عند الخليل والجمهور، ومن ثم كان الأولى عدم الاهتمام به، بمعنى أنه لا يُبْحَث في كنهه، فلم يُبْحَث في ضبطه»(1)؟

هكذا رأى بعض النقاد أن: «ما يقع فيه الشاعر من سناد التوجيه جائز، لاسيما وأنه يسمح للشاعر بأكثر من ذلك، أعني بعض الترخصات الصرفية والنحوية، إضافة إلى اضطراب هذا العيب في التحديد عند أهل الصنعة، فالخليل عنده قولان، والأخفش يجيز، والنصوص تأتي بعكس ما يقال، أو لا تدل على عدم إحكام التقعيد هنا»(2).

كما وقع الإيطاء في شعرهم مرة واحدة. والإيطاء: أن يتكرر لفظ القافية ومعناها، وهو عيب من عيوب القافية إذا تكرر قبل سبعة أبيات؛ لأنه ضرب من العِيّ، أما إذا تكرر بعد سبعة أبيات فليس بعيب، وإذا تكرر اللفظ دون معناه لم يكن عيباً عند معظم علماء العروض، وجاء ذلك في بيتين لعبد الله بن أراكة الثقفي قال فيها:

يـقـولـون لـي لـمَّـا قَـنَـعْـتُ بِـبُـلْـغَـةٍ ... من العيشِ لا تَقْنَعْ من التِّبْرِ بالصُّفْرِ

وَلَسْتُ بِصُفْرِ القَلْبِ من طَلَبِ العُلاَ ... ولكنَّ يَدِي صُفرٌ من البِيضِ والصُّفْرِ

---

(1) انظر، من علم القافية: 112.

(2) انظر، من علم القافية: 113.

ولا ريب في أن قلة هذه العيوب مَرَدُّها إلى عناية القوم بشعرهم، ولكنها ليست تلك العناية التي عرفها شعراء العصر العباسي، بل هي العناية التي كان عليها سائر العرب منذ الجاهلية إلى آخر عصر بني أمية، ووصفها ابن رشيق بأنها كانت تقوم على النظر في: «فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القافية، وتلاحم الكلام بعض ببعض»[1].

اللغة وأبرز القضايا النحوية:

أما الجانب الثالث الذي يقف البحث عنده في دراسة الخصائص اللفظية لشعر ثقيف؛ فهو جانب اللغة وأبرز القضايا النحوية. ويمكن تناول هذا الجانب من خلال عدة أمور هي: غريب اللغة، والحفاظ على بعض ألفاظها، والتوليد في أبنيتها، والتصرف فيها، ثم التصرف في قواعد النحو.

أ- غرابة الألفاظ ومقارنتها بما عند غيرهم:

عند الحديث عن الخصائص المعنوية في شعر الثقفيين- في الصفحات السابقة- انعطف بنا البحث إلى الحديث عن الألفاظ الغريبة فيه، لننتهي إلى نتيجة هي أن معانيهم تتسم بالوضوح الذي تشوبه بعض الألفاظ الغريبة أحياناً، وأن تلك الألفاظ الغريبة قلما جاءت شديدة الكثافة في شعرهم، بحيث تحجب المعنى أو تجعله غامضاً حتى تزال غرابة الألفاظ[2].

لم يكن الغريب في شعر ثقيف كثيراً كثرته في شعر بني أسد[3]، ولا كثرته في شعر هذيل، ولا كثرته لدى طائفة من شعراء الغريب الذين قال عنهم الأصمعي- فيما نقل أبو أحمد العسكري عنه-: «تقول الرواة والعلماء: من أراد الغريب فعليه بشعر هذيل، ورجز

(1) العمدة: 258 - 267 سبقت الإشارة إلى هذا القول عند الحديث عن وضوح معانيهم، في مبحث الخصائص المعنوية.
(2) انظر ما سبق عند الحديث عن الخصائص المعنوية.
(3) انظر: شعراء بني أسد 1/373-375.

رؤبة والعجاج، وهؤلاء يجتمع في شعرهم الغريب والمعاني، ومن أراد الغريب في شعر المحْدَث ففي أشعار ذي الرُّمَّةِ، ومن أراد الغريب الشديد الثقة ففي أشعار ابن مُقْبِل، وابن أحمر، وحُمَيْد بن ثور الهلالي، والراعي، ومزاحمٍ العقيلي»[1].

فالغريب في أشعار ثقيف بالإضافة إلى ما في أشعار هؤلاء من الغريب قليل جدّاً، وما يطالعنا من الغريب فيه إنما يرجع إلى طول العهد، وترك استعمال تلك الألفاظ، لا إلى تعمُّد شعراء ثقيف الإتيان بها في شعرهم، إلا ما كان من أمية بن أبي الصلت على نحو ما رأينا.

ويظهر أن سبب قلة الغريب في شعر الثقفيين راجع إلى أن وصف الصحراء وحيوانها لم يكن غرضاً بارزاً في شعرهم، كما هو الحال في شعر أصحاب الغريب، وهم يشبهون في ذلك شعراء تغلب[2] وشعراء طيئ[3]. وإن كان صاحب اللسان قد استشهد بقول طريح الثقفي:

غبسٌ خنابسُ كلُّهُنَّ مُصَدَّرٌ   نَهْدُ الزُّبُنَّةِ كالفريش شَتِيمُ

فعده دليلاً من أدلة الغرابة اللفظية، وهذا ما يؤكد من ناحية أخرى أصالة اللسان الثقفي، ورسوخ قدم الشعراء الثقفيين في اللغة.

ب – محافظتهم على اللغة:

نجد في أشعار ثقيف عدداً من الألفاظ التي لم ترد معانيها في المعجمات الواسعة كالعين، وتهذيب اللغة، ومقاييس اللغة، والصحاح، والقاموس، واللسان، والتاج، فشاركوا بذلك في الحفاظ على بعض اللغة من الضياع، فمن تلك الألفاظ ما جاء في قول أمية[4]:

كُمَيْتٌ أَحَالَ اللون ليست بِحَجْرَةٍ   ولا بِخَصِيفٍ ذاتِ لونٍ مُرَقَّمِ

---

(1) المصون في الأدب: 169، وانظر: العجاج حياته ورجزه: 406.

(2) انظر: شعراء تغلب 325/1.

(3) انظر: شعراء طيئ 681/1–683.

(4) كتاب الجيم 216/1، الكميت: ما كان لونه بين السواد والحمرة، الخصيف: ما اجتمع فيه لونان معاً، المرقّم: المُخَطَّط، ذات: صفة لخصيف، والبيت في وصف فرس، انظر: ديوان أمية بن أبي الصلت مع اختلاف في رواية البيت، وموضع الشاهد (حجرة) ليس إلا في كتاب الجيم.

قال أبو عمرو الشيباني: الحَجْرَة: الصغيرة. ولم يرد هذا المعنى في المعجمات.

ومنها ما جاء في قول أمية بن أبي الصلت:

وَسَجَا مَسَافَةَ مَا تَرَى فَأَكَتَّهُ ... لَوْ شَاءَ جَاءَ بِعِلْمِهِ فَتَلَبَّدُوا

قال أبو عمرو الشيباني: الإكتاتُ: الفراغ منه. ولم يرد هذا المعنى في المعجمات، وإنما جاء فيها: كَتَّ القوم يَكتُّهم كتّاً: عَدَّهم وأحصاهم. وفي قول أمية: (فتلبَّدُوا) قال أبو عمرو: أي تَفَرَّشُوا. ولم يرد هذا المعنى في المعجمات.

ومنها ما جاء في قول أمية:

فلما أتتني راعني حِفْشُ بَيْتِهَا ... وإعلابُهَا بالقولِ لا تَتَرَقَّبُ

الفعل (أعلب) ومصدره (إعلاب): لم أجد لهما ذكراً في المعجمات.

ومنها قول يزيد بن الحكم الثقفي:

نَكَأْتَ قُرُوحاً في القُلُوبِ فَأَصْبَحَتْ ... بِرَاءً وهل يُشْفَى عَلَى الثَّنَتِ الْقَرْحُ

قال علماء اللغة في المعاجم ثنت اللحم: تغيَّر وأنتن. وقال أبو عمرو الشيباني: «قد ثَنِتَ القَرْحُ إذا أَدَادَ» أي أصابه الدود والسوس.

ومن ذلك أيضاً قول أبي محجن الثقفي[1]:

فكلنا يَسْتَلِيصُ صاحِبَهُ ... عن نفسه، والنفوسُ في كُرَبِ

فقد أورد أبو محجن الفعل (يستليص)، وهو بمعنى (ألاص الشيء) أي: حرَّكه عن موضعه، وأداره لينتزعه، ولم يرد هذا الفعل في المعجمات.

وقوله[2]:

فيكُمْ مُسْتَيْقِظٌ فَهِمٌ ... قُلْقُلَانٌ، حَيَّةٌ، ذَكَرُ

---

(1) ديوان أبي محجن بشرح أبي هلال العسكري: 51.

(2) ديوان أبي محجن بشرح أبي هلال العسكري: 52.

أورد لفظة (قُلْقُلاَن) بمعنى (القلاقل) وهو الخفيف في السفر، المعوان، السريع التقلب في البلاد، ولم تعُج معجماتنا بهذا المعنى.

ونقف في أشعارهم على ضرب آخر من المحافظة على اللغة، وهو مدى ظهور أثر بعض لغات القبائل فيها. وقد أشار ابن جني إلى أن ذلك مما يفعله الشعراء، وأفرد باباً في كتابه (الخصائص) عن: «الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً»[1]، ففصَّلَ فيه وضرب الأمثلة، فمن هذا أن (السدك) بمعنى: المولع بالشيء؛ لغة خاصة بقبيلة طيئ[2]، وردت في شعرهم[3]، فاستخدم يزيد بن ضبة الثقفي هذا اللفظ بهذا المعنى الذي تستخدمه طيئ فقال:

لَـمْ يَنْسَ سَلْمَى فُـؤَادُكَ السَّـدِكُ   وَكَـيْـفَ تَـصْـبُـو وَأَنْـتَ مُـحْـتَـنِـكُ

وقد استخدم من قبل الأعرجُ المَعْنيُّ الطائيُّ[4] ذلك اللفظ بمعناه في لغة قبيلته فقال:

وَوَدَّعْـتُ الـقِـدَاحَ وَقَـدْ أُرَانـي   بِـهَـا سَـدِكـاً وَإِنْ كَـانَـتْ حَـرَامَـا

وقال سويد بن عدي بن عمرو بن سلسة الطائي[5]:

وَحَـرَّمْـتُ الـخُـمُـورَ وَقَـدْ أرَانـي   بِـهَـا سَـدِكـاً وَقَـدْ كَـانَـتْ حَـرَامَـا

ومن تأثر يزيد بن ضبة الثقفي بلغة طيء قوله:

إذا مَـا بِـنْـتِ لَـم تَـأْوِيْ   لَـصَـبِّ الْـقَـلْـبِ مَـغْـمُـورِ

فقد ثبتت الياء مع الجازم في (لم تأوي)، وهو ما أشار إليه المرزباني حين أورد قول امرئ القيس:

ألا أيـهـا الليل الطـويـل ألا انجلي   بصبح ومـا الإصـبـاح منك بأمثلِ

---

(1) الخصائص 370/1 ومثله في المزهر 262/1.

(2) اللسان والتاج (سدك).

(3) انظر: شعراء قبيلة طيئ 675/1.

(4) انظر: شعراء قبيلة طيئ 670/1.

(5) أمالي القالي: 203/1، وابن منظور اللسان (سدك).

فقال: أي ما الإصباح بخير لي منك، والياء في (انجلي) أثبتها في الجزم على لغة طيئ[1].

لم يكن ظهور أثر لغات القبائل في شعرهم إلا نادراً كما مر في المثالين السابقين، ذلك أن لغة ثقيف فصيحة فصاحة لغة قريش، وقد وصف بعض فصحاء العرب لغة قريش فنفى عنها عدداً من العيوب الظاهرة في لهجات القبائل الأخرى، ولعل الكلام ينطبق على لغة ثقيف.

من ذلك الوصف قوله: «ليست لهم غمغمة قضاعة»[2]، وهي أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف؛ أي أنهم لا يعطون الحروف حقها من مخارجها، فلا يكاد السامع يميز الحروف.

ونُسِبَتْ إلى قضاعة أيضاً ظاهرة أخرى هي العجعجة، وذلك أنهم يحولون الياء جيماً مع العين، فيقول: هذا راعجَّ خرجَ مَعِجْ؛ أي: هذا راعيَّ خرج معي[3]. وذهب بعض العلماء إلى أنهم يفعلون ذلك في الياء المشددة ولم يشترطوا أن تسبقها عين، فيقولون: تميمج؛ أي: تميمي.

والعرب تختلف في لفظ الضمير (أنا) في الوقف والوصل، فذُكِرَ أن قضاعة تقول في الوصل: (آن فعلت) مثل: عان فعلت[4].

وذكر أيضاً أن العرب تلفظ كلمة (اسم) على عدة أوجه، منها (سُمٌ) بضم السين[5].

ومن الظواهر اللهجية عند بعض قبائل العرب أيضاً (الوكم) و(الوهم)، فالوكم «في لغة ربيعة قولهم: عليكِمْ، وبِكِمْ حيث كان قبل الكاف ياءٌ أو كسرة»[6].

والوهم في لغة كلب يقولون: مِنْهِم، وعَنْهِم، ونَبِّئْهِم، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا

---

(1) الموشح: 33.

(2) البيان والتبيان 212/3، وكامل المبرد: 765، ودرة الغوَّاص: 183، واللسان (غمم).

(3) اللسان (عجج).

(4) الجامع لأحكام القرآن: 28/7.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 28/7.

(6) المزهر 222/1 والبلغة في أصول اللغة: 163.

كسرة[1].

ومن لغة كلب، وبني سعد، وبني باهلة؛ أنهم يقولون: (بَنْ والله لا آتيك) يريدون: بل والله، فيجعلون اللام نوناً[2].

وتقول كلبٌ: قِنْيَان، في حين يقول أهل الحجاز: قِنْوان، وتقول قيس: قُنْوان، وتقول تميم وضَّبة: قُنيان[3].

لم يظهر أي أثر لهذه الأمور المتعلقة بلهجات العرب في شيء من شعر ثقيف، ولا ريب أن هذا يرجع إلى أن معظم تلك الأمور ظواهر لهجية لا تظهر إلا بالسماع والتلقي من جهة، ولأن الشعراء كانوا عندما ينظمون شعرهم يرتفعون عن لهجة قبائلهم إلى اللهجة الأدبية العامة، فكيف إذا كانت لهجة ثقيف وقريش هي اللهجة الأدبية العامة التي ترنو إليها الأبصار، وتحاكيها ألسنة الشعراء وقرائح الخطباء في المحافل والمنتديات؟

وإلى جانب تلك الأمثلة التي حافظ فيها شعراء ثقيف على بعض ألفاظ اللغة، أو ظهر فيها أثر من لغات بعض القبائل، يجد القارئ في أشعارهم بعضاً من صيغ الألفاظ التي لم ترد في المعجمات اللغوية الواسعة، وهذا يدل على أنهم ولَّدوا صيغاً جديدة في أبنية اللغة وارتجلوها ارتجالاً، وفي شعرهم جملة صالحة من تلك الشواهد الصرفية.

من ذلك قول أبي محجن الثقفي:

وحتى رَأَيْتُ مُهْرَتي مزْوَئِرَّةً لَدَى الفيلِ يَدْمَى نَحْرُهَا والشَّوَاكِلُ[4]

فقوله: (مزوئرة) أصله (مزوارَّةٌ) فأبدل الهمزة من الألف ثم حركها[5].

ومن ذلك أيضاً استخدام (مفعول) بمعنى (فاعل) كما في قوله:

---

(1) المزهر 222/1.

(2) تهذيب اللغة 394/15 واللسان: (بلل) و(بلا) و(بنن).

(3) اللسان (قنا).

(4) الشواكل: الخاصرة.

(5) أبو محجن الثقفي حياته وديوانه: 104.

وَأَكْشِـفُ الـمأزِقَ المكرُوبَ غُمَّتُهُ وأكـتـم الـسِّـرَّ فـيـه ضـربـةُ الْعُـنُـقِ

فالمكروب (مفعول) بمعنى (فاعل) أي: الكارب(1).

ومن ذلك أيضاً قول الحجاج:

وَحَـلَّ بيَ الخَطْبُ الـذي جَـاءَنِي بِهِ سَمِيعٌ فَلَيْسَتْ تَسْتَقِرُّ الأَضَـالِـعُ

فاستخدم كلمة (سميع) بمعنى (سامع)، مثل: (عليم) بمعنى (عالم).

ومن ذلك قول أبي محجن أيضاً:

أَنَّـى تَـسَـدَّتْ نَـحْـوَنَـا أمُّ يوسُفٍ وَمِـنْ دونِ مَسْرَاهَا فيافٍ مَجَاهِلُ

لم تشر كتب اللغة إلى استعمال فعل (تَسَدَّى) لازماً بمعنى جاز، وإنما أوردته متعدياً فحسب بمعنى: علا، وقهر، وركب(2).

ومن تصرفهم في صيغ الألفاظ قول الفريعة بنت همام الثقفية:

ياليت شعري عـن نفسي أزاهـقـةٌ نفسي ولـم أقضِ ما فيها من الحاجِ

قولها: (من الحاج) جمع حاجة، وتقديره (فَعَلَةٌ وفَعَلٌ)؛ كما تقول هامة وهام، وساعة وساع.

ونجد أن شعراء ثقيف يتصرفون أحياناً في أبنية عدد من الألفاظ، غير أن هذا التصرف ينحصر في عدد من القواعد التي تدخل ضمن ضرائر الشعر المعروفة التي يلجأ إليها أي شاعر عندما يضطر لإقامة الوزن، وقلما خرجوا عن هذه القواعد. فمن ذلك تسكين المتحرك لضرورة الشعر، كما في قول يزيد بن ضبة الثقفي:

وَأَحْــــوَى سَـلِـسُ الـمـرْسَـ ـــنِ مِـثْـلُ الـصَّـدَع الـشَّـعْـبِ

فكلمة (الشعَب) بالتحريك، وهي وصف بالمصدر، فسكنت للضرورة الشعرية.

---

(1) أبو محجن الثقفي حياته وديوانه: 104.

(2) أبو محجن الثقفي حياته وديوانه: 91.

ومن ذلك قول عثمان بن أبي ربيعة الثقفي:

فضَضْنا جمعَهُمْ والنَّقْعُ كائِنْ وقد يعدي على الغدر العقوقُ

فسكن النون في كلمة (كائنْ) للضرورة.

وقد يكون عكس ذلك بتحريك الساكن، كما في قول الفريعة بنت همام الثقفية:

يَا لَيْتَ شِعْرِيَ عَنْ نَفْسِي أزاهِقَةٌ نفسي ولم أَقْضِ مَا فِيها مِنَ الْحَاجِ

فحُرِّكت الياء في كلمة (شعري) للضرورة، وكان حقها أن تسكن.

وكقول ربيعة بن أمية بن أبي الصلت:

هُمُ آباؤُنَا وبَنَوْا عَلَيْنَا كَمَا بُنِيَتْ عَلَى الأَرْضِ السَّمَاءُ

وكقول القاسم بن أمية:

فهُمُ جَنَاحِي إن سألْتُ وناصري وبهم أقوِّمُ ضِغْنَ مَنْ عَادَانِي

فحُرِّكَتِ الميمُ في الضمير (هم) للضرورة، وكان حقها أن تسكن.

وقد يكون التصرف في تسهيل الهمزة؛ كما في قول عبد الله بن أراكة الثقفي:

لَعَمْري لَقَدْ أَرْدَى ابنُ أَرْطَاةَ فَارِساً بِصَنْعَاءَ كاللَّيْثِ الهِزَبْرِ أَبي الأَجْرِ

فسهل الهمزة الثانية في (أرطأة).

وكما في قول ابن الكاهلية الثقفي:

تُمَدَّرُ والْبُرَيْحُ وأُمُّ قَدْحٍ وَمَجْلُوبٌ يُعَدُّ مِنَ الِ حَامِ

فسهل الهمزة من المد في (آل)، وألقى حركتها على الحرف الساكن قبلها وهو نونُ (من)، فالتقى ساكنان في (اال) فحذف إحداهما.

وكما في قول مالك بن عمرو الثقفي يرثي حبيب بن زيد الذي قتله مسيلمة الكذاب:

وقال له الكَذَّابُ تَشْهَدُ أَنَّني رسولٌ فَأَوْمَا: أَنَّنِي لَسْتُ أَسْمَعُ

فسهل الهمزة الثانية في لفظة (أومأ) للضرورة وجعلها (أوما).

ومن ذلك أيضاً قول الحجاج الثقفي:

وكانت أُمورٌ تَعْتَريني كثيرةٌ   فأرضخ أَوَ اعْتَلُّ حيناً فأمنَعُ

وقوله:

أيرضَى بِذَاكَ الناس أو يسخَطُونَهُ   أَمُ احْمَدُ فيهم أم أُلاَمُ فأُقْذَعُ

ففي البيت حذفت الهمزة وألقيت حركتها على الواو قبلها؛ فبدلاً من (أوْ أَعتل) أصبحت (أَوَ اعْتل)، وفي البيت الثاني (أَمُ احْمَد) بدلاً من (أمْ أُحْمد).

وفي قول ابن المغيرة بن الأخنس الثقفي:

فلا نومَ حتى نَسْتَبِيحَ حَريمَكُمْ   ونَخْضِبَ مِنْ أَهْلِ الشَّنَانِ العَوالِيَا

فأصل الكلمة (الشنآن)، فسهل الهمزة وجعلها مدّاً دون همزة، فصارت (الشَّنَانِ).

وقد لا يقف تصرفهم في بنية الألفاظ على تسهيل الهمزة فحسب، وإنما بإبدالها ياءً أيضاً، كما في قول ابن المغيرة بن الأخنس الثقفي:

فَقُلْ في جميعِ الناسِ ما شِئْتَ بَعْدَهُ   فَلَوْ قُلْتَ أَخْطَا الناسُ لم تك خَاطِيَا

فكلمة (خاطئاً) سُهِّلَت فيها الهمزة وأبدلت ياءً للضرورة، فصارت (خاطيا).

وقد يكون تصرفهم في بنية الألفاظ بزيادة (ما) للضرورة؛ كما في قول يزيد بن ضبة الثقفي:

لَوْ كَانَ مَا وَاحِداً هَوَاكَ لَقَدْ   أَقْصَرْتَ لكِنْ هَوَاكَ مُشْتَرَكُ

وقد يكون تصرفهم بزيادة (النافي)؛ كقول أمية بن أبي الصلت الثقفي[1]:

---

(1) عقد الإمام السيوطي في كتابه (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) فصلاً بعنوان: الضرائر، جمع فيه من الأمور التي تجوز لضرورة الشعر، ولا تجوز في غيره، وذكر من بينها شاهداً لأمية الثقفي، انظر: همع الهوامع 348/5 رقم الشاهد 1754.

طعامُهُمُ إذا أكَلُوا مُهَنّاً وَمَا إنْ لاَ تُحاكُ لَهمُ ثيابُ

وقد يكون تصرفهم في اسم الرجل، فيشتق من اسمه اسما آخر كقول أبي محجن الثقفي[1]:

أَبْلِغْ لَدَيْكَ أبا حفصٍ مُغَلْغَلَةً عَبْدَ الإِلَهِ إذا ما غَارَ أَوْ جَلَسَا

قال أبو هلال العسكري:

عبدُ الإله، يعني: عمر، وذلك أن كل خليفة يتواضع بهذا الاسم، فيكتب من عبد الله أمير المؤمنين، ولم يستو لأبي محجن أن يقول: عبد الله، فقال: عبد الإله[2].

وقد يكون تصرفهم بزيادة اللام وإدخالها على خبر الابتداء، كما في قول عنترة بن عروس الثقفي:

أُمُّ الْحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ[3]

فإدخال اللام على الخبر (عجوز) ضرورة لا يقاس عليها، والوجه أن يقال: لأم الحليس عجوز شهربة؛ كما يقال لزيد قائم. كما ذكر صاحب اللسان.

ج- التصرف في قواعد النحو:

لا يختلف تصرف شعراء ثقيف في قواعد النحو عن تصرفهم في أبنية الألفاظ، إذ يغلب عليه كونه منحصراً في عدد من القواعد التي تدخل ضمن ضرائر الشعر المعروفة، التي يلجأ إليها الشاعر لإقامة الوزن.

وقد أورد ابن السيد البطليوسي كلام أبي القاسم وعده باباً في (ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر)، قال أبو القاسم: يجوز للشاعر صرف ما لا ينصرف، وقصر الممدود، ولا يجوز له مد المقصور، ويجوز له إظهار المدغم، وإلحاق المعتل بالصحيح،

(1) ديوان أبي محجن الثقفي بشرح أبي هلال العسكري: 25.

(2) ديوان أبي محجن الثقفي بشرح أبي هلال العسكري: 25.

(3) انظر اللسان (حلس)، وقد استشهد بهذا الرجز ابن فارس في الصاحبي: 146 وكثير من كتب النحو، مثل: شرح ابن عقيل 283/1 الشاهد رقم (101).

وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وحذف الياء والواو إذا كان ما قبلهما دليلاً عليهما وكانا زيادة في مضمر، وتذكير المؤنث الذي ليس بحقيقي، وتشديد المخفف، وتخفيف المشدد، وحذف الهمزة وتخفيف الهمزة قبلها ياء أو واواً أو ألفاً. وقطع ألف الوصل، ووصل ألف القطع وإلقاء حركتها على ما قبلها، وترخيم ما ليس بمنادى، وإسكان الياء والواو في حال النصب، والنصب بالفاء في الواجب، وحذف الفاء من جواب الجزاء، وحذف الياء والواو من هاء الإضمار وإسكانها بعد ذلك، وإبدال حروف المد واللين من الحروف المضاعفة[1].

وقد وقع كثير من هذه الضرائر في شعر الثقفيين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

صرف ما لا ينصرف؛ وهو أمر مألوف عند شعراء العرب جميعهم، وأكبر الظن أنه لا يكاد يخلو منه ديوان شاعر، وهذه الضريرة حسنة جائزة عند الجميع؛ لأنها تعود بالاسم إلى الأصل وهو الصرف[2].

من ذلك مثلاً قول حفيد ابن أبي العنبس الثقفي:

رَحَلُوا وَكُلُّهُمُ يَحِنُّ صَبَابَةً ... شَوْقاً إلى مصرٍ وَدَارِي بِالْحَرَمْ

فصرف (مصر) وهي اسم ثلاثي ساكن الوسط ممنوع من الصرف لكن ذلك جائز للضرورة الشعرية.

قول عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي:

أَلَمْ تَهْرُبْ بنَفْسِكَ مِنْ عَلِيٍّ ... بِصِفّينٍ وَأَنْتَ بِهَا ضَنِيْنُ

فصرف كلمة (صفين) وحقها أن لا تصرف، لكن ذلك جائز للضرورة الشعرية.

ومنه أيضاً قول عبد الله بن أراكة الثقفي:

---

(1) الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: 377.

(2) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 332/1.

مِـنْ خَـيْـرِ مَـا ادَّخَــرَ الـكـرامُ مدائحٌ   تَـبْـقَـى لِـصَـاحِـبِـهـا عـلـى الـدَّهــرِ

فـ (مدائح) ممنوع من الصرف؛ لأنه جاء على صيغة منتهى الجموع، وكل ما جاء على وزن (مفاعل) أو (مفاعيل) سواءٌ أكان مبتدئاً بميم أم غير مبتدئ بها، فإن العرب تمنعه من الصرف في كلامها إلا أن يضطر الشاعر إلى ذلك.

والشاعر عندما يلجأ إلى هذا الضرب من التصرف في قواعد النحو فيصرف ما لا ينصرف؛ إنما يرده إلى أصله الذي أُخرج عنه لعلة من العلل المانعة للصرف، ولذلك ساغ هذا التصرف من الشعراء وكثر عندهم[1]، في حين تقبح الصورة المعاكسة عندما يمنع الشاعر اسما مصروفاً من الصرف، لأنه يخرج بذلك من الأصل إلى الفرع، إذ الأصل في الأسماء أن تكون مصروفة، ولذلك اختلف البصريون والكوفيون في جواز ترك صرف ما لا ينصرف، فأجازه الكوفيون وبعض البصريين، ومنعه أكثر البصريين، لكن ورود ذلك في أشعار العرب يُرجِّحُ جوازه في ضرورة الشعر[2].

ودرج النحاة على أن (سبحان) تلازم النصب على المصدرية من أجل قلة التمكن، وحذف التنوين منها؛ لأنها وضعت علماً للكلمة فجرت في المنع من الصرف مجرى عثمان ونحوه، ومعناها البراءة والتنزيه، وساقوا لذلك التقعيد قول الأعشى[3]:

أقــــولُ لـمَّــا جَــاءَنـــي فَـخْــرُهُ   ســبـحـانَ مِــنْ عَـلْـقَـمَـةَ الـفـاخِـرِ

حتى جاء أمية بن أبي الصلت الثقفي بقوله[4]:

سُـبْـحـانَـه ثـم سُـبْـحَـانـاً يَـعُـودُ لَـهُ   وقَـبْـلَـنَـا سَـبَّـحَ الـجُـودِيُّ والـجُـمُـدُ

فكان الشاهد في بيت أمية قوله: (سبحاناً)، وتنكيره وتنوينه ضرورة. والأصل فيه أن يضاف إلى ما بعده، أو يُجعَلَ مفرداً كما تقدم في بيت الأعشى، ووجه تنكيره وتنوينه أن

---

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 332/1.

(2) الضرائر لابن عصفور: 24–25.

(3) انظر: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب: 213، 214.

(4) همع الهوامع 115/3 وشرح الرضي على كافية ابن الحاجب 196/4 رقم الشاهد: 640.

يشبَّه بـ (براءةً)[1].

حذف (لا) من الكلام؛ وذلك في قول أبي محجن الثقفي عن الخمر[2]:

فلا والله أشربها حياتي ... ولا أسقي بها أبداً نديما

الشاهد في قوله (أشربها). قال ابن الأثير: يريد: لا أشربها، فحذف (لا) من الكلام، وهي مفهومة منه[3].

ومن ذلك أيضاً قول المغيرة بن الأخنس:

واللهِ أَتْرُكُهُ مَادَامَ بِي رَمَقٌ ... حَتَّى يُزَايلَ بين الرَّأْسِ والعُنُقِ

أي: لا أتركه.

وقول عبد الله بن سعيد الثقفي:

واللهِ أنفكُّ فيكُمْ هَكَذَا أبداً ... بالْقَتْلِ حَتَّى تُخَلُّوا جَانِبَ الشَّامِ

أي: لا أنفك.

هكذا تصرف شعراء ثقيف في أبنية الألفاظ وفي قواعد النحو، ولم يكن تصرفهم كثيراً إلا فيما أكثرت منه العرب، وهذا من الأسباب التي جعلت الاستشهاد بشعرهم في كتب النحو قليلاً، بخلاف أمية بن أبي الصلت الثقفي، وإنما يبدو الفرق شاسعاً بين شعراء القبيلة وشعراء القبائل الأخرى كالأعشى، والعجاج، ورؤبة، والفرزدق، يضاف إلى ذلك أسباب أخرى تتعلق بعدد الشعراء المُبَرَّزين في ثقيف، وبالمستوى الفني وطول النفس، وبعد القبيلة عن حركة الرواية في مدرستي البصرة والكوفة.

(1) تحصيل عين الذهب: 214.

(2) ديوان أبي محجن بشرح العسكري: 53.

(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر 363/2.

روى السيوطي نصاً لغوياً عن أبي نصر الفارابي ذكر فيه القبائل العربية التي أخذ عنها العلماء، وتلك التي لم يأخذوا عنها فذكر منها: تغلب، وبكر، وعبد القيس،.. ثم قال: «ولا من ثقيف وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم»[1].

وما ذكره الفارابي من أن اللغة لم تؤخذ عن ثقيف- وإن كان صحيحاً في تعليله- قولٌ مردود؛ لأن التطبيق يخالفه وينقضه، فلقد ظل شعر الثقفيين مرجعاً لبعض العلوم العربية، شاهداً على قوة لغة ثقيف وتمكنهم من العربية، اعتمد عليه المفسرون، واللغويون، والنحاة، والبلاغيون، واستخرجوا منه شواهد تفسر الآيات، وتؤصل للغة، وتَقَعِّد للنحو، وتدعم آراءهم، وتؤيد مذاهبهم.

لغة ثقيف لغة حجازية مشهود لها بالتميز بين العرب، وقد حفلت بها كتب اللغة، فأوردت كثيراً من أشعارهم التي عُدَّتْ شواهد لتفسير الألفاظ وبيان الغريب؛ فالمفسرون- عادة- يرجعون إلى الشعر العربي إذا أُشْكِل عليهم فهم لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، تحقيقاً لما روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- الذي قال: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الكريم الذي أنزله الله بلغة العرب؛ رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك»[2].

وكان ابن عباس قد سئل يوماً عن (الحرج) فقال: إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر؛ فإن الشعر عربي[3].

لهذا كان الشعر العربي كله- والشعر الثقفي في القلب منه- مرجعاً للمفسرين، وشاهداً للغويين، حيث استشهد القرطبي- وحده- في تفسيره بأكثر من خمسة وعشرين بيتاً للشعراء الثقفيين، في أكثر من خمسة وعشرين موطناً في القرآن الكريم، مبيّناً بهذا الشعر ما خفي من اللغة، وما أشكل من الغريب، وما كان «وراء الظواهر اللغوية والنحوية، والقراءات القرآنية، والتراكيب البلاغية، رغبة منه في توضيح المعنى اللغوي، وإسناد التركيب النحوي، وتقوية

(1) المظهر 128/1.

(2) الإتقان في علوم القرآن 55/2.

(3) الإتقان في علوم القرآن 55/2.

التعبير البلاغي، وتصحيح القراءة القرآنية»[1].

وكذلك صنع المفسرون الآخرون: فقد استشهد السيوطي في (الدر المنثور) بثمانية عشر بيتاً، والألوسي في (روح المعاني) بخمسة عشر بيتاً، والثعالبي في تفسيره بأربعة عشر بيتاً، والطبري وابن عطية في تفسيريهما بأحد عشر بيتاً في كل منهما.

وفي مسائل نافع بن الأزرق مما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة[2]: ستة عشر بيتاً من أبيات الشعراء الثقفيين، استأنس بها العلماء في تفسير آيات القرآن الكريم.

قال تعالى[3]: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾.

الواصب: الدائم، قال أمية الثقفي[4]:

وَلَــهُ الــدِّيْــنَ وَاصِــبــاً وَلَــهُ المُلْـ ـــكُ وَحَــمْــدٌ لَــهُ عَـلَـى كُــلِّ حَــالِ

ومن المسائل النحوية التي استشهدوا فيها بالشعر الثقفي مسألة الاستغناء بالصلة عن الموصول، أو بالصفة عن الموصوف:

وقد ورد ذلك في بيت شعر لأبي محجن الثقفي في قوله[5]:

مَنْ يَرْكبِ البحرَ والبُوصِيّ مُعْتَرِضاً إلى حَضَوْضَى فَبِئْسَ المرْكَبُ الْتَمَسَا

فقوله: (فبئس المركب التمسا) يصلح شاهداً على الاستغناء بالصلة عن الموصول، أو بالصفة عن الموصوف– في باب نعم وبئس– مع حذف المخصوص، وتقديره: بئس المركبُ الذي التَمَسَه، أو بئس المركبُ مَرْكَبٌ الْتَمَسَه.

وهذا شاهد ثمين نادر يروق النحاة[6]، وعليه الحديث الذي رواه البخاري «ولنعم

(1) انظر: مقدمة الدكتور عبد العال سالم في: الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي.

(2) انظر: معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري، ومُلْحَقاً به مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، الصفحات من 238– 289.

(3) النحل: 52.

(4) أضواء البيان 384/2.

(5) ديوان أبي محجن الثقفي: 24.

(6) أبو محجن الثقفي حياته وديوانه: 103.

المجيءُ جاءَ»[1].

ومنها جواز حذف الهاء من الفعل إذا نُعِتَ به الاسم، ومثال ذلك ما أنشده الحارث ابن كَلَدَة الثقفي:

وَمَا أَدْرِي أَغَيَّرَهُمْ تَنَاءٍ ... وَطُولُ الْعَهْدِ أَمْ مَالٌ أَصَابُوا

استشهد به النحاة على حذف الهاء من الفعل إذا نُعِتَ به الاسم، ولو نصب هنا الاسم على أن يجعل الفعل خبراً لا وصفاً لجاز، وكان يكون التقدير: وما أدري أغيرَّهم تناءٍ أم أصابوا مالاً فغيرهم، إلا أن حَمْلَه على الوصف أحسن، ليكون الاسم بعد (أم) محمولاً على الاسم المتصل بـ (غيرَّهُم)[2].

إذن الشاهد في قوله (أصابوا)، حيث وقعت هذه الجملة صفة للنكرة قبلها وهي قوله: (مال)، وحذف منها الضمير الذي لابد منه في ربط الصفة بالموصوف[3].

ومنها: دخول (ربَّ) على النكرة ولزوم العمل فيها مثل: لا النافية للجنس؛ ذكر النحاة شاهدين في قول غيلان بن سلمة الثقفي لزوجته، وقد أنكر منها أخلاقها:

يا رُبَّ مثلِكِ في النساءِ غَريرَةٍ ... بَيْضَاءَ قَدْ متَّعْتُهَا بِطَلَاقِ[4]

الشاهد الأول: أن (مثلك) نكرة، وإن عُرِّفت لفظاً بإضافتها إلى الضمير؛ بدليل دخول (ربَّ) عليها.

الشاهد الثاني: أن (رُبَّ) تلزم العمل في النكرة، كما تلزم (لا) النافية للجنس. فـ(سِيَّ) مع (لا) النافية للجنس في (لاسيما) بمنزلة (مثل).

وقد عملت (لا) كما عملت (رُبَّ) في (مثل) في بيت غيلان بن سلمة[5]

---

(1) شواهد التوضيح: 107، 110.

(2) انظر: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب: 107، والأزهية: 146.

(3) انظر: شرح ابن عقيل 169/3 الشاهد رقم (287) و(200).

(4) الغريرة: المغترة بلين العيش الغافلة عن صروف الدهر، متعتها بطلاق: أي أعطيتها شيئاً تستمتع به عند طلاقها، انظر: تحصيل عين الذهب: 242.

(5) انظر: كتاب سيبويه 212/1، 350 (بولاق)، شرح المفصل 125/2، والمقتضب 289/4.

ودخول (ربَّ) على (ما) مع تقدير هاء محذوفة عائدة عليها من جملة الصفة؛ فقد حفلت كتب النحو بقول أمية[1]:

رب ما تكره النفوس من الأَمْ ... رِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ

الشاهد فيه: دخول (رُبَّ) على (ما)؛ لأنها نكرة في تأويل شيء، والعائد عليها من جملة الصفة هاءٌ محذوفةٌ مقدرةٌ.

والمعنى ربَّ شيءٍ تكرهُهُ النفوسُ من الأمورِ الحادثةِ الشديدة، وله فَرجَةٌ تُعقِبُ الضيقَ والشدةَ كَحَلِّ عِقالِ المقَيَّد.

وبما أن (ما) نكرة بتأويل شيء، لذلك دخلت عليها (رُبَّ) كونها لا تعمل إلا في النكرة، ولا تكون (ما) ها هنا كافّة؛ لأن في (تكرهُ) ضميراً عائداً عليها في النية، ولا يُضمر إلا الاسم، وكذلك الضمير في (له) عائدٌ عليها أيضاً. و(ما) ها هنا اسم، وليست حرفاً بدليل أنه قد عاد إليها ضمير وهو الهاء في قوله (له فرجة)، والحرف لا يصح عود الضمير إليه[2].

وجواز النصب والرفع للمضارع الواقع بعد (أنْ) المخففة المسبوقة بفعل فيه معنى التحقق والتيقن؛ قال أبو محجن الثقفي في وصيته المشهورة:

ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلَاةِ فإنني ... أخَافُ إذَا مَا مِتُّ أَنْ لاَ أَذُوقُها

استشهد النحاة به على أن «أنْ» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير شأن محذوف؛ لأنها سبقت بفعل فيه معنى العلم والتيقن[3]؛ أراد: أني لا أذوقُها. وقال غير البصريين إن (لا) في هذا الموضع بمعنى ليس، كأنه قال: أن لست أذوقها، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾[4] معناه: أن ليس تكون فتنة[5].

وهناك حذف ضمير الشأن كما في قول أمية بن أبي الصلت:

---

(1) انظر: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب: 281، والأزهية: 80.

(2) انظر: إيضاح شواهد الإيضاح: 309/1.

(3) انظر: الأزهية: 61، ومعاني القرآن 146/1، 265، وشرح الكافية: 233/2، والهمع 89/4.

(4) المائدة: 71.

(5) الأزهية: 61.

ولـكـنَّ مَـنْ لاَ يَـلْـقَ أَمْـــراً يَـنُـوبُـهُ بِـعُـدَّتـهِ يَـنْـزِلْ بِـهِ وَهْـوَ أَعْـزَلُ

يريد: ولكنه، فحذف، والمجازاة بـ (مَنْ).

ومن ذلك أيضاً قول يزيد بن الحكم الثقفي:

فَـلَـيْـتَ كَـفَـافـاً كـان خـيـرُكَ كُـلُّـهُ وَشَـرُّكَ عَنّي مَا ارْتَـوَى الماءَ مُرْتَوِ

حذف الضمير من (ليت) والتقدير: فليته؛ أي: فليت الأمر أو الشأن.

ومثال حذف (أَنْ) المصدرية من خبر كاد وأخواتها قول أمية بن أبي الصلت:

يُـوشِـكُ مَـنْ فَـرَّ مِـنْ مَـنِـيَّـتِـهِ فـي بَـعْـضِ غِـرَّاتِـهِ يُـوَافِـقُـهَـا

حيث أتى بخبر (يوشك) الذي هو مضارع (أوشك) فعلاً مضارعاً مجرداً من (أَنْ) المصدرية[1].

ومن الاستشهاد في المسائل البلاغية ما ذهب إليه القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[2] بقول أمية:

الخيطُ الابيضُ ضَوْءُ الصبحِ مُنْفَلِقٌ والخَيْطُ الاسودُ جُنْحُ الليلِ مكتومُ

قال القرطبي: وسمي الفجر خيطاً؛ لأن ما يبدو من البياض يرى ممتداً كالخيط، قال الشاعر: الخيط الابيض.. والخيط في كلامهم عبارة عن اللون.

واستشهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾[3] ببيت عبد الله بن أراكة في رثاء النبي ﷺ؛ أي قوله: (أحبه عليٌّ وعباسٌ وآل أبي بكر) ويريد جمع المؤمنين:

ولا تَـبْـكِ مَـيْـتـاً بَـعْـدَ مَـيْـت أَحَـبَّـه عـلـيٌّ وعـبـاسٌ وآلُ أبــي بـكـرِ

قال القرطبي: قيل: آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط. وقيل: آل إبراهيم

(1) شرح شذور الذهب: 352، 353، وشرح ابن عقل 258/1 الشاهد رقم (90).

(2) البقرة: 187.

(3) آل عمران: 33.

نفسه؛ وكذا آل عمران....، وقال الشاعر: (ولا تبك...).

واستشهد في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1] ببيت غيلان بن سلمة الثقفي:

فإني بحمدِ الله لاَ ثوْبَ فاجرٍ لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

وفسَّرَ الآية بقوله: «طَهِّرْ قلبَكَ من الغَدْر؛ أي: لا تغدر فتكون دنس الثياب»، وهذا مروي عن ابن عباس، واستشهد بقول غيلان[2].

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، إن هي إلا إشارات وإضاءات، بعضها متمنّىً فات، وكثير منها لا يزال في بطون المؤلفات، فشعر ثقيف فيه شواهد أُخَرُ كثيرةٌ تصلح للاستشهاد والاحتجاج في شتى ضروب العربية وعلومها، أَضْرِبُ عنها صفحاً مخافة الإطالة والسآمة، وإن كان ما تم إيراده يدل على ما تتمتع به أشعار الثقفيين من ثقة وقوة لأَنْ يَحْتّج بها العلماء، ويأخذوا عنهم اللغة مطمئنين.

---

(1) المدثر: 4.

(2) الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي: مج 3 ج 174/5.

الخاتمـة

بعد أن تشعَّبَتْ بي طرقُ البحثِ عن القبيلة وشعرِها، أُجْملُ هنا أهم ما انتهيْتُ إليه من نتائجَ وما توصلتُ إليه من أحكام:

– قبيلة ثقيف قبيلة عربية أصيلة، ذات شرف وسيادة في العصر الجاهلي وما تلاه، سكنت وادي وج بالطائف، ينتهي نسبها إلى قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، تضاربت آراء النسابين في تحديد أصلها وقد عرضت آراءهم، وبسطت القول في سبب ذلك الاختلاف، ورجحت بين الآراء، ثم جمعت بين القولين المرجوحين. ثم وقفت عند بطون القبيلة؛ فقسي (ثقيف) أنجب ابنين هما (جشم) و(عوف) وابنة تسمى (المسك)، فأما المسك فتزوجها (قاسط) فولدت له (وائلاً) أبا بكر بن وائل، وأما (جشم) فولد (حطيط) و(غاضرة)، وأما (عوف) فهم الأحلاف لتحالفهم مع (غاضرة) على (بني مالك). فثقيف بطنان: بنو مالك والأحلاف.

– أن (ثقيف) اصطلت بنار الحرب في سبيل البقاء، أو بسبب التحالفات الداخلية، فكانت لها أيام معروفة تعرض البحث لها، ثم إنها شاركت العرب في حروبها ونزاعاتها كحروب الفجار، وقد وصفوا ذلك في بعض أشعارهم.

– بيئة الطائف التي سكنتها ثقيف توافرت لها من أسباب العيش ما لم يتوافر لغيرها من البيئات، فعاشوا عيشة رغيدة، وتدفقت عليهم الأموال الكثيرة، والخيرات الوفيرة، وكان الشعر الثقفي صورة لتلك البيئة الجميلة الناعمة، التي تمثل فيها رقي المجتمع الثقفي وثراؤه، وأنفته واعتداده، وعاداته، وبلوغه مبلغ السيادة في البطون القرشية، ثم وثقت المصاهرات عرى القبيلتين (قريش وثقيف)، وثقيف عاشت حياة العرب الاجتماعية بعاداتها وتقاليدها كاملة، إلا أنه لم يعرف عنها عادة وأد البنات.

– عاشت ثقيف حياة دينية وثنية تعبد الأصنام وتعظمها، وكان لهم صنمهم الخاص الذي

يقال له (اللات) منصوباً في الطائف، يعظمونه، ويقدسونه، ويطوفون به، ويُهدون إليه الهدايا والنذور، ولما جاء الإسلام ورحل إليهم النبي ﷺ داعياً ومستنصراً، كذبوه وآذوه، وطردوه، واستمر هذا الإيذاء قبل الهجرة وبعدها، ثم وقفوا مع هوازن صفّاً واحداً في معركة حنين، فحاصرهم النبي في طائفهم، ثم تركهم يتجرعون آثار ما بعد الحصار، إلى أن أتوا إليه طائعين مسلمين، عاقدين معه صلحاً، انتهى بحصولهم على كل ما كانوا يحلمون به، وبإسلامهم بعث رسول الله المغيرة بن شعبة وأبا سفيان لهدم اللات، فانتهت بذلك الوثنية من الجزيرة العربية.

– أن الثقفيين نأوا بأنفسهم عن الخلافات والتحالفات؛ فوقفوا مناصرين للخلفاء الراشدين والأمويين، فكانوا موضع تقدير منهم فأدنوهم، ومحل ثقة فاستعانوا بهم في تثبيت أركان الدولة، وفي حروب المرتدين، وفي الفتوحات، وفي إمرة الأمصار وإدارتها، وفي قيام الدولة الأموية والاعتراف بخلافة معاوية، وفي تهدئة الثائرين، وحقن دماء المسلمين، وفي التوفيق بين القبائل، وغير ذلك من أعمال لتأمين الجبهة الداخلية.

– الشعر الثقفي صورة عن بيئة الطائف، وهو يدل على فصاحة الثقفيين وقوة لغتهم، لكن ضياع شعرهم وإهمال الرواة له؛ كان أهم أسباب غياب هذا الشعر عنا، وعدم وصوله إلينا.

– نال الشعر الثقفي الحظوة عند القدماء فأطْرَبَهُمْ وأَمَالَهُمْ، فشهدوا له بالجودة والسبك والإتقان.

– أهم المصادر التي جَمَعَتْ أشعارهم، هي كتب التراجم المختلفة، تليها كتب الاختيارات الشعرية المختلفة.

ويشيع في شعرهم الاضطراب في نسبة عدد من نصوصه كما أصاب شعر غيرهم، فمنه ما اضطربت نسبته بين شعراء ثقيف أنفسهم، ومنه ما اضطربت نسبته بين شعراء ثقيف وغيرهم.

- اتسمت أشعار ثقيف بوضوح المعاني وبساطتها، وبعدها عن التعقيد والتكلف، وهذا الوضوح قلما حجبته الألفاظ الغريبة التي تصادفنا في الشعر القديم، إلا بعض الألفاظ في شعر أمية بن أبي الصلت، ويزيد بن ضبة، وطريح، فثمة أبيات لهم يسودها التوعر والجفاء.

- اعتمد الشعراء الثقفيون عدداً من الأمور التي أسهمت في توضيح معانيهم، فكانت الصــور البيانية- بأضربها المختلفة من تشبيه، واستعارة، وكناية- سبيلهم لذلك، وقد استمدوها من الطبيعة والبيئة التي يعيشون فيها، واعتمدوا على المحسنات المعنوية من طباق، ومقابلة، وتكرار في توضيح معانيهم. وقد اتسمت أيضاً بالعفوية، والبعد عن التكلف، وهي سمة عامة للصنعة في الشعر الجاهلي إلى عصر بني أمية.

- استقى الشعراء الثقفيون معانيهم من روافد شتى، فنهلوا من أمثال العرب، وأشعارها، ومعتقداتها، وأوابدها، وعاداتها، ثم كان الإسلام بمفاهيمه وتعاليمه وكتابه معيناً ثراً لهم، هذا وقد تأثر الشعراء الثقفيون بغيرهم، وأَثَّروا هم فيمَنْ بَعْدَهُم.

- إن الشعراء الثقفيين نادراً ما اتبعوا في بناء نصوصهم المنهج التقليدي للقصيدة العربية، وأنهم تخلَّوْا عنه في أحايين كثيرة. وقد أنشأوا قصائد ولجوا فيها إلى الموضوع مباشرة دون أية مقدمات، وهذا كثير في شعرهم. ويغلب منهج المقطعة- التي لا تزيد على ستة أبيات- على سائر شعرهم.

- في الشعر الثقفي عدد من العناصر الموسيقية التي وفَّرت لشعرهم موسيقا داخلية رَفَدَتْ الموسيقا الخارجية (الوزن والقافية)، وهي ما أسماها علماء البلاغة المحسنات اللفظية؛ فكان من أهمها: الجناس، ورد العجز على الصدر، ولزوم ما لا يلزم، والتصريع، وحسن التقسيم.

- نظم الثقفيون أشعرهم على أوزان عديدة، فاتسعت بحورهم الموسيقية لكل الأغراض الشعرية التي تحدثوا عنها، وقد نظموا على أحد عشر بحراً من بحور الشعر الستة عشر، ولكنهم أكثروا من النظم على الطويل، فالبسيط، فالوافر، فالرجز، فالكامل، فالخفيف،

فالهزج، فالمتقارب، فالسريع، فالمنسرح، فالرمل.

- والملاحظ أنهم أكثروا من استخدام حروف الرويّ السهلة: الراء، والباء، واللام، والميم، والدال، وهي الحروف التي أكثر العرب من اتخاذها رويّاً، لسهولة مخارجها وجمال جرسها.

- في شعر الثقفيين عدد من عيوب القافية التي نص عليها القدماء: كالإقواء، والسناد، والإيطاء، وهي قليلة الأمثلة، بحيث لا تبلغ أن تكون ظاهرة واضحة في شعرهم.

- إن الغريب عند بعض شعراء ثقيف كأمية، وطريح، ويزيد بن ضبة كان كثيراً، فكثر الاستشهاد به في كتب اللغة، والنحو، والشواهد.

- في الشعر الثقفي طائفة من الشواهد في باب الحفاظ على اللغة والتوليد في أبنيتها، وهي قليلة.

- أن تصرفهم في الألفاظ كان يأتي غالباً ضمن قواعد محددة أجازها العلماء، وعدوها من باب الضرائر الشعرية التي جاءت في أشعار العرب.

- أن العلماء استشهدوا بكثير من شعر ثقيف في كثير من قضايا اللغة، والنحو، والبلاغة، وامتلأت التفاسير والمعاجم، وحفلت كتب النحو والشواهد بأشعار أمية، وغيلان، وأبي محجن، وطريح، ويزيد بن الحكم، ويزيد بن ضبة وغيرهم، فكان يُحْتج بشعرهم على نحو ما ظهر في البحث، خلافاً لما ذهب إليه أبو نصر الفارابي.

وبعد: فإن هذا البحث بمجموعه قد سعى إلى جمع كل أشعار القبيلة واستقصائها، وجاء قسم الدراسة نتيجة لما اجتمع في الديوان، وقد أنفقت في سبيل ذلك مالاً لُبَداً، ووقتاً وجهداً، وعلى الرغم من ذلك فإني لا أزعم أن ما اجتمع لديَّ يمثل كل أخبارهم وأشعارهم، ولكن تبقى نتائج هذا البحث رهْناً بما فيه، ريثما تظهر أخبار وأشعار جديدة، لتؤكد أو تقوِّم أو تغيِّر شيئاً مما سبق عرضه من أحكام.

ولا يزال هناك شعر لثقيف يحتاج إلى التنقيب عنه وإخراجه من مخابئه؛ مثل شعر يزيد

ابن ضبة الذي كان له ألف قصيدة، فاقتسمها شعراء العرب فيما بينهم، وشعر يزيد بن الحكم وغيره يحتاج إلى وقفات متأنية، ربما يوفق غيري من الباحثين لها مستقبلاً.

وفي نهاية الأمر أردد مع ابن سلام أنه: «لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وساداتها»، وأهتف مع ابن قتيبة قائلاً: «الشعراء المعروفون بالشعر عند قبائلهم وعشائرهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط، ويقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفق عمره في التنقير عنهم، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال».

لكني أخلصت في كل ذلك النية، وإنما لكل امرىء ما نوى.

الديوان

أولاً: الثقفيون الجاهليون وأشعارهم

ابن الذِّئْبة الثقفي[1]

-1-

قال[2]: [الرجز]

1 إنـــي لِــمَــنْ أنْــكَــرَنــي ابــنُ الـذيـبَـهْ

2 كــريــمــةٌ عَــفِــيــفَــةٌ مَــنْــسُــوبَــهْ

-2-

قال[3]: [المتقارب]

1 لَـعَـمْـرُكَ مـا لِـلْـفَـتـى مِــنْ مَـفَـرّ مَـعَ الـمَـوْتِ يَـلْـحَـقـهُ وَالْكِبَرْ[4]

2 لَـعَـمْـرُكَ مَـا لِـلْـفَـتَـى صُـحْـرَةٌ لَـعَـمْـرُكَ مَـا إنْ لَـهُ مِـنْ وَزَرْ[5]

---

(1) هو ربيعة بن الذئبة، والذئبة لقب أمه، فنسب إليها، واسمها قِلاَبة وهي امرأة من فهم، وأبوه عبد ياليل بن سالم بن مالك ابن حطيط بن جشم بن قسي؛ وهو ثقفي، شاعر فارس جاهلي. المؤتلف والمختلف للآمدي: 120، كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء لابن حبيب 8، نوادر المخطوطات 337/2، الأعلام للزركلي 9/3.

(2) الرجز عند ابن حبيب فيمن نسب إلى أمه من الشعراء: 8، 9، في نوادر المخطوطات 100/1.

(3) نقل ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق أن رجلاً يقال له: دَوْس ذو ثُعْلبان– ويقال هو جبار بن فيض، والأصح الأول– من سبأ، كان قد أَفْلَتَ على فرسٍ له، فسلك الرمل فأعجز أهل نجران، ومضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصر ملك الروم، فاستنصره على ذي نواسٍ وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بَعُدَتْ بلادك منَّا، ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره، والطلبَ بثأره. فقدم دَوْس على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة، وأمَّرَ عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط، ومعه في جنده أبرهة الأشرم، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دوس ذو ثعلبان، وسار إليه ذو نواس في حمير، ومن أطاعه من قبائل اليمن؛ فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجَّه فرسه في البحر، ثم ضربه فدخل به، فخاض به ضحضاح البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرِه فأدخله فيه، وكان آخر العهد به، ودخل أرياط اليمن، فملكها، فكان ابن الذئبة ممن قال أبياتاً في ذلك؛ انظر: سيرة ابن هشام 70/1–73.

والأبيات لابن الذئبة ربيعة بن عبد ياليل الثقفي في سيرة ابن هشام 72/1، 73، وتاريخ الطبري 262/1، ومحاضرة الأبرار 49/2، والبيت الأول في مجاز القرآن 277/2.

(4) في تاريخ الطبري: (مقر) مكان (مفر)، وفي مجاز القرآن: (وَزَرْ من الموت ينجيه والكبر).

(5) في محاضرة الأبرار: (صخرةٌ).

الصُّحرة: المتَّسَع، والوَزَرْ: الملجأ.

3 أَبَــعْــدَ قَـبَـائِـلَ مِــنْ حِـمْـيَـرٍ أُبِـيـدُوا صَـبَـاحاً بِـذَاتِ الْعَبَرْ[1]

4 بِـــأَلْــفِ أُلـــوفٍ وَحُـــرَّابَـــةٍ كَـمِـثْـلِ الـسَّـمَـاءِ قُـبَـيْـلَ الْمَطَرْ[2]

5 يُـصِـمُّ صِـيَـاحُـهُـمُ الـمُـقْـرَبَـاتِ ويَـنْـفُـونَ مَــنْ قَـاتَـلُـوا بالذَّفَر[3]

6 سَـعَـالِـي مـثـلَ عَـدِيـدِ الـتُّـرابِ تَـيَـبَّـسَ مِـنْـهُـم رِطَـابُ الشَّجَرْ[4]

- 3 -

قال[5]: [الوافر]

1 تُـفِـيـقُ بِـــدِرَّةٍ وتُـضـيـعُ أخــرى كما يَـخْـرَمِّـس الأَزِجُ الأَطُومُ[6]

2 ولا أَشِــبِ الـمَـخَـالِـبِ مُـزْلَـعِـبٌّ تَـظَـلُّ عَـلَـيْـهِ شِـيـخَـتُـهُ تَحُومُ[7]

---

(1) في تاريخ الطبري: (أَتَوْا ذا صباحٍ).
ذات العَبَر: ذات الحزن.

(2) الحرابة: أصحاب الحراب.

(3) في تاريخ الطبري: (يضم) و(بالزمر)، وفي محاضرة الأبرار: (بضُمر صباحهم).
المُقْرَبات: الخيل العتاق التي لا تسرح في الرعي، ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو. الذَّفَر: الرائحة الشديدة، يريد أنهم بريحهم وأنفاسهم يتقون من قاتلوا، وهذا إفراط في وصفهم بالكثرة، بل بنتن آباطهم وخبيث رائحتهم؛ لأن السودان أنتن الناس آباطاً وأعراقاً، وفي «الطبري»: «بالزمر» والزمر: جمع زمرة وهي الجماعة من الناس.

(4) في محاضرة الأبرار: (سَعَالي كمثل....يُيَبَّس).
سَعَالي: جمع سعلاة، وهي من الجن، أو هي الساحرة منها. وفي الجاهلية نار تسمى «نار السعالي»؛ وهي نار ترتفع للمتقّفر والمتقرب فيتبعها، فتهوي به الغول على زعمهم، انظر: باب نيران العرب في الجاهلية في كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: 463.

(5) البيت (1) في كتاب الجيم 58/3، والبيتان (2، 3) في كتاب الجيم 82/2، وقد ضممتهما إليه لاتفاق الأبيات في المعنى والوزن والقافية؛ فلعلهما من قصيدة واحدة، وقد اجتهدت في ترتيب الأبيات على هذا النحو؛ دفعاً لاحتمال أن يكون لها أبيات أخرى تكشف عنها الكتب مستقبلاً.

(6) أفاقت الناقة: اجتمعت الفيقة في ضرعها، والفيقة: اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين، القاموس (فوق). اخرمس: سكت وتَصَمَّت. الأزج: أَزِجَ يأزِج، والأَزِج: الأَشِرُ البَطِر. الأطوم: قال ابن منظور: «أَطمْتُ أُطُوماً إذا سكتُّ، قال أبو عمرو: التأطُمُ سكوت الرجل على ما في نفسه» اللسان (أَطَم).

(7) أشب: اختلط، تأشب القوم: اختلطوا، أشب الشجر: كثر واشتد التفافه، وغيضٌ أشب: ملتف. المُزْلَعِب: الفرخ طار ريشه؛ انظر حاشية كتاب الجيم 82/2.

3 فَــجَــاءَتْ أُمُّـــه تَـصْــدَى إِلَـيْــهِ وَقَــدْ أَزَمَـــتْ بِـوَاحِـدِهَـا الأُزُومِ[1]

*****

-1-

ومما ينسب إلى ابن الذئبة الثقفي[2]: [الطويل]

1 تَبَغَّ ابـنَ عَـمِّ الصِّدْقِ حَيْثُ لقيتَهُ فـإِنَّ ابـنَ عَـمِّ الـسَّـوْءِ أُوغِــرَ جَانِبُهْ

2 تَـبَـغَّـيْـتُـهُ حَـتَّـى إذا مَـا وَجَـدْتُـهُ أَرَانــي نَـهـارَ القَيْظِ تَـجْري كَـوَاكِـبُـهْ

3 مَـتَـى مَـا أَدَعْـــهُ يَـعْـتَـمِـدْني بِـشَـرِّهِ وَتَـدْبُـبْ إِلـيَّ حَيْـثُ كَـانَـتْ عَـقَـارِبُـهْ

4 وَرُبَّ ابْـنِ عَـمٍّ تَـدَّعِـيـهِ وَلَـوْ تَـرَى مُـغَـيَّـبَ مَـا يُـخْـفِـي لَـسَــاءَكَ غَـائِـبُـهْ

5 فَـلاَ والَّـذِي مَـسَّـحْـتُ أَرْكَــانَ بَيْتِهِ يَـرَاني ابْـنُ أُنْـثَـى ما حَيِيتُ أُخَاطِبُهْ

6 وَيَــبْــرَحُ بُـغْـضٌ بَـيْـنَـنَـا وَعَـــدَاوَةٌ كَصَدْعِ الصَّفَا لاَ يَرْأَبُ الصَّدْعَ شَاعِبُهْ

-2-

وينسب إليه[3]: [الوافر]

(1) تصدى: من الصدى وهو شدة العطش، أو الصوت، أو طائر يصيح في هامة المقتول إذا لم يُثْأَر به. الأزوم: أشَدُّ العَضِّ، قال ابن منظور: «قال الأصمعي: قال عيسى بن عمر: كانت لنا بَطَّةٌ تأزِم أي تَعَضُّ. وأَزَمَ الرجلُ بصاحِبِهِ إذا لزمه». اللسان (أزم).

(2) الأبيات لابن الذئبة الثقفي في حماسة البحتري 234/2؛ وسوف يأتي تخريج القصيدة كاملة واختلاف رواياتها عند الحديث عن شعر الحارث بن كلدة الثقفي.

(3) جاء في ديوان أحيحة أنه «كان حريصاً على جمع المال، وعدم التفريط في شيء منه، يصطدم مع زوجته، ويدخل دائماً معها في شجار، يقول ذلك في إشارة إلى زوجته التي لا ترضى عنه إلا إذا جاءها بمال، ولا يتم ذلك له إلا إذا باع شيئاً مما ينتجه النخيل، فإذا تم لها ذلك قابلته مُعَانقةً له، أو قامت بتقبيله، أو فدَّته بنفسها، وهو راض عن فرحها وغبطتها، لكنه ليس راضياً عن العبث بماله، وتبديد ثَروته؛ لكنه لا يملك أن يعصي لها أمراً، أو يرفض لها طلباً؛ لذا فإن سخطه أشد من رضاه بسبب انسياقه وراء شهواته وانغماسه فيها، حتى صار على حد زعمه (أسيفاً عبد عبد)، انظر: ديوان أحيحة: 19.

والبيت الأول في الأزمنة والأمكنة 25/1 بلا نسبة، والأبيات الثلاثة لابن الذئبة الثقفي في اختيار الممتع 100/1، وهي لابن أذينة الثقفي؛ وأظنه تصحيفاً، وفي البخلاء: 184، والبيتان (1، 2) في عيون الأخبار 243/1 لابن الدمينة الثقفي، وهما في الأمل والمأمول: 49 لأحيحة بن الجُلاَّح، وله الفصوص 103/4، والأبيات الثلاثة لأحيحة في

1 أَطَعْتُ العِرْسَ في الشهواتِ حَتَّى   أَصَـارَتْـنِـي عَسِيفاً عَـبْـدَ عَبْدِ[1]

2 إذا ما جِئْتُـهَا قد بِعْتُ عَـذْقاً   تُـعَـانِـق أَوْ تُـقَـبِّـل أَوْ تُفَدِّي[2]

3 فمن وَجَـدَ الغِـنَـى فَلْيَصْطَنِعْهُ   ذخـيـرتَـهُ وَيَـجْـهَـدْ كـلَّ جَهْدِ[3]

- 3 -

ومما ينسب إلى ابن الذئبة الثقفي[4]: [الطويل]

1 ما بـالُ مَـنْ أَسْعَى لأَجْبُـرَ عَظْمَهُ   حِفَاظاً وينوي من سَفَاهَتِهِ كَسْرِي[5]

2 ضَفَادِعُ في ظَلْماءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ   فَـدَلَّ عليها صَـوْتُـها حَـيَّـةَ البَـحْرِ

- 4 -

ومما ينسب إليه أيضاً[6]: [البسيط]

الأصمعيات: 33، وهي في ديوانه: 19 باختلاف يسير في الترتيب وزيادة بيت آخر هو:

أُعَـلِّـمُـكُـمْ وقـد أردَيْـتُ نفسي   فمن أَهْـدِي سبيلَ الرشْدِ بَعْدِي

وقد جاء البيت الثالث مع آخر في حماسة البحتري، وهو:

ولا يمـنـعـه مــن حـمـد وشـكـر   ولا يـبـخـلْ بـه عـن فـعـل رشـد

منسوبين للشاعر الجاهلي ابن الأسلت، وهما في ديوانه: 71، انظر: حماسة البحتري 167/2.

(1) في الأصمعيات: (أهنت المال ..... أسيفاً)، وفي البخلاء: (أطعت النفس ..... أعادتني)، وفي الأمل والمأمول: (عند عبدي)، وفي الأزمنة والأمكنة: (تَعُودَ لها......)، وفي عيون الأخبار: (أعادتني عسيفاً)، وفي ديوان أحيحة: (أهنت المال ..... أصابتني أسيفاً).

العسيف: المملوك المستهان به.

(2) العَذْق: النخلة بحملها، و(بالكسر) القنو منها.

(3) في الأصمعيات والبخلاء وديوان أحيحة: (فمن نال الغنى .....صنيعته)، وفي حماسة البحتري: (فمن ورث الغنى فليصطنعه صنيعته ويجهدْ).

(4) البيتان في اللآلي في شرح أمالي القالي 792/2، ومجالس ثعلب: 144، والكامل 192/1 لابن الذئبة الثقفي. وسيأتي تخريجهما ضمن شعر الأجرد الثقفي.

(5) في البيت خرم؛ والأصل أن يقال: (فما بال) أو (وما بال).

(6) الأبيات في المؤتلف والمختلف: 174 لابن الذئبة الثقفي، والبيت الأول في العمدة: 522 بلا نسبة. والبيتان (1، 3) لربيعة ابن عبيد القعنبي أبي ذؤاب في التذكرة السعدية: 209، وأرجح أن تكون الأبيات لابن الذئبة الثقفي؛ لأن الآمدي أنشدها كاملة في مؤتلفه؛ وهو أقدم المصادر التي أنشدت الأبيات أو جزءاً منها.

1 إن الـمَـنِـيَّـةَ بـالـفِـتْـيَـانِ ذَاهِـبَـةٌ   ولـو تَـقَـوْهَـا بـأَسْـيَـافٍ وَأَدْرَاعِ[1]

2 بينا الفتى يَبْتغِي من عَيْشِهِ سَدَداً   إِذْ حـانَ يوماً فَـنَـادَى باسمِهِ الدَّاعِي

3 لا تجعلِ الـهَـمَّ غُـلاًّ لا انـفـراجَ لَـهُ   ولا تكونَنْ سؤوماً ضَيِّقَ البَاعِ[2]

*****

أبو الصلت بن أبي ربيعة[3]

-1-

قال في الصلع[4]: [الرجز]

1 بَـيْـنـا الـفـتـى يـمـيـسُ فـي غِـرَّاتِـه

(1) في العمدة: (وإن تقوها بأرماح).

(2) في المؤتلف: (سؤوماً) مكان (كسؤوماً)، وفي التذكرة السعدية: (لا تُوجَدَنَّ سؤوماً).

(3) هو أبو الصلت بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن غِيَرَة– من الغِيرَ وهي الدية تؤدَّى لدم القتيل– بن قسي – وهو ثقيف – بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، عده ابن سلام الجمحي في كتابه «طبقات فحول الشعراء «في طبقة شعراء ثقيف، ولأبي الصلت شعر يمدح فيه سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على الأحباش بمساعدة الفرس، ومطلعه:

لله دَرُّهـــمُ مـــنْ عُصْبَةٍ خَـرَجُـوا   ما إِنْ ترى لهمُ في الناسِ أَمْثَالاَ»

وأبو الصلت اسم كنية، ولم تذكر المصادر أن له ولداً بهذا الاسم، والصلت في اللغة: بمعنى البارز المشهور، وربما كني بها لشهرته، انظر ترجمته في: الحماسة: 66، شرح الحماسة للتبريزي 800/4، طبقات فحول الشعراء 259/1، 260، الشعر والشعراء 459/1، جمهرة أنساب العرب: 268، 269، الاستيعاب 379/4، الأغاني 96/4.

(4) الرجز في البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي 52/1، واللسان (غيس) من دون نسبة:

بينا الـفـتـى يخبط في غَـيْـسَـاتِـه
تَـقَـلُّـبَ الحـيـةِ في قِـلاتِـه
إذْ أصـعـد الـدهـر إلى عِـفْـرَاتِـه
فـاجْـتَـاحَـهَـا بـشَـفْـرَتَـيْ مِـبْرَاتِـه

وفي اللسان (قنزع) ونسبه هناك إلى حُمَيْد الأرقط، ونصه:

كـأن طَـسّـاً بـين قُـنْـزُعَـاتِـه
مَـرْتـاً تَـزِلُّ الـكَـفُّ عـن قِـلاَتِـه

ونسبه إلى حُمَيْد الأرقط. الغَيْسَانُ: حدَّةُ الشباب، وهو فَعْلان، فلانٌ يتقلب في غيسان شبابه؛ أي: نَعْمَة شبابه، قال ابن منظور: «قال الأزهري: والنون والتاء فيهما ليسَا من أصل الحرف» اللسان (غيس)، القنزع: الشعر حَوَالَي الرأس، والجمع قُنزُع وقنازع، قِلاَتِه: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.، ومفردها القَلْت بالفتح، اللسان (قنزع).

2 إذا انــبــرَىَ الــدهــرُ إلـــى لِـمَّــاتِــهِ

3 فـاجـتـبَّـهـا بـشَــفْـرَتَـيْ مِـبْـرَاتِــهِ

4 كــــأنَّ طَـسْـتـاً بـيـن قُـنْـزُعَـاتِـهِ

5 مَـــرْتٌ يَــزِلُّ الـطَّـيْـرُ عَـــنْ مِـقْـلاَتِـهِ

- 2 -

قال[1]: [البسيط]

مُـحْـتَـزِمٌ بِـــدَرَاكِ الْـحَـبْـلِ مُحْتَجِزٌ　　سَبْطُ الْيَدَيْنِ بَعِيدُ السَّقْيِ جَنَّاحُ[2]

- 3 -

قال في وصف الطائف ووادي وجّ[3]: [البسيط]

1 نَحْنُ المبنُّونَ في وَجٍّ عَلَى شَرَفٍ　　تَـلْـقَـىْ لَـنَـا شُـفَـعاً مـنـه وَأَرْكَــانَــا

2 إِنَّـا لَـنَـحْـنُ نَـسُـوْقُ العِيْرَ آوِنَـةً　　بِـنِـسْـوَةٍ شُـعُـثٍ يُـزجِـيـنَ ولْـدَانَـا

3 وما وَأَدْنـا حـذارَ الـهَـزْلِ مِـنْ وَلَـدٍ　　فيها وَقَـدْ وَأَدَتْ أحياءُ عَدْنَانَا[4]

4 ويانِعٌ من صفوف الكرم عَنْجَدُنا　　مـنـه، وَنَـعْـصِـرُهُ خَــلًّا ولَذَّانا[5]

---

(1) البيت في كتاب الجيم 271/1 (درك).

(2) احتزم الرجل وتحزَّم إذا شد وسطه بحبل. دَرَاك: أدرك ولحق به. محتجز: احتجز بإزاره على وسطه؛ أي: لاقى بين طرفيه وشده. وفي الحديث «رأى رجلا محتجزاً بحبل أورق». سبط اليدين: سخي سمح الكفين.

(3) الأبيات (1–5) في معجم البلدان (وجّ)، والبيتان (3، 4) في كتاب الجيم 33/2، 291، والبيت (5) في كتاب الجيم 271/1، والبيت (6) ليس ضمن المقطوعة في معجم البلدان، وإنما جاء منفرداً في كتاب الجيم 291/2 وضممتُهُ إلى القصيدة لاتفاق المعنى، والوزن والقافية، وقد اجتهدت في ترتيب الأبيات على هذا النحو؛ دفعاً لاحتمال أن يكون لها أبيات أخرى تكشف عنها الكتب مستقبلاً.

(4) في كتاب الجيم:

«وما وَأَدْنَـا رَجَـاءَ الْـهَـزْلِ منْ وَلَـدٍ　　...　...　...　فـيـنـا»

(5) في كتاب الجيم:

«ويانع مِنْ ضُرُوعِ الكَرْمِ عَنْجَدُنَا　　مِـنْـهُ وَنَـعْـصِـرُهُ خَـمْـراً إِذَا آنـا»

العنجد: الزبيب، العَنَاصر: الأصول.

5 قد ادْهَأَمَّتْ وأَمْسَتْ ماؤُهَا غَدِقٌ يَمْشِيْ مَعاً أَصْلُها والْفَرْعُ أبَّانا(1)

6 مَبْكُولَةٌ شُزُبٌ شُدَّتْ عَنَاصِرُهَا يَحْمِلْنَ شِيباً غَطَارِيفاً وَشُبَّانَا(2)

7 إلى خَضَارِمَ مِثْلِ اللَّيلِ مُتّجئاً فُوْماً وَقَضْباً وزَيْتُوناً وَرُمَّانَا

8 فِيْهَا كَوَاكِبُ مَثْلُوجٌ مَنَاهِلُهَا يَشْفِي الغَلِيلَ بها مَنْ كان صَدْيانَا

9 وَمقْربَاتٌ صُفُونٌ بينَ أَرْحُلِنا تَخَالُهَا بِالكُمَاةِ الصِّيْدِ قُضْبَانَا

-1-

قال أبو الصلت في شأن الفيل ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام؛ وتنسب إلى ابنه أمية (3): [الخفيف]

1 إنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ لا يُمارِيْ فِيْهِنَّ إلاَّ الكَفُوْرُ

2 خُلِقَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ فَكُلٌّ مُسْتَبِيْنٌ حِسَابُهُ مَقْدُوْرُ

3 ثُمَّ يَجْلُوْ النَّهَارَ رَبٌّ رَحِيْمٌ بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُوْرُ

---

(1) في كتاب الجيم:

«قد ادهَأَتَتْ وأمسى ماؤُهَا غَدقاً يُمْسِي نَقَا أصلها والفَرْع ريَّانا»

(2) مبكولة: مخلوطة. شُزُب: جمعٌ مفرده شازب، والشازب: الضامر اليابس من الناس وغيرهم، وأكثر ما يستعمل في الخيل.

(3) روى هذه الأبيات لأبي الصلت بن أبي ربيعة: ابن إسحاق في السيرة، والجاحظ في الحيوان، والمسعودي في مروج الذهب، والأزرقي في أخبار مكة، والبكري في معجم ما استعجم. وممن رواها لأبي الصلت وأشار إلى أنها تروى لأمية بن أبي الصلت: ابن هشام في السيرة وابن كثير في البداية والنهاية، وابن عربي في محاضرة الأبرار. وممن رواها لأمية فقط أبو العلاء المعري في رسالة الغفران، وابن السكيت في مختصر تهذيب الألفاظ، والمرزوقي في الأزمنة والأمكنة، والتبريزي في كنز الحفاظ، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن حجر في الإصابة، والخازن في لباب التأويل، والسيوطي في تاريخ الخلفاء، والديار البكري في تاريخ الخميس، واللسان، والتاج.

وهي في سيرة ابن هشام 94/1، البداية والنهاية 241/2، ومحاضرة الأبرار 140/2، والحماسة البصرية 120/2، وأخبار مكة: 103، 104، مروج الذهب 375/1، وتاريخ ابن عساكر 124/7، وتاريخ الخميس 190، لباب التأويل 409/4، كنز الحفاظ 232 والأبيات (1، 4، 5) في الحيوان 198/7. والبيت (3) في اللسان والتاج (مهو)، والبيتان (1، 4) في معجم ما استعجم: 1248 والبيت (4) في الروض المعطار، والبيت (8) في الأغاني 97/4 وفي همع الهوامع شاهد رقم 893 . وانظر القصيدة بتخريجها واختلاف رواياتها عند محققي ديوان أمية: السطلي: 391، 392، 393، 573، 574 والحديثي: 336–339.

4 حُبِسَ الفِيْلُ بِالمُغَمِّسِ حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُوْرُ[1]

5 لاَزِماً حَلْقَةَ الجِرَانِ كَمَا قُطِّ رَ مِنْ صَخْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُوْرُ[2]

6 حَوْلَهُ مِنْ مُلُوْكِ كِنْدَةَ أَبْطَا لٌ مَلاَوِيْثُ في الْحُرُوْبِ صُقُوْرُ[3]

7 خَلَّفُوْهُ ثُمَّ ابْذَعَرُّوا جَمِيعاً كُلُّهُمُ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُوْرُ [4]

8 كُلُّ دِيْنٍ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللَّـ ـهِ إلاَّ دِيْنَ الحنيفَةِ بُوْرُ

- 2 -

قال ـ وينسب إلى ابنه أمية ـ[5]: [البسيط]

---

(1) المغمِّس: الموضع الذي ربض فيه الفيل حين جاء به أبرهة، فجعلوا ينخسونه بالحراب فلا ينبعث، حتى بعث الله عليهم طيراً أبابيل فأهلكتهم؛ قال ياقوت: «موضع قرب مكة في طريق الطائف، مات فيه أبو رغال، وقبره يُرجم؛ لأنه كان دليل صاحب الفيل فمات هناك» (معجم البلدان: المغمس). يحبو: حبا البعير أي: برك فلم يتحرك هزالاً. العَقْر: قطع إحدى قوائم البعير قبل نحره كيلا يشرد عند النحر.

(2) الجران: باطن العنق، وذلك أنه إذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل: ألقى جرانه بالأرض. قُطِّر: ألقي من علو على قطره أي: جانبه. كبكب: جبل بمكة خلف عرفات، المحدور: الذي ألقي من علو إلى أسفل.

(3) ملاويث: الأشداء، مفردها مَلاَث أو مِلْوَث.

(4) ابذعروا: تفرقوا، البور: الفاسد الهالك الذي لا خير فيه، الحنيفة: دين إبراهيم عليه السلام.

(5) الأبيات متنازع في نسبتها بين أمية وأبي الصلت والد أمية؛ فقد نسبت الأبيات (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 16، 17) لأمية بن أبي الصلت في التيجان في ملوك حمير: 318، والأبيات (1، 2، 4، 6، 10، 11، 16، 17) لأبي الصلت في التيجان: 317، والأبيات (1- 7، 9- 11، 16- 17) في الشعر والشعراء: 461، وفي تاريخ الطبري 270/2 لأبي الصلت، والأبيات (1–7، 11، 16 – 17) إلى أبي الصلت في ألف باء 145/1. والأبيات (1 – 4، 11، 16 – 17) لأبي الصلت في الروض الأنف 297/1، والبداية والنهاية 2 ـ/171 ولأبي الصلت أو أمية في السيرة لابن كثير 45/1. والأبيات (1- 4، 6- 8، 10- 11، 16- 17) لأبي الصلت في أخبار مكة للأزرقي 99/1، والأبيات (1 – 4، 6 – 7، 10 – 11، 16 – 17) لأبي الصلت أو إلى أمية في أمالي الشجري وإلى أمية في الحماسة البصرية 177/1. والأبيات (1–4، 6- 7، 9- 11، 17) لأبي الصلت أو أمية في سيرة ابن هشام 167/1 ولأمية في البدء والتاريخ 194/3 والمختصر في أخبار البشر 168/1. والأبيات (1 4–، 10 – 11، 16) لأمية في حماسة البحتري 54/1. والأبيات (1–2، 5- 6، 10- 11، 16- 17) لأبي الصلت في أخبار الملوك الفرس: 618، والأبيات (1 4–، 6، 10 – 11، 16 – 17) لأبي الصلت أو أبي زمعة جد أمية في مروج الذهب 171/3. والأبيات (5 8–، 11، 16 – 17) لأبي الصلت في طبقات فحول الشعراء 218. والأبيات (1 – 4) لأمية في تاريخ اليعقوبي 200/1. والأبيات (1 3–، 6 – 7، 16 – 17) لأمية في الأغاني 75/16. والأبيات (1 7–، 9 – 11، 16، 17) في الشعر والشعراء لابن قتيبة.

والبيت (1) لأبي الصلت في الأغاني 120/5 ولأمية في المرصع: 104، وعجز البيت لأمية في اللسان (ريم).

1 لِيَطْلُبَ الوِتْرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِيْ يَزَنٍ رَيَّمَ في الْبَحْرِ لِلأَعْدَاءِ أَحْوَالاَ[1]

2 أَتَى هِرَقْلَ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِيْ قَالاَ[2]

3 ثُمَّ انْثَنَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةٍ مِنَ السِّنِيْنَ يُهِينُ النَّفْسَ وَالْمَالاَ

4 حَتَّى أَتَى بِبَنِي الأَحْرَارِ يحملُهُمْ إِنَّكْ لَعَمْرِيْ لَقَدْ أَطْوَلْتَ قَلْقَالاَ[3]

5 مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهَنْشَاهِ المُلُوكِ لَهُ أَوْ مِثْلُ وَهْرِزَ يَوْمَ الجَيْشِ إِذْ صَالاَ[4]

والبيت (2) بلا عزو في اللسان (شول) وصدر البيت في النهاية 89/2 بلا عزو. والبيت (7) بلا عزو في النهاية في غريب الحديث 240/1 و181/2 وعجز البيت بلا عزو في اللسان (ربب). والبيت (8) في نقد الشعر: 227 لأبي الصلت. البيت (9) لأبي الصلت في كتاب النبات: 206، وبلا عزو في المخصص 57/2 ولأمية في تهذيب اللغة (عتل)، وفي اللسان (عتل، وزمخر، وغبط) وفي التاج (غبط، وزمخر)، وبلا عزو في النهاية في غريب الحديث 311/2. والأبيات (11 – 15) لأمية في الإكليل (السريان) 17/8. والبيتان (11، 16) لأمية أو لأبي الصلت في جمهرة اللغة (بل)، ولأمية في منتخبات في أخبار اليمن: 104، وآثار البلاد: 51. والبيتان (11، 17) بلا عزو في الأزمنة والأمكنة 3/1. والبيت (11) لأمية في المنمق: 539، والكامل 62/2، والمسالك والممالك (ابن خرداذبة): 136، ولأبي زمعة جد أمية في مروج الذهب 51/4، ولأبي الصلت في المسلسل: 187، وأمالي الشجري 162/1، ولأمية في اللسان (نعم، غمد)، والخزانة 433/4. والبيت (17) للنابغة الجعدي في ديوانه: 112، وله في فحولة الشعراء: 18، والتمثيل والمحاضرة: 62، والأغاني (الدار) 15/5، وبلا عزو في مجمع البيان 117/8، وللثقفي فقط في شرح المفصل 1158/2، ولأمية في نهاية الأرب 309/3، وللنابغة الجعدي في سمط اللآلي 281/1، قال ابن هشام في سيرته: «هذا ما صح له [أمية] مما روى ابن اسحاق منها إلا آخرها بيتاً فإنه للنابغة الجعدي». الأبيات (12 – 15) ليست في الطبعات السابقة للديوان؛ والمرجح أنها لأبي الصلت والد أمية كما تشير إلى ذلك أغلب المصادر المتقدمة.

انظر القصيدة بتخريجاتها واختلاف رواياتها عند محققي الديوان: السطلي: 453 – 459، 589 – 592، والحديثي 344 – 350؛ فقد أشبعاها تخريجاً ورواية، وهذا ما لا داعي لإيراده وإثقال البحث به.

(1) الوَتر: الثأر. ريَّم بالمكان: أقام؛ قال ابن منظور: «قال ابن بَرّي: ريَّم زاد في السير، وهو الزيادة والفضل، وعليه قول أمية: «ريَّم في البحر»، وقد يكون «ريَّم» من الريم وهو آخر النهار، فكأنه أدأب السير في ذلك الوقت، وقد يكون «ريَّم» من الريم وهو البراح، فكأنه يريد أكثر الجولان، والبَراح من موضع إلى موضع»، اللسان (ريم). الأحوال: مفردها حول؛ وهو القوة.

(2) للنَّعامة معان كثيرة؛ منها: الجهل والجماعة، ويقال: شالت نعامته إذا خف وغضب ثم سكن، ويقال: شالت نعامتهم إذا تفرقت كلمة القوم ومضى عزُّهم.

(3) ورد البيت هكذا في ديوان أمية؛ وهو مختل الوزن إذا لم تسكّن الكاف في (إنكَ).
الحُرُّ: الخالص من كل شيء، وأراد ببني الأحرار: الفرس، قيل سميت فارس بالأحرار لأنهم خلصوا من سمرة العرب، وشقرة الروم، وسواد الحبشة؛ انظر: ابن الشجري 154/1، قلقل في الأرض قلقلة وقلقالاً: ضرب فيها.

(4) شهنشاه: لقب ملوك فارس، وأصله بالفارسية «شاهان شاه»؛ ومعناه ملك الملوك. وهرز: قائد الجند الفارسي الذي ساعد سيف بن ذي يزن.

6 لله دَرُّهُـــمُ مِــنْ عُـصْـبَـةٍ خَـرَجُـوْا | ما إنْ تَـرَىْ لَهُـم في الناسِ أَمْـثَـالاَ
7 غُـرٌّ جَـحَـاجِـحَـةٌ، بِـيضٌ مَـرَازبَـةٌ | أُسْدٌ تُرَبِّبُ في الغَيْضَاتِ أَشْبَالاَ(1)
8 لا يَضْجَروْنَ وَإنْ حُرَّتْ مَغَافِرُهُمْ | وَلاَ تَـرَى مِنْهُمُ في الطَّعْنِ مَيَّالاَ(2)
9 يَـرْمُـوْنَ عن شُـدُفٍ كَـأَنَّـهَا غُبُطٌ | في زَمْخَرٍ يُعْجِلُ المَرْمِيَّ إعْجَالاَ(3)
10 أَرْسَلْتَ أُسْداً عَلَى سُوْدِ الكِلاَبِ فَقَدْ | أضحى شريدُهُمُ في الأرضِ فُلاَّلاَ(4)
11 فاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُتَّكِئاً | في رَأْسِ غُمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مِحْلاَلاَ(5)
12 قَصْرٌ بَنَاهُ أَبـوْكَ القيل ذُو شَرَحٍ | فهل يُـرَى أَحَـدٌ نَـالَ الَّـذِي نَالاَ(6)
13 قَـدْ تَحْسَرُ الطَّيرُ عَنْهُ أن تُعَالِيَهُ | والطَّيْرُ تَنْقَضُّ إصْعَاداً وَإسْهَالاَ(7)
14 مَا إنْ تُحَاذِيْهُ إلاَّ هَاضَ أَعْظُمَهَا | طـولُ التَّخَالُفِ إدْبَـاراً وَإقْبَالاَ(8)
15 مُـنَـطَّـقٌ بِـالـرَّخَـامِ الـمـسْـتَـزَادِ لَـهُ | تَـرَى عَلَى كُـلِّ رُكْـنٍ مِنْهُ تِمْثَالاَ(9)

---

(1) الغُر: واحدهم أغر؛ وهو الأبيض من كل شيء، ورجل أغر: كريم الفَعال، الجحاجحة: مفردها جحجاح: السيد الكريم، المرازبة: واحدهم مَرْزُبَان؛ وهو عند الفرس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، الغُلب: مفردها أغلب؛ وهو الغليظ الرقبة، الأساورة: مفردها أسوار (بكسر الهمز وضمها)؛ وهو القائد من الفرس أو الفارس المقاتل، تُرَبِّب: تُرَبي، الغَيْضَات: مفردها غيضة وهي الأجمة.

(2) حُرَّت: اشتدت حرارتها، المغافر: مفردها مِغْفَر؛ وهو زَرَدٌ يُنْسَج من الدروع يلبسه المحارب تحت الخوذة، ثم يرسله إلى عنقه حتى يبلغ الدرع فيقي عنقه، المَيَّال: الكثير المَيْل، وأراد به الأميل؛ وهو من لا يثبت على ظهر الخيل، وقيل: هو الذي لا سيف معه، أو الذي لا رمح معه، أو الذي لا ترس معه، أو الجبان عامة.

(3) الشدف: القِسيُّ الفارسية، الواحدة شدفاء؛ وهي العَوْجَاء، العَتَل: القسي الفارسية، مفردها عَتَلَة، الغُبُط: مفردها غبيط؛ وهو الرحل، شبه القسي الفارسية بخشب الرحل، الزمخر: السهام.

(4) سود الكلاب: أراد بهم الأحباش، الشريد: الطريد الهارب على وجهه، وأراد الجمع لأن وزن «فعيل» كثيراً ما تستعمله العرب مفرداً في معنى الجماعة، فلاَّلا: فَلَّ القوم يفلهم فلاًّ: هزمهم، وهم قوم فَلٌّ، والجمع فُلُولٌ وفُلَّال.

(5) مِحْلاَلا: التي يكثر فيها الحلول والإقامة، ورأس غمدان: قبة قصر سيف بن ذي يزن، وقيل: قصر معروف باليمن.

(6) القيل والأقيال: ملوك اليمن واحدهم (قَيْل)، سمي بذلك لأنه إذا قال قولاً نفذ قوله، ذو شرح: ذو وضوح، وقد يكون لقباً لذي يزن.

(7) تحسر: تتعب، يقال: حسِرت الدابة؛ إذا تعبت.

(8) هاض الشيء هيضاً: كسره.

(9) منطَّقٌ: مرتفع، يقال: جبل أشم منطق؛ لأن السحاب لا يبلغ أعلاه.

16 واطَّلِ المِسْكَ إذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ   وأسْبِلِ الْيَوْمَ في بُرْدَيْكِ إِسْبَالاَ[1]

17 تِلْكَ المكَارِمُ لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ   شِيبَا بماءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ[2]

*****

ثقيف[3]

قال[4]: [الهزج]

1 فأرميها بجُلْمودِ   وترميني بجلمودِ[5]

2 فأُحْيِيها وتُحْيِيني   وكلٌّ هالكٌ مُودِ

*****

ربيعة بن سفيان المُحَبِّر الثقفي[6]

قال[7]: [الطويل]

(1) اطل: فعل أمر، والماضي اطلى، والفعل فيه إبدال؛ ومعناه لطخ نفسك بالمسك.

(2) القعب: الإناء الكبير أو القدح الضخم، قال أبو الفرج: يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر على النابغة الجَعْدي بأنهم سَقَوْا رجلاً من جَعْدَة– كانوا قد أدركوه في سفر وقد جهد عطشاً– لبناً وماءً فعاش، انظر: الأغاني 12/5.

(3) اسمه (قسي) بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، وقيل هو قسي بن مُنَبِّه بن النَّبيت بن أَفْصى بن دُعْميّ بن إياد بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان، وقالوا: هو من بقايا ثمود، ونسبهم غامض على شرفهم، وثقيف جدٌّ جاهلي قديم، قيل اسمه قسي، وثقيف لقبه، كانت منازل بنيه في الطائف. انظر ترجمته: في نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: 168 والقاموس (ثقف) واليعقوبي 212/1 وجمهرة الأنساب 254 و258 وابن خلدون 24/2، 309، وربيع الأبرار 238/1، ومعجم قبائل العرب 148/1.

(4) قالها عندما كان يحفر عين (وج) بيده، ولم يحفره بالحديد.

البيتان في معجم الشعراء: 221، المنمق في أخبار قريش: 280، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار 239/1، مثالب الوزيرين: 184.

(5) المنمق: «فأفنيها وتفنيني»، مثالب الوزيرين: «فأرميها وترميني».

(6) هو ربيعة بن سفيان بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيني، فارس شاعر جاهلي.

(7) ذكر الجاحظ أن «عطية عُفَيفاً النصري، في الحرب التي كانت بين ثقيف وبين بني نصر، لما رأى الخيل نادى: يا صباحاه! أتيتم يا بني نصر، فألقت الحبالى أولادها من شدة صوته، قالوا: فقال ربيعة بن مسعود يصف تلك الحرب وصوتَ عُفيف»، البيان والتبيين: 127.

الأبيات (1، 2، 3) عند الآمدي في المؤتلف والمختلف: 281 للمحبر الثقفي وهو ربيعة بن سفيان. والأبيات عدا

1 وما كنتُ مِمَّنْ أَرَّثَ الشَّرَّ بينَهُمْ ولـكـنَّ مسعوداً جناها وجُنْدُبَا(1)

2 قَرِيعَيْ ثقيفٍ أَنْشَبَا الحَرْبَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَـكُ عنها مَـنْـزِعٌ حِينَ أَنْشَبَا(2)

3 عناقاً ضَرُوساً بَيْنَ عَـوْفٍ ومَالِكٍ شديداً لَظَاهَا تَتْرُكُ الطفْلَ أَشْيَبَا(3)

4 مُـضَـرَّمَـةً شَـبّـاً أَشَـبّـا وقـودَهَـا بـأيـديـهـمـا مـا أَوْرَيَـــاهَـــا وأَثْـقَـبَـا

5 أَصَـابَـتْ بَـرَاءً من طوائـفِ مَالِكٍ وَعَـــوْفٍ بما جَـرَّا عليها وأجْـلَـبَـا

6 وَكَـانَـتْ جُعَيْلٌ يَـوْمَ عَـمْـرٍو أَرَاكَـةٍ أُسودَ الغَضَى غَـادَرْنَ لَحْماً مُتَرَّبَا(4)

7 كـجُـمْـثُـورَةٍ جَـاؤُوا تَـخَـطَّـوْا مآبنا إلـيـهـم وتـدعـو فـي الِّـلـقَـاءِ مُعَتَّبَـا

8 وتدعو بني عوفِ بنِ عُقْدَةَ في الوغى وتـدعـو عِـلاَجـاً والحليفَ المُطَيَّبَا

9 حبيباً وَحَـيّـاً مـن رِبَــابٍ كَـتَـائِـبـاً وسعداً إذا الداعي إلى الموت ثوَّبا

10 وَقَـوْمـاً بمَكْرُوثَاء شَنَّتْ مُعَتَّبٌ بغارتها فـكـانَ يـومـاً عَصَبْصَبَا(5)

11 فَأَسْقَطَ أَحْـبَـالَ النِّسَاءِ بِصَوْتِهِ عُـفَـيْـفٌ إذا نـادى بنصرٍ فَطَرَّبَا(6)

*****

السادس في الكامل في التاريخ 686/1، 687 للمحبر الثقفي وهو ربيعة بن سفيان. والأبيات (3، 6، 10، 11) عند الجاحظ في البيان والتبيين: 127، 128 لربيعة بن مسعود.

(1) في المؤتلف (ما كنت ممن أرَّثَ الحرب).

(2) في المؤتلف: (قَريعَا ثقيف ..... فلم يك منها).

(3) في المؤتلف والبيان والتبيين: (عُقَاماً).

(4) عمرو وأراكة: موضعان.

(5) في البيان والتبيين: (ويوم ..... شَدَّتْ بغاراتها قد كان).

مَكرُوثاء: اسم موضع، العصبصب: الشديد.

(6) في البيان والتبيين: (وقد نادى). الأحبال: جمع حبل؛ وهو حمل المرأة.

عَلْقَمَةُ بنُ نَضْلَةَ الثقفي[1]

قال عندما تاب عن الخمر في الجاهلية[2]: [الطويل]

1 لعَمْرُكَ إنَّ الخمرَ ما دمتُ شارباً لمُذْهِبَةٌ مالي ومُنْسِيَتِي حِلْمِي[3]

2 وجاعِلَتي من الضِّعَافِ قُوَاهُمُ ومُورِثَتِي حَرْبَ الصَّدِيقِ بِلاَ عِلْمِ[4]

*****

كنانة بن عبد ياليل(نحو 15هـ)[5]

قال[6]: [الطويل]

1 سَقَى مَنْزِلَيْ سُعْدَى بِدَمْخٍ وَذِي حُساً مِنَ الدَّلْوِ يَوْماً مُسْتَهِلٌّ وَرَائِحُ[7]

---

(1) عَلْقَمَةُ بنُ نَضْلَةَ الثقفي، يمتد نسبه إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، من سادات ثقيف في الجاهلية، كان ممن ترك شرب الخمر في الجاهلية، إيماناً منهم بأنهم إذا سكروا فعلوا مالا يحسن على غير علم، انظر: رسالة الصاهل والشاحج: 701.

(2) البيتان في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري: 701 تحقيق د، بنت الشاطئ، والبيتان لقيس بن عاصم في أمالي القالي 204/1 وفي قطب السرور: 419 والروي حرف اللام مع خلاف يسير في الألفاظ، والبيتان في ربيع الأبرار 59/4، وفي المحب والمحبوب 315/4 لعلقمة بن نضلة.

(3) في المحب والمحبوب: (ومنسيةٌ)، في قطب السرور: (لسالبة..... ومذهبة عقلي).

(4) في المحب والمحبوب وفي ربيع الأبرار: (بلا جُرْم)، وفي قطب السرور: (وتاركتي من...... بلا تبل).

(5) كنانة بن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطائط بن جشم بن ثقيف، من أهل الطائف، شاعر جاهلي، كان يمدح النعمان بن المنذر، كان رئيس ثقيف في زمانه، أدرك الإسلام وقدم على النبي ﷺ في وفد ثقيف، بعد حصار الطائف، فأسلم الوفد إلا كنانة، وأرجِّحُ أنه هو القائل: «لا يَرُبُّني رجل من قريش»، توجه إلى نجران ثم إلى بلاد الروم، فمات بها حوالي سنة 15هـ، ذكره المرزباني من دون أن يورد له شعراً؛ انظر: معجم الشعراء: 246، والإصابة ترجمة 7532، والأعلام 235/5، أسد الغابة 190/4.

(6) الأبيات في الفصوص 15/2–18؛ قال البغدادي: «أنشد الأصمعي فيما روى لنا محمد بن شاذان، عن ابن دريد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه لكنانة بن عبد ياليل يمدح النعمان بن المنذر). والأبيات الثلاثة الأولى في معجم البلدان (دمخ) (ذو حسا).

(7) دمخ: جبل لأهل الرس مصعده في السماء ميل، وقيل جبل لبني نفيل بن عمرو بن كلاب؛ معجم البلدان (دمخ)، ذو حسا: وادٍ بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان، الدلو: برج من بروج السماء.
في معجم البلدان: (من الدلو نوءٌ).

2 عَلَى مَا عَفَا مِنْهُ الزَّمَانُ وَرُبَّمَا رَأَيْنَا بِهِ الأَيَّامَ، وَالدَّهْرُ صَالِحُ[1]

3 سِقَاطُ العَذَارَى الوَحْيَ إلاَّ نَمِيمَةً مِنَ الطَّرْفِ مَغْلُوباً عَلَيْهَا الجَوَانِحُ[2]

4 تَدَاعَى القِيَانُ بِالرَّحِيلِ وَأَبْرَقَتْ سَمَاءُ النَّوَى واسْتَنْفَرَ الحَيَّ صَائِحُ[3]

5 فَأَتْبَعْتُهُمْ عَيْنَيَّ حَتَّى عَشَا بِهِمْ مِنَ الآلِ مَخْلُوجٌ عَنِ الطَّرْفِ وَاضِحُ[4]

6 فَأَيْنَ بِعَامِ الأُنْسِ عَنْ عَلَقِ الْهَوَى وَأَيْنَكَ عَنْهَا وَهْيَ تُومٌ صَحَائِحُ[5]

7 رَمَيْتُ بِهَا عَيْنَ السَّمَاءِ وَلَمْ أُرِدْ خِلاَجَ الْهُوَى تَمْرِي عَلَيْهَا السَّوَانِحُ[6]

8 إذَا نَقَلَتْ فَيْءَ الْغَدَاةِ وَعَارَضَتْ لَهَا الشَّمْسُ رَاحَتْ وَالنَّعَامُ رَوَائِحُ[7]

9 إِلَى الْمَلِكِ النُّعْمَانِ حَتَّى أَتَيْتُهُ وَهُنَّ رَذَايَا لاَغِبَاتٌ طَلاَئِحُ[8]

10 إِلَى مَضْرِبٍ لِلْمَجْدِ رَحْبٍ فِنَاؤُهُ لَهُ قُلُبٌ عَادِيَّةٌ وَقَرَائِحُ[9]

11 خَبَطْنَ الْفَلاَ حَتَّى رَثَمْنَ أُنُوفَهَا لِصَوْتِ الْحَصَى مِنْ وَقْعِهِنَّ تَنَاوُحُ[10]

12 مَنَازِلُ لاَ تَهْدِي بِهَا النَّارُ رَكْبَهَا وَلاَ كَالِئٌ فِي شَمْلَةِ اللَّيْلِ نَابِحُ[11]

13 وَلكِنْ ثِيَابُ الْمُلْكِ يَهْدِي نَسِيمُهَا وَشَرْعُ النَّحِيتِ وَالْقِيَانُ الصَّوَادِحُ[12]

---

(1) في معجم البلدان: (رَعَيْنَا به).

(2) السقاط: أن يتحدث الواحد وينصت الآخر، الوحي: الإشارة والكلام الخفي.

(3) القيان: الجواري.

(4) عشا: ضعف بصره، الآل: البريق، مخلوج: مخلوط غير مستقيم.

(5) العَلَق: الرباط، توم: جمع تومة؛ اللؤلؤة.

(6) الخلاج: المنازعة، الهُوَى جمع هُوَّة: ما هبط من الأرض، تمري: من مرى الفرس يمري: جعل يمسح الأرض بيده أو رجله ويجرها من كسر أو ظلع، السوانح: جمع سانح؛ أي: الظبي أو الطائر الذي يأتيك عن يمينك.

(7) الفيء: ما كان شمساً فنسخه الظل، وهو ما بعد الزوال من الظل.

(8) الرذايا جمع رَذِيَّة أي: الناقة المهزولة من السير، الطلائح جمع طالحة أي: الناقة التي تعبت وأعيت.

(9) القُلُب جمع قَلِيب أي: البئر، وقيل: البئر العادية القديمة التي لا يُعْلَم لها رب ولا حافر. عادية: قديمة، نسبة إلى عاد، قرائح، جمع قريحة أي: جديدة.

(10) الخَبْطُ: ضرب البعير الشيء بخف يديه، رَثْمُ الأنف أي: كسره حتى تَقَطَّر منه الدم.

(11) الكالئ: الحارس، الشملة: الكساء.

(12) الشرع: الورد، والسلخ، النحيت: الجمل الذي نحتت مناسمه؛ أي: قُشِرت.

14 وَضَوْءُ هِلاَلِ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ جَانِب ... يَـلُـوحُ لَـهُ مِـنْـهُ عَـلَـى الْـمَـجْـدِ لاَئِـحُ

15 مَسَاكِنُ أَمْـلاَكٍ شَغَامِيمَ أُرْبِـحُـوا ... بِكَسْبِ الْعُلاَ وَالْكَاسِبُ الْمَجْدَ رَابِحُ(1)

16 نَمَتْ بِهِمُ لِلْمَجْدِ بَيْضَاءُ حُـرَّةٌ ... إِذَا ذُكِـرَتْ لاَ تَحْتَوِيها الْفَضَائِحُ(2)

17 فَأَنْـتَ أَبَيْـتَ اللَّعْنَ نَـادَيْـتَ لِلْعُلا ... إِلَيْـكَ فَمَاحَتْكَ الـدِّلاَءُ الْمَوَائِحُ(3)

18 حَـبَـاكَ الـزَّمَـانُ جَانِبَيْهِ كِلَيْهِمَا ... سَـلاَمـاً وَحَـرْبـاً عُـودُهُـنَّ لَـوَاقِـحُ

19 فَمَا أَغْمَزَتْ مِنْكَ الْهَوَادَةُ مَغْمَزاً ... وَلاَ ذَمَّ يَـوْمـاً وِرْدَهُ مَـنْ تُنَاصِحُ(4)

20 حَبَانَا بِـكَ اللهُ الْـجَلِـيـلُ... الَّتِي ... حَجَأْنَا بِهَا عَنْ شِدْقِهَا فَهْوَ كَالِحُ(5)

21 فَـلَـوْلاَ تَلاَفِيهِ بِـكَ النَّاسَ بَعْدَهَا ... لَغَـلَّ الْـمُـدَى أَيْـدِيـهِـمُ فَتَذَابَحُوا(6)

22 فَـإِنْ تَـكُ لاَتَبْقَى وَلَيْسَ بِخَالِدٍ ... عَلَى الدَّهْرِ إِلاَّ الرَّاسِيَاتُ الرَّوَاجِحُ(7)

23 فَـلاَ تَـبْـرَحُ الأَيَّـامُ يَـدْفَـعُ دَرْأَهَـا ... لَنَا مُـنْـذِرِيٌّ أَبْيَضُ الْوَجْهِ وَاضِحُ(8)

*****

(1) الشغاميم: جمع شغموم؛ الطويل التام الحسن من الناس والإبل.

(2) نمت: رفعت، بيضاء: نقية العِرْض.

(3) مَاحَ: سقى وأعطى.

(4) أغمز: استضعف وعاب، المغمز: المطمع، الهوادة: الحُرمة والسبب واللين والسكون.

(5) حَجَأَ بِهِ: فرح به، وتمسك به، ولزمه.

(6) التلافي: التدارك، غَلَّ: خان، المُدَى جمع مدية أي: السكين.

(7) الراسيات: الجبال، الرواجح: الثقيلة.

(8) الدرء: السيل والكسر والعوج.

مسعودُ بن مُعَتِّبِ بنِ مالكٍ الثقفيّ[1]

-1-

قال[2]: [المتقارب]

أُسُـــــودٌ تُـلَـكِّـعُ أَفْـوَاهَـهَـا وَآذَانُـهَـا إِبْـرَةٌ لاَذِعَـهْ[3]

-2-

قال[4]: [الطويل]

1 لا قَيْسُكُمْ مِنَّا ولا نحن مِنْكُمُ ولكِنَّنا أولاَدُ نَبْتِ بْنِ يَقْدُمَا[5]

2 وإِنْ أَدْعُ يوماً في أُحَاظَةَ تَأْتِنِي كَتَائِبُ خُرْسٌ لا أَخَافُ التَّهَضُّمَا

-3-

(1) شاعر جاهلي من شعراء ثقيف، وابنه عروة بن مسعود الذي دعا قومه إلى الإسلام فقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «مثل عروة مَثَلُ صاحبِ ياسين، دعاهم إلى الله تعالى فقتلوه»، وكان مسعود غنيّاً ذا مال، وكان يخشى على ماله من أن تبتاعه قريش بعد وفاته؛ لأن قريشاً كانت تشتري الأرض والأموال بالطائف، ومسعود كان من سادات قومه، شهد حروب الفجار، وكان من جملة المنهزمين من القبائل القيسية يوم (عكاظ)، فلاذ بخباء زوجه (سبيعية بنت عبد شمس الأموية) فأجارته وقومه، فأمضى لها حرب بن أمية بن عبد شمس – قائد قريش – إجارتها. انظر أخباره في: الأغاني 68/22، 72، 73، والتذكرة السعدية: 25، ونسب قريش: 98 وتاريخ الطبري 132/2، وأنساب الأشراف 335/3، ومعجم ماستعجم: 79، ومعجم الشعراء الجاهليين: 334، وانظر خبر عروة وحديث رسول الله في الإصابة 406/4–408 وفيه: «دعا قومه إلى الله فقتلوه»، وقد اختلف أمر مقتله وزمنه، وذكر ابن حزم أن الذي أرسله الرسول ﷺ داعية إلى قومه ثقيف فقتلوه هو معتب بن مالك، وهذا وهم، ولا وجه له، جمهرة أنساب العرب: 267.

(2) البيت في كتاب الجيم 220/3.

(3) تلكَّعُ: تُلازِمُ، انظر القاموس (لكع).

(4) قالهما عندما قال مالك بن عوف النصري:

ألا أبـلـغ ثقيفـاً حيـثُ كـانَـتْ بـأني مـا حَـيِـيـتُ لـكـم مُـعَـادِ

فـإني لسـتُ منـكِ ولسـتِ مِنِّي فـحُـلِّـي في أُحَـاظَـةَ أَوْ إِيَـادِ

والبيتان في معجم ما استعجم: 79.

(5) في البيت الأول خرم؛ والأصل أن يقال: فلا.

قال[1]: [البسيط]

1 لاَ أَعْـرِفَـنَّ قُرَيْشاً تَشْتَري عَجَلِي   يا بْـنَيْ أُمَيْمَةَ مِنْ زَرْعٍ وَحُجْرانِ[2]

2 وابْنَا يُسَيْعَةَ لا أَخْشَى ضِيَاعهما   على مـواليَّ مِـنْ سُـودٍ وحُمْرَانِ[3]

(1) البيتان في معجم الشعراء: 283.

(2) العجل: الطين، والحمأة، ومنه: «والنخل ينبت بين الماء والعَجَل». والحُجزان: الحدائق.

(3) يسيعة وسود وحمران، أولاده.

ثانياً: الثقفيون المخضرمون وأشعارهم

الأجشّ بن مرداس الثقفي(1)

مما ينسب إليه قوله يذكر الطائف(2): [الطويل]

1 فَقَدْ جَرَّبَتْنَا قَبْلُ عمرو بن عامر فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحَلِيمُهَا

2 وَقَدْ عَلِمَتْ إِنْ قَالَتِ الحَقَّ أَنَّنَا إِذَا مَا انْثَنَتْ صُعْرُ الخُدُودِ نُقِيمُهَا

3 نُقَرِّبُها حَتَّى يَلِينَ شَرِيسُهَا وَيَرْجِعَ لِلْحَقِّ المبينِ ظَلُومُهَا

4 عَلَيْنَا دِلاَصٌ مِنْ تُرَاثِ مُحَرِّقٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ زَيَّنَتْهَا نُجُومُهَا

*****

الحارث بن كلدة الثقفي(3)

(1) الأجش بن مرداس بن عمرو بن عامر بن سيار – وأظنه تصحيفاً وصوابه (يسار) – بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي. وفي نوادر المخطوطات شاعر آخر عند ابن حبيب في (من نسب إلى أمه من الشعراء) يدعى: (الأجش) وهو مرداس ابن سهم بن عمرو بن عبد الله بن الفجو بن أبان، الذي مر معنا آنفاً، انظر: نوادر المخطوطات 311/2.

(2) الأبيات في معجم ما استعجم: 78 للأجش بن مرداس الثقفي. والأبيات الأربعة مع أبيات أخرى في سيرة ابن هشام: 174/4 لكنانة بن عبد ياليل الثقفي، وقد أثبتُّها في شعر كنانة الثقفي.

(3) الحارث بن كَلَدَة – بفتح الكاف واللام والدال المهملة؛ وتعني الأرض الصلبة الغليظة – بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غِيَرَة بن عوف بن ثقيف، وفي المؤتلف للآمدي: 261 (ابن عبد العزيز) بدلاً من (عبد العزى) ولعله تصحيف، والحارث يكنى أبا عمرو، كان من الطائف، رحل إلى أرض فارس واليمن، وأخذ الطب عن أهل جنديسابور في الجاهلية، حتى أجاد هذه الصنعة وأثرى، وكان طبيب العرب في زمانه، وفد على كسرى وتحادثا في الطب، فراعته رجاحة عقله، وسعه علمه، فوصله وأعطاه جارية، هي سمية أم زياد ابن أبيه الذي ألحقه معاوية بنسبه. كان النبي ﷺ يأمر مَنْ به علَّةٌ أن يأتي الحارث فيسأله عن علته، فقد أمرَ سعدَ بنَ أبي وقاص أن يأتي الحارث بن كلدة فيستوصفه، وكان الحارث كافراً، وفي هذا دليل على جواز الأخذ بصفة أهل الكفر إذا كانوا من أهل الطب، ويذكر ابن أبي أصيبعة في تاريخ الأطباء، والصفدي في الوافي أن رسول الله ﷺ حين عاد سعد بن أبي وقاص قال: «ادعوا له الحارث فإنه رجل يطبُّ». له كلام مستحسن في الطب، وله كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى، وذلك أنه لما وفد على كسرى قال: ما صناعتك ؟ قال: الطب، قال فما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها وسوء أغذيتها ؟ فقال: أيها الملك إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يُصْلح جهلها، ويسوس أبدانها، فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه، ويحترز من الأدواء بحسن سياسته. قال فما تحمد من أخلاق العرب ؟ قال أنفسٌ سخية، وقلوب جريّة، ولغة فصيحة، وأنساب صحيحة. فأمر بالجلوس فجلس، فقال له: ما الداء ؟ قال: إدخال طعام على طعام. قال: ما تقول في الشراب؟ قال: أطيبه أهنؤه، وأرقّه أمْرَؤُه، لا تشرَبْه صِرْفاً فيورثك صُداعاً، ويثير عليك من الأدواء أنواعاً. قال: فما تقول في الفواكه ؟ قال: كُلْها في إقبالها، واتركها إذا أدبرت. فقال له كسرى: لله درّك من أعرابيّ، لقد أُعطيت علماً، وأحسَنْتَ وصفاً وفهماً. وأمر بتدْوين ما نطق به.

-1-

قال الحارث بن كلدة(1): [الوافر]

1 ألا أبلغْ معاتَبتِي وَقَوْلي ... بَني عمِّي فقَدْ حَسُنَ العِتابُ

2 وسَلْ هل كانَ لي ذنبٌ إليهِمْ ... هُمُ منْهُ- فَأُعْتِبَهُم- غِضابُ

3 كتبتُ إليهِمُ كُتُباً مراراً ... فلَمْ يرجِعْ إليَّ لها جوابُ(2)

4 فما أدري أغَيَّرَهُمْ تَنَاءٍ ... وطُولُ العهْدِ أمْ مالٌ أصابُوا(3)

5 فمن يكُ لا يدومُ له وصالٌ ... وفيه حينَ يغتَرِبُ انقلابُ(4)

6 فإن موَّدتي لهُمُ وعَهْدي ... على حالٍ إذا شهدُوا وغابُوا(5)

7 يحنُّ إليهمُ قلبي فَأُمْسِي ... كأني مِنْ تذكُّرِهِمْ مُصابُ

كان شاعراً ذا حكمة في شعره، وفي الحماسة الشجرية أنه كان موسيقياً بارعاً، وله من أولاده الحارث؛ وقد أورده ابن مندة وغيره في أسماء الصحابة، وقال ابن عبد البر حين ذكر أباه الحارث: إن الحارث بن الحارث صحابي. وذكرت بعض المصادر أنه كان عقيماً، وبعضها أنه لم يكن له إلا ابنته (أزدة).

ويذكر ابن حجر وغيره أن الحارث بن كلدة لم يصح إسلامه، عاش أيام رسول الله حتى معاوية بن أبي سفيان وتوفي سنة 50هـ، ويذكر الصفدي في الوافي بالوفيات أنه توفي في حدود الستين للهجرة، وبعض المصادر تؤكد أنه توفي في خلافة عمر، وبعضها أنه توفي سنة وفاة أبي بكر الصديق من أكلة أكلاها معاً. انظر ترجمته في: المؤتلف: 261، الاشتقاق: 305، العقد 373/6–376، ابن سعد 371/5–372، أسد الغابة 345/1، الإصابة 301/1–302، الاستيعاب283/1، وفيات الأعيان: 362/6، الفصوص: 47، عيون الأنباء في طبقات الأطباء 109/1–113، تاريخ الحكماء: 161–162، الوافي بالوفيات: 245/11–247، والأعلام 159/2.

(1) المقطوعة متضمنة ألطف عتاب وأحسنه، قالها ثم خرج إلى الشام، وكان قد كتب إلى بني عمه فلم يجيبوه.
الأبيات للحارث بن كلدة في الحماسة الشجرية: 260، 261، وجميعها عدا السابع في أمالي القالي 119/2 من دون عزو، وبعض الأبيات منثورة في كتب الشواهد النحوية: الكتاب 45/1، 66 وشواهد ابن عقيل: 194 وابن يعيش 89/6، والبيت الرابع من دون عزو في إنباه الرواة 169/4.

(2) في أمالي القالي: (لَهُمْ جوابُ).

(3) في أمالي القالي: (فلا).

(4) في أمالي القالي: (وفاء).

(5) في أمالي القالي: (فعهدي دائمٌ لَهُمُ وَوُدِّي).

- 2 -

قال(1): [الوافر]

1 ألا يا حَبَّذَا وَطَنِي وَأَهْلِي وَصَحْبِيْ حِين يُذَّكَرُ الصِّحَابُ(2)

2 بِلادٌ مِنْ غَطَارِفَةٍ كِرَامٍ بِهِمْ خَلَّى تَميمَتِيَ الشَّبَابُ(3)

3 وَمَا عَسَلٌ بِبَارِدِ مَاءِ مُزْنٍ على ظمأٍ لِشَارِبِه يُشَابُ(4)

4 بِأَشْهَى مِنْ لِقَائِهِمُ إِلَيْنَا وَكَيْفَ لَنَا بِهِمْ وَمَتَى الإِيَابُ؟(5)

5 يَحِنُّ إليهِمُ قَلْبِي فَأُمْسِي كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِهِمْ مُصَابُ

6 وَأَزْجُرُ للتخَوُّفِ كلَّ طَيْرٍ وَبَعْضُ الطيرِ أحياناً صَوَابُ

7 فَيُعْجِبُنِي السَّوَانِحُ سَالِمَاتٍ وَيُحْزِنُنِي إِذَا نَعَبَ الْغُرَابُ

- 3 -

وقال أيضاً(6): [الطويل]

(1) الأبيات (3–7) للحارث بن كلدة الثقفي عند السري الرفاء في المحب والمحبوب 201/2، والأبيات (1–4) من دون عزو في الحنين إلى الأوطان: 47، ومحاضرة الأبرار 432/2. والبيتان (1، 2) عند أبي العلاء في رسالة الغفران: 158 في وصف شراب وخمر الجنة. ويبدو أن هذه الأبيات مع سابقتها من قصيدة واحدة؛ يدل على ذلك وزنها ورويها، ووجود البيت (5) الذي هو البيت (7) في المقطعة السابقة.

(2) في محاضرة الأبرار: (يذكرني).

(3) في محاضرة الأبرار: (غرانقة حَلِّي).

(4) في رسالة الغفران: (فما).

(5) في الحنين إلى الأوطان: (لقائكم إلينا كيف لنا به)، وفي رسالة الغفران: (لُقِيِّكُمُ إلينا فكيف لنا به)، وفي (تَلَقِّيكم إلينا فكيف لنا به).

(6) قالها معاتباً أمية بن أسيد بن علاج الثقفي. والأبيات (1، 4، 5، 6، 7) للحارث بن كلدة في الحماسة البصرية. والأبيات (1، 2، 3، 4، 5) له في حماسة ابن الشجري: 259/1، والبيتان (1، 6) في ذيل الأمالي: 220 غير منسوبين، وفي التذكرة السعدية 38/1، والأبيات (1، 2، 3، 6) تعزى لغيره، وهي في ذيل اللآلي: 105 من السمط، و(1، 6) في حماسة البحتري 310/1؛ ولكنه أغرب في عَزوه فنسبها لأبي الذُّبَيَّة الطائي (تعليق الميمني)، وليسا في ديوانه ولا في صلته. والبيتان نفسهما عند البحتري في الحماسة 228/1 للحارث بن كلدة الثقفي، والأبيات (2، 3، 8) مع ثلاثة أخرى عند البحتري في حماسته 234/2 لابن الذئبة الثقفي، و(5، 6) في المؤتلف 172، وحماسة ابن الشجري 62 واللسان (بعد)، والصداقة 113، تهذيب اللغة 246/2 (غير منسوبين)، و(2،

1 أَلاَ رُبَّ مَـنْ يَغْشَى الأبـاعـدَ نَفْعُهُ   وتَشْقَى بِـهِ حتى المماتِ أقَارِبُهْ[1]

2 تَبَغَّ ابنَ عمِّ الصدقِ حيثُ وَجَدْتَهُ   فـإنَّ ابـنَ عَـمِّ السُّوءِ أَوْعَـرُ جَانِبُهْ[2]

3 تـبـغَّـيْـتُـهُ حـتـى إذا مـا وجـدْتُـهُ   أَرَانـي نَهارَ الصَّيْفِ تَجْري كِوَاكُبُهْ

4 فَخَلِّ ابـنَ عـمِّ السَّوْءِ والـدهْـرَ إنَّـهُ   سَـيَـكْـفـيـكَـهُ أيـامُـهُ وتجارِبُهْ[3]

5 أَرَانِـــي إذا استَغْنَيْتُمُ فـعَـدُوُّكُـمْ   وَأُدْعَـى إذا ما الدهْرُ نابَتْ نوائِبُهْ[4]

6 فــإن يَــكُ خـيْـرٌ فـالـبـعـيـدُ يـنـالُـهُ   وإن يَكُ شَرٌّ فابْنُ عمِّكَ صاحِبُهْ[5]

7 لعلَّكَ يـومـاً أن يَـسُـرَّكَ مشْهَدِي   إِذَا جـاءَ خَصْمٌ كالحُبَابِ تُشَاغِبُهْ

8 وَرُبَّ ابـنِ عـمٍّ تـدَّعيـهِ ولـو ترى   خبيئَتَهُ يَـوْمـاً لَـسَــاءَكَ غائِبُهْ[6]

9 فَــإِنْ أَنَــا عَـنْـهُ لَـمْ يَـدَعْـنِـيَ شَـرُّهُ   وَدَبَّــتْ إِلَــيَّ حَـيْـثُ كَـانَـتْ عَـقَـارِبُـهْ

- 4 -

وقال أيضاً[7]:   [البسيط]

3، 1، 6) في الوحشيات: 120، والبيتان: (5، 6) في التذكرة الحمدونية 55/5، ومجموعة المعاني: 64 للحارث ابن كلدة، اللسان (بعد) دون نسبة. والأبيات: (2، 3، 8، 6، 1، 4) مع ثلاثة في الصداقة والصديق: 283، 284 غير منسوبة. والبيت الأول في الصناعتين: 123، الميداني 281/1 (غير منسوب)، والبيتان (1، 6) للحارث بن كلدة الثقفي في الموازنة عند الآمدي 178/1، والأبيات (8، 9، 1، 6) للحارث بن كلدة الثقفي في المنثور البهائي: 252.

(1) في الصداقة: (ويشقى)، وفي الموازنة: (من الناس..... ويشقى)، وفي الحماسة الصغرى: (وفي الناس من يغشى..... ويشقى).

(2) في الصداقة: (أُوعرَ)، وفي حماسة البحتري: (لقيته..... أُوغِرَ).

(3) في الصداقة: (ستدركه أيامه ونوائبه).

(4) وفي حماسة البحتري: (أما إذا استغنيتم)، وفي مجموعة المعاني: (فأما)، وفي المؤتلف: (وأما..... نابت عليكم نوائبه).

(5) في الحماسة الصغرى: (خيراً....، وشرّاً)، وفي المؤتلف: (قاربه)، وفي مجموعة المعاني: (صاحبه)، وفي الصداقة: (خيراً.... وإن كان شرّاً).

(6) في حماسة البحتري: (مُغَيَّبَ ما يخْفِي).

(7) الأبيات الخمسة للحارث بن كلدة عند الآمدي في المؤتلف والمختلف: 172 والأبيات (1، 2، 4، 5) في ابن الشجري: 72 وطبعة ملوحي 274/1 وفي الحماسة البصرية 1419/3، والبيتان (1، 2) في المحاسن والأضداد: 32 دون نسبة، والبيتان (4، 3) في البيان 106/2 للحارث بن حلزة، (وأظنه تحريفاً)، وعند البيهقي في المحاسن والمساوئ: 567، والبيتان (5، 4) دون نسبة عند اليوسي في زهر الأكم 168/3.

1 إنَّ اختيارِكَ لا عَـنْ خِـبْـرَةٍ سَلَفَتْ | إلاَّ الرَّجاءُ ومما يُخطِىءُ البَصَرُ[1]
2 كالمُسْتَغِيثِ ببطنِ السَّيْلِ يَحْسَبُهُ | جَـزْراً يُـبَـادِرُهُ إذْ بَـلَّـهُ المَطَرُ[2]
3 فَـقَـدْ رَأَيْـتُ بِـعَـبْـدِ اللهِ وَاعِـظَـةً | تَنْهَى الحَليْمَ فما أَنْـآنِـيَ الغَرَرُ[3]
4 إنَّ السَّعِيدَ لَـهُ في غَـيْـرِهِ عِظَةٌ | وفـي الـتَّـجـارِبِ تَـحْـكِـيـمٌ ومُـعْـتَـبَـرُ
5 لأعْـرِفَـنَّـكَ إنْ أرسَـلْـتَ قـافِـيَـةً | تَلْقَى المعَاذِيرَ إن لم تنْفَعِ العِذَرُ[4]

- 5 -

وقال[5]: [الوافر]

1 تَـرَكْـتُ الـفـارسَ الـبَـذَّاخَ مِنْهُمْ | تَـمُـجُّ عـروقُـهُ عَـلَـقـاً عَبِيطَا[6]
2 دَعَـسْـتُ لَـبَـانَـهُ بـالـرمْـحِ حَتَّى | سَـمِـعْـتُ لـمـتْـنِـهِ فِـيْـهِ أَطِيطَا[7]

---

(1) في المؤتلف: (ولا الرجاء ..... النظر)، وفي المؤتلف والمختلف والحماسة الشجرية: (إن اختياريك).
(2) في الحماسة الشجرية: (حِرْزاً).
الجزر: انحسار الماء ورجوعه إلى خلف.
(3) في الحماسة الشجرية: (أنَساني).
(4) في المؤتلف: (لأعرفنَّك ..... لاتنفع)، وفي البيان: (تلقي المعاذير)، وفي الحماسة الشجرية: (لأعرفنك..... لا ينفع).
المعاذير: الحجج؛ قال الجاحظ: والمعاذير هنا على غير معنى قول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ والمفرد معذار. العذر: جمع عِذْرة وهي الحجة التي يعتذر بها.
(5) قال الحارث بن كلدة هذه الأبيات يوم الحُرَيْرَة، وقد كان هذا اليوم لهوازن على كنانة، وهو آخر الأيام الخمسة من أيام الفجار الآخر، انظر أيام ثقيف من الدراسة.
والأبيات في أيام أبي عبيدة 523/2، نهاية الأرب للنويري 430/15، والعقد الفريد 223/5.
(6) البذَّاخ: البَذَخ: الكِبْر، وهو أيضاً تطاوُلُ الرجل بكلامه وافتخاره، وشرف باذِخٌ؛ أي عالٍ، انظر: اللسان (بذخ).
(7) اللَّبَانُ: الصَّدْر، وقيل: وسطه، وقيل: ما بين الثديَيْن، ويكون للإنسان وغيره، وفي حديث الاستسقاء: «أتيناك والعذراء يدْمَى لَبانُها»؛ أي يَدْمَى صدرها لامتهانها في الخدمة، فهي لا تجد ما تعطيه من يخدمها بسبب الجدب وشدة الزمان، وأصل اللبان في الفرس موضع اللبب، ثم استعير للناس، انظر اللسان (لبن). أطيط الإبل: صوتُها، وأطَّت الإبل تئط أطيطا: أنَّت تَعَباً أو حنينا، ومنه حديث أم زرع: «فجعلني في أهل صهيل وأطيط»؛ أي في أهل خيل وإبل. وقد يكون الأطيط في غير الإبل؛ ومنه حديث عتبة بن غزوان حين ذكر باب الجنة فقال: «ليأتينَّ على باب الجنة زمان يكون له فيه أطيط»، أي صوت بالزِّحام، وفي الحديث: «أطت السماء»، الأطيط: هو صوت الأقتاب، وهذا إيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثَمَّ أطيط، وإنما هو كلام أريد به تقرير عظمة الله عز وجل، انظر: اللسان (أطط). والمعنى أنه دعس لبانه حتى سُمِعَ له صوتُ بكاء وحنين وأنين.

3 لقد أَرْدَيْتَ قَوْمَكَ يا بْنَ صَخْرٍ وقد جَشَّمتَهُمْ أمراً سَليطَا

4 وَكَمْ أسْلَمْتُ مِنكُمْ مِنْ كَمِيٍّ جريحاً قد سَمِعْتُ لَهُ غَطِيطَا

- 6 -

قال(1): [الرمل]

1 وَلَنَا في الْحَيِّ لِلْمَقْتِ جَبَلْ راسخٌ في الطولِ رَأْسٌ قَدْ مَثَلْ

2 تَمْرَضُ الأَرْوَاحُ مِنْ رُؤْيَتِهِ وَيُغَشِّيهَا نُعَاسٌ وَكَسَلْ

*****

عثمان بن أبي العاصي بن بشر الثقفي 51هـ(2)

قال(3): [الطويل]

---

(1) البيتان في: ربيع الأبرار 310/2.

(2) هو عثمان بن أبي العاصي بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همَّام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطائط [أو حطيط] بن جشم بن ثقيف، هكذا ذكره المرزباني في معجم الشعراء، وسماه مُحقِّقُ كتاب إيضاح شواهد الإيضاح «عثمان بن بشر» خطأ؛ لأن من كانت هذه صفاته وأعماله هو عثمان بن أبي العاصي بن بشر، كما ذكر ابن حجر في الإصابة وابن سعد في طبقاته وابن حزم في جمهرة الأنساب والزركلي في الأعلام. وعثمان صحابي جليل من خيار الصحابة، أسلم في وفد ثقيف، شاعر فارس، ولاه الرسول ﷺ الطائف، وهو القائل: كان من آخر ما عَهِد إليَّ رسولُ الله ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال: «يا عثمان تجوز في الصلاة، واقدر الناس بأضعفهم؛ فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة». منع ثقيفاً من الردة وقال لهم: «كنتم آخر الناس إسلاماً؛ فلا تكونوا أولهم ارتداداً». ولاه عمر رضي الله عنه على عمان والبحرين سنة 15هـ، غزا فارس وثلاثة من بلاد الهند، وله فتوح، وإليه ينسب شط عثمان بالبصرة، أمه صفية بنت أمية بن عبد شمس، وكانت تحت عثمان ريحانة بنت أبي العاصي بن أمية، فولدت له محمد بن عثمان، ومن ولده عبد الوهاب بن عبد المجيد المحدِّثُ المشهور. وكان قد وجه أخاه الحكم بن أبي العاصي إلى البحرين، وافتتح الحكم فتوحاً كثيرة بالعراق سنة تسع عشرة أو عشرين، وكتب عثمان إلى أمير المؤمنين عمر يُعْلمه بذلك، فكتب إليه: «يا أخا ثقيف! حَمَلتَ دوداً على عود، وإني أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذتُ من قومكَ مِثْلَهم». استمر عثمان والياً على البحرين وعمان حتى آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان فعزله، فسكن البصرة إلى أن تَوفي. انظر ترجمته في: الإصابة ت 5443، وابن سعد 372/5 وجمهرة الأنساب266 والأعلام للزركلي207/4 نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي الحسني 6/1، وإيضاح شواهد الإيضاح 142/1.

(3) كان يقال لعثمان فارس السَّرْح، وكان قد شد على عمرو بن معدي كرب في الجاهلية، فهرب عمرو فقال عثمان في ذلك الأبيات السابقة.

1 لَعَمْرُكَ لولاَ الليلُ قامَتْ مآتمٌ حواسرُ يَخْمشْنَ الوجوهَ على عَمرِو[1]

2 وأفلتَنا فَوْتَ الأَسِنَّةِ بعد ما رأى الموتَ والخطِّيَّ أقربَ من شِبْرِ

3 يحثُّ برجليه سَبوحاً كأنها عُقَابٌ دَعَاها جُنْحُ ليلٍ إلى وَكْرِ

*****

عمرو بن شُبَيْل الثقفي[2]

*****

عمرو بن مسعود بن معتب الثقفي[3]

---

(1) عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وفد على المدينة سنة 9هـ في عشرة من بني زبيد فأسلم وأسلموا، وعادوا، ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وبعثه عمر إلى العراق فشهد القادسية، كان عصي النفس، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور، أخبار شجاعته كثيرة، له شعر جيد، أشهر قصائده التي يقول فيها:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

توفي على مقربة من الري، وقيل: قتل عطشاً يوم القادسية سنة 21هـ، له شعر جمعه: مطاع الطرابيشي. انظر: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، معجم الشعراء: 89، 90، الإصابة 388/6، الأعلام للزركلي 86/5.

(2) هو عمرو بن شبيل [أو شبل] بن عجلان من ولد عتاب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف الثقفي، ذكره ابن حجر في الإصابة 305/4، وعده المرزباني شاعراً ولم يورد له شعراً؛ وقال: «إنه مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وله شعر لم يحفظ»، وهو صحابي شهد بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكانت تحته حبيبة بنت المطعم بن عدي، ولكني لم أقف على ترجمة له في معجم الشعراء، ولعلها في القسم الضائع من المعجم، كما ذكره ابن الجراح في من اسمه عمرو من الشعراء: 131.

(3) هو عمرو بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وهو ابن عم والد المغيرة بن شعبة، وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف أخت آمنة. قال المرزباني في معجم الشعراء: «كان عمرو بن مسعود الثقفي – وهو أخو عروة بن مسعود – صديق أبي سفيان بن حرب الذي كان ينزل عليه إذا أتى الطائف، وقد وفد عمرو على معاوية في أول خلافته وهو شيخ كبير، وذكر له أنه كان صديق أبيه أبي سفيان، وعاش عمرو إلى أن أسن، وحين وفد على معاوية أنشده أبياتاً، وصف فيها ما كان بينه وبين أبيه، وما مر عليه من الزمان، وما أصيب به من ماله، ومن ولده، ومن حُجَّاب معاوية، فما كان من معاوية إلا أن بكى، وقرَّبه إليه وبره، وأعطاه من الهبات السخية، ووصله بصلة سنية، ورده إلى الطائف، وكتب إلى عامله يوصيه به، فلم يَنْشَبْ أن مات». وقد ذكر ابن حجر أنه لم يبق بمكة والطائف في حجة الوداع أحد إلا أسلم وحضرها، وبهذا يكون عمرو معدوداً في الصحابة. انظر ترجمته عند: أسامة في العصا: 412–416، وقد ذكر الخبر بالتفصيل، وهو عنده عمرو بن مسعود السلمي، مع اختلاف في الرواية، وهو في الإصابة 683/4، 684؛ وسماه ابن حجر عمرو بن مسعود بن معتب، وأورد الخبر موجزاً نقلاً عن المرزباني في معجمه؛ ولكني لم أقف على الخبر عند المرزباني، ولعل الترجمة في القسم الضائع من معجمه، انظر: من

-1-

قال(1): [البسيط]

1 أَصَبْحْتُ شيخاً كبيراً هامةً لِغَدِ ... يَزْقُو لـدَى جَدَثِي أوْ لا فَبَعْدَ غَدِ(2)

2 أَوْدَى الزمانُ حَلُوبَاتي وَمَا جَمَعَتْ ... كَفَّايَ مِـنْ سَبَدِ الأمـوالِ واللَّبَدِ(3)

3 حَتَّى أَحَـالَ عَلَى مَنْ كانَ لِي عَضُداً ... يا لَـلـرِّجَـالِ فَلَسْتُ اليَـوْمَ ذَا عَضُدِ

4 واللهِ لَـوْ كـانَ يا خَيْرَ الخَلاَئِفِ ما ... لاَقَـيْـتُ في أُحُـدٍ ذَلَّـتْ ذُرَى أُحُـدِ

-2-

قال(4): [البسيط]

1 يا أيُّهَا الملكُ المبْدِي لنا ضَجَرَا ... لو كـان صَخْرٌ لنا لم يُولِنَا ضَجَرَا

2 مَـا بَـالُ شَيخِكَ مَخْنُوقاً بِجِرَّتِهِ ... طَـالَ الـثَّـوَاءُ بِـهِ دَهْـراً وَقَـدْ صَبَرا

3 أَتَـــاكَ تُـرْعَـدُ كَـفَّـاهُ بِـمِـحْـجَـنِـهِ ... لَـم يـتـرُكِ الـدَّهْـرُ من أَوْلاَدِهِ ذَكَـرَا

4 فـاذْكُـرْ أَبَـاكَ أَبـا سفيانَ فَاحْفَظْهُ ... فـي خِـلِّـهِ فَـلَـقَـدْ ضَـيَّـعْـتَـهُ عُـصُـرَا

اسمه عمرو من الشعراء: 124–126. وذكر ابن حجر أيضاً أن عمراً الثقفي دخل على معاوية لما استخلف وأنشده أبياتاً، ولم يذكر منها إلا بيتاً واحداً.

(1) الأبيات الأربعة عند ابن الجراح في: من اسمه عمرو من الشعراء: 125، 126. كما وردت الأبيات الثلاثة الأولى عند أسامة في العصا: 414، وزادت عنده ثلاثة أبيات، كما ورد البيت الأول عند ابن حجر في الإصابة 683/4.

(2) يزقو: يصيح، وكذلك الصبي إذا اشتد بكاؤه، وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: «إن كانت إلا زَقْيةً واحدةً» في موضع صيحة، وأَزْقَيْتُ هامةَ فلان أي قتلته، اللسان (زقو). الجَدَث: القبر، وجمعه أَجْدُث وأجداث.

(3) يقال: «مَا لَه سَبَدٌ ولا لَبَدٌ»؛ أي: ما له قليل ولا كثير. والسَّبد من الشعر، واللبد من الصوف، وفي الحديث: رأيت ابن عباس ﷺ جاء مكة مُسَبِّداً رأسه؛ سنن البيهقي: كتاب الحج، حديث رقم 9491.

(4) الأبيات في العصا: 412، 413 وفي من اسمه عمرو من الشعراء: 126، 127 وفيه اختلاف في الرواية، انظر: من اسمه عمرو من الشعراء: 126، 127.
ورد الشطر الثاني من البيتين الثالث والسادس بالألفاظ نفسها سوى (أولاده)، (أبنائه)؛ ولعل البيتين بيت واحد، وأن الأمر لا يعدو سوى اختلاف في الرواية، وقد وقع خطأ في الرواية أدى إلى تكرار عجز البيت. أما البيت الرابع فقد ورد هكذا في المصدر؛ وفيه خطأ في الوزن.

5 قَدْ مَرَّ شَهْرٌ وَشَهْرٌ لا يُرَى طَمَعٌ   يُدْنِيهِ مِنْكَ وَهَذَا الموتُ قَدْ حَضَرَا

6 أَفْنَى حَلُوبَتَهُ واجْتَاحَ آلَتَهُ   لم يَتْرُكِ الدَّهْرُ من أبْنَائِهِ ذَكَرَا

*****

كنانة بن عبد ياليل بن عمرو(1)

-1-

قال(2): [الكامل]

1 يا عَمْرُو لا تَأْخُذْكَ فِيهِمْ رَأْفَةٌ   احذَرْهُمُ حَذَرَ امرئٍ لاَ يَمْزَحُ

2 واحذَرْهُمُ كالمصطَلِي بِجَحِيمِها   إنَّ القَرابَةَ كلَّ يومٍ تُنْزَحُ

-2-

قال(3): [الطويل]

---

(1) كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غِيَرَةَ بن عوف بن ثقيف، كان من أشراف ثقيف الذين قدموا على الرسول ﷺ بعد عوده من حصر الطائف، وبعد قتلهم عروة بن مسعود، فأسلموا، وكان عبد ياليل سن عروة بن مسعود، وأردف وكان ابنه كنانة شريفاً وقد أسلم مع وفد ثقيف، فهو شاعر مخضرم، وهو ابن عم أبي محجن الثقفي، وقد أنشد له– لكنانة– ابن إسحاق في يوم حنين شعراً يجيب به مالك بن عوف النضري. وقد جعله الميداني أحد مطاعيم الريح الذين يضرب بهم المثل: «أقرى من مطاعيم الريح»؛ وهم الذين كانوا إذا هبَّت الصَّبا أطعموا الناس، وخصَّوا الصبا لأنها لا تهب إلا في جدب. والذي يبدو لي أن بعض كتب التراجم وقعت في خلط بين كنانة ابن عبد ياليل بن سالم؛ وهو جاهلي لم يسلم وكان يمدح النعمان، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو الذي أسلم، وله شعر، وقد اعتمدت في ترجيحي على ما ذكره المرزباني في معجمه وابن سعد في طبقاته، اللذان نقلا نسباً مختلفاً لهما؛ قال المرزباني: «وأمرهما مشكل لاتفاق الأسماء واختلاف النسب، والله أعلم»، وممن وقع في هذا الخلط ابن الأثير في أسد الغابة، ومن المحدثين الدكتورة عزيزة فوال بابتي في معجم الشعراء المخضرمين والأمويين: 192. انظر ترجمته: طبقات ابن سلام: 259، معجم الشعراء: 353، الاستيعاب 226/1، أسد الغابة 190/4 السيرة النبوية 123/4، طبقات ابن سعد 255/4، ومعجم ما استعجم: 78، مجمع الأمثال 127/2.

(2) البيتان لكنانة بن عبد ياليل في البرصان والعرجان: 206.

(3) لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين وسار إلى الطائف قال كعب بن مالك:

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ   وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيوفَا

نُخَيِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ   قَوَاطِعُهُنَّ دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا

قال ابن الأثير في أسد الغابة: «قال ابن سيرين: فبلغني أن دوساً إنما أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك»، فقالت

1 مـن كــانَ يَـبْـغِـيـنَـا يـريـدُ قِـتَـالَـنـا فـإنَّـا بـــدارٍ مَـعْـلَـمٍ لا نَرِيمُهَا(1)

2 وَجَـدْنَـا بِهَا الآبـاءَ من قبل ماَ تَرَى وكانتْ لَنَا أطـواؤُهَـا وكُرُومُهَا(2)

3 وقـد جَرَّبَتْنَا قبلُ عَمرُو بـنُ عامرٍ فأَخْـبَـرَهَا ذُو رَأْيِـهـا وَحَلِيمُهَا(3)

4 وقـد عَلِمَتْ إنْ قالتِ الحقَّ أَنَّـنَـا إذا ما أَبَـتْ صُعْرُ الخُدودِ نُقِيمُها(4)

5 نُـقَـوِّمُـهَـا حـتـى يلين شَـرِيـسُـهَـا ويـعـرِفَ للحَقِّ المبينِ ظَلُومُهَا(5)

6 علينا دِلاَصُـٌ مـن تـراثِ مُـحَرِّقٍ كَـلَـوْنِ السَّماءِ زَيَّنَتْها نُجُومُهَا(6)

7 نُـرَفِّـعُـهَـا عـنَّـا بِـبِـيـضٍ صَـــوَارِمٍ فـإنَّـا بـــدارٍ مَـعْـلَـمٍ لا نَرِيمُهَا(7)

*****

-1-

وينسب إلى كنانة بن عبد ياليل الثقفي(8): [الطويل]

دوس: انطلقوا فخذوا لأنفسكم؛ لا ينزل بكم ما نزل بثقيف. أما ثقيف فأجاب عنها كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بالأبيات: (من كان يبغينا...)». انظر سيرة ابن هشام 133/4 وأسد الغابة 178/4.

الأبيات في سيرة ابن هشام في السيرة النبوية 133/4 لكنانة بن عبد ياليل الثقفي. والأبيات (3، 4، 5، 6) في معجم ما استعجم: 78 منسوبة إلى الأجش بن مرداس الثقفي.

(1) مَعْلَم: مشهورة. لا نريمها: لا نبرح منها ولا نزول. وفي البيت خَرْم.

(2) الأطواء: جمع طوِيّ، وهي البئر، جُمِعَتْ على غير قياس، ويروى «أطوادها» يعني بها الجبال.

(3) قوله: «وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر» جاء جواباً للأنصار؛ لأنهم بنو حرثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ولم يُرِدْ أن الأنصار جربتهم قبل ذلك؛ وإنما أراد إخوتهم وهم خزاعة؛ لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة.

وقال البكري: إنما أراد بني عمرو بن عامر بن صعصعة، وكانوا مجاورين لثقيف، وكانت ثقيف قد أنزلت بني عمرو بن عامر في أرضهم ليعملوا فيها، ويكون لهم النصف في الزرع والثمر، ثم إن ثقيفاً منعتهم من ذلك، وتحصنوا بالحائط الذي بنوه حول حضرهم، فحاربتهم بنو عمرو بن عامر، فلم يظفروا منهم بشيء، وجلوا عن تلك البلاد. (انظر: كلام محقق سيرة ابن هشام في الحاشية 133/4 نقلاً عن السهيلي).

(4) صعر الخدود: هي المائلة إلى جهة تكبراً وعجباً.

(5) شريسها: شديدها.

(6) دلاص: الدروع اللينة. ومحرِّق (هنا) هو عمرو بن عامر؛ وهو أول من حرق العرب بالنار.

(7) لا نشيمها: لا نغمدها؛ يقال: شمت السيف إذا أغمدته، وشمته إذا سللته؛ فهو من الأضداد.

(8) الأبيات في الحماسة الشجرية 264/1، 265 لكنانة بن عبد ياليل، وتروى للحارث بن وَعْلَةَ الشيباني وللأجرد

1 مَا بَـالُ مَـنْ أَسْـعَى لأَجْـبُـرَ عَظْمَهُ   حِفَاظاً وَيَـنْـوِي مِـنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي
2 أَظُـنُّ صروفَ الدَّهْرِ بيني وبينَهُمْ   ستحمِلُهُمْ مِنِّي عَلَى مَـرْكَـبٍ وَعْـرِ
3 أَنَـاةً وِحِـلْـمـاً وَانْـتِـظَـاراً بِـهِـمْ غَـداً   وَمَـا أَنَـا بـالْـوَانِي ولا الضَّرَعِ الغُمْرِ
4 أَلَـمْ تَعْلَمُوا أَنِّـي تُـخَـافُ عَرَامَتِي   وأنَّ قَـنَـاتِـي لا تَـلِـيـنُ عَـلَى القَسْرِ
5 وَأَنِّـي زَعِـيـمٌ إِنْ تَـرَاخَـتْ مَنِيَّتِي   بألفٍ يَـقُـودُونَ الجِيادَ إِلَـى الثَّغْرِ

*****

مرداس بن عمرو الثقفي(1)

قال(2):   [الوافر]

1 فَـإِنَّ اللهَ لَـمْ يُـؤْثِـرْ عَـلَـيْـنـا   غَـدَاةَ يُـجَـزِّئُ الأرضَ اقْـتِـسَـامَـا
2 عَـرَفْـنَـا سَهْمَنَا في الـكَـفِّ يَـهْـوِي   كَـذَا نَـوْحـاً وَقَـسَّـمْـنَـا السِّهَامَا(3)
3 فـلـمَّـا أَنْ أَبَـانَ لـنـا اصْـطَـفَـيْـنَـا   سَـنَـامَ الأرضِ إنَّ لَـهَـا سَـنَـامَـا
4 فـأنْـشَـأْنَـا خَـضَـارِمَ مَـتْـجـرَاتٍ   يـكـونُ نِـتَـاجُـهَـا عِـنَـبـاً تُـوَءَامَـا
5 ضَـفَـادِعُـهَـا فَـرَائِـخُ كُـلِّ يـومٍ   على جُـوبٍ يُـرَاكِـضْـنَ الـحَـمَـامَـا
6 وأسـفـلُـهَـا مـنـازِلُ كـلِّ حـيٍّ   وأعْـلاَهَـا تـرى بَـلَـداً حَـرَامَـا

*****

الثقفي، وقد أثبتُّها في الشعر المجموع للأجرد الثقفي بتخريجها واختلاف رواياتها، فانظرها هناك.

(1) لم أعثر له على ترجمة، وهكذا سماه ياقوت في معجم البلدان (الطائف)؛ وأرجح أنه مرداس بن سهم بن عمرو بن عبدالله بن الفجو بن أبان، استناداً إلى ما وجدته في نوادر المخطوطات 337/2.

(2) البيتان في معجم البلدان (الطائف).

(3) في معجم البلدان (كذا نوحٍ)؛ وهو خطأ، وصوابه ما أثبتناه.

ثالثاً: الثقفيون الإسلاميون
وأشعارهم

ابن الكاهلية الثقفي[1]

قال[2]: [الوافر]

1 ثلاثٌ قد وَلَدْنَكَ من حُبُوشٍ إذا يَسْمُو خَدِينُكَ بالزِّمَامِ[3]

2 تُمَدَّرُ والبُرَيْحُ وأمُّ قدحٍ ومجلوبٌ يعدّ مِنْ آلِ حَامِ[4]

*****

ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق[5]

قال[6]: [الطويل]

---

(1) لم أهتد إلى ترجمة له.

(2) كان عبد الرحمن بن أم الحكم ينازع يزيد بن معاوية كثيراً، فقال معاوية لأبي خداش بن عتبة بن أبي لهب: إن عبدالرحمن لا يزال يتعرض ليزيد، فتعرض له أنت حتى تُسْمعَ يزيد ما يجري بينكما، ولك عشرة آلاف درهم. قال: عجلها لي. فعجلها له، فحملت إليه، ثم التقوا عند معاوية، فقال أبو خداش: يا أمير المؤمنين، أعدني على عبدالرحمن؛ فإنه قتل مولىً لي بالكوفة. فقال عبد الرحمن: يا بن بنت، ألا تسكت ؟ فقال أبو خداش لعبد الرحمن: يا بن تمدر، يا بن البريح، يا بن أم قدح. فقال معاوية: يا أبا خداش حسبك، يرحمك الله على دية مولاك. فخرج أبو خداش ثم عاد إلى معاوية، فقال: أعطني عشرة آلاف أخرى، وإلا أخبرتُ عبد الرحمن أنك أنت أمرتني بذلك. فأعطاه عشرة آلاف، وقال: فسِّر ليزيد ما قلتَ لعبد الرحمن. قال: هنَّ أمهات لعبد الرحمن حبشيات، وقد ذَكَرَهُنَّ ابن الكاهلية الثقفي وهو يهجو ابن عم لعبد الرحمن ابن أم الحكم.
انظر: تاريخ ابن عساكر 53/35، 54، وذكر ابن دريد في الاشتقاق أن: «عبد الرحمن بن أم الحكم أمه أخت معاوية بن أبي سفيان.، وكان يعيَّر بجدتين له حبشيتين يقال لهما: البزيخ وواهص». واحتمال التحريف والتصحيف وارد في الإسمين، لكن حادثة التعيير ثابتة في المصادر. انظر: الاشتقاق: 302.
البيتان في أنساب الأشراف: ق4، ج1: 78 لابن الكلبية الثقفي، والاسم فيه تحريف لتقارب الرسم، تاريخ ابن عساكر 54/35 وقد ورد البيتان هكذا عند ابن عساكر، والشطر الثاني من البيت الثاني فيه خلل في الوزن، وصوابه: مِنَ الِ حام.

(3) في أنساب الأشراف: (تَسْمو جَذَبْنَكَ).

(4) ضبط البلاذري الأسماء هكذا: (تَمَدُّرُ والبَرِيح).

(5) لم أعثر له ترجمة.

(6) خرج جرير يوماً يتحسس الأخبار، فإذا هو بغلام يتغنى على قعود له بهذه الأبيات؛ فقال جرير: يابن أخي، من أنت؟ فقال: غلام من قريش، وأصلي من ثقيف، أنا ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق، قُتل أبي مع عثمان يوم الدار. فعجب جرير من شعره، وكتب بذلك إلى علي رضي الله عنه، فقال علي: «والله ما أخطأ الغلام شيئاً».
الأبيات في شرح نهج البلاغة 86/3، وفي وقعة صفين: 54. والبيت الأول في الفتوح لابن الأعثم: 522، وأورد المحقق الأبيات (2، 3، 4) في الحاشية.

1 حُكَيْمٌ وعَمَّارُ الشَّجَا ومحمدٌ   وأشترُ والمكشوحُ جَرُّوا الدَّواهِيا[1]

2 وقد كان فيها للزبيرِ عَجَاجَةٌ   وصاحبُهُ الأدنى أثاروا الدواهيا[2]

3 فأمَّا عليٌّ فاستجارَ بِبَيْتِهِ   فلا آمِرٌ فيها ولم يَكُ ناهيا[3]

4 فَقُلْ في جميع الناس ما شِئْتَ بَعْدَهُ   فلو قلتَ: أخطا الناسُ لم تَكُ خاطِيَا[4]

5 وإنْ قلتَ: عُمَّ القومُ فيه بِفِتنةٍ   فحسْبُكَ مِنْ ذَاكَ الذي كان كافِيَا

6 فقولا لأصحاب النبيِّ محمدٍ   وخُصَّا الرجالَ الأقربين الأدانِيا[5]

7 أَيُقْتَلُ عثمانُ بنُ عفانَ بينَكُمْ   على غيرِ شَيْءٍ ليس إلاَّ تعامِيَا[6]

8 فلا نومَ حتى نَسْتَبيح حريمَكُمْ   ونخضِبَ من أَهْلِ الشَّنَانِ العَوَالِيَا[7]

*****

أبو عبيد بن مسعود الثقفي (13هـ)[8]

---

(1) في الفتوح: (وعمار وشيخ ومحمد ومالك).
حُكَيْمٌ بصيغة التصغير هو ابن جبلة بن حصن العبدي، وكان من عمال عثمان على السند ثم البصرة؛ انظر: مروج الذهب 440/1 والإصابة: 1991. عمار: هو عمار بن ياسر الصحابي. ومحمد: هو ابن أبي بكر الصديق؛ انظر: مروج الذهب 440/1 – 442. والأشتر: لقب مالك بن الحارث الشاعر التابعي، وكان قد قدم في نفر من أهل الكوفة؛ انظر: المعارف 84 والمكشوح هو المرادي، وقد اختلف في اسمه، انظر: الإصابة 7307.

(2) وقعة صفين: (أشاب النواصيا)
صاحبه الأدنى: يعني طلحة؛ وقد قُتِلَ طلحةُ والزبيرُ يوم الجمل.

(3) في وقعة صفين: (فاستغاث) في موضع (فاستجار).

(4) في وقعة صفين: (وقل..... وإن قلتَ).
ورد الشطر الثاني من البيت الرابع في المصادر: (أخطأ)، وهو خطأ؛ وصوابه تسهيل الهمزة.

(5) في وقعة صفين: (الموائيا).

(6) في وقعة صفين: (وَسْطكم ..... تماديا).

(7) الشنان: الشنآن؛ وهو البغض.

(8) هو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غِيَرَة بن عوف الثقفي، والد المختار الثقفي، كان أول من انتدب لما تثاقل الناس إشفاقاً من لقاء الفرس بعد أن خطبهم عمر بن الخطاب، وكان أول جيش سيره عمر، فلما تتابع الناس وكثروا قالوا: أمِّر علينا، فقال عمر: أؤمر عليكم أول من انتدب، فأمَّرَ أبا عبيد على ألفين، وكان تحت إمرة المثنى بن حارثة، ولما وصل أبو عبيد الحيرة أشار عليه المثنى بعبور الفرات، وكان الناس قد رأوا أن لا يعبر؛ ولكنه أبى وعقد جسراً وعبر، فحصل على مستطرد ضيق، فرشقهم الفرسُ فجُرح منهم الكثير، ثم تدانى الزحفان فأُرسل الفيل

قال[1]: [الرجز]

1 يَـالَـكَ مِـنْ ذِي أَرْبَــــعٍ مـا أَكْـبَـرَكْ

2 لأَعْــــلُــوَنَّ بـالـحُسَـامِ مِـشْـفَـرَكْ

3 فــإن قُـتِـلْـتُ بَـعْـدَهَـا فَـلِـي دَرَكْ[2]

*****

أزدة بنت الحارث بن كلدة الثقفية[3]

قالت[4]: [الرجز]

1 يـا نَـاصِــرَ الإســلامِ صَـفّـاً بَـعْـدَ صَـفْ

2 إن تُـهْـزَمُـوا وَتُــدْبِــرُوا عَـنَّـا نُـخَـفْ

3 أَوْ يَـغْـلِـبُـوكُـمْ يَـغْـمِـزُوا فِـيـنَـا الْـقُـلَـفْ

فخبط الناس، فتقدم أبو عبيد فضرب مِشْفَرَهُ، وتعاور الفرس أبا عبيد فقتلوه. انظر ترجمته وتفاصيل موقعة الجسر في: الرسل والملوك 454/3، الكامل في التاريخ: 439/2- 440، البداية والنهاية: 28/7، 50، الإصابة: 221/1، ديوان أبي محجن صنعة أبي هلال العسكري: 28، 29.

(1) قال أبو عبيد هذا الرجز مخاطباً الفيل في معركة الجسر مع الفُرْسِ يوم (قس الناطف)، التي كانت يوم السبت في آخر شهر رمضان سنة 13 للهجرة. انظر: فتوح البلدان: 309.
والأبيات في ديوان أبي محجن الثقفي: 28، 29.

(2) الدَّرَك: اللحاق والوصول إلى الشيء، يريد أنه إن قُتل فسوف يلحق بأصحابه الذين سبقوه إلى الشهادة. انظر: ديوان أبي محجن الثقفي: 128.

(3) أزدة بنت الحارث بن كلدة الثقفي، قال ابن دريد: قال أبو عبيدة عن الحارث بن كلدة الثقفي: «لم يُخلِّف إلا ابنة يقال لها أزدة»، زوجة عتبة بن غزوان، اشتركت في قتال أهل ميسان، وكانت تقوم بتحريض المسلمين على القتال، كان زوجها عتبة والياً على البصرة في عهد عمر بن الخطاب، توفي عتبة سنة 15هـ، انظر، الرسل والملوك 597/3، الاشتقاق: 305.

(4) اشتركت أزدة ونساء أخريات من ثقيف في موقعة ميسان ضد الفرس، واتخذت النساء من خُمُرِهنَّ رايات؛ موهمات بذلك العدو أن جيشاً كبيراً، ومدداً طويلاً للمسلمين مقبل عليهم، موهنات- بهذه الحيلة- عزائم الفرس، حتى أوقع المسلمون فيهم قتلاً، وحققوا عليهم نصراً، وكانت أزدة تحرض المسلمين بهذا الرجز، انظر: فتوح البلدان: 421.
أورد ابن طيفور أبيات الرجز الثلاثة كاملة لأزدة في بلاغات النساء: 130، ولم يذكر ياقوت إلا البيت الأخير في معجم البلدان: (الفرات)، والرواية فيه: (إن يهزموكم يولجوا فينا الغلف).

الأسود بن مسعود الثقفي[1]

قال[2]: [البسيط]

1 أمسيتُ أعبـد ربـي لا شريك له	ربَّ العباد إذا ما حُصِّل البَشَـرُ[3]
2 أهـلُ المحامِدِ في الدنيا وخالقُها	والمُجْتدَى حينَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[4]
3 لا أبـتَـغـي بَــدَلاً بــاللهِ أَعْــبُــدُهُ	ما دامَ بالجِزْعِ من أركـانِـهِ حَجَرُ[5]
4 أنـت الرسول الـذي تُـرْجَـى نوافِلُه	عند القحوط إذا ما أَقْحَطَ المطَرُ[6]

*****

البراء بن قبيصة[7]

-1-

---

(1) لم تذكر المصادر نسبه كاملاً؛ لكنني تتبعت شجرة نسب القبيلة واجتهدت استناداً إلى ما أثبتته المصادر، وخلصت إلى أنه الأسود بن مسعود، وأنه كما ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب: 267 «والد قارب بن الأسود»، وتتمة نسبه: مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف.

(2) قال هذه الأبيات في مدح رسول الله ﷺ. انظر الإصابة 448/1.
الأبيات الأربعة في مِنَح المِدَح: 40، والوافي بالوفيات 255/9، والبيتان (1، 4) في الإصابة 77/1 ومعجم أعلام شعراء المدح النبوي: 91.

(3) الإصابة: (اليسر) مكان (البشر).

(4) في منح المدح: (أصل المحامد).
المجتدى: الذي تطلب منه الجدوى، أي العطاء.

(5) الجزع: منعطف الوادي ووسطه.

(6) في الإصابة: (فواضله ..... أخطا المطر).
النوافل: جمع نافلة، وهي الغنيمة أو العطية.

(7) البراء بن قبيصة بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب: ولاه الحجاج البصرة، وولاه الكوفة، ثم عزله، وولاه أصبهان، غضب عليه الحجاج يوم الزاوية فهرب منه إلى المدينة، وُلِّي البراء الطائف بعد الحجاج، خطب أم عبد الغفار بنت عبد الملك بن عبد الله بن عامر، لكن تزوجها عبد الأعلى بن عبد الله.
كان البراء صاحب شراب، فقد دخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه أثر، فقال: ما هذا ؟ فقال: فرس لي أشقر ركبته فكبا بي. فقال: لو ركبت الأشهب لما كبا بك! يريد الماء، فعرَّض له الوليد بن عبد الملك بأنه شرب الخمر؛ ولو شرب اللبن أو الماء لما سقط. انظر: جمل من أنساب الأشراف 5803/13.

قال[1]: [الطويل]

1 كَـأَنَّ فُـؤَادِي بَيْـنَ رِجْلَـيْ مُـحَـاذِرٍ ... مِـنَ الطَّيْـرِ فـي جَـوِّ السَّمَاءِ مُحَلِّقِ

2 مَـخَـافَـةَ مَـنْ لا يَتَّقِي الناسُ شَرَّهُ ... مَتى مَا يَعِدْ مِنْ نَفْسِهِ الشَّرَّ يَصْدُقِ

- 2 -

وقال[2]: [الخفيف]

1 أُمَّ عَـبْـدِ الْـغَـفَّـارِ رُدِّي نَـوَالاَ ... وَصِـلِـي حَـبْـلَ عَـاشِـقٍ وِصَالاَ[3]

2 أُمَّ عَـبْـدِ الْـغَـفَّـارِ لَـيْـسَ بِـحِـلٍّ ... قَـتْـلُ نَـفْـسٍ فَـلاَ تَـرَيْـهِ حَـلاَلاَ

- 3 -

وقال[4]: [البسيط]

1 لا أُوْطِـنُ الـدَّارَ إِيطَـانَ الْبَعِيرِ إِذَا ... كَـانَـتْ نَـوَائِـبُ فِـيْـهَـا لاَ تُـؤَاتِـيـنِـي

2 أَكُـلَّـمـا أَخْـطَـأَتْ يوماً بِهَا قَدَمِي ... هَـوِيـتُ عِـنْـدَكَ فـي زَوْرَاءَ تُـرْدِيـنِـي

*****

الحجاج بن عتيك الثقفي [5]

(1) البيتان للبراء بن قبيصة في جمل من أنساب الأشراف 5801/13. وفي عيون الأخبار 145/3 لرجل في الحجاج، والرواية فيه:

كَـأَنَّ فُـؤَادِي بَـيْنَ أظـفـار طائرٍ ... مِـنَ الخـوف في جَـوِّ السَّمَاء مُحَلِّقِ

حـذار امـرئ قـد كنت أعـلـم أنـه ... مَتَى مَا يَعِدْ مِنْ نَفْسه الشَّرَّ يَصْدُقِ

(2) كان البراء قد خطب أم عبد الغفار بنت عبد الملك بن عبد الله بن عامر، وكانوا أرادوا تزويجه إياها فتزوجها عبد الأعلى بن عبد الله، فحقد عليه الحجاج ذلك فلقي منه شرّاً، فقال البراء البيتين، انظر: جمل من أنساب الأشراف 5802-5801/13.

(3) البيت مختل الوزن؛ والأصل أن يكون (عاشقيك).

(4) غضب الحجاج على البراء يوم الزاوية، فهرب منه إلى المدينة، وقال البيتين.
والبيتان في جمل من أنساب الأشراف 5801/13.

(5) هو الحجاج بن عتيك الثقفي، ممن سكن الكوفة، كانت للحجاج أعمال بالتجارة والزراعة في الكوفة، شارك في الفتوحات الإسلامية في عصر الراشدين مع أقاربه، ومنهم من استشهد في معركة الجسر مثل: أوس بن أوس بن عتيك

قال(1): [الرجز المجزوء]

1 يـــــا حــــبـــــذا الإِمَـــــــــــارَهْ

2 ولــــــو عـــلـــى الـــحِـــجَــــارَهْ

*****

الحجاج بن يوسف الثقفي(41هـ)(2)

-1-

الثقفي، وثابت بن عتيك الثقفي. وقفتُ على طرفٍ من أخباره في: الرسل والملوك 454/3 الكامل في التاريخ: 439/2، 440 وأنساب الأشراف 490/1 وجملٍ من أنساب الأشراف 5721/13.

(1) انظر: معجم البلدان (البصرة).

(2) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف. ولد في الطائف، وذهب الزركلي إلى أن مولده كان في قرية بني صخر الواقعة على جبل الهدى، وهو من أشهر جبال الطائف. واختلفت المصادر في تحديد سنة ميلاده؛ فقد تكون سنة تسع وثلاثين، وقيل سنة أربعين، وقيل سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وإن كان معظم المؤرخين يحددون ميلاده بالسنة الأخيرة أي سنة إحدى وأربعين، ويكاد ينفرد الطبري وابن الأثير بذكر عام اثنين وأربعين تاريخاً لهذا الميلاد، أما الحجاج نفسه فكان يقول إنه ولد سنة أربعين. ذهب ابن دريد إلى أن اسم الحجاج مشتق من قول العرب حجاج؛ أي كثير الحج والقصد، أو من قولهم حججت العظم؛ أي قطعته، وهذا يجعل اسم الحجاج هنا يعني قاطع العظم، ويقال إن الحجاج لم يعرف صغيراً بهذا الاسم وإنما كان يسمى كُلَيْباً، ويرى الكثيرون أنه سمي بالحجاج، وأن كليباً لا يعدو كونه لقباً لقب به في الصغر للتفاؤل على عادة العرب. وقد أطلقت عليه ألقاب عديدة؛ مثل: أخو ثقيف، وعبد ثقيف، وجبار ثقيف، وابن أبي رغال، والمبير، والسفاك، وغيرها بقصد الإساءة إليه. أما والده فقد كان رجلاً تقياً على جانب من العلم والفضل، وصفه ابن خلدون بأنه من سادات ثقيف وأشرافها، اشترك يوسف بن الحكم وابنه الحجاج في الجيش الذي وجهه مروان بن الحكم إلى ابن الزبير، وكان مع يوسف بعض الألوية في موقعة (الربذة) التي هزم فيها الجيش المرواني. أما والدته فهي الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي، وجد الحجاج لأمه هو أول شهيد مسلم في الطائف.
سمع الحجاج التفسير من ابن عباس، وروى عن أنس بن مالك، وسَمُرَةَ بن جُنْدُب، وغيرهم. رحل إلى الشام، ولحق بروح بن زنباع الجذامي– كاتب عبد الملك بن مروان– وكان في عديد شرطته، فبرز بين الجند، وتألق نجمه حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، فوجد فيه القوة، والصرامة، فجعله على رأس جيش جرار رمى به عبد الله بن الزبير في الحجاز حتى قتله، وقضى على ثورته حتى أخمد نارها، فازداد إعجاب عبد الملك به فولاه مكة، والمدينة، والطائف. ذُكِر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفي بسوء، فغضب وقال: إنما تذكرون المساوئ، أو ما تعلمون أنه أول من ضرب درهماً عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام، وأول من اتخذ المحامل، وأن امرأة من المسلمين سبيت في الهند، فنادت يا حجاجاه فاتصل به ذلك، فجعل يقول: لبيك لبيك! وأنفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة. عاش الحجاج خمساً وخمسين سنة، ثم أصيب بمرض في معدته، مات على إثره ليلة 27 رمضان سنة 95هـ، في ولاية الوليد بن عبد الملك، ودفن بواسط، وعفي قبره، وأجري عليه الماء.

قال الحجاج[1]: [الطويل]

1 إذا أنـا لا أبْـغِـي رضَـاكَ وأتـقِـي | أذاكَ فيَوْمِي لا تُـوارَى كواكِبُهْ[2]
2 ومـا لامــرئٍ بعدَ الخليفَةِ جُـنَّـةٌ | تَقِيهِ من الأمـرِ الـذي هوَ راكِبُهْ[3]
3 أُسَالمُ مَنْ سَالمْتَ من ذي هَـوَادَةٍ | ومـن لـم تسالمْهُ فَـإنِّـي مُحارِبُهْ[4]
4 إذا قـارفَ الحجَّاجُ فيكَ خطيئَةً | لقامتْ عليه بالصياحِ نوادِبُهْ[5]
5 إذا أنـا لَـمْ أُدْنِ الشفيقَ لِنُصْحِهِ | وأُقْصِ الـذي تسْرِي إليَّ عَقارِبُهْ[6]
6 وأعـطِ المُواسِي في الـبـلاءِ عطيَّةً | لِـرَدِّ الـذي ضاقَتْ عليَّ مذاهِبُهْ[7]
7 فـمَـنْ يتقِي يـومِـي ويـرْجـو مودَّتي | ويخشَى غـداً والدهرُ جَـمٌّ نوائِبُهْ[8]

---

(1) روي أن الحجاج بن يوسف لما أسرف في قتل أسرى دير الجماجم وأعطى الأموال؛ بلغ ذلك عبد الملك بن مروان؛ فكتب له مبدياً استنكاره لما فعل، بل زاد على ذلك فقال: «وقد حكمت عليك في الدماء الخطأ بالدية، وفي العمد بالقود، وفي الأموال أن ترد». وكتب في أسفل كتابه أبياتاً أولها:

إذا أنـت لم تـترك أمــوراً كرهتُها | طلبتَ رضاي بالذي أنت طالبُهْ

فلما ورد الكتاب إلى الحجاج كتب له مسوغاً ما فعل، وذيل الرسالة بالأبيات السابقة.

الأبيات جميعها ماعدا الثالث في المستطرف 182/1، 183. والأبيات (1، 5، 7، 8، 10، 11) في الفتوح 165/7–166. والأبيات (1، 3، 4، 5، 6، 7، 11) في الحماسة البصرية 841/2. والأبيات: (1، 4، 3، 5، 7) في ابن عساكر 156/12. والأبيات (1، 3، 4، 5، 7) في البداية والنهاية 128/9. والأبيات (1، 2، 3، 4، 5، 10، 11) في وفيات الأعيان 36/2. والأبيات (1، 2، 3، 4، 5، 7، 10، 11) في مروج الذهب 104/2.

(2) في الحماسة البصرية: (أنا لم أطلب). وفي المستطرف: (فَلَيْلِي لا تَوَارَى). وفي وفيات الأعيان: (لم أبغ ..... ذاك فيومي لا تزول). وفي ابن عساكر: (لم أطلب رضاءك واتَّقي أذاكَ فيومي لا توارت). وفي البداية والنهاية: (لا توارت). توارى: تختفي؛ وقوله (لا توارى كواكبه) ضربه مثلاً لشدة الأمر.

(3) في مروج الذهب وابن خلكان: (كاسبه).
جنة: وقاية.

(4) في مروج الذهب والحماسة البصرية: (من ذي قرابة وإن). وفي ابن عساكر: (من سلمت).
هوادة: الهوادة: الصلح والميل. والتهويد والتهواد: الصوت الضعيف اللين الفاتر، والمهاودة: الموادعة.

(5) في مروج الذهب: (عليه بالصباح). وفي الحماسة البصرية وابن خلكان: (خطيَّةً فقامت عليه في الصباح). وفي ابن عساكر: (فقامت عليه في الصباح).

(6) عند ابن خلكان: (لصنعه). وفي المستطرف: (وأعطِ).
عقاربه: العقارب: النمائم.

(7) في الحماسة البصرية: (تردُّ ..... عليه).

(8) في الحماسة البصرية: (يرعى ..... ويخشى غدي ..... عجائبه). وفي المستطرف: (فمن يتقي بُؤْسِي). وفي ابن

8 ومهما أردْتَ اليوم مِنّي أردْتُه … وما لم تُرِدْهُ اليوم إني مجانِبُهْ

9 وأمري إليك اليومَ ما قلتَ قُلْتُهُ … وما لم تَقَلْهُ لم أَقُلْ ما يقارِبُهْ

10 وقف بي على حدِّ الرضى لا أجوزُه … مدى الدهرِ حتى يرجع الدرَّ حالبُهْ[1]

11 وإلا فدعْنِي والأمورَ فإنني … شفيقٌ رفيقٌ أحكمَتْهُ تَجارِبُهْ[2]

- 2 -

قال[3]: [الخفيف]

1 إنّ ذنبي وزنَ السماواتِ والأر … ضِ وَظَنّي بِخالِقِي أن يُحابِي

2 فَلَئِنْ مَنَّ بالرضى فَهْوَ ظَنّي … ولئن مَرَّ بالكتابِ عَذَابي

3 لم يكن ذاك مِنْهُ ظُلْماً وَهَلْ يظْ … لِمُ ربٌّ يُرْجَى لِحُسْنِ الْمآبِ

- 3 -

قال الحجاج[4]: [المنسرح]

1 من يك ذا لِمَّةٍ يُكَشِّفُهَا … فإنني غَيْرُ ضائرِي زَعَرِي[5]

2 لا يمنع المرءَ أن يسودَ وأَنْ … يضرب بالسَّيْف قِلَّةُ الشَّعَرِ

عساكر: (ويرجو إذاً غدي على ما أرى والدهر جمّاً عجائبه).

(1) في وفيات الأعيان: (فقف لي). في المستطرف: (فقف بي).
الدر: اللبن.

(2) في وفيات الأعيان: (أَهَّلَتْهُ). في الحماسة البصرية: (وإلا فذرني).

(3) لما حضرت الحجاجَ الوفاةُ وأيقن بالموت، قال: أسندوني، وأذن للناس فدخلوا عليه، فذكر الموتَ وكربتَه، واللَّحْدَ ووحشتَه، والدنيا وزوالَها، والآخرةَ وأهوالَها، وكثرة ذنوبه، وأنشد الأبيات السابقة.
الأبيات في ذيل الأمالي: 171، 172، وجمهرة النسب لابن الكلبي 78/2.

(4) البيتان في شرح نهج البلاغة 347/1.

(5) اللِّمَّة: شعر الرأس، بالكسر إذا كان فوق الوفرة. وبالضم إذا ألم بالمنكب أو جاوز شحمة الأذن. الزعر في شعر الرأس: قِلَّةٌ ورقَّةٌ وتَفَرُّقٌ؛ وذلك إذا ذهبت أصول الشَّعرِ وبقي شَكِيرُهُ.

- 4 -

وقال أيضاً(1): [الخفيف]

1 قد أَتَيْتُ العراقَ وَهْي كَنَارٍ ... من ذكور تلوحُ مثلَ الرِّياطِ(2)

2 وعناجيجَ فوقَها كلُّ قِرْنٍ ... باسل الحد كالحُسَامِ الأَبَاطِي(3)

3 ورماحٍ ترى الأسنةَ فيها ... كالمصابيحِ كل يومٍ وَرَاطِ(4)

4 فقتَلْتُ الملوكَ والصِّيْد فيها ... ثم غادرتُهَا كمِثْلِ الصِّراطِ

- 5 -

قال(5): [الطويل]

1 لَعَمْري لقد جاء الرسول بكتْبِكُمْ ... قراطيسَ تُمْلَى ثم تُطْوَى فتطبعُ

2 كتابٌ أتاني فيه لينٌ وغلظَةٌ ... وذُكِّرْتُ والذكرى لذي اللُّبِّ تنفَعُ

3 وكانت أُمُورٌ تَعْتَرِيني كَثيرَةٌ ... فَأَرْضَخُ أَوْ أعْتَلُّ حِيناً فأمنَعُ

4 إذا كنتُ سوطاً من عذابٍ عليهِمُ ... ولم يك عندي بالمنافع مطْمَعُ(6)

5 أيرضى بذاك الناس أو يسخطونه ... أَمُ احْمَدُ فِيْهِمْ أَمْ أُلامُ فأُقْذَعُ(7)

6 وَكَانَ بِلَادٌ جئتُها حِيْنَ جِئْتُهَا ... بِهَا كُلُّ نِيرَانِ العَدَاوَةِ تَلْمَعُ

---

(1) الأبيات في حماسة الظرفاء 143/1، 144.

(2) الرياط: جمع ريطة؛ وهي الملاءة إن كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين.

(3) العناجيج: مفردها عنجيج؛ وهي جياد الخيل. والأباطي: صفة للحسام منسوب إلى الإبط لأنه يُتَأَبَّط.

(4) الوراط: الخديعة والغش.

(5) كتب عبد الملك إلى الحجاج يستنكر تبذيره لأموال المسلمين، فرد عليه الحجاج بهذه الأبيات.
الأبيات في البداية والنهاية 126/9 وتاريخ ابن عساكر 153/12، 154.

(6) في تاريخ ابن عساكر: (في المنافع).
تعتريني: تغشاني. الرضخ: كسر الرأس؛ ويستعمل الرضخ في كسر النوى والرأس للحيات وغيرها.

(7) في تاريخ ابن عساكر: (بذلك) مكان (بذاك).
كلمة (أم) التي في أول الشطر الثاني لم تقع موقعاً حسناً؛ فهي ضائرة وزناً ونحواً، والأصل أن تكون همزة فقط.

7 فقاسَيْتُ منها ما عَلِمْتَ ولم أَزَلْ أصارعُ حتى كِدْتُ بالموْتِ أُصْرَعُ[1]

8 وَكَمْ أَرْجَفُوا مِنْ رَجْفَةٍ قَدْ سَمِعْتُها وَلَـوْ كَـانَ غَـيْـرِيْ طَـارَ ممَّا يُـرَوَّعُ

9 وَكُنْتُ إذا هَمُّوا بـإحْدَى نهاتهم حسرتُ لهم رأسـي ولا أَتَقَنَّعُ[2]

10 فَلَوْ لَـمْ يَـذَرْ عني صناديدُ منهُمُ تقسَّمَ أعضائي ذئـابٌ وأَضْبعُ[3]

- 6 -

جرى الحجاج على سجيته فذم العدل ومدح الجَوْرَ [4]: [الطويل]

1 إذا عـدل السلطان هـان وإن يكن لـدى جـوره أمـر فـإن لـه نُـبْـلاَ

2 ومـا العـدلُ إلا عَـجْـزُ رأيٍ وضلةٍ وكـل أخـي عـدلٍ سَـيُـورِثُـه ذلاًّ

- 7 -

قال الحجاج[5]: [الطويل]

1 إذا مـا لقيـتُ اللهَ عـنِّـيَ راضـيـاً فـإن شفاء النفسِ فيما هنالِكِ[6]

(1) في تاريخ ابن عساكر: (أضرع) مكان (أصرع).

(2) في تاريخ ابن عساكر: (هناتهم) مكان (نهاتهم).

(3) في تاريخ ابن عساكر: (يذد) مكان (يذر).

(4) البيتان في أنوار الربيع 25/3.

(5) كتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يُعْلِمُه بما يقاسيه من شدة المرض وسوء الحال فقال: أما بعد، فقد كنت أرعى غنمك أحوطها حياطة الناصح الشفيق بِرَعِيَّة مولاه، فجاء الأسد فبطش بالراعي، ومَزَّق المرعِيَّ كل مُمَزَّق، وقد نزل بمولاك ما نزل بأيوب الصابر، وأرجو أن يكون الجبار أراد بعبده غفراناً لخطاياه، وتكفيراً لما حمل من ذنوبه، ثم كتب في آخر الكتاب الأبيات السابقة، ويقال إن الحجاج كان قد رأى في منامه أن عينيه قلعتا، فطلَّقَ هندَ بنتَ المهلب وهندَ بنتَ أسماء بن خارجة، فلم ينشب أن جاءه نعي محمد أخيه يوم مات ابنه محمد، فقال: والله هذا تأويل رؤياي من قبل، إنا لله وإنا إليه راجعون، محمد ومحمد في يوم واحد! ثم أنشأ قائلاً: (حسبي ... الأبيات).

الأبيات للحجاج في: ذيل الأمالي والنوادر 172/171 والأبيات (1، 2، 3) في وفيات الأعيان 53/2 وله أيضاً عند ابن الكلبي في جمهرة النسب 78/2 والبيتان الأول والثاني في: البيان والتبيين60/4 والتذكرة الحمدونية 263/4 والتعازي والمراثي: 200 والبيت الثاني في ربيع الأبرار ونصوص الأخبار 193/5، ومن دون عزو في محاضرة الأبرار 148/2.

(6) في التذكرة الحمدونية وكامل المبرد: (إذا كان رب العرش). وعند ابن خلكان: (سرور النفس). وفي التعازي والمراثي: (ربي مسلماً فإن نجاة).

2 فحسبي بقاءُ الله من كلِّ مَيتٍ ... وحسبي حياةُ اللهِ من كل هالِكِ[1]

3 لقد ذاق هذا الموتَ مَنْ كان قبلَنا ... ونحن نذوقُ الموتَ من بعد ذلِكِ

4 فإن مِتُّ فاذكرْني بذكرٍ محبَّبٍ ... فقد كان جماً في رضاك مسالكي

5 وإلا ففي دُبْرِ الصلاةِ بدعوةٍ ... يُلَقَّى بها المسجونُ في نار مالِكِ

6 عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ حَيّاً وَمَيِّتاً ... ومن بَعْدِ مَا تَحْيَا عَتِيْقاً لِمَالِكِ

- 8 -

قال الحجاج[2]: [الخفيف]

رَبِّ إن العِبَادَ قَدْ أَيْأَسُونِي ... وَرَجَائِي لَكَ الغَدَاةَ عَظِيمُ

*****

- 1 -

ومما ينسب إلى الحجاج[3]: [الطويل]

فإنْ تَضْحَكِي مِنِّي فيا طُولَ لَيْلَةٍ ... تركْتُكِ فيها كالقَبَاءِ المُفَرَّجِ

- 2 -

وينسب إلى الحجاج[4]: [المتقارب]

(1) في البيان والتبيين: (حسبي ثواب الله ..... بقاء الله). في التذكرة الحمدونية وكامل المبرد: (حسبي ..... وحسبي رجاء). وفي التعازي والمراثي وعيون الأخبار: (حسبي حياة ..... وحسبي بقاء).

(2) قاله الحجاج حينما شمت به الناس وهو في سكرات الموت.
البيت في ذيل الأمالي والنوادر: 173 وعند ابن الكلبي في جمهرة النسب 78/2.

(3) البيت في المستطرف 187/1 للحجاج، وهو لسحيم عبد بني الحسحاس في ديوانه: 59. وهو في اللسان (يزن) مع بيت آخر لعبد بني الحسحاس.

(4) الأبيات في البصائر والذخائر 23/2، ولم أعثر عليها في مصدر آخر، ويبدو أنها ليست للحجاج بن يوسف الثقفي ذلك أن شخصية عائشة مجهولة وغير معروفة، وكذلك شخصية الإمام، ولا يمكن أن يكون المقصود بعائش عائشة أم المؤمنين، وأن الإمام هو علي بن أبي طالب، ولا يمكن أن يكون قائلها الحجاج بن يوسف؛ ذلك أن الحجاج لم يولد إلا سنة40هـ أو41هـ!!. وما أرجحه أن يكون القائل هو الحجاج بن غزية الأنصاري، أحد بني النجار، فقد كان

1 أعـائـشَ لا تعجلي بـالـخـلافِ	فـمـنـكِ الـرِّيَـاحُ وَمِـنْـكِ الـمَـطَـرْ
2 وأنـــتِ أَمَـــرْتِ بِـقَـتْـلِ الإمـــامِ	وقــلــتِ لـنـا إنَّـــه قَـــدْ كَـفَـرْ
3 ونـحـن أطـعـنـاكِ فـي قَـتْـلِـهِ	وقــاتِـلُـه عـنـدنـا مَـــنْ أَمَـــرْ

- 3 -

وينسب إلى الحجاج(1): [الرجز]

1 أمــا تـراهـا سـاطـعـاً غـبـارُهـا

2 والله فـيـمـا يـزعـمـون جـارُهـا

3 فـقـد وَهَـتْ وَصَـدَعَـتْ أحْـجَـارُهَـا

4 وَنَـفَـرَتْ مـنـهـا مـعـاً أطـيـارُهـا

5 وَحَـانَ مـن كَـعْـبَـتِـهِ دَمَـارُهَـا

6 وحُـرِّقَـتْ مـنـهـا مـعـاً أسـتـارُهـا

7 لـمـا عـلاهـا نـفـطُـهـا ونـارُهـا(2)

- 4 -

وينسب إلى الحجاج(3): [البسيط]

شديداً على عثمان ﷺ حتى قال: والله لو لم يبق من عمره إلا ما بين الظهر والعصر لتقربنا إلى الله بدمه. انظر: أنساب الأشراف 569/1/4.

(1) لم يزل الحجاج وأصحابه يرمون بيت الله الحرام بالحجارة حتى انصدع الحائط الذي على بئر زمزم عن آخره، وانتقضت الكعبة من جوانبها، ثم أمرهم الحجاج فرموا بكيزان النفط والنار حتى احترقت الستارات كلها فصارت رماداً، والحجاج واقف ينظر في ذلك، فنسب إليه. الفتوح لابن أعثم 677/6.
هذه الأبيات نسبت إلى الحجاج في مصدر مؤلفه شيعي، وهو ما لا يُطمأن إليه في صحة نسبتها إلى الحجاج؛ فضلاً عما فيها من فساد العقيدة وخوائها، وتجرؤ على الكعبة واستهتار بهدمها، لذلك لا يمكن التسليم بصحة نسبتها إلى الحجاج.

(2) النفط: أداة تعمل من النحاس، يرمى فيها بالنفط والنار. جمع النفط: النفاطات.

(3) البيتان لعبيد بن أيوب العنبري مع أبيات أخرى في منتهى الطلب 243/3 وله أيضاً في أشعار اللصوص وأخبارهم:

1 يا ربِّ قد حلفَ الأعداءُ واجتَهَدُوا　　أيمانَهُمْ أنني من ساكني الدارِ

2 أيحلفون على عمياءَ وَيْحَهُمُ　　ما ظنُّهمْ بعظيمِ العفوِ غفَّارِ

- 5 -

وينسب إلى الحجاج[1]: [الطويل]

جميلُ المحَيَّا بَخْتَرِيٌّ إذا مشى[2]

فَرَدَّ يزيد: **وفي الدِّرْع ضخم المَنْكِبَيْنِ شِنَاقُ**[3]

*****

خُفَافُ بن نَضْلَةَ الثَّقَفيّ[4]

قال[5]: [الكامل]

122، 140 وربيع الأبرار 191/1 وهما في وفيات الأعيان 53/2 لعبيد بن سفيان العُكْلي (قال: وكان الحجاج ينشد في مرض موته هذين البيتين) وهما لعبيد بن سفيان أيضاً في مرآة الجنان وعبرة اليقظان: 394، وهما في بهجة المجالس 120/2 من دون عزو.

والبيتان للحجاج في حياة الحيوان: 170 وله أيضاً في تاريخ ابن عساكر 195/12.

(1) لما أُدخِل يزيد بن المهلب أسيراً على الحجاج، قال الحجاج صدر البيت، فقال يزيد عجزه.
البيتَ في اللسان (بختر) للحجاج، وهو في الأغاني 67/13 للمغيرة بن حبناء، ولئن كان صاحب اللسان قد نسبه إلى الحجاج؛ فإن الذي يبدو لي أنه للمغيرة بن حبناء، وأن الحجاج تمثل به لما أُدْخِل عليه يزيد بن المهلب، وكان يَخْطِرُ في مِشْيَتِه، دل على ذلك ما ذكره أبو الفرج من أن الحجاج قال حين رأى يزيد: «لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول: جَميلَ المحيا... ثم تمثل يزيد ببيتين آخرين للمغيرة».

(2) في ابن عساكر: (خلف) مكان (حلف) وعند ابن خلكان وابن ميمون: (النار). ورواية الشطر الثاني في تاريخ ابن عساكر: (بأنني رجل من ساكني النار).

(3) في ابن عساكر: (ما علمهم بكثير العفو غفَّار). وعند ابن خلكان: (بقديم) مكان (بعظيم).
وعند ابن ميمون وفي ربيع الأبرار: (ما علمهم).

(4) هو خفاف بن نضلة بن عمرو بن بهدلة الثقفي، وفد إلى النبي ﷺ وأنشده، انظر ترجمته في: أسد الغابة 119/2، والإصابة 448/1 رقم 2274، ونهاية الأرب 146/18.

(5) روي أن النبي ﷺ قعد في مسجده ذات يوم، فقدم عليه خفاف بن نضلة بن عمرو بن بهدلة الثقفي وأنشده القصيدة؛ فاستحسنها رسول الله وقال: «إن من البيان كالسحر، وإن من الشعر كالحكم». الأبيات كاملة في نهاية الأرب 146/18. والأبيات (3، 4، 5، 6)، في الإصابة 448/1. والبيتان (3، 4) في منح المدح: 87، والوافي بالوفيات 351/13 ثم أضاف المحقق بعد ذكر اسم الشاعر البيتين (5، 6) في 350/13 نقلاً عن الإصابة.

1 كَمْ قَدْ تَحَطَّمَتِ القَلُوصُ بِيَ الدُّجَى ... فـي مَـهْـمَـهٍ قَـفْـرٍ مِـنَ الْـفَـلَـوَاتِ

2 فِـلٍّ مِـنَ الـتَّـوْرِيـسِ لَـيْـسَ بِـقَـاعِـهِ ... نَـبْـتٌ مـن الإِسْـنَـاتِ وَالأَزَمَـاتِ

3 إِنِّـي أَتَـانـي فـي الـمـنـامِ مُـسَـاعِـدٌ ... مـن جِـنٍّ وَجْـرَةَ كـان لـيَّ مُواتِ(1)

4 يـدعـو إلـيـكَ لَـيَـالِـيـاً وَلَـيَـالِـيـاً ... ثـم احْـزَأَلَّ وقـال: لستُ بآتِ(2)

5 فَـرَكِـبْـتُ نَـاجِـيَـةً أَضَـرَّ بِمَتْنِهَا ... جَـمْـرٌ تـحـتُّ بـه عـلـى الأَكَـمَـاتِ

6 حَتَّى وَرَدْتُ إلى المدِينَةِ جَاهِداً ... كيما أراكَ فَـتَـفْـرِجَ الـكُـرُبَـاتِ

*****

ربيعة بن أمية بن أبي الصلت الثقفي

-1-

قال(3): [الوافر]

1 وإنـا مَعْشَـرٌ مِـنْ جِـذْمِ قَيْسٍ ... فَنِسْبَتُنَا وَنِسْبَتُهُمْ سَوَاءُ

2 هُـمُ آبَـاؤُنـا وَبَـنَـوْا عَلَيْنا ... كَمَا بُنِيَتْ على الأَرْضِ السَّمَاءُ

-2-

وقال(4): [الطويل]

1 وإن تَـكُ حيّاً مـن إيـادٍ فإنَّـنَـا ... وقَيْساً سَوَاءٌ ما بَقِينا ومَا بَقُوا

2 ونَحْن خِيارُ الناسِ طُرّاً بِطَانَةً ... لِقَيسٍ وهُمْ خيْرٌ لنا إن هُمُ بَقُوا

*****

(1) في الوافي بالوفيات ومنح المدح: (مخبِّرٌ) مكان (مساعد) و(في الأمور) مكان (كان لي).

(2) احزأل البعير: ارتفع، والجبل: ارتفع فوق السراب، والشيء: اجتمع.

(3) البيتان في ربيع الأبرار 159/3.

(4) البيتان في الأغاني 124/4 منسوبة للقاسم برواية الأخفش عن ثعلب، وذكر الزبير أنها لأمية.

عبد الرحمن بن أم الحكم 66هـ[1]

-1-

قال[2]: [الطويل]

أَجَـشُّ هـزيـمٌ جَـرْيُـهُ ذو عُـلاَلَـةٍ وذلك خَيْرٌ في العَنَاجِيجِ صَالحُ[3]

-2-

قال[4]: [الخفيف]

1 لا هـنـيـئـاً بـمـا شَــرِبْـتَ مـريـئـاً ثُـمَّ قُـمْ صَـاغِـراً وغـيـرَ كَرِيمِ[5]

2 لا أحــبُّ الـنـديـمَ يـومِـضُ بالعَيْـ ـنِ إذا ما انتشى لِعِرْسِ النديمِ[6]

---

(1) عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عقيل، أبو سليمان، وقيل: أبو مطرِّف، أحد الأمراء في العصر الأموي، أمه أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، ولد في عهد النبي ﷺ، وهو الذي يقال له ابن أم الحكم، فنسب إلى أمه.
روى عن النبي ﷺ حديثا مرسلاً، وقيل: إن له صحبة، وصلى خلف عثمان ﷺ، غزا الروم سنة 53هـ، فشتا في أرضهم، وغلب على دمشق، لما خرج عنها الضحاك بن قيس إلى مَرْج رَاهط إلى البيعة لمروان بن الحكم، استعمله خاله معاوية فولاَّه الكوفة بعد موت زياد سنة 57هـ، فأساء ولم تُحْمَدْ سيرته، فأخرجه أهل الكوفة فعاد إلى الشام.
ولاه معاوية مصر بعد أخيه عتبة بن أبي سفيان، فلما كان على مرحلتين خرج إليه معاوية بن خَديج السَّكُوني فمنعه من دخول مصر، وقال له: ارجع إلى خالك، فلعمري لا تسر فينا سيرَتَكَ بالكوفة. فرجع، وولاه معاوية بعد ذلك الجزيرة، فاستمر فيها إلى أن مات معاوية، توفي أول خلافة عبد الملك بن مروان.
انظر ترجمته في: الإصابة 6218، وأسد الغابة 332/3، وأعلام الزركلي 312/3، العقد الفريد 344/6، كامل المبرد 73/1.

(2) البيت في اللسان (هزم) لابن أم الحكم.

(3) أَجَشُّ: كَدِرُ الصوت. والجَشَّةُ: البُحَّة. الهزيم: السريع الوقع.

(4) البيتان في العقد الفريد 359/6 لعبد الرحمن بن أم الحكم، وفي كامل المبرد 163/1 دون نسبة، وفي الأغاني 339/17 نسبهما لأبي العطاء السندي.

(5) في الكامل: (كُلْ هنيئاً وما شربْتَ مريئاً).

(6) الإيماض: تفتح البرق ولمحه؛ يقال: أومضت المرأة إذا ابتسمت، وإنما ذلك تشبيه للمع ثناياها بتبسم البرق. فأراد أنه فتح عينه ثم غمضها بغمز.

- 3 -

وقال أيضاً(1): [الطويل]

1 وكـأسٍ تَـرى بين الأثـافـي وبينَها ... قَـذَى العَيْنِ قد نَـازَعْـتُ أمَّ أَبَانِ(2)

2 تَـرَى شارِبَيْها حين يعبق رِيحُهَا ... يـمـيـلانِ أحـيـانـاً ويعتدلان(3)

3 فما ظَنُّ ذا الواشي بـأروعَ ماجدٍ ... وعــذراءَ خَـوْدٍ حيـن يلتقيانِ(4)

4 دعتني أخـاهـا أُمُّ عمرٍو ولـم أكن ... أخـاهـا ولـم أرضـعْ لـهـا بِـلـبـانِ

5 دعتني أخـاهـا بعد مـا كـان بيننا ... مـن الأمـر مـالا يـفـعـل الأخـوان

- 4 -

قال(5): [البسيط]

---

(1) الأبيات لعبد الرحمن بن أم الحكم في العقد الفريد 359/6، وكذلك في كامل المبرد 73/1 و124/1 والأبيات الثلاثة الأولى في البيان والتبيين 348/3 منسوبة لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس؛ شاعر قرشي إسلامي، كان صاحب سيرة حسنة محمودة، والبيتان (4، 5) في أدب الكاتب: 315 نسبا إلى عبد الرحمن؛ قالهما يشبب في امرأة أخيه مروان بن الحكم، وهما في الكامل دون نسبة 161/1.

(2) الكأس: الخمر . قذى العين: مثل في الصغر والقلة والخفاء يصف بها شدة صفائها. أم أبان: هي ابنة أبي سفيان، وهي التي نسب إليها عبد الرحمن بن أم الحكم.

(3) في الكامل: (حين يعتورانها).

(4) في الكامل: (بداء خود).

الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة. وقيل: الجارية الناعمة.

(5) روي أن أعرابياً كان له ابنة عم ذات حسن وجمال فتزوج بها، وكان ابن أم الحكم عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان، وبلغ ابن أم الحكم حسنها وجمالها، فأرسل إلى الأعرابي، وقال له: هل لك سلو عن زوجتك ورغبة في طلاقها؟! فقال الأعرابي: لا والله ما أسلو عنها، ولا أفارقها إلا إذا فارقت روحي جسدي. فحبسه ابن أم الحكم، وضيق عليه، وكان له إبل وشويهات، فأنفقهن عليها حتى نفد ما معه، وشق به الحال، فطلقها على جهد جهيد، ووصل عند معاوية وقص عليه خبره، فكتب معاوية إلى ابن الحكم ووبخه، وزجره ونهاه، وقال في آخر الكتاب:

ركبت أمـراً عظيماً لسْتُ أعرفه ... أستغفر الله من جَـوْرِ امْـرِىءِ زان

فلما وصل الكتاب إلى ابن أم الحكم قرأه، فما وسعه إلا أن سيرها إلى معاوية، وكَتَبَ الأَبياتَ السابقة. فلما مثلت بين يدي معاوية فإذا هي أحسن الناس جمالاً وكمالاً، فقال: يا أعرابي هل تسلو عنها؟ فقال: إذا فرقت بين رأسي وجسدي. فقال معاوية: اختاري؛ الأعرابي أو ابن أم الحكم أو أنا! فقالت: الأعرابي! فأخذها الأعرابي وهو يقول:

المستغيث بـعـمـرو عـنـد كربته ... كالمستغيث مـن الرمضاء بالنار

1 لا تَـحْـنَـثَـنَّ أَمِـيـرَ المؤمنينَ فَـقَـدْ　　أَوْفَـيْـتُ نَـذْرَكَ في رِفْـقٍ وَإِمكَانِ[1]

2 ومـا ركـبـتُ حـرامـاً حين أعجبني　　فكيف سُمِّيتُ باسم الخائنِ الزَّانِي![2]

3 وقـد أُتِـيـتُ بـوجـهٍ لا شبيهَ لَـهُ　　فيما يرى الناس من إنسٍ ومن جانِ[3]

4 حوراءُ يَقْصُرُ عنها الوصفُ إنْ وُصِفَتْ　　أقـــولُ ذلــك فـي سِـرٍّ وإعـــلانِ

5 فاعذُرْ فإنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ صُورَتَها　　لَـقُـلْـتَ مَـا هــذِهِ تـمـثَـالُ إِنـسَــانِ

- 5 -

قال عبد الرحمن بن أم الحكم يعير عمرو بن العاص بفراره من علي يوم صفين[4]:

[الوافر]

1 ألا يـا عـمـرو عـمـرو قَـبـيـلِ سَهْمٍ　　أَمِـــنْ طِـبٍّ أصــابَـكَ ذَا الـجُـنُـونِ

2 دَعِ الـبـغْـيَ الـذي أصـبـحْـتَ فيه　　فـــإن الـبَـغْــيَ صــاحِـبُـهُ لَـعِـيـنُ

3 ألـم تَـهْـرُبْ بنفسِكَ مِـنْ عَـليٍّ　　بـصـفِّـيـنٍ وأنـــت بِـهَـا ضَـنِـيـنُ

4 حِـــذَاراً أن تـلاقِـيَـكَ الـمـنـايـا　　وكــل فـتـىً سـيـدرِكُـهُ الـمَـنُـونُ

5 ولـسْـنـا عَـائـبـيـن عـلـيـك إلاَّ　　لـقـولِـكَ إِنَّــنِـي لا أسـتَـكِـيـنُ

انظر: مصارع العشاق 15/2، والممتع في صنعة الشعر: 332

الأبيات لعبد الرحمن بن أم الحكم في (1، 3، 5) في المستجاد من فعلات الأجواد. والأبيات (1، 2، 3، 4) له في مصارع العشاق 15/2، 16. والبيتان له (2، 3) عند النهشلي في الممتع في صنعة الشعر: 332.

(1) في مصارع العشاق: (وفي بعهدك اليوم في رفق وإحسان).

قوله (في بعهدك) في مصارع العشاق، الوجه أن يكون: (فِ) أمر من: وفى؛ أشبع الكسرة فتولدت منها ياء.

(2) الممتع في صنعة الشعر: (الجائر).

(3) في مصارع العشاق والممتع في صنعة الشعر:

وسوف تأتيك شمسٌ لا خفاء بها　　أبـهـى الـبريـة مـن إنـسٍ ومـن جـانِ

(4) الأبيات في شرح نهج البلاغة 243/2.

- 1 -

وينسب إلى عبد الرحمن بن أم الحكم(1): [الطويل]

على الحَكَمِ المَأْتِيِّ يوماً إذا قَضَى قَـضِـيَّـتَـهُ ألاّ يَـجُـورَ ويَقْصِدُ(2)

- 2 -

وينسب إليه أيضاً(3): [الرمل]

فَـتَـبَـازَتْ فَـتَـبَـازَخْـتُ لَـهَـا جِلْسَةَ الـجَـازِرِ يَسْتَنْجِي الْوَتَرْ(4)

*****

عبد الرحمن بن عَتَّاب الثقفي(5)

قال(6): [الرجز]

(1) البيت في الأشباه والنظائر في النحو 243/2 والمغني 397/1 وسيبويه 56/3 والمحتسب 149/1، 21/2 وابن يعيش 38/7، 39 والخزانة 555/6، 557، 558 واللسان (قصد).
وقد نسب إلى عبد الرحمن بن أم الحكم، وإلى أبي اللّحّام التغلبي.

(2) المعنى: أنه على الحكم أن يلتزم عدم الجور في الحُكم؛ بل يعدل.

(3) قال صاعد البغدادي: «أنشده الأصمعي لعبد الرحمن بن أم الحكم يصف امرأة أخرجَتْ صدرها، وأدخلت ظهرها، ورفعت عجيزتها، فانحنى هو ليطأها، فقال يذكر ذلك». والبيت في الفصوص 168/1 لعبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، ونسبه ابن منظور في اللسان (بزخ) و(بزا) لعبد الرحمن بن حسان، والبيت عند ابن جني في الخصائص 8/1 من دون عزو، وهو في ديوان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: 27 وقبله بيت هو:
سـائـلا مَـيَّـةَ هـل نَـبَّـهْـتُـهَـا آخِـرَ الـلَّـيْـلِ بِـعَـرْدٍ ذِيْ عُـجَـرْ

(4) في اللسان: (جلسة الأعسر).
البَزا: خروج الصدر ودخول الظهر. والأَبْزَخُ: الذي في ظهره انحناء؛ شبه جلوسه وراءها، بجلوس الجازر يسلخ الجلد، ويستخرج العصب ليعمل منه وَتَراً.

(5) عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف، قتل يوم الجمل، فوقف عليه علي بن أبي طالب وقال: «هذا يعسوب قريش! جدعت أنفي، وشقيت نفسي». وأمه جويرية بنت أبي جهل بن هشام، وقطعت يد عبد الرحمن يوم الجمل، فاختطفها نَسْرٌ، وفيها خاتمه، فطرحها ذلك اليوم باليمامة، فعرفت يده بخاتمه، وزعموا أن الذي قتله جندب بن زهير الغامدي، قال: لقيني ابن الزبير وعليه وجه من حديد، فطعنته، فنزل سناني عنه، وجاوزته إلى عبد الرحمن وهو يرتجز فقتلتُه. من ولده سعيد بن عبد الرحمن ومحمد بن عبد الرحمن، وأمهما بنت أبي إهاب بن عزيز؛ انظر: نسب قريش: 193.

(6) الرجز في نسب قريش: 193، واللسان (ولول).

1 أنـــا ابــن عَــتَّــابٍ وســيــفــي وَلْـــــوَلْ[1]

2 والـــمــــوتُ عِـــنْــدَ الـجـمـل الـمـجـلَّـلْ

*****

عبد الله بن أراكة الثقفي[2]

-1-

قال ابن أراكة[3]: [الكامل]

1 آبَ الـغَـزِيُّ ولـم يَـــؤُبْ عـمـرُو ... لِلهِ مـــا وَارَى بِـــــهِ الـقـبـرُ

2 يـا عَـمْـرُو لـلـضِّـيـفَـانِ إذْ نَـزَلُـوا ... والـحَـرْبِ حين ذكـا لَهَـا الجَمْرُ[4]

3 يـا عَـمْـرُو لـلـشَّـرْبِ الـكِـرامِ إذَا ... أَزَمَ الـشـتـاءُ وعَــزَّتِ الخَمْرُ[5]

4 أصْـبَـحْـتُ بعدَ أخـي ومَـصْـرَعِـهِ ... كالصَّقْرِ خـانَ جـنَـاحَـهُ الكَسْرُ[6]

-2-

قال ابن أراكة[7]: [الطويل]

---

(1) ولول: اسم سيفه كما ذكر ابن منظور في اللسان (ولول).

(2) لم أقع له على ترجمة، وشعره يشي بأنه شاعر ثقفي عاش في العصر الأموي.

(3) قال عبد الله بن أراكة يرثي أخاه عمراً، وكان قد استخلف على اليمن فقتله بُسْر بن أرطأة والي معاوية على اليمن. الوحشيات: 144 منسوبة له ولمنقذ الهلالي. وفي ذيل الأمالي والنوادر: 36، 37 من دون عزو.

(4) ذكا: ذكت النار تذكو ذكوا، واستذكت كله: اشتد لهيبها واشتعلت.

(5) أزم: اشتد.

(6) في ذيل الأمالي والنوادر: (خان جناحه كسر).

(7) يروى أن عبيد الله بن العباس كان عاملاً لعلي بن أبي طالب ﷺ على اليمن، فخرج إلى علي، واستخلف على صنعاء عمرو بن أراكة، فوجه إليه معاوية بُسْر بن أرطأة، فقتل عمرو بن أراكة، فجزع عليه أخوه وقال الأبيات السابقة. وفي الممتع في صنعة الشعر: 272 ذكْرٌ لمناسبة الأبيات قريبة من ذلك. فقال: «وقتل نصر بن بشر بن أبي أرطأة العامري عمرو بن أراكة، وكان خليفة عَبيد الله بن عباس على النمر أيام علي ﷺ، فجزع عليه أخوه جزعاً شديداً، فقال أبوه الأبيات. وكان سبب قتل عمرو بن أراكة الثقفي أن معاوية أرسل بشر بن أرطأة إلى اليمن ليقتل شيعة علي، وقال له: لا إمرة لك على قيس، فسار حتى أتى المدينة، فقتل بها ابنيْ عبيد الله بن العباس، وكانا عند جدتهما من بني كنانة.

1 لعَمرِي لَقَدْ أرْدَى ابنُ أَرْطَـاَةَ فارساً بصنعاءَ كالليثِ الهِزَبْرِ أبي الأَجْري[1]

2 وقـلـتُ لعبـدِ الله إذْ جَـدَّ باكياً حزيناً ومـاءُ العينِ منحدرٌ يجرِي[2]

الأبيات ما عدا الأول والسابع في الفاضل للمبرد: 65، وفي أمالي المرتضى 113/2، وفي الحماسة الشجرية1/479، وفي أمالي الزجاجي: 9 دون نسبة، وفي نور القبس: 143، ومعجم الشعراء: 53. وفي ابن الشجري الأبيات: (2، 5، 6، 3، 4) ج1 ص 479.

والأبيات في التعازي والمراثي للمبرد: 3، 69 باختلاف يسير وسقط البيت السابع منها. والأبيات (3، 4، 7) في السمط: 627 وفيه أن الأبيات قالها في رثاء أخيه عمرو، والأبيات (1، 2، 5، 6) في الحماسة البصرية 276/1، والمؤتلف والمختلف: 67 والأبيات (3، 4، 5) في: مجموعة المعاني: 190 وفي التذكرة الحمدونية 262/4 لأراكة يرثي ابنه عمراً. والأبيات (3، 4، 5، 6) لأراكة الثقفي يرثي فيها عمرو بن أراكة، في العقد الفريد 268/3 وعند ابن النهشلي القيرواني في الممتع في صنعة الشعر: 273، والأبيات (1، 3، 4، 5، 6) في الفاضل والمفضول: 65 وفي كامل المبرد بشرح المرصفي 157/8. والأبيات (1، 5، 6) في شرح نهج البلاغة 15/2، والبيتان (3، 5) في ديوان المعاني للعسكري 185/2، والبيتان (5، 6) في ربيع الأبرار 195/4 لابن أراكة الطائي. والبيت السادس روي للحطيئة يرثي به عمر بن الخطاب، في ديوانه 223، وفي شرح ديوان الحطيئة عن إصلاح المنطق لابن السكيت: أراد أن يقول على عمر فقال على عمرو، والنص ليس موجوداً في إصلاح المنطق. والأبيات (1، 2، 3، 4) في التعازي والمراثي للمبرد: 69 والأبيات في حماسة البحتري ما عدا البيت الأول: 479.

وقد نسبت بعض المصادر هذه الأبيات لأراكة أبي عبد الله، ولكن سياق هذه الأبيات يرجح أن القائل هو عبد الله قالها معزياً بها نفسه، ولعل القطعة رقم (1) تؤكد هذا الترجيح وتؤيده، ويلمح القارئ ذلك في قوله في البيت الرابع: (أصبحت بعد أخي). كما وردت هذه الأبيات في المصدر نفسه منسوبة إلى عبد الله بن سفيان بن الحارث ابن حبيب؛ شاعر محسن، قال هذه الأبيات يخاطب ابن عبد الله لما قتل بسر بن أرطأة– وهو قائد فتاك من قواد معاوية– ابنه الآخر عَمراً، وقد ظن المبرد أن عبد الله بن سفيان شاعر آخر، ولكن الأشبه بالحق أن أراكة هو ابن عبد الله بن سفيان بن الحارث بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف؛ المؤتلف والمختلف: 67.

(1) في المؤتلف: (أبي أجر).

بسر بن أرطأة بن عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي ، يكنى أبا عبدالرحمن، وفي سماعه عن النبي ﷺ خلاف: هو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص مدداً لفتح مصر، كان من أكابر قواد معاوية، وحارب معه يوم صفين. وهو قاتل عبد الرحمن وقثم ولدي عبيد الله بن العباس، ذبحهما أمام أمهما حين وجهه معاوية إلى اليمن، وعليها عبيد الله من قبل علي، وأسر نساء همدان، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام. انظر: الاستيعاب 1/ 157، الإصابة 1/ 152، ابن عساكر 3/ 220–225، أسد الغابة 1/ 179–181، تهذيب التهذيب 1/ 436، الوافي بالوفيات 1/ 129–133. الأجري: واحدها جرو؛ وهو الصغير من كل شيء من الكلاب والأسود والسباع.

(2) في المؤتلف: (فقلتُ..... حنَّ باكياً بدمع على الخدين منهمر). في نور القبس وأمالي الزجاجي: (باكياً تعزّ). وفي أمالي المرتضى وحماسة ابن الشجري: (أقول لعبد الله إذ حنَّ باكياً تعز.... منهمر). وفي أمالي ابن الشجري: (خَنَّ). عبد الله: يعني به نفسه إن كان هو القائل، أو ابنه إن كان القائل أباه.

وردت روايات بالحاء المهملة (حن) وأخرى بالخاء المعجمة (خَنَّ)؛ وفسر المرتضى ذلك بقوله: «خن باكياً معناه رَفَع صوته بالبكاء. وقال قوم: الخنين بالخاء معجمة من الأنف، والحنين من الصدر؛ وهو صوت يخرج من كل واحد

3 لعمري لئن أتبعْتَ عينْيكَ ما مَضَى ... به الدهرُ أو ساقَ الحِمَامُ إلى القبرِ[1]

4 لتَسْتَنْفِدَنْ ماء الشؤون بأسرِهِ ... ولو كنتَ تمرْيهِنَّ من ثَبَجِ البَحْرِ[2]

5 تأمَّلْ فإنْ كانَ البُكَا ردَّ هالكاً ... على أحدٍ فاجْهَدْ بكاءً على عمرِو[3]

6 وَلاَ تَبْكِ مَيْتاً بعد مَيْتٍ أَجَنَّهُ ... عَلِيٌّ وعباسٌ وآلُ أبي بَكْرِ[4]

7 أيا عَمْرُو لَمْ أصبرْ ولي فيك حِيلةٌ ... ولكن دعاني اليأسُ منكَ إلى الصَّبْرِ

- 3 -

قال[5]: [الكامل]

1 مِن خَيْرِ ما ادَّخَرَ الكرامُ مدائحٌ ... تبقى لصاحبها على الدَّهْرِ

2 ما مات من أبْقَتْ صنائِعُهُ ... حُسْنَ الثناءَ وطيِّبَ الذِّكْرِ

منهما». ولم يرو هذه الرواية غيرهما؛ انظر أمالي الزجاجي: 9 (الحاشية).

(1) في أمالي المرتضى ونور القبس: (من الدهر) في مجموعة المعاني: (عينك).
الحمام: الموت.

(2) في الممتع في صنعة الشعر: (لتَسْتَدِر ماء..... بأسرها سَبَج). في العقد الفريد ومجموعة المعاني: (وإن كنت). في التذكرة الحمدونية: (ماء الجفون..... لجج). وفي أمالي الزجاجي: (بأسرها).
الشؤون: مجرى الدمع إلى العين.
تمريهن: مَرْيُ الشيء استخراجه؛ يقال: مريت الناقة إذا مسحت ضرعها لتدر، فإنما هو استخراج اللبن.
ثبج: ثبج كل شيء وسطه؛ أراد: ولو كنت تستخرج الدموع من ثبج البحر.

(3) في شرح نهج البلاغة: (تعز). وفي العقد الفريد والممتع: (تبين)، وفي ربيع الأبرار: (تفكَّر..... البكاء). وفي الممتع: (على أهله فاشدد يديك على عمرو). وفي حماسة ابن الشجري: (تبين..... بكاك). في أمالي المرتضى وفي العقد الفريد ونور القبس والمؤتلف والتذكرة الحمدونية ومجموعة المعاني: (بكاك).

(4) في العقد الفريد: (فلا تبك... موت أحبةٍ). في أمالي المرتضى والممتع (أَحَبَّهُ).
أجنّه: كفَّنَهُ، والجنن: الكفن.

(5) البيتان في الحماسة الشجرية 481/1. وفي صدرَي البيتين اضطراب عروضي، سببه عدم التزام عروضة واحدة فيهما.

-4-

قال(1): [الطويل]

1 يقولون لي لمَّا قَنِعْتُ بِبُلْغَةٍ ... من العَيْشِ لا تَقْنَعْ مِنَ التِّبْرِ بالصُّفْرِ

2 ولسْتُ بِصُفْرِ القَلْبِ مِن طَلَبِ العُلا ... ولكِنْ يَدِى صُفْرٌ مِنَ البِيض والصُّفْرِ

*****

عبد الله بن سعيد بن عتبة الثقفي(2)

-1-

قال(3): [البسيط]

1 أقولُ إذْ حملوني في رماحِهِمُ ... والسيفُ يأخذ منهم مُشْرِفَ الهَامِ

2 أنا أصُدُّ وفي كَفَّي ذو شُطَبٍ ... صَمْصَامَةٍ تتعدَّى كل صَمْصَامِ(4)

3 والله أنفكُّ فيكم هكذا أبداً ... بالقتل حتى تُخَلُّوا جانبَ الشامِ(5)

---

(1) البيتان في الحماسة الشجرية 494/1.

(2) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر، وقد أورد له ابن عساكر في تاريخ دمشق شعراً، وذكر أنه شاعر فارس ممن شهد فتنة أبي الهيذام، وقال فيها شعراً؛ وقال عنه: «جرح يوم باب كيسان جراحات كثيرة، وكان من فرسان قيس». وأبو الهيذام [أو الهيدام بالدال] هو عامر بن عمار بن خريم المري، شاعر شامي فحل، وفارس مشهور، كان أمير عرب الشام وزعيم قيس وفارسها، وهو قائد العرب المضرية في الفتنة العظمى الكائنة في دمشق بين القيسية واليمانية في دولة الرشيد، وقد وجه إليهم الرشيد جعفر البرمكي، فأخمد الفتنة وأسره، ثم منَّ عليه الرشيد فعفا عنه، توفي سنة 182هـ، انظر: 252 المعاهد 251/1 زهر الآداب 1081/2، تهذيب ابن عساكر 176/7.

(3) الأبيات في تاريخ ابن عساكر 65/29.

(4) ذو شُطَب: جمع شُطْبة، إذا كان في السيف حُزُوزٌ مطمئنة عن متنه فهو مُشَطَّب ومُفقَّر. وحُزوزُهُ أي شُطَبُه وفقَرُه، وبذلك سُمِّيَ سيف النبي ﷺ وسيف علي ﷺ. والصمصام: إذا كان السيف صارماً لا يثنيه شيء سُمِّيَ صَمْصَاماً. يقال: صَمْصَمَ السيف وصَمَّم: مضى في الضريبة، وبه سمي السيف صمصاماً، وأول من سماه صمصامة عمرو بن معدي كرب، ومن العرب من يجعله اسماً معرفة للسيف ولا يصرفه. انظر: حلية الفرسان وشعار الشجعان: 266، 267 والمخصص 6/ 20، 24/6، 6: 19.

(5) في الأصل (لا أنفك)، وحذفت (لا) ليستقيم.

4 أو تلحقوا ببلادِ الشِّحْر في سُخُطٍ   مـن الإلــه وفـي ذلٍّ وإعـــدامِ[1]

5 إني ابنُ شيخِ ثقيفِ المَجْدِ يمنعُني   مـن الـفـرارِ قَـبِـيـلٌ غـيـرُ أَقْـــزَامِ

- 2 -

قال[2]: [البسيط]

1 مازلتُ أحملُ مُهْرِي وسْط حَوْمَتِهِمْ   ونـحـن فـي رَهَـجِ الـهَـيْـجَـاءِ نطّعنُ

2 حتى قطعتُ حسامي في رؤوسهمُ   وقُـلـتُ لا تُـذْكَـرَنْ مـن بعدها يَـمَنُ

3 والخيلُ عابسةٌ قد سُرْبلَتْ بدمٍ   يغيب فيه لها الأرسـاغُ والثُّنَنُ[3]

*****

عثمان بن أبي ربيعة الثقفي[4]

قال[5]: [الوافر]

1 فَضَضْنا جمعَهُم والـنـقـعُ كائنٌ   وقـد يُـعْـدِي على الغدرِ العُقُوقُ[6]

2 وأَبْـــرَقَ بـــارقٌ لـمـا الْـتَـقَـيْـنـا   فَـعَـــادَتْ خـلَّـبـاً تـلـك الـبُــرُوقُ

---

(1) الشِّحر: وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن؛ قال الأصمعي: هو بين عدن وعمان. انظر: معجم البلدان (شحر).

(2) الأبيات في تاريخ ابن عساكر 64/29.

(3) الثنن: جمع ثُنَّة، وهي شعرات في مؤخر رسغ الدابة.

(4) لم أعثر له على ترجمة؛ وقد ذكره سيف في الفتوح، وهو غير عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم الثقفي، صاحب لواء المشركين يوم حنين، الذي قتل (8هـ– 630م) على دين الجاهلية، وقال فيه رسول الله: «أبعده الله فإنه كان يبغض قريشاً»، انظر: سيرة ابن هشام 132/4، وجمهرة الأنساب: 268، والأعلام 208/4.

(5) لما ارتد من ارتد من قبائل اليمن الأزد وبجيلة وخثعم وتجمعوا في شنوءة، وعليهم حميضة بن النعمان؛ بعث عثمان ابن أبي العاص بعثاً بقيادة عثمان بن أبي ربيعة، فالتقوا بشنوءة، وهُزِمَتْ تلك الجموعُ، وتَفَرَّقَتْ عن حُمَيضَةَ الذي فر هارباً؛ فقال عثمان البيتين السابقين. انظر خبر ذلك في الكامل في التاريخ 375/2.
والبيتان في الإصابة 450/4، تاريخ الطبري 551/2.

(6) في الإصابة (كائنٌ)؛ قال المحقق: «هكذا وردت في الأصل»، وبها لا يستقيم الوزن، ولعله تحريف. وفي تاريخ الطبري: (كابٍ..... الفتوقُ).

عدي بن خُزَاعى بن عوف الثقفي[1]

قال[2]: [المتقارب]

1 ولسْتُ بذي نَيْرَبٍ في الكلامِ ... ومَنَّاعَ قومي وسبَّابَها[3]

2 ولا مَنْ إذا كان في مَعْشَرٍ ... أضاع العشيرة واغتابَها

3 ولكن أطاوِعُ سَادَاتِهَا ... ولا أُعلِمُ الناسَ ألقابَها

*****

عَمَّار بن غيلان بن سلمة الثقفي[4]

قال[5]: [الطويل]

1 حَلَفْتُ لَهُمْ بما يَقُوْلُ مُحَمَّدٌ ... وباللهِ إن اللهَ ليسَ بغافِلِ

2 بَرِئْتُ مِنَ المالِ الذِيْ يَدْفِنُونَهُ ... أُبَرِّئُ نَفْسِي أَنْ أُلَطَّ بباطِلِ

---

(1) عدي بن خزاعى بن عوف بن الحارث بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطائط بن جشم بن ثقيف، شاعر إسلامي، ذكره المرزباني في معجمه باسمه كاملاً، ولم يورد له شعراً؛ معجم الشعراء 87.

(2) الأبيات في اللسان (نرب).

(3) أورد ابن منظور هذا مرتين؛ أورده وحده أولاً برواية (الصديق ومناع خيرٍ)، قال: «قال ابن بري وصواب إنشاده: (الأبيات)».

(4) عمار بن غيلان بن سلمة الثقفي، أسلم هو وأخوه عامر قبل أبيهما؛ قاله في الاستيعاب، ونقل هشام بن الكلبي عن أبيه: تزوج غيلان خالدة بنت أبي العاص أخت الحكم، فولدت له عماراً وعامراً، فهاجر عمار إلى النبي ﷺ، فعمد خازن مال غيلان، فسرق مالاً لغيلان، وادَّعى أن عماراً سرقه، فلم يعتذر إلى أبيه، ولم يذكر له براءته مما قيل، فلما شاع ذلك جاءت أَمَةٌ لبعض ثقيف إلى غيلان، فقالت له: أي شيء لي عليك إن دَلَلْتُكَ على مالك؟ قال: ما شئت، قالت: تبتاعني وتعتقني؟ قال: ذلك لك. قالت: فاخرج معي. فخرج معها، فقالت: إني رأيت عبدك فلاناً قد احتفر هاهنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً، وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه، ويتفقده في اليوم مرات، وما أراه إلا المال. فاحتفر الموضع فإذا هو بمال، فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها، وشاع الخبر في الناس، فلما بلغ ذلك كله ابنه عماراً قال: والله لا ينظر غيلان في وجهي بعدها، ولا يراني أبداً. وأنشد في ذلك أبياتاً. ولما أسلم غيلان خرج عمار وعامر مغاضبين له مع خالد بن الوليد إلى الشام، فتوفي عامر بطاعون عَمَوَاس، وكان فارس ثقيف في فتوح الشام، فرثاه أبوه غيلان، أما عمار فيذكر صاحب الاستيعاب أنه لا يدري متى مات.

(5) الأبيات الأربعة في الأغاني 141/13، وفي تاريخ ابن عساكر 88/26، وقد نسبها أبو الفرج إلى عمَّار، في حين نسبها ابن عساكر إلى عامر. والبيتان الأول والثالث في الإصابة 574/4، 575، والاستيعاب: 1135.

3 ولـو غَـيْـرُ شيخٍ مـن مَـعَـدٍّ يقولُها تَيَمَّمْتُهُ بالسيف غيرِ الأجادِلِ[1]

4 وكيف انطلاقي بالسلاحِ إلى امرىءٍ تبـشّـرهُ بِـي يَـبْـتَـدِرْنَ قَوَابِلِي[2]

*****

عنترة بن عروس الثقفي[3]

-1-

قال[4]: [الرجز]

1 تـقـول عَـمَّـارَةُ لـي يـا عَـنْـتَـرَهْ

2 شـقَّ حِـرِي هـذا العظيـمُ الحَوْثَرَهْ[5]

3 قـلـت لـهـا ويـكِ هـبـيـهـم عـشـرهْ

4 كـل فـتـىً يـحـمـل ألـفـي كَـمَـرهْ

5 مـضـمـومـةً مـلـمـومـةً مُـهَـدَّرهْ

6 ألـيـس فـي حِـرْكِ لـهـم والـدَّعَـرَهْ

7 مُـضْـطَـلـعٌ لـكـلـهـم يـا قُـذَرَهْ

8 قـالـت لـحـاك الله يـا ابـن المُهْتَرَهْ[6]

---

(1) في الإصابة والاستيعاب: (يقوله) و(مواكل). وفي ابن عساكر: (شيخي) و(عم الأحاول).

(2) في ابن عساكر: (تبشر بي).

(3) لم أعثر له على ترجمة فيما عَنَّ لي من مصادر سوى أن عنترة بن عروس مولى لثقيف، وأن أباه عروساً كان مولداً، ولد في بلاد أزد شنوءة، أما عنترة فشاعر كان يزيد بن ضبة الثقفي يهجوه، فرد عليه عنترة بأبيات لاذعة يهجو بها عمارة امرأة يزيد.

(4) الأبيات في المؤتلف والمختلف: 226 والبيت الأول والثاني في خزانة الأدب للبغدادي 329/4.

(5) الحوثرة: حشفة الإنسان.

(6) المهترة: من الهتر وهو الهذيان في الكبر.

9 الـقَـحْـزَة الـجَـحْـمَـرِش الشهْبَرَهْ[1]

- 2 -

وينسب إليه قوله[2]: [الرجز]

1 أُمُّ الـحُـلَـيْـسِ لَـعَـجُـوزٌ شَـهْرَبَهْ[3]

2 تَـرْضَـى مِـنَ الـلَّـحْـمِ بِـعَـظْـمِ الرَّقَبَهْ[4]

*****

الفُرَيْعَةُ بنتُ هَمَّام المتمنِّية [5]

---

(1) القحزة: المسنة. الجحمرش: الأفعى الخشنة الغليظة. الشهبرة: العجوز الكبيرة.

(2) الرجز غير منسوب في الجمهرة 306/3، والصحاح 159/1، واللسان 492/1، ومغني اللبيب 230/1، والاشتقاق: 544 ونسبه محقق الاشتقاق عبد السلام هارون في حاشية الصفحة إلى عنترة بن عروس الثقفي أو رؤبة بن العجاج.
وقال البغدادي في الخزانة 229/4: «لم يتعرض له ابن بري ولا الصفدي فيما كتبا على الصحاح بشيء، والله أعلم بقائله». والبيت من الرجز في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك الشاهد 101 ج1 ص283
وقال العيني في المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية بهامش الخزانة 535/1: «قائله رؤبة بن العجاج»، ونسبه الصاغاني في العباب إلى عنترة بن عروس، وهو الصحيح، قال محقق الصاحبي السيد أحمد صقر: «ولم أجده في شعر رؤبة، ولا في ترجمة ابن عروس». وهو في المؤتلف والمختلف للآمدي: 152، وفي النهاية لابن الأثير 242/2.

(3) في الاشتقاق: ترضى من الشاة.

(4) أم الحليس: كنية امرأة؛ وهي في الأصل كنية الأتان، والحليس: تصغير حلس؛ وهو كساء رقيق يوضع تحت البرذعة. الشهبرة والشهربة: الكبيرة الفانية، وذهب ابن منظور في اللسان إلى أن اللام مقحمة في «لعجوز»، وأدخل اللام في خبر إن ضرورة، ولا يقاس عليه. والوجه أن يقال: لأم الحليس عجوز شهربة؛ كما يقال: لزيد قائم.

(5) هي الفُرَيْعَة أو الفارعة بنت همَّام بن عروة بن مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف الثقفي، تلقب بالذلفاء، كانت زوج المغيرة بن شعبة فطلقها، وهي أم الحجاج بن يوسف، ويقال لها المتمنية لما تمنت من مواصلة نصر بن حجاج؛ وبها يضرب المثل فيقال: أصبُّ من المتمنية، وكان الحجاج ينبز بها فيقال له: ابن المتمنية. وذكر المسعودي أنها كانت متزوجة قبل يوسف بن الحكم من الحارث بن كلدة؛ في حين تذكر مصادر أخرى أنها كانت زوج المغيرة بن شعبة حين تمنت شرب الخمر والالتقاء بنصر بن حجاج؛ الذي كان يوصف بأنه أجمل شباب المدينة، وهذا ما اضطر عمر بن الخطاب إلى نفيه إلى البصرة بعد أن افتتن به بعض النساء، وسمع الفارعة وهي تنشد في خدرها: (هل من سبيل..). وهناك قول يذهب إلى أن المتمنية هي جدة الحجاج لأبيه الكنانية. انظر أخبارها في الروض: 224–245 والمصارع 266/2–268 ومجمع الأمثال 280/1 وخزانة البغدادي 108/2–112 والمحاسن والأضداد: 189 وشرح نهج البلاغة 27/12–29.

-1-

قالت(1): [البسيط]

1 هَـلْ مِـنْ سَبِيلٍ إلـى خمرٍ فأشربَهَا ... أَمْ هَلْ سبيلٌ إلى نَصْرِ بنِ حجَّاجِ(2)

2 إلـى فتىً مـاجِـدِ الأعــراقِ مُقْتَبَلٍ ... سهلِ المحيَّا كـريـمٍ غيـرِ مِلْـجَـاجِ

3 تُنْمِيهِ أعـراقُ صِـدْقٍ حين تنسُبُهُ ... أخي قـداحٍ عن المكروب فَرَّاج(3)

(1) عشقت الذلفاء نصر بن حجاج، وكان من أحسن زمانه صورة، وتمنته ودنفت من الوجد به، فأرسلت إليه فزجرها، ثم إن عمر بن الخطاب كان يعس ذات ليلة فسمعها تنشد: هل من سبيل...

الأبيات عدا الخامس لفريعة بنت همام في: شرح نهج البلاغة 28/12، 29. والأبيات (1، 2، 3) في ثمرات الأوراق وفي المحاضرات: 413 وفي حماسة القرشي: 267. والأبيات (1، 2، 5) في خزانة الأدب 109/2 والحماسة البصرية 406/1، 407. والبيتان (1، 5) في المحاسن والأضداد: 189. والبيتان (1، 2) في مصارع العشاق 267/2. والبيت الأول في لسان العرب وفي الاستيعاب 362/1 ومجمع الأمثال 297/2، والروض الأنف 245/2، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي: 393 وفي أخبار أبي القاسم الزجاجي 209، وعند أبي هلال العسكري في الأوائل: 105 وفي وفيات الأعيان والعيون 23/4 من غير منسوب.

(2) في أخبار أبي القاسم: (ألا سبيل)، وفي ثمرات الأوراق وحماسة القرشي: (أم من سبيل)، وفي الأوائل: (أم هل سبيل)، وفي خزانة الأدب روايتان: (أم من سبيل)، و(أم هل سبيل).

والمذكور: هو نصر بن حجاج بن عُلاط أو (عُلابَط) البهزي السُّلَمي، كان أبوه من كبار الصحابة، أما نصر فكان أحسن الناس وجهاً، وأصبحهم وأملحهم حسناً، ولما سمع عمر بن الخطاب قول الذلفاء قال: ألا لاأدري معي رجلاً يهتف به العواتق في خدورهن! عليَّ بنصر بن حجاج. فأمر بشَعْره فجُز، فخرجت له وجنتان كأنه قمر، فأمره أن يعتمَّ فاعتمَّ ففتن النساء بعينيه، فقال عمر: لا والله لا تساكنني بأرض أنا بها. قال: ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال: هو ما أقول لك. فسيَّره إلى البصرة، وكان نصر شاعراً، وكان يقال له المتمنَّى (بفتح النون) لما كان من تمني الذلفاء له، وهو القائل لعمر بن الخطاب:

لعَمْري لَئِنْ سَيَّرْتَني أَوْ حَرَمْتَني ... لما نلتَ من عِرضي عليكَ حَـرَامُ

أَإِنْ غَـنَّـتِ الـذلـفـاءُ يـومـاً بمُنْية ... وبـعـض أمــانيِّ الـنـسـاء غَـــرامُ

ظننتَ بي الظنَّ الـذي ليس بعدَهُ ... بـقـاءٌ فـمـا لي في الـنَّـديِّ كَـلاَمُ

وأصبحتُ منفيّاً على غير ريبة ... وقـد كـان لي بـالمَكَّـتـيْن مُـقَـامُ

سـيـمـنـعـني ممـا تـظـن تـكـرُّمـي ... وآبـــاءُ صـــدق سـالـفـون كـرامُ

ويمـنـعـهـا ممـا تمـنَّـتْ صَـلاَتُـهـا ... وحـــالٌ لـهـا في دينـهـا وصـيـامُ

فـهـاتـان حـالانـا فهل أنـت راجـعٌ ... فـقـد جُـبَّ مـنِّـي كـاهـلٌ وسَـنَـامُ

فقال عمر: أما ولي ولاية فلا. وأقطعه أرضاً بالبصرة وداراً، وفي البصرة هوي شميلة امرأة مجاشع بن مسعود، وكان مجاشع قد أنزله عنده، ودنف بها حتى كاد يهلك، فضرب به المثل، فقيل: أصب من المتمنى، انظر: الخزانة 110/2، شرح نهج البلاغة 27/12 – 29.

(3) في ثمرات الأوراق وحماسة القرشي: (أخي وفاء).

4 سامي الـنـواظـرِ مـن بَـهْـزٍ لـه قَـدَمٌ — تضيءُ صورتُه في الحالِكِ الداجِي[1]

5 نِعْمَ الفتى في ظلام الليل نصرتُهُ — لِبَـائِـسٍ أَوْ لمسكينٍ ومُحتـاجِ

- 2 -

وقالت[2]: [البسيط]

1 قـلْ للأميرِ الـذي تُخْشَى بَـوَادِرُهُ — مَالي وَلِلْخَمْرِ أَوْ نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ[3]

2 إنـي بُـليـتُ أبـا حفصٍ بغيرِهِمَا — شُرْبِ الحليبِ وَطَرْفٍ فاترٍ ساجِ[4]

3 لا تجعل الـظَّـنَّ حـقّـاً أو تَـبَـيَّـنَـهُ — إنَّ السبيلَ سبيلُ الخائفِ الراجي[5]

4 مـا مُـنْـيَـةٌ قلتُها عـرضـاً بضائرةٍ — والناسُ من هالكٍ قِدْماً ومن ناجِ[6]

5 ياليت شعريَ عَنْ نَفْسي أزاهِـقَـة — نَفْسِي وَلَـمْ أَقْضِ ما فيها مِنَ الحَاجِ

6 إنَّ الـهَـوَى رِعْـيَـةُ التقوى تُقَيِّدُه — حتـى أُقِـــرَّ بـإلـجـامٍ وإسراجِ[7]

---

(1) في الخزانة والحماسة البصرية: (تضيء غرته في الحالك الداجي).

(2) لما سمع عمر بن الخطاب الفريعة تقول: (هل من سبيل) أخذها وضربها بالدرة وحبسها؛ فكتبت إليه: (قل للأمير الذي..) فبكى عمر وقال: «الحمد لله الذي قيد الهوى بالتقوى».

الأبيات (1، 4، 6) في شرح نهج البلاغة 28/12، 29. والأبيات (1، 2، 3، 6) في أخبار أبي القاسم الزجاجي: 210. ومصارع العشاق 267/2. والأبيات (1، 2، 6، 4) في الأوائل: 106. والأبيات (1، 3، 6) في ثمرات الأوراق 413. والبيت الخامس في إيضاح شواهد الإيضاح 791/2؛ قال محقق الإيضاح: هذا البيت لم ينسبه المصنف [القيسي] وهو للفريعة بنت همام، أو الحجاج بن يوسف الثقفي، وتعرف بالذلفاء كما ذكر ابن بري، والبيت كذلك عند ابن يسعون 79/2 وابن بري: 83، وشواهد نحوية: 128.

(3) في الأوائل وأخبار أبي القاسم: (قل للإمام).

(4) في أخبار أبي القاسم والأوائل: (إني غنيت)، وفي أخبار أبي القاسم: (قاصر)، وفي مصارع العشاق: (إني عنيت..... غيره ساجي).

(5) في ثمرات الأوراق: (أن تبيّنه).

(6) في الأوائل:

(أمـنـيـةٌ لم أرِدْ فيـهـا بـضـائـرة — والناس من هالك فيها ومن ناج)

(7) في أخبار أبي القاسم: (أو تيقنه)، وفي الأوائل: (زَمَّهُ التقوى فَحَبَّسَهُ)، وفي ثمرات القلوب: (زُمَّ بالتقوى لتحجبه حتى يقر)، وفي مصارع العشاق: (ذمَّةُ التقوى فقيده).

القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقفي بعد 35هـ[1]

-1-

قال[2]: [الكامل]

1 يا طالبَ الخيراتِ عِنْدَ سَرَاتِنا	اِقْصِدْ هُدِيتَ إلى بني دُهْمانِ[3]
2 الأكثَرِين الأطْيَبِين أُرُومَةً	أهلِ الثراءِ وطيِّبِي الأَعْطَانِ[4]
3 ولقد بلوتُ الناسَ ثم خَبَرْتُهُمْ	فَوَجَدْتُ أكْرَمَهُمْ بَنِي الدَّيَّانِ[5]
4 قومٌ إذا نَزَلَ الحريبُ بِدَارِهِمْ	تركوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ[6]

---

(1) شاعر، وابن شاعر حكيم، يعد من الصحابة، عاش إلى ما بعد عثمان بن عفان ورثاه، وله شعر، توفي بعد سنة 35هـ.

(2) تنازع هو وأبوه هذه الأبيات، وجميع الأبيات ما عدا الثامن في الحماسة البصرية 287. والأبيات (1، 2، 6، 7، 4) في معجم الشعراء 258. والأبيات (4، 5، 6، 7) في التذكرة الحمدونية 6/4 وفي ربيع الأبرار 159/4. والأبيات (6، 7، 4، 5) في الحماسة الصغرى برقم (433). والأبيات (4–7) في الشعر والشعراء462/1. والأبيات (6، 7، 5، 4) في اختيار الممتع في علم الشعر144/1. والأبيات (ماعدا: 1، 2) في حماسة ابن الشجري: 376/1–377. والبيتان (6، 7) في الحيوان 64/1. والبيتان (4، 6 مع آخر) في الأغاني 96/4 وقد نسبتها جميع المصادر السابقة إلى القاسم.
وقد نسبها إلى أبيه لأمية: مجالس ثعلب 344/2 والإصابة 224/5 (البيتان4، 6)، العمدة 236/2 (البيت: 4)، وابن عساكر 123/3، 124 (الأبيات 6، 7، 4، 5)، البلوي 84/2 (البيت 3 مع آخر). ونسبت لعمرو بن أمية في كنايات الجرجاني: 124 الأبيات (1، 2، 4، 6، 7، 5). ونسبت لكعب بن جعيل في لباب الآداب 365–366 الأبيات (4–7)، وشرح المقامات 81/2، وغير منسوبة في: العيون 152/3 الأبيات 4–7، والمجالس 344، والعقد 108/1 الأبيات (4–7).

(3) بنو دهمان: لا أدري أيهم أراد؛ فهناك بنو دهمان بن عوف بن سعد بن ذبيان، وكان منهم أبو غطفان كاتب عثمان بن عفان رضي الله عنه، انظر، 25. وبنو دهمان بن مُنْهِب بن دوس الأزدي وكان منهم حُمَمَة بن الحارث، من المهاجرين الأُوَل إلى رسول الله ﷺ. وبنو دهمان بن نصر بن زهران، وينتهي نسبهم إلى الأزد أيضاً، وكان منهم أبو أميمة الذي تزوج أم فروة أخت أبي بكر الصديق (385)؛ وأظن أن المراد هم بنو دهمان الأزديون؛ لأن الشاعر يذكر في الثالث بني الديان، وبنو الديان يمنيون أيضاً.

(4) في كنايات الجرجاني: (الأكبرين) و(أهل الندى).
الأرومة: الأصل والشرف، الأعطان: جمع عطن؛ وهو مبرك الإبل حول الماء.

(5) بنو الديان: هم بنو يزيد بن قَطَن؛ وهم بيت مَذْحج وأخوال أبي العباس السفاح. انظر جمهرة النسب: 416–417.

(6) في الوحشيات: (أنا في وسط بيوتهم)، وفي الأغاني واختيار الممتع: (الغريب)، وفي ربيع الأبرار (ردوه).
الحريب: الذي سلب ماله.

5 وإذا دعوتُهُمُ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بالخِرصَانِ[1]

6 لا ينكتُون الأَرْضَ عند سؤالِهِمْ لِتَطَلُّبِ العِلَّاتِ بالعِيدَانِ[2]

7 بل يبسُطُونَ وجوهَهُم فترى لها عندَ اللِّقَاءِ كأحْسَنِ الألْوَانِ[3]

8 فهُمُ جناحي إن سألتُ وناصري وبهم أُقَوِّمُ ضِغْنَ مَنْ عَادَانِي[4]

- 2 -

وقال[5]: [الطويل]

لَعَمْرِي لَبِئْسَ الذِّبْحُ ضَحَّيْتُمُ بِهِ وَخُنْتُمْ رسولَ الله في قَتْلِ صَاحِبِهْ

- 3 -

قال[6]: [الطويل]

1 لَعَمْرِي لَبِئْسَ الذِّبْحُ ضَحَّيْتُمْ بِهِ خِلَافَ رسولِ اللهِ يومَ الاَضَاحِي[7]

2 فطيبُوا نُفُوساً بالقِصَاصِ فَإِنَّهُ سَيَسْعَى إلى الرحمنِ سَعْيَ نَجَاحِ

*****

(1) في حماسة ابن الشجري: (بالمُرَّان)، وفي اختيار الممتع: (وإذا دعوا لنزال يوم..... فجاج الأرض بالفُرسان)، وفي مجالس ثعلب: (بالركبان).
الخرصان: السنان والرمح، جمع خُرْص.

(2) في الحيوان والشعر والشعراء وربيع الأبرار: (لا ينقرون)، وفي الأغاني والحيوان: (لتلمس العلات).
لا ينكتون الأرض: كناية عن عدم بخلهم؛ فالبخيل ينكت الأرض ببنانه أو بعود عند الرد.

(3) في كنايات الجرجاني: (بل يسفرون)، وفي الوحشيات وربيع الأبرار: (عند السؤال).

(4) في الأغاني:
قومي ثقيف إن سألت وأسرتي وبهم أدافع ركن من عاداني

(5) البيت في نهاية الأرب 513/19 والاستيعاب 1051.

(6) البيتان في الإصابة 405/5، 460 وفي ربيع الأبرار 213/3.

(7) في الأصل (الأضاحي)؛ ولابدّ من حذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام ليستقيم الوزن.

القاسم بن عمر الثقفي[1]

قال[2]: [الطويل]

1 ألا ليت شعري هل أَدُوسَـنَّ بالقنا ... تَـبـالـةَ أو نـجـران قـبـل مـمـاتـي؟

2 وهـل أَصْبَحَنَّ الحارِثَيْنِ كليهما ... بـسـمٍّ زعـافٍ يقطع الـلَّـهَـوَاتِ؟

*****

مالك بن عمرو الثقفي[3]

قال في رثاء حبيب بن زيد[4]: [الطويل]

1 مَضَى صَاحِبِي قَبْلِي وَخُلِّفْتُ بَعْدَهُ ... فَكَيْـفَ بـأَعْـضَـائي البَقِيـةِ أَصْـنَـعُ

2 وَقَـالَ لَـهُ الـكـذَّابُ تَشْهَدُ أَنَّـني ... رَسُـولٌ فَـأَوْمَـا: أَنَّـني لَسْتُ أَسْمَعُ

3 فَـقَـالَ: تـشـهَّـد أَنَّـهـا لِـمُـحَـمَّـدٍ ... فَنَـادَى بِـدَعْـوَى الحقِّ لا يَتَتَعْتَعُ[5]

---

(1) هو القاسم بن عمر بن محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن مُعَتِّب، واسمه عمرو بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف. ولي اليمن لمروان بن محمد سنة 127هـ فوثبت الإباضية عليه وأخرجوه، وهو من رجال العصر المرواني، وكانت تلك الثورة في حضرموت، يقودها (طالب الحق) عبد الله بن يحيى، فقاتلهم القاسم ليردهم عن صنعاء، فغلبوه وقتلوا أخاً له اسمه الصلت، فرحل القاسم عنها، أو أُخرج منها سنة 129هـ ومات بعد ذلك، وكان القاسم شاعراً من الولاة، له أخ يسمى يوسف بن عمر. انظر: وفيات الأعيان 360/2، والأعلام 243/8، ومجمع الأمثال للميداني 282/1، 283، والدرة الفاخرة 100/1، وجمهرة الأمثال 285/1، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري 40/1.

(2) البيتان في: الأغاني 234/23–236، ومعجم الشعراء: 215 (فراج) وص260 بتحقيق فاروق اسليم، والنجوم الزاهرة 309/1، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين: 367.

(3) مالك من شعراء ثقيف وخطبائها، وجهه أبو بكر بعد الردة رسولاً إلى مسيلمة الكذاب باليمامة، فخطب عنده خطبةً بليغة، ودعاه للرجوع إلى الإسلام، فغضب منه وهمَّ بقتله، فنجا ورثى حبيباً، انظر: منح المدح: 301، 302، ما رأيت وما سمعت: 111.

(4) هو حبيب بن زيد بن عاصم بن كعب، وأمه نسيبة بنت كعب «أم عمارة»، شهدت هي وزوجها وابنها أُحُداً، وحبيب هو الذي أرسله رسول الله إلى مسيلمة الكذاب الحنفي صاحب اليمامة، سأله مسيلمة: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. وإذا قال: أتشهد أني رسول الله، قال: أنا أصم لا أسمع. ففعل ذلك مراراً، فقطعه مسيلمة عضواً عضواً فمات شهيداً، انظر: أسد الغابة 370/1، وحاشية منح المدح: 302.

(5) لا يتتعتع: التعتعة أن يعيا بكلامه، ويتردَّدُ من حَصَرٍ أو عِيٍّ.

4 فَضَـرَّبَ أُمَّ الـرَّأْسِ فيه بِسَيْفِهِ غَـوِيٌّ لَـحَاهُ اللهُ بِالْفَتْكِ مُوْلَعُ(1)

*****

محمد بن القاسم الثقفي98هـ(2)

-1-

قال(3): [الطويل]

---

(1) لحاه الله: لعنه الله، الغَوِيُّ: الضال، غَوَى غيًّا: أي ضل.

(2) محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن قسي [هو ثقيف] من الأحلاف، ترجم له صلاح الصفدي في الوافي ووصفه بأنه «الأمير الثقفي»، كان أبوه والي البصرة للحجاج، ومحمد من بني أعمام الحجاج وختنه، وقد ولاه الحجاج ثغر السند في أيام الوليد بن عبد الملك، فكان ببلاد فارس على رأس جيش في طريقه إلى الري فأقام في شيراز، وأرسل إليه الحجاج ستة آلاف من جند أهل الشام وخلقاً من غيرهم، فزحف إلى مكران، وفتح قنزبور، وارمائيل، والديبل، واستسلم أهل البيرون وما بعدها، إلى أن بلغ مهران فعبره، وقاتله «داهر» ملك السند، فقتل داهراً، وانبسطت يده في البلاد فتحاً وتنظيماً، حتى وصل إلى «الملتان».

وجاءت الأنباء إلى محمد بن القاسم بوفاة الحجاج ثم الوليد بن عبد الملك وولاية سليمان بن عبد الملك، وكان سليمان شديد النقمة على الحجاج وعماله، فلما ولي – بعد موت الحجاج – عمد إلى أقربائه وكتابه وعماله فنكبهم، وعزل محمد بن القاسم، وأمر بحمله من السند مقيداً إلى واسط، فعُذِّبَ بها مع رجال آل أبي عقيل، وكان سليمان قد استعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق، وولى يزيد بن أبي كبشة السند، فلما حمل ابن القاسم مقيداً؛ حبسه صالح الذي وجد الفرصة مواتية للانتقام لأخيه «آدم»، الذي قتله الحجاج من قبل. ظل ابن القاسم قابعاً في السجن معذباً، وقال شعراً يعاتب به بني مروان، فأمر سليمان بإطلاقه فأطلق، ثم قتله معاوية بن يزيد بن المهلب، وقيل: مات في العذاب، وقيل قتل نفسه في عذاب يزيد بن المهلب. وله يقول زياد الأعجم أو غيره:

قـاد الجـيـوش لسبع عـشـرة حجة ولِـــدَاتـــه عــن ذاك في أشــغــال
قعدت بهم أهـواؤهـم، وسمت به همم المـلـوك، وسَــوْرة الأبـطـال

كان محمد بن القاسم من كبار القادة في العصر الأموي، وصفه حمزة بن بيض الحنفي بقوله:

إن المــروءَةَ والسماحَةَ والـنـدَى لمـحـمـد بــن الـقـاسـم بــن محمد
ساسَ الجيوشَ لسبعَ عشْرَةَ حِجَّةً يـا قُــرْبَ ذلـك سُــؤْدَداً مـن مولدَ

انظر ترجمته في: فتوح البلدان: 612 والكامل لابن الأثير 588/4 ومعجم الشعراء: 403 والأعلام 333/6 ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر 12/1–16 والدولة الأموية في الشرق: 127 128– وفي مجلة المنهل السنة الرابعة سنة 1358هـ من 174–176 ومن 187–189، هذا وأخل به (معجم الشعراء المخضرمين والأمويين).

(3) كان محمد بن القاسم عاملاً للحجاج على السند بعد أن فتحها، فلما وليها حبيب بن المهلب قدَّم على مقدمته عاملاً من السكاسك، ورجلاً من عكّ، فأخذا محمد بن القاسم فحبساه؛ فقال هذه الأبيات.

الأبيات في معجم الشعراء: 343 والممتع في علم الشعر وعمله: 86. والأبيات (3، 4، 5) في الكامل في التاريخ

1 أينسى بنو مَـرْوَانَ سَمْعِي وطاعتي وإنــي على ما نَـابَـنِـي لَصَبُورُ[1]

2 فَتَحْتُ لهم ما بين سابُورَ بالقَنا إلـى السّنْدِ منهم زاحـفٌ ومُغِيرُ[2]

3 وما دَخَلَتْ خَيْلُ السَّكَاسِكِ عسكري ولا كـان مِـنْ عَـكٍّ علـيَّ أميـرُ[3]

4 ومـا كُـنْـتُ لِلعَبْدِ الـمَـزُونِـيِّ تابعاً فَـيَـا لَـكَ جَـدٌّ بـالـكِـرامِ عَثُورُ[4]

5 فلو كنتُ أَزْمَـعْـتُ الـفِـرارَ لقُرِّبَتْ إنــاثٌ أُعِــدَّتْ لِـلـنَّـوَى وذُكُورُ[5]

- 2 -

وقال[6]: [الكامل]

1 فَلَـئِـنْ ثَـوَيْـتُ بِـوَاسِـطٍ وبأَرْضِـهَـا رَهْــنَ الـحَـديـدِ مكَـبَّـلاً مَغْلُولاَ[7]

588/4، وفتوح البلدان: 446، ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: 26، والوافي بالوفيات 345/4.

(1) في معجم الشعراء (أتنسى) و(أني)، وفي معجم الشعراء والوافي بالوفيات (ما فاتني).

(2) في معجم الشعراء رواية أخرى: (..... جرجان بالقنا إلى الهند ألقى مرة وأغير). وفي الوافي: (الهند) مكان (السند).

(3) في الكامل ونزهة الخواطر: (السكاسك أرضنا). وفي معجم الشعراء والوافي بالوفيات (وما وطئت خيل).
السكاسك: حي باليمن، جدهم القَبْل سكسك بن أشرس. انظر القاموس (سك). وعك: هو عَكُّ بن عُدْثان بن عبدالله بن الأزد؛ انظر القاموس (عك).

(4) في معجم الشعراء (ولا كنت)، وفي الكامل (وما كنت للبُدِّ..... فيا لك دهر). وفي فتوح البلدان ونزهة الخواطر: (ولا كنت... فيا لك دهر).
المزوني: منسوب إلى المزون؛ وهو من أسماء عمان. وأراد أحد أبناء المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ويقال لأزد عمان: المزون. ويراد بالمزون الملاحين أيضاً، وكان أردشير بن بابك جعل الأزد بِشِحْرِ عمان ملاحين قبل الإسلام بستمئة سنة. انظر: معجم البلدان: (المزون).

(5) في معجم الشعراء والوافي بالوفيات: (ولو.. الفراق لقربت) ويروى الشطر الثاني: (إليَّ إناث للوغى وذكور).
في فتوح البلدان: (جمعت القرار لوطئت..... أعدت للوغى)، وفي تاريخ ابن الأثير ونزهة الخواطر: (ولو كنت أجمعت الفرار لوطئت.... للوغى).

(6) عندما وصل محمد بن القاسم إلى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن في واسط فقال البيتين.
البيتان في الكامل في التاريخ 588/4، وفي نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: 26، ونهاية الأرب 308/21، والفتوح: 540.

(7) واسط: مدينة الحجاج التي بناها بين بغداد والبصرة؛ سميت بذلك لأن بينها وبين الكوفة فرسخاً، وبينها وبين البصرة والمدائن مثل ذلك. معجم ما استعجم: 1363/3.

2 فَلَرُبَّ قَيْنَةِ فارِسٍ قد رُعْتُها   وَلَرُبَّ قِرْنٍ قد تَرَكْتُ قَتيلا[1]

*****

محمد بن القاسم الثقفي أبو البهار[2]

قال[3]:   [الخفيف]

اسقياني عَلَى البَهَارِ فإني   لأَرَى كلَّ ما اشْتَهَيْتُ البَهَارَا

*****

مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ النُّمَيْرِي (90 هـ)[4]

-1-

قال[5]:   [الكامل]

1 غَشِيَ المنَازِلَ بالسَّلِيْلِ فَهَاجَهُ   رَبْعٌ تَبَدَّلَ غَيْرَهُ أَحْبَابُهُ[6]

---

(1) في الفتوح: (فَلَرُبَّ فتية).

(2) هو محمد بن القاسم الثقفي البصري، شاعر إسلامي، كان يشرب على البهار، ويعجب به؛ فلقب أبا البهار.

(3) معجم الشعراء للمرزباني، تحقيق فاروق اسليم: 410–411.

(4) محمد بن عبد الله بن نمير بن خَرَشَة بن ربيعة بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِيٍّ، وقَسِيٌّ هو ثَقيف، وقد لقب محمد بالنميري وهي كنية أبيه الذي كني بأبي النمير، ويقال إنها اسم جده، أما حياته فيكتنفها الغموض، فلم تحمل لنا المصادر القديمة شيئاً عنه إلا أنه شاعر من شعراء الدولة الأموية، مولده ومنشؤه ووفاته بالطائف، وأنه شاعر غزل، كان يهوى زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يشبب بها، لم تحدد المصادر تاريخ ميلاده، ولم تتفق في سنة وفاته، ولم تذكر شيئاً عن أسرته، أو نشأته، أو حالته الاجتماعية، ولكن يمكن القول: إن النميري كان أسن من الحجاج بن يوسف، دَلَّ على ذلك ما نقل عن مسلم بن جندب الهذلي؛ وهو قوله: إني لمع محمد بن عبد الله النميري ثم الثقفي بنعمان وغلام يشتد خلفه يشتمه أقبح شتم، فقلت له: من هذا ؟ فقال: الحجاج بن يوسف، دَعْهُ فإني ذكرت أخته في شعري فأحْفَظَه ذلك. فإذا كان الحجاج قد ولد سنة 40هـ؛ فمن الراجح أن يكون النميري قبله ببضع سنوات أو نحوها، وقد طلبه الحجاج فيما بعد؛ لأنه شبب بأخته فهرب إلى اليمن، ومكث فترة في عدن، ثم استجار بعبد الملك بن مروان فأجاره وأمَّنه، وقد توفي النميري سنة 90 هـ تقريباً، انظر أخباره في: الأغاني 136/6، والوافي بالوفيات 395/3، والأعلام للزركلي 220/6، وجمهرة اللغة 14/1، 256، والحماسة البصرية 205/2–206، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين 122–123، وشعراء أمويون 114/3.

(5) ربيع الأبرار 345/1 ورُويا في المصدر نفسه 474/1، والبيتان ساقطان مما جمعه الدكتور القيسي.

(6) السليل: واد يقال إنه من أودية مكة. قال عنه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

2 وَلَـقَـدْ تَـــرَاهُ لِـلْـقَـتُـولِ وَأَهْـلِـهَـا   جَــاراً تَـمَـسُّ بـيـوتَـهُـمْ أَطْنَابُهُ(1)

- 2 -

وقال(2):   [الطويل]

تطاول ليلي من همـوم، فبعضُها   قــديمٌ ومـنـهـا حــادثٌ مـترشِّـحُ
تحـنُّ إلى عـرق الحـجـونِ وأهـلِـهـا   مـنـازلـهـم مـنـا سـلـيـلٌ وأبـطُـحُ

انظر: شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري: 19.

(1) ورد البيت الثاني في ربيع الأبرار ص 474 (ولقد تراه للقبول).

(2) الأبيات (1، 2، 3، 4، 5، 6، 9، 14، 11، 18، 19، 22، 24، 28) في الأغاني 136/6، 137، 138 وتجريد الأغاني القسم الأول من الجزء الثاني: 756. والأبيات (24، 3، 1، 19، 21، 20، 6، 9) في العقد الفريد 5/ 287. والأبيات (1، 2، 3، 5، 9، 10، 12، 14، 17، 19، 21–27، 29، 33) عند ابن الجوزي في أخبار النساء: 25–27. والأبيات (1، 9، 18) في ذم الهوى: 238. والأبيات (1، 4، 5) في معجم البلدان 409/5 (الهمّاء) وكذلك (1، 10، 11، 12) (عرفات) وكذلك (24، 3، 4، 5، 1) (التنعيم). والبيتان (1، 9) في المختار من شعر بشار: 116. والبيت الأول في ديوان المعاني 260/1 وكذلك في الاختيارين: 734 وثلاثة كتب في الأضداد: 138 وقد أدرجه الدكتور يحيى الجبوري في الشعر المنسوب إلى أبي حية النميري وإلى غيره من الشعراء: 185. والبيت (24) في مراصد الاطلاع 277/1. الأبيات (1، 9، 15) في تحرير التحبير 481، وفي التذكرة الحمدونية البيت الأول 148/6 والبيت (19) 344/7 لمحمد بن عبد الله النميري. والأبيات (10، 11، 12) في التذكرة الحمدونية أيضاً 148/6 لكنها منسوبة إلى سعيد بن المسيب. والأبيات (1، 3، 9، 18، 20، 23، 21، 10، 11، 12) في زهر الآداب ص173، 174. والأبيات (1، 2، 3، 6، 9، 14، 18، 19، 24) في مختار الأغاني. والبيتان (1، 5) في اللسان والتاج (ضوع، كفر). والأبيات (1، 9، 19) في كامل المبرد2 ص103– 206 وفي المرقصات والمطربات: 34 وفي وفيات الأعيان 40/2. والبيتان (9، 19) في كامل المبرد2 ص207 والأبيات: (24، 3، 1، 19، 21، 20، 6، 9) في كامل المبرد 227/2. والبيتان (1، 9) في نور القبس ص157 بلا عزو. والبيت الأول في معجم ما استعجم 1316/4 وأساس البلاغة 125/2 بلا عزو. والأبيات (1، 10، 11، 12، 18) في أمالي القالي 24/2. والأبيات (1، 3، 24، 16، 23، 14، 19، 21، 20، 25، 29، 6، 9) في الحماسة البصرية 1229/3، 1230. والأبيات (24، 19، 1، 3، 21، 20، 6، 9) في المحاسن والأضداد: 159 والبيت (19) في ربيع الأبرار 175/5. والأبيات (24، 3، 19، 21، 22، 1، 9) للنميري. والأبيات (10، 11، 12) منسوبة إلى سعيد بن المسيب عند الحصري القيرواني في المصون: 44–47. والبيت (23) في نهاية الأرب472/4، 166/7 وكذلك الأبيات (1، 3، 9، 19) 279/4، 280. والأبيات (1، 4، 7، 10، 12، 14، 17، 18، 19، 21، 22، 23، 27) في الحماسة البصرية 205/2 وما بعدها والبيت الأول في الأشباه والنظائر للخالديين 105/1، 74/2 والأبيات (1، 3، 4، 5، 6، 7، 10، 14، 17، 18، 21، 23، 27) في نزهة الأبصار 281/1، 282 والأبيات (1، 5، 9، 19) في ديوان الصبابة 179 وعند الصلاح الصفدي في الغيث المسجم 377/1. والبيت الأول في جمهرة اللغة 256/1 والأمالي: 24/2. والأبيات (1، 17، 18، 23، 27) في الوافي بالوفيات 295/3. والبيت (25) في خزانة الأدب للبغدادي 222/4 وفي شرح الكافية البديعية: 223 منسوب في هذين المصدرين لمنصور النميري وليسا في ديوانه. وهو في تحرير التحبير: 481 ونهاية الأرب 166/7 منسوب لأبي حية النميري وفي ديوانه: 185، ولكنه

1 تَضَوَّعَ مسكاً بطْنُ نَعمان إذْ مَشَتْ	بِـهِ زَيْـنَـبٌ فـي نِـسْـوَةٍ عَطِراتِ(1)
2 تهادَيْنَ ما بَيْنَ المُحَصَّبِ مِنْ مِنىً	وَنَـعْـمَـانَ لا شُـعْـثاً ولا غَـبِـراتِ
3 مَـــرَرْنَ بِـفَـخٍّ رَائِـحَـاتٍ عَـشِـيَّةً	يـلـبـيـنَ لـلـرحْـمـنِ مُعْتَجِرَاتِ(2)
4 فَـأَصْـبَـحَ مابين الهماء فصاعداً	إلى الجِزعِ جِزْعِ الماءِ ذي العُشَراتِ(3)
5 لَـهُ أَرَجٌ بِـالْـعَـنْـبَـرِ الـوَرْدِ فَـاغِـمٌ	تُـطَـلَّـع ريَّـــاه مِـــنَ الكَفِراتِ(4)

منسوب في العقد الفريد 324/5 والأغاني 203/6، 209 لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي (النميري).

(1) في مختار الأغاني ونور القبس ورغبة الآمل ومجالس ثعلب والمرقصات والمطربات ولسان العرب وذم الهوى وتجريد الأغاني: (أنْ مشت). وفي مجالس ثعلب والوافي وديوان المعاني والمختار والأمالي والمرقصات والمطربات ونهاية الأرب: (خفرات). في زهر الآداب: (تضوع طيباً). وفي العقد (خفرات) مكان (عطرات). وفي معجم البلدان وردت (خفرات) في موضع ووردت (عطرات) في موضعين. في ديوان الصبابة: (خضرات). في المختار من شعر بشار وفي معجم ما استعجم: (أن مَشَتْ.... في نسوة خفرات).

تضوع: انتشرت رائحته. المحصب: موضع بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب.

(2) في العقد: (مررن بفجٍّ ثم رحن..... مؤتجرات). في تجريد الأغاني ونزهة الأبصار والحماسة البصرية: (.... ثم رحن..... معتمرات). وفي الأغاني ومختاره وزهر الآداب ومعجم البلدان: (.... ثم رحن........ مؤتجرات). وفي المصون: (نزلن بفخ ثم رحن على منى..... مؤتجرات). وفي نهاية الأرب: (نزلن.. ثم رحن.. معتمرات). وفي أخبار النساء: (مؤتجرات).

فخ: واد بمكة دفن فيه ابن عمر، أو هو وادي الزاهر. انظر معجم البلدان (فخ)، وزهر الآداب 1: 173.

(3) في الأغاني ورغبة الآمل: (فأصبح...... فحزوة إلى الماء ماء الجزع). في معجم البلدان ونزهة الأبصار: (فأصبح ما بين الهماء فصاعداً). وفي معجم البلدان أيضاً:

(فأصبح ما بين الأراك فحذوه إلى الجذع جذع النخل والعمرات)

في معجم ما استعجم: (وأصبح ما بين النُمار وصائفٍ..... العَشَرات). في تجريد الأغاني: (فأصبح ما بين الهماء وجذوة إلى الماء ماء الجزع).

وردت رواية لصدر البيت (فأصبح بطنان الهواء وجوزهم)؛ وقد عدلت عنها واخترت الرواية التي أثبتها لمناسبتها سياق الأبيات، وهي رواية معجم البلدان، ونزهة الأبصار.

العُشَرات: جمع عشرة؛ وهي شجرة لها صمغ حلو عريض الورق.

(4) في معجم البلدان: (له أرج بالعنبر البحت فاغم مطالع). وفي موضع آخر من المعجم: (له أرج بالعنبر الغض فاغم). وفي لسان العرب (كفر) والأغاني وتجريد الأغاني ورغبة الآمل ونزهة الأبصار وديوان الصبابة: (له أَرَجٌ من مُجمرِ الهندَ ساطعٌ تُطَلَّعُ). وفي معجم ما استعجم: (له أرج بالعنبر الورد ساطع). وفي أخبار النساء: (لها) مكان (له) و(الفَترات) مكان (الكفرات).

ريًا كل شيء: رائحته الطيبة. الكفرات: قال الفرَّاء: الكفر: العظيم من الجبال. واحدها كَفِر.

6 أَعَانَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَرْشُهُ	نَـوَاعِـمَ بِالبَـطْحَـاءِ مُعْتَمِرَاتِ(1)
7 إِذَا كَـانَ حـجٌّ أو هَـمَمْنَ بِعُمْرَةٍ	عَـلَـوْنَ بـديبـاجٍ عـلـى بَـغَـلاتِ
8 خَرَجْنَ إلـى البَيْتِ العَتِيْقِ بِعُمْرَةٍ	نَـوَاحِـبَ فـي نَـذْرٍ ومـؤتـجـرَاتِ
9 يُخَمِّرن أطـراف البَنَانِ من التُّقَى	ويخرجْنَ جنحَ الليلِ مُعْتَجِرَاتِ(2)
10 وَلَيْستْ كَأُخْرى أَوْسَعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا	وَأَبْـدَتْ بَنَانَ الكَفِّ لِلْجَمَراتِ(3)
11 وَغالَتْ بِبَانِ المسْكِ وَحْفاً مُرجَّلاً	على مِثْلِ بَدْرٍ لاَحَ في الظُّلُمَاتِ(4)
12 وَقَامَتْ تَـراءَى بَيْن جَمْعٍ فَأَفْتَنَتْ	بـرؤيـتِـهَـا مـن راَحَ مِـنْ عَرفَاتِ(5)
13 أوانـسُ يسلبْنَ الحليمَ فـؤادَهُ	ويمشين رَهْـواً مِشْيَةَ البَقَرَاتِ(6)
14 تَقَسَّمْنَ لُبِّي يـومَ نَعْـمانَ إنني	لقيتُ فـؤادِيْ عَـارِمَ النظَرَاتِ(7)

(1) في العقد الفريد: (أحل الذي.... أوانس بالبطحاء). في الحماسة البصرية: (أوانس..... مُؤْتزرات). في مختار الأغاني ونزهة الأبصار: (أوانس بالبطحاء مؤتجرات). في الأغاني ورغبة الآمل: (مواشي...... مؤتجرات). في تجريد الأغاني: (بيته مواشي..... مؤتجرات).

(2) في الأغاني ورغبة الآمل ونزهة الأبصار: (يخبئن..... ويقتلن بالألحاظ مقتدرات)، وفي أخبار النساء: (يخبئن) و(يمشين شطر الليل معتمرات). في العقد الفريد: (يخبئن..... وسط الليل). في المختار من شعر بشار والحماسة البصرية والوافي بالوفيات: (شطر الليل معتجرات). في ذم الهوى: (يغَطِّين..... ويخرجن بالأسحار معتجرات). في ديوان الصبابة: (ويطلعن نصف الليل). في الغيث المسجم: (يطلعن شطر الليل). في تحرير التحبير: (ويبرزن شطر الليل). في المرقصات وزهر الآداب وكامل المبرد: (يخبين – يخبئن..... ويخرجن شطر). في نور القبس: (ويرقدن جنح).

معتجرات: لابسات المعاجر؛ وهي أثواب تلفها النساء على استدارة رؤوسهن، ثم يتجلببن فوقها بجلابيبهن.

(3) في معجم البلدان، والتذكرة الحمدونية: (جيب درعها). في معجم البلدان: (وحلت بنان).

اخترت كلمة (جيب) من رواية معجم البلدان والتذكرة الحمدونية لمناسبتها للفعل (أوسعت).

(4) في التذكرة الحمدونية: (وعلت بنان).

(5) في التذكرة الحمدونية: (يوم جمع). وفي أخبار النساء: (ومالت تراءى من بعيد).

(6) رهواً: بسكون وتتابع. وقيل: السير السهل المستقيم.

(7) في الأغاني ومختاره ونزهة الأبصار: (تقسمن قلبي..... رأيت). وفي الحماسة البصرية: (تقنَّصْن لبي..... رأيت). وفي أخبار النساء: (أنني بليت بطرف فاتك اللحظات).

عارم النظرات: شديد النظرات حادَّها.

15 رَمْيْـنَ فـؤادِي يَـوْمَ ذَاكَ فَصِدْنَه قـوانِـصَ إذْ يـرمِـيـنَـه ظَفِرَاتِ[1]

16 جَلَوْنَ وُجُوْهاً لم تَلُحْها سمائمُ الـ ـحرورِ ولـم يُسفَعْن بالسَّبَراتِ[2]

17 يُظَاهِرْنَ أستاراً وَدُوْراً حصينَةً ويقطعْنَ دُونَ الـدوّ بالحُجُراتِ[3]

18 فَهُنَّ كمكْنُونٍ مِنَ البَيْضِ تَحْتَهُ عـقـادٌ مِـن الأَنْـقَـاءِ بِالقَفَرَاتِ[4]

19 فلمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ رَاعَهَا وكـنَّ مِـنَ انْ يَلْقَيْنَـهُ حَذِرَاتِ[5]

20 وقـام جَـوَارٍ دونـهـا فَسَتَرْنَها بـأكـسـيـةِ الـديـبـاجِ والِـحـبَـرات

21 دَعَتْ نسوةً شُمَّ العَرَانِينِ كالدُّمَى أوانـسَ لا شُـعْثاً ولا غَبِرَاتِ[6]

22 فأدنين حتى جاوز الركب دونها حجاباً من القَسِّيِّ والحِبَرات[7]

---

(1) في تحرير التحبير:

فهن اللواتي إن بَرَزْن قتلْنني وإن غِبْن قَطَّعْنَ الحَشَا حَسَرَات

(2) في الأغاني وتجريده والحماسة البصرية ونزهة الأبصار ورغبة الآمل: (سمائمُ حرورٌ).

تلحها: لاحته الشمس ولوحته: غيرت وجهه. السمائم: جمع سموم وهي ريح حارة أو حر النهار. سفعته: غيرته. السبرات: جمع سبرة وهي شدة برد الشتاء.

(3) ظننت أن المخطوطة تفردت بهذا البيت؛ ولكني وجدته في أخبار النساء باختلاف يسير:

يظاهرن أستاراً ودوراً كثيرة ويقطعن دور اللهو بالحجرات

الدو: الصحراء.

(4) عقاد: عقد شجرٍ ورقه يلحم الجراح.

(5) في الأغاني وتجريده ونهاية الأرب والحماسة البصرية والوافي ونزهة الأبصار: (ولَّما). وفي نزهة الأبصار (بأن) مكان (أن). وفي الحماسة البصرية أيضاً: (وكنَّ متى يلقينه). وفي العقد الفريد ومختار الأغاني والمرقصات والمطربات، وزهر الآداب، والوافي، وربيع الأبرار: ومجالس ثعلب: (ولما.... أعرضت). وفي ذم الهوى: (النميري أعرضت). وفي ديوان الصبابة والمصون: (ولما..... أعرضت بكرهٍ لأن). وفي أخبار النساء: (ولما) و(أعرضت) و(تلقينه).

(6) في العقد الفريد: (دعت نسوة شم العرانين بدَّنا نواضر). وفي المصون للحصري: (بدنا أوانس..... ولا عفرات). وفي الحماسة البصرية والكامل: (بدَّناً نواعم). وفي أخبار النساء: (ملء العين كالظبيات). وفي رغبة الآمل وزهر الآداب: (بزلا نواعم). ويروى في رغبة الآمل ومجالس ثعلب أيضاً: (ولا غفرات). في الأغاني، ومختاره، وتجريده، ورغبة الآمل، ونزهة الأبصار وأخبار النساء: (وأقبلن)

(7) في العقد: (فأدنين لَّما قمن يحجبن). وفي زهر الآداب: (فأبرزن لما قمن يحجبن). في الحماسة البصرية: (فأرخين). وفي رغبة الآمل: (فأدنين لما). وفي مجالس ثعلب: (فأدنين..... فوقها). وفي زهر الآداب: (فأبدين). وفي المصون للحصري: (فأبرزن لما قمن يحجبن). وفي أخبار النساء: (فأبدين.. زينباً).

القسي: ثياب منسوبة إلى «قس»؛ بلدة كانت بين العريش والفرماء من أرض مصر، يصنع فيه ثياب من كتان مخلوط

23 فقلتُ: يعافيرُ الظِّباءِ تناوَلَتْ غصونَ نياعِ الْمَرْدِ مُهْتَصِراتِ(1)

24 فلم تَرَ عَيْني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ مِنَ التَّنْعيمِ مُخْتَدِرَاتِ(2)

25 فكِدْتُ اشتياقاً نَحْوَهَا وصبابةً تَقَطَّعُ نَفْسي دونَهَا حَسَرَاتِ(3)

26 وَعَاوَدْتُ مِنْ وَجْدٍ بزينبَ غمرةً من الحبِّ إنَّ الحبَّ ذو غَمَرَاتِ(4)

27 فَظَلَّ صِحَابي يُظْهِرونَ مَلاَمَتي وقوفاً على الأفراس والبَكَرَاتِ(5)

28 فقالوا اسْتَفِقْ واستحْيِ إنَّ صَبَابةً تُوَسِّنُكَ الأشواقَ والزفَرَاتِ(6)

29 فراجَعْتُ نفسي والحفيظةَ بعدما بَلَلْتُ رداءَ العَصْبِ بالعَبَرَاتِ(7)

بحرير. الحِبرَات: جمع حِبرَة؛ وهي ضرب من برود اليمن الموشى. وقد اخترت للبيت رواية الأغاني وتجريده ومختاره ونزهة الأبصار والوافي ومجالس ثعلب بدلاً من رواية:

وأبدين لما قمن يحجبن زينباً بطوناً لطاف الطي مضطمرات

لأنها أدق منها، ولأن الأخيرة تنافي الذوق العام وتفسده. كما نبه إلى ذلك الأستاذ فاروق شوشة.

(1) في رواية رغبة الآمل: (نياع الورد). في تجريد الأغاني وفي نزهة الأبصار والحماسة البصرية: (نياع غصون)، وفي أخبار النساء (قلت..... نياع غصون).

يعافير: جمع يعفور؛ وهو الظبي لونه لون العفر، وهو التراب. ناع الغصن: تمايل؛ والمراد هنا الغض الناضج من ثمر الأراك. مهتصرات: معطوفات من اهتصر الغصن عطفه وأماله؛ والاحتمال الأقرب أن تكون بصيغة اسم الفاعل.

(2) في العقد الفريد: (ولم..... معتمرات). ورغبة الآمل: (معتجرات). وفي معجم البلدان وزهر الآداب ومراصد الاطلاع: (فلم..... معتمرات). وفي زهر الآداب: (معتمرات). وفي الحماسة البصرية: (مؤتجرات). وفي المصون: (ولم) و(إلى) مكان (من) و(معتمرات) مكان (مختدرات). وفي أخبار النساء: (ركب..... التعمير معتمرات).

السرب: القطيع من البقر والظباء؛ والمراد به هنا جماعة من النساء. مختدرات: لازمات خدورهن أي مستترات، والمقصود بالخدور الهوادج.

(3) في الأغاني ومختاره ورغبة الآمل ونزهة الأبصار: (إثرها حَسَرَات). وفي أخبار النساء (وكدت..... إثرها حَسَرَات). في الأغاني والوافي: (وكدت) (أقطع). في تجريد الأغاني: (أقطِّع نفسي إثرها). وفي خزانة الأدب:

فهن اللواتي إن برزْنَ قَتلْنَني وإن غِبْنَ قطَّعْنَ الحشا حَسَرَاتِ

وفي شرح الكافية البديعية 223 (دونها زفرات).

(4) في أخبار النساء: (وغادرت من وجدي).

غمرة الحب: سكرة الحب، فهي تعاوده إذ لا سلطان له عليها. توسن فلان فلاناً: إذا أتاه عند النوم.

(5) في أخبار النساء: (وظل..... على لوعة الأشواق والزفرات).

(6) في أخبار النساء: (إنما) مكان (بعدما).

(7) الحفيظة التي تحفظ الرجل؛ أي تغضبه إذا وتر في حميمه أو في جيرانه. العصب: ضرب من البرود، وقيل: هي برود يصبغ غزلها ثم ينسج.

30 وفيها أتاني العاذلاتُ سَفَاهَةً قبيل طلوعِ الفجر مبتكرَاتِ[1]

31 أراهُنَّ رأي السوء شيعاً لِصُرمها فجئْن كما يَحْسِبْنَ مُعْتَذِراتِ

32 وَجِئْنَ بأمر فانقَلَبْنَ بغيرِهِ خواسئَ قَدْ عُوصِينَ مشْتَهرات

33 وقد كان من عِصْيانِيَ النفسَ زاجرٌ لِذي عِبْرَةٍ لَوْ كُنَّ معتبِرَاتِ[2]

- 3 -

وقال[3]: [الوافر]

1 أهاجَتْكَ الظعائِنُ يومَ بانوا بذي الزِّيِّ الجميلِ من الأثاثِ[4]

2 ظعائنُ أُسلِكَتْ نَقْبَ المُنَقَّى تُحَثُّ إذا وَنَتْ أيَّ احتثاثِ[5]

3 على البَغَلاتِ أشباهِ الجَوَارِي من البيضِ الهَرَاطِلَةَ الدِّماثِ

---

(1) الضمير في (فيها) عائد على زينب.

(2) في أخبار النساء: (في) مكان (من).

(3) الأبيات كاملة عدا الثالث في: نزهة الأبصار 283/1 والأغاني 140/6. والبيت الأول في جمهرة اللغة 14/1 (أ ث ث) والاشتقاق: 86، وفتح القدير 374/3 وأضواء البيان 485/3 لمحمد النميري الثقفي. والأبيات (1، 5، 6) في المحب والمحبوب 18/2 لمحمد بن عبد الله النميري الثقفي، ومواسم الأدب 83/2. والأبيات (1، 2، 5) في الأنوار ومحاسن الأشعار 712. والأبيات (1، 2، 3) في معجم البلدان (نقب). والأبيات (1، 2، 5، 6) في زهر الآداب 174/1 ومقاييس اللغة 8/1. وفي اللسان والتاج (رأى) والبيتان (1، 2) في مراصد الاطلاع 1384/3. وفي كامل المبرد 786/2 قال المحقق: «بهامش الأصل ما نصه: (هذه الأبيات وقعت في شعر عروة بن أذينة، وفيها هذان البيتان:

تؤمل أن تلاقي آل نُعْم فيا لك من لقاء مستراثِ

ألاقٍ أنت في الحجج البواقيْ كما لاقيت في الحجَج الثلاث)

سقط البيت الثالث من جمع الدكتور القيسي، وقد اضطررت إلى كتابة القصيدة كاملة حتى لا يختل نسقها.

(4) في اللسان وأضواء البيان وفتح القدير: (أشاقتك..... بذي الرئي). وفي جمهرة اللغة ومقاييس اللغة والتاج ومحاسن الأشعار والكامل (أشاقتك). في المحب والمحبوب: يوم وَلَّوْا.

الظعائن: النساء في الهوادج، واحدتها ظعينة. أثاث: من (أُثاثة) (فُعالة) إمَّا من أَثَّ النبت: إذا كثفت أغصانه، أو من أثاث البيت وهو متاعه من فرش أو غير ذلك. انظر: الاشتقاق: 86.

(5) في زهر الآداب: (ظعائن أَسْلَكَتْ في بَطْنِ قَوٍّ..... رَنَّتْ).

نقب المنقّى: موضع بين مكة والطائف.

4 تُـوَمِّــلُ أن تـلاقـيَ أهــل بُـصْـرَى فـيـالَـكَ مــن لـقـاءٍ مُسْتَراثِ[1]

5 كـأنَّ عـلـى الـحَـدائـج يـومَ بـانُـوا نِـعَـاجـاً تَـرتَـعـي بَـقْـل البِراثِ[2]

6 يُـهَـيِّـجُـنِـي الـحَـمَـامُ إذا تَـداعـى كـما سَجع الـنـوائـحُ بالمراثي[3]

7 كـــأن عـيــونَـهُــنَّ مــن الـتـبـكِّـي فصوصُ الجَزْع أو يُنْعُ الكَباث[4]

8 ألاقِ أنـت فـي الـحِـجَـجِ البَواقي كـمـا لاقـيـتَ فـي الـحِـجـج الـثـلاثِ

- 4 -

وقال[5]: [الطويل]

1 تَـعَـزَّ بِـصَـبْـرٍ لا وَجَـــدِّكَ لَـنْ تَـرَى عِرَاضَ الحِمَى إحْدَى اللَّيَالي الغَوَابِرِ

2 كـأَنَّ فــؤادِي مِـنْ تـذكُّـرِهِ الحِمَى وأَهْـلَ الحِمَى يَهْفُو بِـهِ رِيشُ طَائِرِ

- 5 -

قال[6]: [الطويل]

(1) (مستزارٍ) مكان (من لقاء).
مستراث: مستبطأ.

(2) في زهر الآداب: (الهوادج) في موضع (الحدائج)، وفي الكامل (الظعائن). وفي الأنوار ومحاسن الأشعار وفي المحب والمحبوب: (كأن على القلائص).
الحدائج: جمع حديجة والحِدْج : من مراكب النساء مثل الهودج. النعاج: البقر الوحشي. البرث: الأرض السهلة.

(3) في زهر الآداب: (يهيجك..... تداعى كما سجع النوادب). وفي تجريد الأغاني: (يهيجني..... في المراثي). وفي المحب والمحبوب: (إذا تغنى).

(4) الجزع: الخرز اليماني. الكباث: النضيج من ثمر الأراك، أو غير النضيج منه.

(5) له في التذكرة الحمدونية 69/6، ولعبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي في مجموعة المعاني: 153، وللصمة القشيري في تزيين الأسواق: 169، وأكبر الظن أن عبد الله بن نمير بن حسوسة الثقفي هو نفسه محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي الشاعر الثقفي في العصر الأموي، وواضح ما بين خرشة وحسوسة من تشابه في الرسم، فاحتمال التحريف وارد بنسبة كبيرة؛ ولذا فإني أرجح نسبة البيتين إلى محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي.

(6) البيت للنميري، هكذا دون تحديد في اللسان (رأبل)، ولعل قائله محمد بن عبد الله النميري، وذكر محققو اللسان في حاشية الصفحة أن البيت مأخوذ عن الخزانة، ووضعوا اسم القائل بين معقوفتين [عبد الله]، وهو مما يرجح أنه محمد بن عبد الله النميري، وقد سقط البيت من جمع القيسي.
الرِّئْبال: من أسماء الأسد والذئب– يُهْمَزُ ولا يُهْمَزُ– والجمع رئبال وريابيل، وقيل: الرئبال الذي تلده أمه وحده.

وَنُـلْـقَـى كَـمَـا كُـنَّـا يَـداً فـي قتالِنَا   رَيَـابِـيـلَ مَـا فِـينَـا كَـهَـامٌ وَلاَنـكْـسُ

-1-

وينسب إلى النميري(1):   [الطويل]

1 تجنبتَ ليلى أن يَلِـجَّ بك الهوى   وهيهاتَ كان الحبُّ قبلَ التجنُّبِ(2)

2 ولـم أَرَ ليلى غَـيْـرَ مـوقـفِ ساعةٍ   ببطن مِنىً ترمي حِجَارَ المُحَصَّبِ(3)

3 ويُبْدِي الحصى منها إذا قَذَفَتْ به   من البُـرْدِ أطـرافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ

4 وأصبحتُ من لَيْلى الغداةَ كناظرٍ   مع الصبح في أعقاب نجمٍ مُغَرِّبِ(4)

5 ألا إنـمـا غـــادَرْتِ يـا أمَّ مـالـكٍ   صدىً أينما تَذْهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ

6 ومـا مُـغْـزِلٌ أدمــاءُ نـامَ غَـزَالُـهـا   بأسفلِ نِهْيٍ ذي عَـرارٍ وَحُلَّبِ(5)

رجل كهام: متباطئ عن النصرة والحرب، وسيف كهام: لا يقطع. الناكس: المطأْطِئُ رأسَهُ.

(1) الأبيات في الحماسة الشجرية 534/1 لمحمد بن النميري، وفي معجم البلدان (خيف) لنصيب، وقيل: للمجنون قيس بن معاذ وقيس بن الملوح، والأبيات (1، 2، 3، 4، 5) في الوحشيات: 198. والأبيات (2، 3، 4، 5) في اللآلي 181/1 والكامل للمبرد 166/1. والأغاني 22/2والحماسة البصرية 89/2، وفي المرقصات ص34 تروى له وللمجنون الأبيات (2، 3، 5، 4)، وفي مصارع العشاق: 236 والمؤتلف: 188 للمجنون. والأبيات (1، 2، 3، 4، 5) له أيضاً في تزيين الأسواق 124. والأبيات (1، 2، 3، 4، 6) من قصيدة طويلة في ديوان مجنون ليلى: 78–80، والبيت الرابع في صحاح الجوهري (غرب) أدرجه الدكتور يحيى الجبوري في ديوان أبي حية النميري: 184 ضمن ما نسب إليه، والبيت عند الباقلاني في إعجاز القرآن: 215 من دون عزو، والبيت في اللسان (غرب) لقيس بن الملوح؛ قال ابن منظور: «وقد نسب المبرد هذا البيت إلى أبي حية النميري». لكن البيت في كامل المبرد لقيس بن الملوح 272/1، وذكر الدكتور الجبوري أمراً أزال به هذا الخلط فقال: «لعل ابن منظور قد وهم والتبس عليه قول المبرد: وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال: سمعت الأصمعي يثبته ويقول: لم يكن مجنوناً، إنما كان به لوثة كلوثة أبي حية النميري، وهو من أشعر الناس (أي المجنون) ومن شعره: ولم أر ليلى بعد موقف ساعة.. الأبيات، ومنها هذا البيت: فأصبحت من ليلى..» والبيت في ديوان مجنون ليلى: 79 من قصيدة للمجنون، والبيت السابع في اللسان (ربب) من دون عزو. والبيتان الأخيران في اللسان (دور) وعقلاء المجانين 49.

(2) في تزيين الأسواق: (إذ يلح). وفي الوحشيات: (حين لج).

(3) في الوحشيات والحماسة البصرية والأغاني والبلدان وتزيين الأسواق: (بعد موقف). وفي الأغاني وتزيين الأسواق ومعجم البلدان: (بخيف منى ترمي جمار).

(4) في الوحشيات والحماسة البصرية: (فأصبحت). وفي معجم البلدان: (من الصبح).

(5) وفي اللسان: (بدوَّار نهي).

7 بأحسنَ مِـنْ لَـيْـلَـى ولا أمُّ فَـرْقَـدٍ غَضِيضَةُ طَرْفٍ رُعْتَها وَسْطَ رَبْرَبِ[1]

- 2 -

وينسب إلى النميري[2]: [الطويل]

1 تَـوَاعَـدَ لِـلْـبَـيْـنِ الخَليطُ لِيَنْبَتُّوا وقالوا لراعي الـذودِ موعِدُكَ السَّبْتُ

2 وفي النفسِ حاجاتٌ إِلَيْهِمْ كثيرةٌ وموعِدُهَا في السَّبْتِ لَوْ قَدْ دَنَا الوَقْتُ

- 3 -

وينسب إلى النميري أيضاً[3]: [الطويل]

1 وداعٍ دعا إذ نحنُ بالخِيفِ مِنْ منى فهيَّجَ لوعاتِ الـفـؤادِ ومـا يَدْري[4]

2 دعَـا باسمِ ليلى غَـيْـرِهـا فكأنَّما أطـار بلَيْلَى طائراً كـانَ فِـي صَدْرِي

المغزل: أم الغزال؛ مغزل: يقال: ظبية مغزل أي ذات غزال، وهو الشادن قبل الإثناء حين يتحرك ويمشي، وتشبه به الجارية في التشبيب. والأدماء: الشديد السمرة. بأسفلِ نَهْي: وهو الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء. عرار: نبات طيب الرائحة.

(1) في لسان العرب (أم شادن) في موضع (أم فرقد).

الحلب: نبت ينبسط على الأرض وتدوم خضرته، له ورق صغار يدبغ به.

(2) البيتان في كامل المبرد 244/1 منسوبان لمحمد بن نمير، وله في شعراء أمويون 122/3؛ ونقل محقق الكامل 319/1 عن المرصفي قوله: «ونسبه بعض الناس لابن المعذل الشاعر العباسي، وزاد في الشعر أبياتاً». وأورد ثمانية أبيات، وانظر: رغبة الآمل: 72/3؛ ولكن الأقرب إلى الصواب أنهما مع بقية القصيدة ليزيد بن ضبة، وسيأتي بيان ذلك.

(3) الأبيات الحماسة الشجرية 535/1 لمحمد بن عبد الله النميري، وهي عدا الثالث لنصيب بن رباح في ديوانه 94. ونسبت للمجنون قيس في ديوانه: 162. البيتان (1–2) في الأغاني 22/2، 55 والشعر والشعراء 572 وتزيين الأسواق: 34 والزهرة 167/1 ومحاضرة الأبرار 210/2 للمجنون، وهما من دون عزو في ديوان الصبابة 15 والوحشيات 196. والبيت الثالث لنصيب في صحاح الجوهري، واللسان، والتاج (نفر). والبيتان (1، 2) لجميل بن معمر العذري في الحماسة البصرية 225/2 وقال صاحب الحماسة: «ومنهم من نسبها إلى قيس بن الملوَّح». في تزيين الأسواق 97: «المجنون – على الصحيح– هو عامر بن ملوّح بن مزاحم، يتصل نسبه عند صاحب الأغاني إلى كعب بن ربيعة بن صعصعة)، ثم أورد البيتين (1، 2) وزاد عليهما آخرين. انظر: تزيين الأسواق: 109.

(4) في الحماسة الصغرى والشعر والشعراء وتزيين الأسواق: (فهيج أحزان الفؤاد). وفي الأغاني: (فهيج أطرابَ). في ديوان الصبابة: (فهيج أشجان الفؤاد).

3 فهل يأثَمَنِّي اللهُ في أنْ ذكرتُها ... وعلَّلْتُ أصحابي بها ليلةَ النَّفْرِ[1]

4 لأطرُدَ ما بالقومِ من كَسَلِ الكَرَى ... وما بالمطايا مِنْ كَلالٍ ومن فَتْرِ[2]

5 أحبُّ الحِمَى من حبِّ ليلَى وساكناً ... على الغَمْرِ إن خُبِّرْتُ ليلى على الغَمْرِ[3]

6 مَرَرْتُ على مُرَّانَ أَنشُدُ ناقتي ... ومالي عليها من قَلُوصٍ ولا بَكْرِ[4]

7 وما أَنشُدُ الوِرَّادَ إلا تعرُّضاً ... لواضحة اللَّبَّاتِ طيِّبَةِ النَّشْرِ[5]

- 4 -

وينسب إلى النميري[6]: [المتقارب]

1 ألا مَنْ لِقَلْبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ... يُحِبُّ المُحِلَّةَ أختَ المُحِلّ[7]

2 تَرَاءَتْ لنا يومَ فَرْعِ الأرا ... كِ بين العِشَاءِ وبينَ الأُصُلْ[8]

3 كأنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبِيلَ ... وَرِيحَ الخُزَامَى وذَوْبَ العَسَلْ[9]

(1) يقال: أثمه الله في كذا يأثُمُه؛ أي: عده عليه إثماً، فهو مأثوم. ويأثَمَنِّي: مخالف للقاعدة؛ والأصل: أثّم يُؤَثِّم.

(2) الكرى: النوم. كلال: تعب.

(3) الغمر: الماء الكثير.

(4) القلوص: الفتية من الإبل، وقيل: هي الثنية، وقيل: ابنة المخاض. مران: اسم موضع بين البصرة ومكة لبني هلال من بني عامر. وقيل: بين مكة والمدينة. وقد ورد في (أسماء جبال تهامة وسكانها) ضمن نوادر المخطوطات: 438. قال عرام عند ذكره للحجاز: «وقرية يقال لها مرَّان، قريةٌ غنَّاءُ كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع، وهي على طريق البصرة لبني ماعز، وبها حصن ومنبر وناس كثير».

(5) اللبات: جمع لبة؛ وهي اللهزمة التي فوق الصدر. النشر: الريح الطيبة.

(6) الأبيات لمحمد النميري في: الأغاني 146/6 ونزهة الأبصار 284/1، والأبيات لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة بنت الزبير، وقيل: إنها لأبي شجرة السلمي، انظر: الأغاني 146/6، والبيتان (3، 4) في ديوان امرئ القيس: 156 ولكن باختلاف. وقد سقط البيتان (5، 6) من جمع الدكتور القيسي.

(7) في تجريد الأغاني: (أَحَبَّ المُحِلَّةَ).
المحِل هنا: هو الحجاج بن يوسف؛ سمي بذلك لإحلاله الكعبة. انظر: الأغاني 146/6.

(8) في تجريد الأغاني: (بين العشي).
الخزامى: نبات طيب الرائحة.

(9) في الأغاني: (كأن المدامة والزنجبيل). وفي ديوان امرئ القيس: (كأن المدام وصوب الغمام).

4 يُـعَــلُّ بــه بَــــرْدُ أنـيـابِـهـا إذا ما صَفَا الكَـوْكَـبُ المعْتَدِلْ[1]

5 وقـالـتْ لـجـارَتِـهـا هَــلْ رَأَيْـــ ـتِ إذْ أعْـرَضَ الـرَّكْـبُ فِعْل الرجُلْ

6 وَأَنَّ تَـبَـسُّـمَـهُ ضـاحـكـاً أجَـــدَّ اشـتـيـاقـاً لـقـلـبٍ غَــزِلْ

- 5 -

وينسب إليه[2]: [الطويل]

ولـم تَـرَ عَـيْـني مثـلَ سِـرْبٍ رأيـتُـهُ خَرَجْنَ عَلَيْنا من زُقَاقِ ابنِ واقفِ[3]

- 6 -

وينسب إليه قوله في رثاء زينب[4]: [الطويل]

1 لزينبَ طَـيْـفٌ تَعْتَرِيني طَـوَارِقُـهْ هدوءاً إذا النجْمُ ارجَحَنَّتْ لواحقُهْ[5]

2 سيبكيكِ مِـرْنَـانُ العشيِّ يُجيبُه لَطيفُ بنانِ الكَفِّ دُرْمٌ مَرَافِقُهْ[6]

---

(1) في تجريد الأغاني: (إذا النجم وسْط السماء اعتدل). وفي ديوان امرئ القيس: (استَقَلْ).

(2) البيت في الأغاني 187/21 مع ثلاثة أبيات أخرى من دون عزو، وفي الأغاني 188/21 أيضاً من دون عزو أيضاً. وأورده المبرد في الكامل 208/1 بعد أبيات لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي بقوله: كما قال:..، لعمر بن أبي ربيعة، قال الدالي محقق الكامل في حاشية الصفحة: «ليس البيت له» أي ليس لعمر بن أبي ربيعة، وإن كنت قد وجدت البيت– وحده– في ديوان عمر بن أبي ربيعة: 278، وورد البيت في الكامل 1039/2 مع بيت آخر من دون عزو، ولكن نسبه المحقق إلى هدبة بن خشرم العذري، وذكر أن البيتين في ديوانه: 116، 117.
والبيت مع بيت آخر في الخزانة 467/11 من دون عزو، ونسبه عبد السلام هارون إلى عمر بن أبي ربيعة وقال: «كما في الكامل، وملحقات ديوان عمر»، والبيت مع أبيات أخرى في منتهى الطلب 214/8 لهدبة بن خشرم العذري.
لم يتتبع الدكتور القيسي البيت في مظانه المختلفة، فاقتصر على مصدر واحد وهو كامل المبرد، وأثْبَتَ البيت في شعر محمد النميري؛ ولكني أرجحُ نسبة البيت إلى محمد النميري، وليس في خالص شعره، وفي البيت إقواء.

(3) السرب: هو القطعة من النساء، أو من الظباء أو من البقر أو من الطير.

(4) الأبيات في الأغاني 143/6 ورغبة الآمل 138/8. والبيت الثالث في اللسان والتاج «نمرق» لمحمد الثقفي، وينسب إلى نُصَيْب في كامل المبرد 137/3؛ قال المحقق: «والبيت أنشده أبو الفرج في الأغاني 10/ 140 ثالث ثلاثة للنميري؛ وهو محمد بن نمير الثقفي، وهو في ديوانه: 110». والأبيات في جمع القيسي؛ لكنه لم يذكر لها تخريجاً مفصلاً، وأرجح أن تكون الأبيات لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي؛ وذلك لتعدد المصادر التي أثبتت الأبيات له.

(5) ارجحن النجم: مال إلى الغروب.

(6) مرنان العشي: كُنِّيَ به عن الصنج ذي الأوتار، وهو من آلات الطرب. دُرْمٌ: جمع أدرم؛ وهو من لا حجم لعظامه.

3 إذا ما بساط اللَّهْوِ مُـدَّ وأُلقِيتْ لِـلَـذَّاتـه أنـمـاطُـه ونَمارِقهْ[1]

- 7 -

وينسب إلى النميري[2]: [الطويل]

1 ألا هلْ إلى نصِّ النواعج بالضُّحَى وشَـمِّ الـخُـزَامَـى بالعَشِيِّ سبيلُ[3]

2 بـلادٌ بها أمسى الـهَـوَى غيرَ أنني أمـيـلُ مع الـمـقـدارِ حيثُ يميلُ[4]

- 8 -

وينسب إلى النميري[5]: [مجزوء الكامل]

1 ومـجـالـسٍ لـك بـالـحِـمـى وبـهـا الـخـلـيـطُ نـزولُ[6]

2 أيـامُـهُـنَّ قـصـيـرةٌ وسـرورُهُـنَّ طـويـلُ

3 وسـعـودُهُـنَّ طـوالـعٌ ونُـحُـوسُـهُـنَّ أُفـولُ

4 والـمـالـكـيـةُ والـشـبـا بُ وَقـيـنـةٌ وشـمَـولُ[7]

- 9 -

---

(1) الأنماط: جمع نمط؛ وهو طهارة الفراش. النمارق: جمع نمرق؛ وهي الوسادة.

(2) البيتان في الزهرة 380/1 منسوبان للنميري؛ قال المحقق: «إذا كان النميري هذا هو الراعي فإني لم أجده في ديوانه المجموع؛ ولعله شاعر آخر من شعراء الغزل». والبيتان في المنازل والديار: 248 من دون عزو. ونسبا في المحب والمحبوب لأبي العَمَيْثَل 171/2؛ وقد أدرجهما الدكتور يحيى الجبوري في شعر أبي حية النميري: 190.

(3) في المنازل والديار: (بالغُوَيْر سبيل).

النص: استحثاث الدابة على السير. النواعج والناعجات من الإبل: جَمْعٌ مفردُهُ ناعجة؛ وهي السريعة من الإبل والبيضاء الكريمة.

(4) في المنازل والديار: (أهل الهوى..... الأقدار حيث تميل).

الخزامى: نبت طيب الرائحة؛ واحدته خزامة.

(5) الأبيات في جمع الدكتور القيسي؛ لكنه لم يُذكر في تخريجها، وهي في بديع ابن المعتز: 43 منسوبة للنميري؛ وأرجح أن تكون هذه الأبيات مما ينسب إلى محمد النميري وليست في خالص شعره، وأن الأقرب إلى الصواب أن تكون لمنصور النمري. والأبيات (1، 2، 4) لمنصور النمري في محاضرات الأدباء 110/3، وهي في ديوانه: 116.

(6) في ديوان منصور النمري: (ومنازل).

(7) الشمول: الخمر.

وينسب إلى النميري[1]: [الطويل]

ولكن لَعَمْرُ اللهِ مَا ظَلَّ مُسْلِماً كَغُرِّ الثَّنَايَا وَاضِحَاتِ المَلاَغِمِ[2]

- 10 -

وينسب إلى النميري[3]: [الطويل]

1 وبيضَاءَ مِكْسَالٍ كَعُوبٍ خَرِيدَةٍ لذيذٍ لِذِي لَيلِ التَّمَامِ التزَامُهَا[4]

2 كأنَّ وَمِيضَ البَرْقِ بيني وبينَهَا إذا حانَ مِنْ بَعْضِ البُيُوتِ ابْتِسَامُهَا[5]

- 11 -

وينسب إلى النميري[6]: [الطويل]

1 طَرِبتَ وشاقَتْكَ المنازِلُ من جَفْنِ ألا ربما يعتادُكَ الشوقُ بالحُزْنِ[7]

---

(1) البيت في نظام الغريب 11 للنميري، وهو في اللسان مادة (غلم) ومادة (طلل) لأبي حية النميري، والبيت مع خمسة أبيات أخرى منسوبة لأبي حية النميري في الحماسة الشجرية 525/2، وقد نسب الدكتور القيسي البيت لمحمد بن عبدالله النميري من دون تخريج للبيت؛ وأرجح أن يكون ضمن ما نسب إليه.

(2) في الحماسة الشجرية: (مَا طَلَّ..... المباسم). وفي اللسان: (وبيت الله ما طَلَّ).
الملاغم: ما حول الفم؛ يقال: تلغمت المرأة بالطيب؛ إذا ضخمت به تلك المواضع.

(3) البيتان في ديوان الصبابة: 270، وهما في منتهى الطلب برقم 154، وفي اللآلئ: 178 والتشبيهات: 107، وفي الحماسة البصرية 160/2؛ ونسبهما لأبي العَمَيْثَل كما نسب البيتان للسمهري بن بشر العُكلي، وهما في الحماسة الشجرية 674/2.

(4) في الحماسة الشجرية: (لعوب). في الحماسة البصرية: (شمامها).

(5) في الحماسة البصرية: (من بعض الستور).

(6) الأبيات لمحمد بن عبد الله النميري الثقفي في الأغاني 139/6 وتجريد الأغاني القسم الأول 767/2، 768. والأبيات (1، 2، 3، 6، 7) في رغبة الآمل 74/6 ونزهة الأبصار 282/1. والبيت الأول في معجم البلدان (جفن) لمحمد بن عبد الله النميري وديوان الأحوص 158. والأبيات (1، 2، 5) في ديوان عمر بن أبي ربيعة: 422 في زينب بنت موسى الجمحية. والأبيات (1، 2، 3) في المنازل والديار 88/1 منسوبة لأبي حية النميري، وقد ضمها الدكتور يحيى الجبوري إلى ديوان أبي حية النميري: 175 ضمن ما نسب إليه، وأَثْبَتَها لأبي حية أيضاً السيد رحيم التويلي في تحقيقه شعر أبي حية المنشور في مجلة المورد العراقية: 145. والبيت الخامس فقط في كامل المبرد 74/6.
وأرجح أن تكون أبياتٌ للنميريِّ الثقفيِّ وأخرى ليست له؛ ولاسيما أن الأبيات متداخلة بعضها ببعض عند الشعراء، وذلك واضح في الأبيات (5، 6، 7)؛ فهي أقرب إلى شعر عمر بن أبي ربيعة منها إلى غيره.

(7) ديوان عمر بن أبي ربيعة: (وهاجتك).

2 نظرتَ إلـى أظعـانِ زينب باللِّوى	فأعْوَلْتها لو كـان إعوالُها يُغْني(1)
3 فو الله لا أنسـاكِ زينـبُ ما دَعَـتْ	مُـطَّـوقَـةٌ ورقـاءُ شَـجْواً على غُصْنِ
4 فـإنَّ احتمال الـحَيِّ يـوم تحمَّلُوا	عَـنـاكَ وهـل يَعْنيك إلا الـذي يَعني
5 ومُرسِلَةٍ في السِّرِّ أن قد فضحتني	[illegible](2)
6 وأشْمَتَّ بي أهلي وجُـلَّ عشيرتي	ليهنئكَ ما تهواه إن كان ذا يَهْني(3)
7 وقد لاَمَني فيها ابـنُ عمِّيَ ناصحاً	فقلْتُ لَـهُ خُـذْ لي فـؤاديَ أو دَعْني

- 12 -

وينسب إلى النميري(4): [الطويل]

1 فها أنـا ذا طَـوَّفْـتُ شَـرْقاً ومغرِباً	وأُبْـتُ وقـد دَوَّخْـتُ كُـلَّ مكانِ(5)

جفن: واد بالقرب من الطائف.

(1) في نزهة الأبصار: (يُغْني)، وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة: (مررت على أطلال زينب بعدها).
اللوى: منقطع الرملة، وهو أيضاً موضع بعينه.

(2) في الكامل ورغبة الآمل: (وقد بحت باسمي). وفي الكامل وديوان ابن أبي ربيعة: (وقد أرسلت)، وفي ديوان ابن أبي ربيعة: (لم تَكْنِ).

(3) في رغبة الآمل: (ليهنئك ما تهوين)؛ ولكنَّ المعنى يستقيم برواية الأغاني. وفي نزهة الأبصار: (ليهنك).

(4) البيتان في الأغاني 142/6، والأشباه والنظائر 241/2–242، والعقد الفريد 324/5، ورغبة الآمل 25/5، وربيع الأبرار 757/1، ونزهة الأبصار 284/1، وفي الكامل للمبرد 302/1، والبيت الأول في أنوار الربيع 111/3، والبيت الثاني في شرح الكافية البديعية: 111 ونفحات الأزهار: 220 وتحرير التحبير: 336 وفي اللسان 641/1 (غرب) 10/ 276 (عنق) وحياة الحيوان 126/2 والحيوان 438/3 وثمار القلوب: 450 والأمثال 33/2 والدرّة الفاخرة 297/1، وفي طبقات فحول الشعراء لنافع بن لقيط الأسدي، والبيت الثاني في نظام الغريب: 226 لأبي حية النميري. ونسبا في الجزء 237/21 من الأغاني إلى العديل بن الفرخ؛ وقد ذكر أن الحجاج قد جدَّ في طلبه حتى ضاقت به الأرض، فدخل واسطاً وأخذ بيده رقعة، ودخل الباب مع أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشد:

ها أنـا ذا ضاقت بي الأرض كلها	إلـيـك وقـد جَـوَّلْـتُ كـل مكان
فلو كنتُ في شهلان أو شعبتي أجاً	لخـلـتـك إلا أن تَـصُـدَّ تـراني

وأرجح أن يكون البيتان لمحمد النميري؛ فهما أقرب إليه من العديل، وذلك لتشبيب النميري بزينب أخت الحجاج، وقد توعده كثيراً، فهرب النميري حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت.

(5) في الأشباه والنظائر:

هـاك يـدي ضاقت بـلاد برحبها	وإن كنت قد طوفت كل مكانِ

2 فلو كانتِ العنقاءُ منكَ تطيرُ بي لَـخِـلْـتُـكَ إلاَّ أن تَـصُـدَّ تَراني[1]

*****

المختار الثقفي67هـ[2]

في العقد الفريد والكامل:

فداك أبي ضاقت بي الأرض رُحبها وإن كنت قد طوفْتُ كل مكانِ

في رغبة الآمل: (هاك يدي ضاقت بي الأرض رحبها). وفي طبقات فحول الشعراء:

تضيق بي الأرض الفضاء لخوفه وإن كنت قد طوقت كل مكانِ

في ربيع الأبرار: (فجئت..... طوقت).

في طبقات القراء: (فلو كنت في العنقاء أو في عماية......).

أُبْتُ: رجعت. دَوَّختُ كل مكان: سرت فيه حتى عرفته فلم تخفَ عليَّ طرقه.

(1) في الأشباه والنظائر: (فلو كنت في جو السحاب محلقاً). و في العقد الفريد:

وإن كنتُ بالعنقاء أو بتخومها ظننتك إلا أن يصد تراني

في أنوار الربيع وشرح الكافية البديعية ونفحات الأزهار: (فلو كنت كالعنقاء أو في أطومها). وفي نظام الغريب: (ولو كنت بالعَنْقَا أو بيسومها). وفي رغبة الآمل: (فلو كنت بالعنقاء أو بأسومها). وفي طبقات القراء: (فلو كنت في العنقاء أو في عماية). وفي الكامل للمبرد: (فلو..... بأسومها)، وفي موضع آخر (بيسومها). وفي تجريد الأغاني: (يوماً). وفي تحرير التحبير: (ولو كنتَ). العنقاء: أكمة فوق جبيل مشرف آوى إليه رجل يدعى عبد الله بن مجيب، وكان قد قتل رجلاً فخاف السلطان. (معجم البلدان: العنقاء).

(2) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، أبو إسحاق، من زعماء الثائرين على بني أمية، من أهل الطائف. ولد عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية، كان أبوهُ من جلة الصحابة، انتقل إلى المدينة مع أبيه في عهد عمر بن الخطاب، توجه أبوه إلى العراق فاستشهد يوم الجسر، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم، تزوج عبد الله بن عمر أخته صفية بنت أبي عبيد، ثم كان مع علي بالعراق، وسكن البصرة بعد علي. وعندما قتل الحسين انحرف المختار عن عبيد الله بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجلده، وحبسه، ونفاه – بشفاعة ابن عمر – إلى الطائف، ولما مات يزيد بن معاوية سنة 64هـ وقام عبد الله بن الزبير في المدينة يطلب الخلافة؛ ذهب إليه المختار وعاهده، وشهد معه بداية حرب الحصين بن نمير، ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته فوثق به، وأرسله، ووصى عليه، غير أنه كان أكبر همه منذ دخل الكوفة أن يقتل من قاتلوا الحسين وقتلوه، فدعا إلى إمامة محمد بن الحنفية، وقال: إنه استخلفه، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل سرّاً، فخرج بهم على والي الكوفة– عبد الله ابن مطيع– فغلب عليها، واستولى على الموصل، وعظم شأنه.

وتتبع قتلة الحسين، فقتل منهم شمر بن ذي الجوشن الذي باشر قتل الحسين، وخولي بن يزيد الذي سار برأسه إلى الكوفة، وعمر بن سعد بن أبي وقاص– أمير الجيش الذي حاربه وقتل الحسين– وابنه حفصاً، وعبد الله بن زياد، وكان يرسل بعض المال إلى صهره ابن عمر، وابن عباس، وابن الحنفية فيقبلونه. ونشب صراع بينه وبين مصعب بن الزبير انتهى بمقتل المختار سنة 67هـ. وشاعت في الناس أخبار عنه بأنه ادعى النبوة، ونزولَ الوحي؛ من ذلك ما ذكره رفاعة القتباني قال: دخلت على المختار فألقى إليّ وسادة، وقال: لولا أن أخي جبرائيل قام عن هذه – وأشار إلى أخرى عنده– لألقيتها لك. قال: فأردت أن أضرب عنقه. وقال ابن حبان في ترجمة صفية بنت أبي عبيد: وأقوى ما ورد

-1-

قال[1]: [الرجز]

1 إذا اشــتريـتَ فَـرَسـاً مـن مَـالِـكَـا

2 ثـم أخــذْتَ الـجـوبَ فـي شِمَالِكَا[2]

فـاجـعـلْ مـصـاعـاً حُـذْمـاً مِــنْ بالكا[3]

-2-

قال المختار: عليَّ بدرعي وسلاحي.. فأُتِي به، فأخذ يلبس سلاحه ويقول[4]:

[مشطور الرجز]

1 قـد عَـلِـمَـتْ بـيـضـاءُ حـسـنـاءُ الطَّـلَـلْ

2 واضــحـةُ الـخـديْـنِ عـجـزاءُ الـكَـفَـلْ

3 أنــي غــداةَ الــرَّوْعِ مِـقْـدَامٌ بَطَلْ[5]

4 لا عــاجــزٌ فـيـهـا ولا وَغْـــدٌ فَـشِــلْ

-3-

قال المختار[6]: [الطويل]

في ذمه ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في ثقيف كذاب ومبير» فشهدت أسماء أن الكذاب هو المختار. انظر ترجمته في: البداية والنهاية 289/8–292، والمستطرف 413/2؛ والأعلام 192/7، ومنح المدح 312–313 والمختار الثقفي مرآة العصر الأموي.

(1) الأبيات في تاريخ الطبري 1143/3.

(2) الجوب: الترس.

(3) المصع: التحريك؛ وقيل: هو عدو شديد يحرك فيه الذنب. الحذم: السريع في المشي.

(4) الأبيات في الفتوح 103/6، وفي تاريخ الطبري 1124/3 عدا البيت الرابع.

(5) الكَفَل: العجز، وقيل ردف العجز، وقيل: القطن يكون للإنسان والدابة، والجمع أكفال، ولا يشتق منه فعل ولا صفة. الوغد: الخفيف الأحمق الضعيف العقل الدنيء، وقيل: الضعيف في بدنه. الفشل: الرجل الضعيف الجبان.

(6) الأبيات في معجم الشعراء: 336 ومنح المدح: 312 – 313.

1 تَسَرْبَلْتُ من هَمْدان دِرْعاً حصينةً ... تَـرُدُّ العوالي بـالأنـوفِ الرَّواغِمِ[1]

2 هـمُ نصروا آل الـرسـولِ محمدٍ ... وقد أَجْحَفَتْ بالناسِ إحدى العَظَائمِ[2]

3 وَفَـوا حين أعْـطَوْا عَهْدَهُمْ لنبيِّهم ... وكَفُّوا عن الإسـلامِ سَيْفَ المظالِمِ

4 هُـمُ أطفـؤوا إذْ جاهـدوا نـارَ فتنةٍ ... وهم تابعُوا مِـنْ هَاشِمٍ خيرَ قائِمِ[3]

*****

مسلم بن عبد الله الأجرد الثقفي[4]

-1-

قال[5]: [البسيط]

1 مَـنْ كـانَ ذَا عَضُدٍ يُـدْرِكْ ظُلامَتَهُ ... إنَّ الذليلَ الـذي ليسَتْ له عَضُدُ[6]

2 تَـنْبُـو يـداه إذا مـا قـلَّ نـاصـرُهُ ... ويأنفُ الضَّيْمَ إن أثْـرى لَـهُ عَدَدُ[7]

---

(1) تَسَرْبَلَ: لَبِسَ. العوالي: واحدها عالية؛ وهي القناة المستقيمة، وقيل النصف الذي يلي السنان.

(2) أجحفت: أجحف بالأمر قارب الإخلال به، وأجحف بهم الدهر استأصلهم.

(3) في منح المدح: (وهم بايعوا).

(4) هو مسلم بن عبد الله بن سفيان بن عبد الله بن معتب من ثقيف، وفد على عبد الملك بن مروان في نفر من الشعراء فقال له: إنه ما من شاعر إلا وقد سبق إلينا من شعره قبل رؤيته، فما قلت؟ قال: أنا القائل:

من كـان ذَا عَضُد يُـدْرِكْ ظُلامَتَهُ ... إن الذليل الـذي لَيْسَتْ لَـهُ عَضُدُ

انظر ترجمته في: نوادر المخطوطات 311/2، الشعر والشعراء: 724 وجمل من أنساب الأشراف 5807/13.

(5) البيتان في الشعر والشعراء: 712 وجمل من أنساب الأشراف 5807/13 للأجرد الثقفي، وهما في الأغاني 75/18 وفصل المقال: 220 منسوبان إلى مسكين الدارمي. وهما في عيون الأخبار 304/2، والعقد الفريد 440/2، 441، وفي بهجة المجالس 785/1، والمصون: 7، والبيان والتبيان 67/1، و325/3 والحيوان 45/3 منسوبان إلى «الثقفي «دون تعيين، وفي حماسة البحتري: 388 منسوبان إلى قيس بن عاصم. وقد ذهب محقق الحيوان إلى أنهما (للأجرد الثقفي كما في الشعر والشعراء 712)، وقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء 734/2 أن قائلهما هو الأجرد. قال محقق البيان والتبيين عن (الثقفي): «وقد حسبته في الحيوان يزيد بن الحكم الثقفي، والحق أنه الأجرد الثقفي كما نص ابن قتيبة في الشعر والشعراء».

(6) العَضُدُ والعَضْدُ والعُضُدُ: الساعد؛ وهو ما بين المرفق إلى الكتف، والمراد هنا القوة والنصير والعون.

(7) في الشعر والشعراء (ويمنع الضيم). نبا السيف عن الضريبة: كَلَّ ولم ، ونبا حد السيف: إذا لم يقطع، وتنبو يداه: لا تصل إلى ما تريد. والمراد بالثراء الكثير؛ أي: كثر عدد قبيله وأنصاره.

- 2 -

قال[1]: [الطويل]

1 ما بَالُ من أَسْعَى لأَجْبُرَ عظمَهُ	**حِفَاظاً وينوي من سَفَاهَتِه كَسْرِي[2]**
2 أعودُ على ذي الجَهْلِ بالحِلْمِ منهُمُ	**حياءً ولو عاقبْتُ غَرَّقَهم بَحْرِي[3]**
3 ألم تعلموا أني تُخَافُ عَرَامَتِي	**وأنَّ قَناتي لا تلينُ على قسر[4]**
4 أظنُّ صروفَ الدهر بيني وبينهم	**ستحملُهم مِنِّي على مَرْكَبٍ وَعْرِ[5]**
5 أناةً وحِلْماً وانتظاراً بِهِمْ غداً	**فما أنا بالواني ولا الضَّرَعِ الغُمْرِ[6]**

---

(1) الأبيات للأجرد الثقفي في الشعر والشعراء 2/734–735، وهي للحارث بن وعلة الجرمي في الفتوح 126/7، وفي الوحشيات: 167. وتروى الأبيات (1، 2، 5، 6) لعامر بن المجنون الجرمي في حماسة البحتري: 75، والبيتان الأول والرابع لوعلة بن الحارث الجَرْمِيّ في المؤتلف: 302، وله أيضاً في الأغاني 139/19 والحماسة البصرية 1/62–73 وشواهد المغني 781 . وهي لابن الذئبة الثقفي في مجالس ثعلب ج173/1 والكامل 192/1، وورد البيت الخامس له في المزهر: 152 وفي معجم مقاييس اللغة 142/1، وورد البيت الثالث له ولوعلة في اللسان (عرم)، وجميع الأبيات من دون عزو في البصائر والذخائر 110/3، وورد البيت الأول في ربيع الأبرار 365/1، والخامس في اللسان (ضرع).

ووردت الأبيات (4، 5، 6) في السمط: 750، والأبيات (1، 3، 4، 5) تروى لكنانة بن عبد ياليل الثقفي أو للحارث بن وعلة الشيباني في حماسة ابن الشجري 364/1، والبيت (5) عند صاعد البغدادي في الفصوص 294/1 لعبد ياليل.

(2) في حماسة البحتري: (لأجبر كسره). وفي الفتوح: (لتجبر عظمه).

(3) في حماسة البحتري: (أعود على ذي الذنب والجهل منهم). في البصائر والذخائر وفي مجالس ثعلب (أعود على ذي الذنب والجهل منهم بحلمي). في الفتوح: (أعود على ذي اللب والجهل منهم بحلمي). وفي حماسة البحتري: (ولو أنني عاقبت). وفي مجالس ثعلب: (بحلمي ولو عاقبت). وفي الوحشيات: (ذي الجهل والذنب منهم بحلمي).

(4) في الفتوح: (صبور على الأذى..... على الكسر). وفي البصائر والذخائر والوحشيات: (على الكسر).

عرامتي: شدتي.

(5) في الوحشيات: (الدهر والحين منهم). وفي السمط: (وبينكم ستحملكم). وفي الأغاني: (الدهر والجهل منكم..... ستحملكم). وفي مجالس ثعلب: (أظن خطوب الدهر). وفي البصائر والذخائر: (والجهل منهُمُ).

(6) في الأغاني: (وانتظاراً بكم). وفي الوحشيات (فما أنا بالواهي). وفي حماسة ابن الشجري والكامل: (وما أنا بالواني). وفي الفتوح ومجالس ثعلب: (فما أنا بالفاني).

الضرع: الضعيف المتهالك الجبان. الغمر: من لم يجرب الأمور.

6 وإنـــي وإيـاهــم كـمـن نَـبَّـهَ القَطا   ولو لم تُنَبَّهْ باتَتِ الطَّيْرُ لا تَسْرِي[1]

*****

مسلم بن يزيد الثقفي[2]

قال[3]:   [الطويل]

1 إن كـان ما عِـبْـنَـاهُ عَيْباً فَحَسْبُنَا   خَطَايَا بأَخْذِ النُّصْحِ مِنْ غَيْرِ نَاصحِ

2 إن كـان عَـيْـبـاً فـاعْـظِـمَـنَّ بِـتَـرْكِـنَـا   علـيّاً عَـلَـى أَمْــرٍ مـن الـحـقِّ واضِــحِ

3 ونـحـنُ أنـاسٌ بَـيْـنَ بَـيْـنَ وَعَـلَّـنَـا   سُــرِرْنَـا بـأمـرٍ غِـبُّـهُ غَـيْـرُ صَـالِـحِ

*****

المغيرة بن الأخنس بن شُرَيق الثقفي (35هـ)[4]

---

(1) في الفتوح: (بمنزلة القطا..... كانت الطير). وفي البصائر والذخائر: (وإني وإياكم). وفي الوحشيات: (وإياكم). فيه معنى المثل السائر: لو ترك القطا ليلاً لنام. والقطا: ضرب من الطير.

(2) لم أعثر له على ترجمة، وقد ابن عبد ربه في العقد الفريد 329/4 أنه: (من عباد حروراء، وممن خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب فقتلهم بالنهروان).

(3) الأبيات في العقد الفريد 329/4. وفي البيتين الأول والثاني خَرْم.

(4) هو المغيرة بن أبيٌّ [لقبه الأخنس] بن شُرَيق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف ابن ثقيف، والمغيرة صحابي، قال عنه البلاذري: «كان من الصالحين»، هجا الزبير بن العوام، فوثب عليه المنذر بن الزبير فضرب رجله، فبلغ ذلك عثمان، فغضب وقام خطيباً، فذكر قصة. وكان المغيرة حليفاً لبني زهرة القرشيين، وقتل يوم الدار مع عثمان سنة 35هـ، وله يوم الدار أخبار كثيرة، منها أنه حمل على الناس، فضربه رَجَلٌ على ساقه فقطعها ثم قتله، فقال رجل من بني زهرة لطلحة بن عبيد الله: قُتِل المغيرةُ بن الأخنس، فقال: قتل سَيِّدُ حلفاءِ قريش. وذكر المدائني أن الذي قتل المغيرة بن الأخنس تقطَّع جذاماً بالمدينة، وقال قتادة: لما أقبل أهل مصر إلى المدينة في شأن عثمان رأى رجلٌ منهـم في المنام كأن قائلاً يقول له: بَشِّرْ قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار، وهو لا يعرف المغيرة – رأى ذلك ثلاث ليال – فجعل يحدث بذلك أصحابه، فلما كان يوم الدار خرج المغيرة يقاتل، والرجل ينظر إليه، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله حتى قتل ثلاثة، والرجل ينظر إليه، ويقول: ما رأيت كاليوم، أما لهذا أحد يخرج إليه؟ فلما قتل الثلاثة وثب إليه الرجل، فحذفه بسيفه فأصاب رجله ثم ضربه حتى قتله، ثم قال: من هذا؟ قالوا: هو المغيرة بن الأخنس. فقال: ألا أراني صاحب الرؤيا المبشَّر بالنار! فلم يزل يبشَّر حتى هلك. انظر ترجمته في: الإصابة 155/6، أنساب الأشراف 211/5–212، الاستيعاب 1444/4، معجم الشعراء للمرزباني: 272، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 587/2، 590، وجمل من أنساب الأشراف 5811/13، والأعلام 276/7، وقد أخل بترجمته (معجم الشعراء المخضرمين والأمويين).

-1-

قال(1): [مشطور السريع]

لا عـهـدَ لـي بـغـارةٍ مـثـلِ الـسـيـلْ   لا يَـنْـتَـهِـي غُـشَـاؤُهـا حتى الليلْ(2)

-2-

وقال أيضاً(3): [البسيط]

1 لمَّا تَـهَـدَّمَـتِ الأبـوابُ واحتَرَقَتْ   يَمَّمْتُ مِنْهُنَّ باباً غيرَ محترقِ(4)

2 حـقّـاً أقـــولُ لـعـبـدِ اللهِ آمُـــرُهُ   إن لم تقاتِلْ لدى عثمانَ فانطَلِقِ(5)

3 واللهِ أتـــركُــهُ مـا دامَ بـي رَمَـــقٌ   حتى يُـزَايَـلَ بَيْنَ الـرأسِ والعُنُقِ(6)

4 هـو الإمــامُ فلسْتُ الـيـومَ خـاذلَـهُ   إنَّ الـفـرارَ عليَّ الـيَـوْمَ كالسَّرَقِ(7)

-3-

قال(8): [الرجز]

---

(1) البيت في معجم الشعراء: 272 وفي الإصابة 196/6 وجمل من أنساب الأشراف 5811/13 للمغيرة بن الأخنس، وفي بلاغات النساء: 136 تمثل به عبد الله بن الزبير.

(2) في الإصابة: (لا ينتهي عدادها). وفي جمل من أنساب الأشراف: (لا عهد له..... ولا يتقى غبارها).

(3) عندما أحرق باب المغيرة قال لعثمان: «والله لا قال الناس عنَّا إنَّا خذلناك»، ثم أخذ بسيفه وخرج وهو يقول هذه الأبيات.

الأبيات في شرح نهج البلاغة 587/2، 590 وفي الاستيعاب 1444/4 وفي نهاية الأرب 494/19، 495، والأبيات (1، 2، 4، 3) في الفتوح لابن أعثم 424/2، 425.

(4) في الفتوح: (تمَّمت منهن).

(5) في الفتوح: (شدا) مكان (حقّاً) و(لذي) مكان (لدى).

(6) في الفتوح: (فلست) مكان (والله) و(يفرق) مكان (يزايل).

(7) في الفتوح: (تاركه) مكان (خاذله).

(8) يروى أن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة قد تعجل الحج في عصابة لينصروا عثمان ومن معه في الدار، فخرج وهو يقول الأبيات.

الأبيات في نهاية الأرب في فنون الأدب 494/19 وتاريخ الطبري 807/2، 811.

في تاريخ الطبري 807/2:

1 قـد عَـلِـمَـتْ ذاتُ الـقـرون الميلِ

2 والـحَـلْـي والأنــامِــلِ الـطُّـفُـولِ

3 لَــتَــصْـــدُقَـــنَّ بـيـعـتـي خليلي

4 بـصـــارمٍ ذي رَوْنـــقٍ مَـصْـقـولِ

5 لا أسـتـقـيـل إذْ أَقَـلْـتُ قِـيـلِـي

- 4 -

وقال(1): [الرجز]

1 قـد عَـلِـمَـتْ جَــارِيَــةٌ عَـطْـبُـولُ

2 ذاتُ وشـــاحٍ ولـهــا جَـدِيــلُ

3 أَنِّــي بِـنَـصْـلِ السيفِ خَنْشلِيلُ

4 لأَمْـــنَــعَـــنَّ مـنـكـمُ خـلـيـلـي

5 بـصـــارمٍ لَـيْـسَ بِـــذِي فُـلـولِ

*****

المغيرة بن شعبة50هـ(2)

أنــي أروعُ أول الرعيــلِ بـفـــارهٍ مـثــلِ قـطـا الـشـلـيـلِ

(1) الأبيات في تاريخ الطبري 808/4 رواية، وفي 810/2 رواية أخرى. وفي البيتين الأخيرين إقواء.
وفي تاريخ الطبري 808/2: (لها وشاح ولها حجول)

(2) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي وهو ثقيف، ولد في الطائف سنة 20ق.هـ 603م، ويكنى: أبا عبد الله، وأبا عيسى، وأبا محمد، وأمه أسماء ويقال: أمامة بنت الأفقم بن أبي عمرو من بني بكر بن هوازن. أحد وجوه العرب وقادتهم، وولاتهم، ودهاتهم المعدودين، فكان يقال له في الجاهلية والإسلام: مغيرة الرأي، وما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما، وكان أحد أربعة ينتهي إليهم الجمال. رحل مع نفر من بني مالك إلى الإسكندرية، ووفدوا على المقوقس، وأهْدوا له هدايا، ولم يكن معه من بني أبيه – من الأحلاف – أحد غيره، فكان أهون القوم على المقوقس، ووضعوا هداياهم بين يديه، فأمر بقبضها، وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصَّر بالمغيرة فأعطاه شيئاً لا يذكر . وخرج القوم يشترون

-1-

قال(1): [الرمل]

1 إنما مَوضِعُ سِرِّ المَرْءِ إنْ بَاحَ بالسِّرِّ أخوهُ المنتَصِحْ

2 فإذا بُحْتَ بسرٍّ فإلى ناصحٍ يكتُمُهُ أَوْ لا تَبُحْ(2)

-2-

قال(3): [الكامل]

1 إنَّ الذي يرجو سَقَاطَكَ والذي سَمَك السماءَ مَكانَها لَمضلَّلُ

2 أجعلْتَ ما أُلقِي إليكَ خديعَةً حاشى الإلهِ وتركُ ظنِّكَ أجْمَلُ

الهدايا، ولم يعرض أحد منهم على المغيرة شيئاً مواساة، وكان مما اشتروه الخمر، فكانوا يشربون ويشرب معهم. واحتال المغيرة حيلة حين قفل راجعاً معهم، وقد أجمع على قتلهم، فجلس يسقيهم حتى همدتهم الكأس فناموا وما يعقلون، فوثب المغيرة عليهم حتى قتلهم جميعاً وأخذ جميع ما كان معهم. قدم المغيرة على النبي فوجده جالساً في المسجد فسلم عليه، ودخل في الإسلام. فقال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي هداك للإسلام». فقال أبو بكر: أَمِنْ مصر أقبلت؟ قال: نعم، وقد جئت إلى رسول الله ﷺ ليخمسها ويرى فيها رأيه، فإنما هي غنيمة من مشركين، وأنا مسلم مصدق بمحمد ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «أما إسلامك فقبلته، ولا آخذ من أموالهم ولا أخمّسه؛ لأن هذا غدر والغدر لا خير فيه». فقلت يا رسول الله: إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة. قال: «فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله». وكان إسلامه سنة 5 هـ. وكان عدد من قتلهم المغيرة ثلاثة عشر إنساناً، وعلمت ثقيف بالطائف بذلك فتداعوا إلى القتال، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمه عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية. كان إسلامه عام الخندق، وأول مشاهده الحديبية وبيعة الرضوان، حدَّث عن النبي ﷺ فقد روى عنه مائة وستة وثلاثين حديثاً، روى عنه أولاده: عروة، وغفار، وحمزة، وغيرهم، كان يلزم النبي في مقامه وأسفاره، ويحمل وضوءه معه، أرسله النبي ﷺ مع أبي سفيان في هدم طاغية ثقيف – اللات – بالطائف.

شهد المغيرة موقعة اليمامة، وفتوح الشام والعراق، وأصيبت عينه يوم الطائف، وقيل يوم اليرموك، وشهد القادسية، ونهاوند، وهمدان وغيرها، وكان رسول سعد إلى رستم، بعثه أبو بكر إلى أهل النُّجير باليمن، واستعمله عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة، وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله.

(1) البيتان في معجم الشعراء: 272 للمغيرة، وقد ذكرهما محقق نهاية الأرب في حاشية صفحة 295 من الجزء العشرين بقوله: قال معاوية للمغيرة حين نظر إليه: إنما...، وذكر البيتين، فقال المغيرة المقطوعة (2). وهما عند البلاذري في أنساب الأشراف في القسم الرابع من الجزء الأول: 190.

(2) في أنساب الأشراف: (ناصح يَسْتُرُهُ).

(3) البيتان في معجم الشعراء: 272

- 3 -

قال(1): [الكامل]

1 أدركــتِ مـا مَـنَّـيْـتُ نفسِيَ خالياً ... لله درُّكِ يــا بــنــةَ النُّعْمانِ(2)

2 إنـي لِحَـلْـفِـكِ بالصليب مُصَدِّقٌ ... والصُّلْبُ أصْـدَقُ حَلْفَةِ الرُّهْبانِ(3)

3 ولقد رددتِ على المغيرة ذِهْنهُ ... إن الـمـلـوكَ بطيـئةُ الإذعـــانِ(4)

4 يا هندُ حَسْبُكِ قد صدقْتِ فأمسِكِي ... والـصـدقُ خيرُ مقالةِ الإنسانِ(5)

- 4 -

قال المغيرة(6): [الطويل]

1 نَصَحْتُ عليّاً في ابنِ هِنْدٍ نصيحةً ... فَـرَدَّ فلم يسمع له الـدهْـرُ ثانيَهْ(7)

2 وقـلـتُ لـه أرْسِـــلْ إليـه بعهـدِهِ ... على الشامِ حتى يستقِرَّ معاوِيَهْ(8)

---

(1) أرسل المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان يخطبها، وكانت قد عميت، فأَبَتْ وقالت: والصليبِ ما فيَّ رغبة لجمالٍ ولا لكثرة مال، وأيُّ رغبة لشيخ أعور في عجوز عمياء! ولكن أردتَ أن تفخر بنكاحي فتقول: تزوجت ابنة النعمانَ بن المنذر! فقال: صدقت والله، وأنشأ الأبيات السابقة.

الأبيات للمغيرة بن شعبة في الأغاني 54/16 وجمل من أنساب الأشراف 5721/13، والأبيات عدا الرابع في أمالي ابن الشجري 450/2 والبيت الأول في الأغاني 59/16.

(2) في جمل من أنساب الأشراف: (ما نلت).

(3) في جمل من أنساب الأشراف: (والصُّلب أفضل).

(4) في أمالي ابن الشجري: (فلقد رددت على المغيرة دهيه). والشطر الثاني في ابن الشجري وأنساب الأشراف: إن الملوك ذكية الأذهان.

(5) في جمل من أنساب الأشراف: (يا هند إنك).

(6) قال المغيرة هذه الأبيات، وكان قد نصح علياً بأن يبقي معاوية على الشام، فلم يستجب وقال: «وما كنتُ متخذَ المضلين عَضُداً» (الكهف: 51).

الأبيات في نهاية الأرب 20: 18، في الاستيعاب 1447/4 والفتوح 447/2 ومروج الذهب: 16.

(7) في الفتوح: (منحت علياً في ابن حرب نصيحة فردّ فلم يسمع). في مروج الذهب: (نصيحة فردَّت). وفي نهاية الأرب: (لها).

(8) في الفتوح: (على الناس) مكان (على الشام).

3 ويعلمَ أهـلُ الشامِ أن قـد ملكتهُ	فـأُمُّ ابـن هـنـدٍ عند ذلـك هاوِيَهْ[1]
4 وتـحـكُـمُ فـيـه مـا تـريـد فـإنـهُ	لَـدَاهِـيَـةٌ – فـارفُـقْ بِـهِ – وابـنُ داهِيَهْ
5 فلم يقبلِ النصحَ الـذي جئتُهُ بِـهِ	وكـانـت لـه تلك النصيحةُ كـافِـيَـهْ

*****

هَمَّام بن الأغفل الثقفي[2]

قال[3]: [الرجز]

1 قَـدْ قَـرَّتِ الـعَـيْـنُ مـن الـفسَّـاقِ

2 ومـن رؤوسِ الـكـفـرِ والـنِّـفَـاقِ

3 إذْ ظَـهَـرَتْ كـتـائـبُ العِرَاقِ[4]

4 نـحـن قـتـلْـنَـا صـاحـبَ الـمُـرَّاقِ

5 وقـائـدَ الـبُـغَـاةِ والـشِّـقـاقِ

6 عثمانَ يـومَ الـدارِ والإِحْرَاقِ[5]

7 لـمـا لَـفَـفْـنـا سـاقَـهُـمْ بِـسَـاقِ

8 بالطَّعْن والـضَّـرْبِ منَ العِناقِ[6]

9 وَسَـلْ بـصِـفِّـيـن لـدى الـتَّـلاقـي

---

(1) في الفتوح ونهاية الأرب: (بعد ذلك).

(2) لم أعثر له على ترجمة، وقد ذكر ابن أعثم أنه من أصحاب علي؛ انظر الفتوح: 131/3، وسماه ابن دريد في الاشتقاق: 307 همام بن الأعقل.

(3) الأبيات في وقعة صفين: 383 وفي الفتوح 131/3، 132.

(4) الفتوح: إذ ظفرت.

(5) في الفتوح: (ونحن أهل الدار والإخراق)

(6) في الفتوح: (بالضراب والطعن)، وفي وقعة صفين: (مع العناق).

10 تُنْبَأُ بِتِبْيَانٍ مع المِصْدَاقِ(1)

11 أن قد لَقُوا بالمارقِ المِمْرَاقِ(2)

12 ضَرْباً يُدَمِّي عُقُرَ الأَعْنَاقِ(3)

يزيد بن الحكم(4)

-1-

قال(5): [المنسرح]

1 أصبحَ في قَيْدِكَ السَّمَاحَةُ والجوُ	دُ وَفَضْلُ الصَّلاَحِ والْحَسَبُ(6)
2 لا بَطِرٌ إنْ تتابعت نِعمٌ	وصَابِرٌ في البلاءِ مُحْتَسِبُ

(1) في الفتوح: (لقد لقيناهم على المصداق)

(2) المارق: السهم يمرق من الرمية؛ أي: ينفذ، وقد عنى به السيف.

(3) عُقُر الأعناق: أصلها.

(4) هو يزيد بن الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيط ابن جشم بن قسي وهو ثقيف، شاعر عالي الطبقة، أمه بكرة بنت الزبرقان بن بدر، وهي أول عربية ركبت البحر، ويقال: إن الحكم والد يزيد له صحبة، وأن أخاه عثمان قد ولاَّه البحرين، فافتتح فتوحاً كثيرة، يعد يزيد من أعيان العصر الأموي، من أهل الطائف، سكن البصرة، وولاه الحجاج كورة فارس، ثم عزله قبل أن يذهب إليها، فانصرف إلى سليمان بن عبد الملك فأجرى له ما يعدل عمالة فارس، وقطع عنه ذلك بعد سليمان فلما صار الأمر إلى يزيد بن عبد الملك وثار يزيد بن المهلب خالعاً بن عبد الملك؛ كتب إليه يزيد بن الحكم:

أبا خالد قد هجت حرباً مريرة	وقد شمّرت حرب عوان فشمّرِ
فإن بني مروان قد زال ملكهم	فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعرِ
فمت ماجداً، أو عش كريماً، فإن تَمُتْ	وسيفك مشهور بكفك تعذرِ

كان أبيَّ النفس، شريفها، من حكماء الشعراء، توفي نحو 105هـ= نحو 723م.

(5) يروى أن يزيد بن الحكم دخل على يزيد بن المهلب في سجن الحجاج وهو يعذب، وقد حَلَّ عليه نجم كان قد نُجِّم عليه، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم، فقال هذه الأبيات.

الأبيات له في الأغاني 210/12 وقد علق أبو الفرج عليها بقوله: «وقد رويت هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بيض مع يزيد»، ووردت في خزانة الأدب للبغدادي 55/1، وفي تجريد الأغاني القسم الثاني 1432/1 ومختاره 376/8، وفي الأشباه والنظائر للخالدين 168/2.

(6) في الأشباه والنظائر:

أغلق دونَ السماحِ والجو	دِ والنَّجدةِ باباً حَديدُهُ أشِبُ

3 بَــزَزْتَ سَـبْقَ الـجِيـادِ فـي مَـهَـلٍ		وَقَـصَّـرَتْ دون سَعْيِكَ العَرَبُ[1]

- 2 -

وينسب إليه[2]:		[الطويل]

1 تَرَى المرْءَ يخشى بعضَ مَالا يَضيرُهُ		وَيَـأْمُـلُ شَيْئاً دُونَـهُ الـموتُ واقِـعُ

2 ومـا الـمـالُ والأهـلـونَ إلا ودائـعٌ		ولابـدَّ يَـوْمـاً أن تُـرَدَّ الودائعُ[3]

3 وَكُـلُّ أَمَـانـيِّ امْـرِئٍ لا ينالُها		كـأضـغـاثِ أحـلامٍ يَـرَاهُـنّ هَـاجِـعُ

4 وفي اليَأْسِ من بعض المطامعِ راحةٌ		ويـا رُبَّ خيرٍ أَدْرَكَـتْـهُ المطامعُ[4]

5 أبى الشّيبُ والإسلامُ أن أَتْبَعَ الهَوَى		وفي الشَّيْبِ والإسلامِ للمَرْءِ رادعُ[5]

- 3 -

وينسب إليه[6]:		[الوافر]

1 تـسـائـلـنـي هَــــوازنُ أيــن مـالـي		وهـل لـي غـيـر مـا أنـفـقـتُ مالُ[7]

2 فـقـلـتُ لـهـا هـــوازنُ إنّ مـالـي		أضــــرَّ بــه الـمُـلِـمَّـاتُ الـثّـقـالُ

---

(1) في الأشباه والنظائر: (بَزَّتَ..... دون سبقك).
(2) الأبيات في الحماسة البصرية 825/2 وحماسة ابن الشجري: 480/1، 481. والبيت الثاني في أعلام الزركلي 181/8 ليزيد ابن الحكم الثقفي. والبيت الثاني في ديوان لبيد: 89، وشرح ديوان لبيد: 170، ونهاية الأرب 70/3، والبيت للبيد مع ستة أبيات أخرى في الحماسة المغربية 1423/2، ومع سبعة أخرى في الزهرة 557/2.
(3) في ديوان لبيد وحماسة ابن الشجري: (إلا وديعة).
(4) في حماسة ابن الشجري: (وفي الناس)؛ قال محقق الحماسة البصرية تعليقاً على رواية ابن الشجري هذه: «ولا إخال ذلك صواباً».
(5) في حماسة ابن الشجري: (وازع).
(6) الأبيات في الحماسة البصرية 811/2، وذكر محققها أن نسخة مكتبة نور عثمانية نسبتها إلى يزيد بن الحكم الثقفي. وقد وردت الأبيات في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام 135/4 ليزيد بن جهم، ويبدو ما بين الكلمتين (الحكم، الجهم) من قرب في الشكل، فاحتمال التحريف وارد، ووردت في ديوان المعاني للعسكري 223/1 من دون عزو. ونسب البيتان (1، 2) في الوافي بالوفيات 37/15 لزيد بن جهم الهلالي الكوفي.
(7) في ديوان المعاني والوافي: (ومالي غير).

3 أضـــرّ بــه نَــعَــمْ وَنَــعَــمْ قــديمــاً		عــلــى مــا كــان مــن مـــالٍ وَبَـــالُ[1]

*****

يَزِيْدُ بنُ ضَبَّة 130هـ[2]

-1-

قال[3]:	[الهزج]

(1) في ديوان المعاني: (ونعم قديم).

(2) يزيد بن مِقْسَم، وضبة أمه غلبت على نسبه فيقال يزيد بن ضبة؛ لأن أباه مات وخلفه صغيراً، فكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة، ثم أولاد ابنه عروة بن المغيرة، فكان يزيد ينسب إليها لشهرتها. وينسب يزيد إلى ثقيف ولاءً، وكان ولاؤه لبني مالك بن حطيط ثم لبني عامر بن يسار، أما زوجته فتسمى عمارة، وكان يزيد يتهاجا مع عنترة بن عروس الذي قال أبياتاً يهجو فيها يزيد ويذكر زوجته، فرد عليه عنترة قائلاً:

تــقـــول عـــمـــارة لي يـــا عـنـتـره		شق حـري هـذا العظيم الحـوثـره

اتصل بالوليد بن يزيد وانقطع إليه، وهذا ما أثار حفيظة هشام، فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه يزيد ليهنئه فمَثَلَ بين السماطين، واستأذنه في الإنشاد فلم يأذن له، وقال: عليك بالوليد فامدحه وأنشدْه، وأَمَرَ بإخراجه، وبلغ الوليد خبره، فبعث إليه بخمسمائة دينار، وسوغه جميع ماله في الطائف، وظل هناك حتى أفضت الخلافة إلى يزيد، فوفد إليه، واستأذنه في الإنشاد فأذن له، وأنشده قصيدته:

لــتــعـــتـــام الـــولـــيـــد الـــقَـــرْ		م أهــــــلَ الجـــــــودِ والخــــير

فأمر الوليد بأن تعد أبيات القصيدة، ويعطى على كل بيت ألف درهم، فعدت فكانت خمسين بيتاً، فأعطي خمسين ألفاً، فكان أول خليفة عد أبيات شعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم. قال عنه الأصمعي: «كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف، ولكنه كان فصيحاً، وقد أدركته بالطائف، وكان يطلب القوافي المعتاصة، والحوشي من الشعر». ذكر الزركلي أنه توفي نحو مائة وثلاثين للهجرة، ولكنني لم أعثر في المصادر على شيء يفيد بهذا أو يقطع به، وإن كان أبو الفرج قد ذكر في أغانيه أنه كان حياً سنة خمس وعشرين ومائة، وذلك حين وفد على الوليد مهنئاً بالخلافة، وكانت توليته الخلافة في تلك السنة. انظر ترجمته في: فحول الشعراء للأصمعي: 17، الأغاني 72/7–78 المؤتلف والمختلف: 226، الأعلام 189/8.

(3) خرج الوليد إلى الصيد ومعه يزيد بن ضبة، فاصطاد على فرسه السندي صيداً حسناً، ولحق عليه حماراً فصرعه، فقال ليزيد صف فرسي هذا وصيدنا اليوم. فقال هذه الأبيات، فلما سمعها الوليد قال: أحسنت – يا يزيد – الوصف وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيباً، وأعطه الغزيل وعمر الوادي حتى يغنيا فيه.
الأبيات جميعها عدا (13، 20) في الأغاني 100/7 وما بعدها، وفي مختار الأغاني 203/11 وما بعدها. والأبيات (10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 30) ففي كتاب الخيل 140. والبيت الأول في كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء ضمن نوادر المخطوطات 89/1. وفي اللسان (صبا) وفي الطبري 117/12 وتفسير القرطبي 185/9 وفتح الباري272/8 وفي مجاز القرآن311/1 ليزيد بن ضبة، وفي ديوان قيس بن الخطيم 42 من دون عزو، ولكن أشار المحقق الدكتور ناصر الدين الأسد إلى أنه ليزيد بن ضبة.

1 إلـــى هــنـدٍ صـبـا قـلـبي	وهــنـدٌ مـثـلُـهـا يُصْبِي[1]
2 وهــنـدٌ غــادةٌ غَـيْـدا	ءُ مـن جـرثـومـة غُـلْـبِ[2]
3 ومـا إنْ وجـد الـنـاسُ	مـن الأدواءِ كـالـحـبِّ
4 فـقـد لـجَّ بـهـا الإعــرا	ضُ والـهَـجْـرُ بـلا ذَنْـبِ
5 ولـمـا أقـضِ مـن هـنـدٍ	ومـن جـاراتـهـا نَحْبِي[3]
6 أرى وَجْـدي بـهـنـدٍ دا	ئـمـاً يـزدادُ عـن غِـبِّ[4]
7 إلـــى هــنـدٍ صـبـا قـلـبي	ومـا بُـغْـضُـهـمُ طِـبِّـي[5]
8 ولـكـن رِقْـبَـةُ الأعـيــ	ــن قـد تـحـجُـزُ ذا الـلُّـبِّ
9 وَرَغْـمُ الـكـاشـح الـراغـ	ـم فـيـهـا أيـسـرُ الـخَـطْـبِ
10 وأَحْـوَى سَـلِـسُ الـمَـرْسِـ	ـنِ مـثـلُ الـصَّـدَعِ الشَّعْبِ[6]
11 سـمـا فـوق مُـنـيـفـاتٍ	طـوالٍ كـالـقَـنـا سُلْبِ[7]
12 طـويـلُ الـسـاقِ عُـنْـجُـوجٌ	أشـقُّ أَصْـمَـعُ الكَعْبِ[8]
13 سـلـيـمٌ نـائـلٌ أبْـجَـ	ـلُـهُ فـي ثُـنَـنٍ هُـلْـبِ[9]

(1) في ديوان قيس بن الخطيم: (صبا قلبي إلى هند). وفي مجاز القرآن: (مثلها تصبي).

(2) الجرثومة: الأصل. والغلب: جمع أغلب؛ وهو في الأصل الغليظ الرقبة، وهم يصفون السادة أبداً بغلظ الرقبة وطولها.

(3) النحب: الحاجة.

(4) الغب: قلة الزيارة.

(5) الطب: الشأن والعادة.

(6) أحوى: يقال للَون الخيل إذا كان بين الدُّهْمَةِ والخضرة أحوى. المرسن: الأنف. الصدع: الفتى الشاب القوي من الأوعال والظباء. الشَعَب: تباعد ما بين القرنين فهو وصف بالمصدر؛ وسكنت العين للضرورة.

(7) السَّلب: الطويل، والجمع: سُلُب، ويجوز فيه التخفيف بتسكين عينه.

(8) في كتاب الخيل: (طويل العناق).

العنجوج: الجيد الخَلق، الحسن الصورة في طول. الأشق: الطويل. الصمع في الكعوب: لطافتها واستواؤها.

(9) الأبجل: عرقٌ مستبطن في الذراع إلى النحر، يقال: إنه (الناصر) في النحر، وهو في الذراع الأبْجَل، والجمع: أباجل، وهما عِرْقان بين العصب والشظا، وهما مبتدأ وظيفي اليدين. الثنة من الفرس: مؤخر الرسغ؛ وهي شعرات مدلاة مشرفات من خلف. هلب: كثيرة الشعر.

14 علـى لأْمٍ أصــمٍّ مُـضْـمَـ ـــر الأشـــعَـــبِ كالقَعْبِ(1)

15 تـــرى بـيــن حَــوَامِـــيــهِ نُـسُـوراً كَـنَـوى القَسْبِ(2)

16 مُـعَـالـىً شَـنِـجُ الأَنْـســا ء سـامٍ جُـرْشُـعُ الجَنْبِ(3)

17 طــوى بـيـن الـشَّـرَاسِـيـفِ إلـــى الـمَـنْـقَـب فالقُنْبِ(4)

18 يـغــوصُ الـمـلـحـمَ الـقـا ئِـمَ ذو حــدٍّ وذو شَغْبِ(5)

19 عـتـيـدُ الـشَّــدِّ والـتـقـريـ ـــب والإحـضـــار والعَقْبِ(6)

20 رحـيـبُ الـجـوفِ والـشـدقيـ ـــن والـمِـنْـخَـر كـــالـــورْبِ(7)

21 صــلـيـبُ الأذْن والـكـا هــل والـمَـوْقِـف والعَجْبِ(8)

22 عـريـضُ الـخـدّ والـجَـبْـهَـ ـــة والـبِـرْكَـة والهُلْبِ(9)

23 إذا مــا حـــثَّـــه حـــاثٌ يُــبــاري الـريـحَ فـي غَـــرْب(10)

---

(1) اللأم: الشديد في كل شيء. الأشعب: ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنبت الشعيرات حول الحافر. القعب: القدح الصغير؛ يشبه به الحافر.

(2) في كتاب الخيل: (له بين حواميه نسورٌ).
الحوامي: ما يكتنف السنبك عن يمينه ويساره. النسر: لحمه صلبه في باطن الحافر، كأنها حصاة أو نواة. القسب: ثمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة.

(3) الأنساء: جمع نسا؛ وهو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. وفرس شنج النساء. أي: منقبضه، وهو مدح له. جرشع الجنب: منتفخه.

(4) الشَّرَاسِيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. والمَنْقَب: الموضع الذي ينقبه البيطار في بطن الدابة. والقنب: جراب قضيب الفرس أو وعاء ذكره، وأصل القُنب لكل ذي حافر ثم استعمل في غير ذلك، وجمعه قنوب.

(5) في كتاب الخيل: (بيوض الملجم القائد ذي جدٍّ وذي شغب).

(6) فرس عتيد: بمعنى شديد الخلق معدٌّ للجري. والتقريب: ضرب من العدو؛ وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً، وهو دون الإحضار. والعقب: الجري الذي يجيء بعد الجري الأول.

(7) الورب: ما بين الأصابع. المنخر: مخرج النفس.

(8) في كتاب الخيل: (صليتُ) مكان (صليبُ). الكاهل: ما ظَهَرَ من الزوْر، والزَّور: ما بطن من الكاهل، وهما عند منكبي الفرس، والمنكبان: ما ضم أسفل الكاهل من قبل القَصِّ بأعلى الزَّور. الموقفان من الفَرَس: هما نقرتا الخاصرة على رأس الكلية. والعجب: أصل الذنب عند رأس العصعص.

(9) البركة: الصدر الهلب: شعر الذنب.

(10) غرب الفرس: حدته ونشاطه.

24 وإن وجَّـهَـه أسـر	**ع كـالـخُـذْرُوفِ فـي الثَّقْبِ[1]**
25 وقـفَّـاهُـنَّ كـالأجْـدَ	**لِ لَـمَّـا انـضـم للضَّرْبِ[2]**
26 ووالـى الـطـعـنَ يـخـتـار	**جـواشِـنَ بُـدَّنٍ قُـبِّ[3]**
27 تـرى كـلَّ مُـدلٍّ قـا	**ئـمـاً يَـلْـهَـثُ كالكلبِ[4]**
28 كـأن الـمـاء فـي الأعـطـا	**فِ مـنـه قِـطَـعُ العُطْبِ[5]**
29 كـأنَّ الـدَّمَّ فـي الـنَّـحْـرِ	**قـذالٌ عُـلَّ بـالـخَـضْـبِ**
30 يـزيـنُ الـدارَ مـوقـوفـاً	**ويـشـفـي قَـرَمَ الـرَّكْـبِ[6]**

2 -

وقال أيضاً[7]: [الطويل]

1 تـواعَـدَ لِـلْـبَـيْـنِ الخليطُ لِيَنْبَتُّوا	**وقالوا لراعي الظهر موعدُكَ السَّبْتُ[8]**
2 وفي النفس حاجاتٌ إليهِم كثيرةٌ	**بِرُبَّانِها في الحَيِّ لَوْ أُخِّرَ الوقْتُ[9]**

(1) الخذروف: شيء يديره الصبي بخيط في يده، فيسمع له دوي.

(2) الأجدل: الصقر.

(3) الجواشن: الصدر.

(4) المدل: الجريء.

(5) العطب: القطن.

(6) في كتاب الخيل: (مربوطاً) مكان (موقوفاً).
القرم: الشهوة إلى اللحم.

(7) الأبيات (1، 2، 5، 6، 7، 8، 9، 10) في رغبة الآمل 62/7. والأبيات الأربعة الأولى في البصائر والذخائر 39/3 ليزيد بن ضبة الثقفي. وفي المؤتلف: 226 ذكرها الآمدي ليزيد بن ضبة وأنه كان يهاجي عنترة بن عروس مولى ثقيف. وورد البيت الرابع في الكامل للمبرد 151/3 وفي تهذيب اللغة 82/8 من دون عزو، وفي جمهرة اللغة 196/1 وكذلك في صحاح الجوهري واللسان والتاج (بغت) وفي المصون 53 وفي مجاز القرآن 193/1 ليزيد بن ضبة. ووردت الأبيات (1، 2، 4) في البيان والتبيين 306/2 منسوبة لأحمد بن المعذّل. والبيتان الأول والثاني في الكامل للمبرد 244/1 منسوبان لمحمد بن نمير.

(8) في البصائر والذخائر: (لراعي الذود).
راعي الظهر يراد به راعي الإبل.

(9) في البصائر والذخائر: (لإبَّانها). ذكر محقق الكامل 1/ 318 أن الأخفش روى العجز: (ألا قرِّب الحيّ الجمال لينبتُّوا).

3 ولـم أكُ فيما كـان قبْلَ احتمالِهم   على بينِهم بالأمسِ نَفْسِيَ وطَّنْتُ

4 ولكنهم بَـانُـوا ولـم أَدْرِ بَغْـتَـةً   وأَفْظَعُ شيءٍ حين يفجؤُكَ البَغْتُ[1]

5 مضى لسُلَيْمى منذ ما لَـمْ ألاقها   سنونٌ توالت بيننا خمسٌ اوْ ستُّ

6 تـأيَّـمْـتُ حتى لامني كـلُّ صاحب   رجـاءَ سُلَيْمى أن تَئِيْمَ كما إِمْتُ[2]

7 أَئِـنْ بعتُ حظي منكِ يوماً بغيرهِ   لبئس إذاً يـوم التغابن مـا بِعتُ[3]

8 تمنى رجـالٌ أن أمـوتَ وعَـهْـدُهُـمْ   بـأن يَـتَـمـنَّـوْا لَـوْ حَـيِـيـتُ إذا مِـتُّ

9 وقـد علموا عند الـحقـائـقِ أنني   أخـو ثقةٍ ما إنْ وَنَـيْـتُ ولا إِنْتُ[4]

10 وأنـي وقـد نَـثَّـرْتُ نَـبْـلَ كِنَانتي   كـأني وقـد وقّعت أنصلَها رِشْـتُ

- 3 -

قال[5]:   [الطويل]

مُـنَـعَّـمَـةٌ بـيـضَـاءُ لَـيْـسَ بِـهَـا أَمْـتُ

- 4 -

وقال أيضاً[6]:   [الكامل]

مَـشْـيُ الـبَـرِيءِ مع الـمقـارف تهمةٌ   ويُـرى الـبـريءُ مـع السقيمِ فَيُلْطَخُ

رُبان كل شيء (بضم الراء): حدثانه وجدته.

(1) في البيان: (ففاجأني بغتاً ولم أخش بينهم). في التاج: (وأعظم شيء). وفي جمهرة اللغة: (أنكأ شيء حين يفجؤك البغت).

(2) آم الرجل وآمت المرأة: إذا مكثا زمانا لا يتزوجان.

(3) التغابن: أن يغبن القوم بعضهم بعضاً. ويوم التغابن: يوم البعث؛ سمي بذلك لأن أهل الجنة يغبنون فيه أهل النار بما يصير إليه أهل الجنة من نعيم، ويلقى فيه أهلُ النار من عذاب الجحيم. وسئل الحسن عن قوله تعالى: «ذلك يوم التغابن»؛ فقال: غبن أهل الجنة أهل النار؛ أي: استنقصوا عقولهم باختيارهم الكفر على الإيمان.

(4) إنت: فعل من الأَيْن؛ وهو: الإعياء والتعب.

(5) مجاز القرآن 30/2.

(6) من نسب إلى أمه من الشعراء: 89/1 (ضمن نوادر المخطوطات).

- 5 -

وقال في رِجْلِه[1]: [البسيط]

1 وقـد جعلتُ إذا ما نِمْتُ أوجعني ظَهْرِي وقُمْتُ قيامَ الشارِفِ الظَّهِرِ[2]

2 وكنتُ أَمْشِي على رجْلَيْنِ مُعْتَدِلاً فَصِرْتُ أمشي على رِجْلٍ من الشَّجَرِ[3]

- 6 -

قال[4]: [الهزج]

(1) البيتان ليزيد بن ضبة في: البيان والتبيين 76/3 ولأبي حية في: الحيوان 483/6، والبيتان مع ثلاثة أخرى بقافية راء مضمومة لعمرو بن أحمر في: الخزانة 95/4، وهما في كتاب العصا: 429، والأول في البرصان 250، والثاني لأبي الدهماء في البرصان والعرجان 249، والبيتان في الموشح 118 لعمرو بن أحمر الباهلي، وهما في ديوانه 182 وقد شك المحقق في نسبتهما لسهولتهما؛ خلافاً لبقية شعره. والبيتان في ديوان أبي حية النميري: 186 وذلك فيما نسب إلى أبي حية وإلى غيره من الشعراء. والبيتان في شذور الذهب: 190 من دون عزو، وشرح شواهد المغني: 911 وبهجة المجالس 240/2. والبيت الأول في: شرح الأشموني 263/1 بلا عزو وهمع الهوامع 128/1 والدرر اللوامع 102/1 وشرح التصريح على التوضيح – الشيخ خالد 204. والبيت الثاني في الخصائص 207/1 بلا عزو، وفي السمط 785/2 مع بيت آخر لقردة بن نفاثة السلولي، وفي أمالي القالي 160/2 مع ثلاثة أخرى بقافية رائية مضمومة منسوبة لعبد من عبيد بجيلة أسود.

(2) في البرصان وديوان أبي حية النميري: (قمتُ). وفي البيان: (إذا ما نمت أوجعني). وفي ديوان أبي حية: (يوجعني..... السَّكِرِ). وفي كتاب العصا: (وقد جعلت إذا ما قمت يوجعني). وفي الموشح:

(وقد جعلـت إذا مـا قمت يثقلنـي رِدْفِي فأنهض نهض الشارب السَّكِرِ)

وفي ديوان ابن أحمر:

وقـد جعلت إذا مـا قمت يثقلني ثوبي فأنهض نهض الشـارب السكر

في شرح الأشموني وشرح التصريح والهمع والدر واللوامع: (يثقلني ثوبي فأنهض نهض الشارب الثمل).

الشارف من الإبل: المسن. الظهر: الذي يشتكي ظهره.

(3) في ديوان أبي حية: (على أخرى). في السمط: (على ساقين..... على ما ينبت الشجر). في الموشح: (على رجلين متئداً). في الخزانة وشرح شواهد المغني وبهجة المجالس: (على رجلي معتدلاً).

(4) قال يزيد هذه الأبيات مهنئاً الوليد بن يزيد بتوليه الخلافة، وقد كان صاحباً له ومنقطعاً إليه. الأبيات في الأغاني 97/7–98 وكذلك 1، 2، 12، 20، 21 في الأغاني 94/7. وفي رغبة الآمل 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 23، 24، 27، 28، 29، 30. والأبيات 1، 2، 27، 28، 29، 31، 33 في تجريد الأغاني القسم الأول 838/2. والأبيات جميعها عدا (21–22) في مختار الأغاني 202/11، 203، ونزهة الأبصار 287/1، 288 والبيتان 20، 23 في الحيوان 228/5.

1 سُلَيْمَى تلك في العِيرِ   قفي أسألْكِ أو سيري[1]

2 إذا ما بِنْتِ لم تَأْوِي   لِصَبِّ القلب مغمورِ[2]

3 وقد بانت ولم تعهد   مَهَاةٌ في مَهاً حُورِ

4 وفي الآل حُمُول الحـ   ـيِّ تُزهى كالقَراقِيرِ[3]

5 يواريها وتبدو مِنْـ   ـه آلٌ كالسَّماديرِ[4]

6 وتطفو حين تطفو فيـ   ـه كالنَّخْلِ المواقيرِ[5]

7 لقد لاقَيْتُ من سلمى   تباريحَ التناكيرِ[6]

8 دعت عيني لها قلبي   وأسبابُ المقاديرِ

9 وما إنْ مَنْ به شيبٌ   إذا يصبو بمعذورِ

10 لسلمى رسمُ أطلالٍ   عفتها الرِّيحُ بالمورِ[7]

11 خريقٌ تنخلُ التربَ   بأذيال الأعاصيرِ[8]

12 فأوحِشْ إذ نأت سلمى   بتلك الدورِ من دورِ

13 سأرمي قانصاتِ البيـ   ـد إنْ عِشْتُ بِعُسْبورِ[9]

---

(1) في تجريد الأغاني: (قفي أخبرك). في رغبة الآمل: (قفي إن شئت).

(2) في الأغاني: (إذا ما أنت لم ترثي). وقد ثبتت الياء مع الجازم في الروايتين؛ وكان حقها أن تحذف.

(3) الآل: السراب، وقيل: هو الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض، يرفع الشخوص ويزهاها؛ فأما السراب فهو الذي يكون نصف النهار كأنه ماء جار. فالآل من الضحى إلى زوال الشمس، والسراب بعد الزوال إلى العصر. القراقير: السفن العظيمة أو الطويلة.

(4) السمادير: الأشياء التي تتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشي النعاس والدوار.

(5) المواقير: جمع ميقار؛ والنخلة الميقار: التي عليها حمل ثقيل.

(6) التباريح: الشدائد، وهو من الجموع التي لا مفرد لها. التناكير: الأمور المنكرة.

(7) المور: الغبار المتردد، أو تراب تثيره الريح.

(8) الخريق: الريح الشديدة الهبوب.

(9) العسبور: الناقة الشديدة.

14 مـن الـعـيـس شَـجَـوْجَـاةٍ	طـواهـا الـنِّـسـع بالكورِ[1]
15 إذا مـا حَـقَـبٌ منها	قَـرَنَّـاهُ بتصديرِ[2]
16 زجـرنـا الـعـيـسَ فـارقَـدَّت	بـإعـصـافٍ وتشميرِ[3]
17 تـقـاسـيـهـا عـلـى أَيْـنٍ	بـإدلاجٍ وتهجيرِ[4]
18 إذا مـا اعْـصَـوْصَـبَ الآلُ	ومـال الـظـلُّ بـالـقُـورِ[5]
19 وَرَاحَـتْ تـتَّـقـي الـشـمـسَ	مـطـايـا الـقـومِ كـالـعُـورِ
20 إلـى أن يُـفـصـحَ الـصـبـحُ	بـأصـواتِ الـعـصـافـيـر
21 خـرجـنـا نُـتْـبِـعُ الـشـمـسَ	عـيـونـاً كـالـقـواريـرِ
22 وفـيـنـا شـادنٌ أحـو	رُ مـن حـور اليعافيرِ[6]
23 لـتَـعْـتَـامَ الـولـيـدَ الـقَـرْ	م أهـلَ الـجـودِ والخيرِ[7]
24 كـريـمٌ يَـهَـبُ الـبُـزْلَ	مـع الـخُـور الجراجيرِ[8]

(1) الشجوجاه: الطويلة جدّاً، وقيل: الطويلة الرجلين، وقيل: الطويلة الظهر. النسع: سَيْرٌ مفتول يُشدُّ به الرحْل.
الكسور: الرحل.

(2) في رغبة الآمل: (إذا ما حقب جال).
الحقب: حبل يشد به الرحل في بطن البعير مما يلي ثيله (وعاء قضيب البعير) لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدمه. التصدير: الحزام؛ وهو في صدر البعير، والحقب عند الثيل.

(3) في رغبة الآمل: (نقاسيها).
الإرقاد: سرعة السير. الإعصاف: الإسراع في السير. التشمير: الجد في الأمر والاجتهاد فيه.

(4) الإدلاج: السير في الليل. التهجير: السير في الهاجرة.

(5) اعصوصب: اشتد. القور: جمع قارة وهو المنقطع من الجبال أو الصخرة العظيمة.

(6) اليعافير: الظباء؛ واحدها يعفور.

(7) اعتام: اختار واصطفى؛ يريد: تقصد إليه مختارة له.
في رغبة الآمل: (لنعتام).

(8) البزْل: بزل البعير يبزل بزولاً: فطر نابه؛ أي انشق، فهو بازل ذكراً كان أو أنثى، وذلك في السنة التاسعة. الخور: النوق الغزيرة اللبن. الجراجير: الكرام من الإبل.

25 تــراعــى حــيــن تُــزْجـيــهـا هَـــوِيَّـــاً كالمزامير[1]

26 كــمــا جــاوبــت الــنِّــيــبُ رِبَـــاع الــخُــلُــجِ الــخــورِ[2]

27 ويـعـطـي الـذهـبَ الأحـمــ ـــر وَزْنــــاً بــالــقــنــاطــيــرِ

28 بَــلَــوْنَــاه فــأحــمــدنــا ـــه فــي عُــسْــرٍ ومــيــســورِ

29 كــريــمُ الــعــودِ والعُـنْـصـ ـــر غَـــمْـــرٌ غــيــرُ مــنــزورِ

30 لــه الــسَّــبْــق إلـــى الغـايـا ت فـــي ضَـــمِّ الــمــضــامــيــرِ

31 إمـــامٌ يُــوضِـــحُ الــحــقَّ لــــهُ نـــــورٌ عـــلـــى نــــورِ

32 مــقـــالٌ مــن أخـــي ودٍّ بــحــفــظ الــصــدق مــأثــورِ

33 بــإحــكـــامٍ وإخـــلاصٍ وتــفـــهــيـــمٍ وتــحــبــيــرِ

- 7 -

وقال أيضاً[3]: [الهزج]

1 وقَـــدْ أغْـــدُو مــعَ الـفِـتْـيـانِ بـــالـــمـــنْـــجَـــرِدِ الـــثَّـــرِّ[4]

2 وذي الـــبِـــرْكَـــةِ كـــالـتـابـوتِ والـــمَـــحْـــزِمِ كـــالـــقَـــرِّ[5]

3 مـعـي قـاضِـبَـةٌ كـالـمِـلْـحِ فـــي مَـــتْـــنَـــيْـــهِ كـــالـــذَّرِّ[6]

4 وقـــد أعـتَـسِـفُ الـضـرْبَـةَ تَـــشْـــنِـــي سَــنَــنَ الـــشَّـــرِّ

(1) الهَويّ: الدوي في الأذن.

(2) النيب: الإبل. الرباع: جمع ربع (بضم ففتح) وهو ما ولد من الإبل في أول النتاج. الخلوج: الناقة الكثيرة اللبن التي تحن إلى ولدها.

(3) الأبيات في الحيوان 288/5 وفي الوحشيات 74، والثلاثة الأولى في اللسان من دون عزو، وفي تهذيب اللغة 249/14 والأول في أمالي ابن الشجري 82/1.

(4) في أمالي الشجري: (المحتنك الثر). في اللسان: (المنجرد الثّرِّ).
والثَّر في الخيل: المعتدل الأعضاء، يقال سحاب ثر للكثير الماء؛ واستعاروه للفرس الكثير الجري.

(5) البِركة: الصدر. القر: مركب للرحال بين الرجل والسرج. المحزم: موضع الحزام.

(6) القاضبة: السيف القاضب، وجعله كالملح في بياضه.

- 8 -

وقال أيضاً(1): [المنسرح]

1 لم ينس سلمى فؤادُكَ السَّدِكُ ... وكيف تَصْبُو وأنت مُحْتَنِكُ؟(2)

2 لو كان ما واحداً هَوَاكَ لَقَدْ ... أقْصَرْتَ لكن هواك مُشْتَرَكُ(3)

3 تقولُ سَلْمى واستنكَرَتْ: عَجَباً! ... ما بالُ أشياءَ منك تُنْتَهَكُ؟!

4 فقلت من تَرْحَةٍ ومن أَسَفٍ ... أبناءُ عوفٍ ومالكٍ هَلَكُوا(4)

5 خلَّوا فِجاجاً عليَّ فانخَرَقَتْ ... لم يستطع سَدَّهُنَّ مَنْ تَرَكُوا(5)

- 9 -

قال أيضاً(6): [الهزج]

بوجهٍ مُشْرِقٍ صافٍ ... وثغرٍ نائرِ الظَّلْمِ(7)

- 10 -

قال(8): [الوافر]

---

(1) الأبيات في كتاب المنازل والديار 258/2 وقد أوردها مصنف لباب الآداب: 407 مع اتفاق في الرواية والترتيب، وهي من نادر الشعر في الرثاء المبدوء بالغزل، انظر المنازل والديار: 411.

(2) السدك: المولع بالشيء؛ قال في اللسان: هي لغة طائية. المحتنك: الرجل العاقل.

(3) ما: زائدة.

(4) ترحة: الترح: نقيض الفرح. والترحة المرة الواحدة.

(5) فجاجاً: جمع فج؛ والفج هو الطريق الواسع بين جبلين، وقيل: هو الشِّعب الواسع بين جبلين.

(6) البيت ورد في اللسان والتاج: (ظلم)، وفي الكنز اللغوي في اللسن العربي: 191.

(7) في الكنز اللغوي: (نَيِّرِ الظَّلْم).
الظلم: ماء الأسنان وبريقها، وهو كالسواد داخل عظم السِّنِّ من شدة البياض كفِرِند السيف. وقيل: الظلْم رقة الأسنان وشدة بياضها.

(8) كان يزيد منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه، متصلاً به لا يفارقه، فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه يزيد مهنئاً بالخلافة، فلما استقر به المجلس ووصلت إليه الوفود، وقامت الخطباء تثني عليه، والشعراء تمدحه؛ مَثَلَ يزيد بين السماطين فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذن له، وقال: عليك بالوليد فامدحه وأَنْشِدْه. وأمر بإخراجه، فخرج إلى الطائف، فقال يذكر ما فعله هشام به.

1 أرى سلمى تَصُدُّ وما صَدَدْنا | وغيرَ صدودِها كنَّا أردنا[1]
2 لقد بَخِلَتْ بنائِلِها علينا | ولو جادت بنائلها حَمَدْنا
3 وقد ضَنَّتْ بما وعدت وأمست | تُغيِّر عهدَها عمَّا عهدنا[2]
4 ولو علمتْ بما لاقيتُ سلمى | فتخبرني وتعلمَ ما وجدنا
5 تُلِمُّ على تنائي الدار منا | فيُسهرنا الخيالُ إذا رَقَدْنا[3]
6 ألم تر أننا لمَّا ولينا | أموراً خُرِّقَتْ فَوَهَتْ سدَدْنا[4]
7 رأينا الفَتْقَ حين وهى عليهم | وكم من مثله صَدْعٍ رفأنا[5]
8 إذا هاب الكريهةَ من يليها | وأعظَمها الهيوبُ لها عمدنا
9 وجبَّارٍ تركناه كليلاً | وقائدِ فتنةٍ طاغٍ أزلنا
10 فلا تنسوا مواطنَنَا فإنَّا | إذا ما عاد أهل الجُرْمِ عُدنا
11 وما هِيضَتْ مكاسِرُ من جَبَرْنا | ولا جُبِرَتْ مصيبة من هَدَدْنا[6]
12 ألا مَنْ مبلغٌ عنّي هِشَاماً | فما منَّا البلاءُ ولا بَعُدنا
13 وما كنا إلى الخلفاء نُفْضِي | ولا كنا نُؤَخَّر إن شَهدنا
14 ألم يك بالبلاء لنا جزاءٌ | فنجزى بالمحاسن أم حُسِدْنا
15 وقد كان الملوك يرون حقّاً | لوافدنا فنُكْرَمُ إن وَفَدنا

الأبيات في الأغاني 7/95–97، ومختار الأغاني 11/198 ونزهة الأبصار 1/285–286.
(1) تصد: تعرض.
(2) ضنت: بخلت.
(3) تلم: تزور أحيانا على غير مواظبة.
(4) خرقت: خرق الرجل إذا بقي متحيراً من همٍّ أو شدة.
(5) الفتق: خلاف الرتق، فتقه فَتْقاً؛ أي: شَقَّه، والفتق: انشقاق العصا، ووقوع الحرب بين الجماعة، وتصدع الكلمة.
(6) هاض الشيء: كسره.

16 ولينا الناس أزماناً طوالاً وسُسْناهم وَدُسْنَاهم وقُدنا[1]

17 ألم تر من وَلَدْنا كيف أشبى وأشبينا وما بِهِمُ قَعدْنا[2]

18 نكون لمن وَلَدْناه سماءً إذا شيمت مخايلُنا رَعَدْنا

19 وكان أبوك قد أسدى إلينا جَسِيمَةَ أمرِهِ وبه سعدنا

20 كذلك أول الخلفاء كانوا بنا جَدُّوا كما بهمُ جَدَدْنا

21 هُمُ آباؤنا وهُمُ بنونا لنا جُبِلوا كما لهمُ جُبِلْنا

22 ونَكْوِي بالعداوةِ مَنْ بغانا ونُسْعِد بالمودة من وَدِدْنا

23 نرى حقّاً لسائلنا علينا فنحْبوه ونُجْزِل إن وعدنا

24 ونَضْمنُ جارنا ونراه منَّا فنرفِدُه فنُجزِل إن رفدنا

25 وما نعْتَدُّ دون المجد مالاً إذا يُغْلَى بمكرُمةٍ أفدنا

26 وأتلَد مجدنا أنا كرام بحدِّ المشرفيَّة عنه ذُدْنا[3]

-11-

قال[4]: [الكامل]

لا تُبْدِيَنَّ مقالةً مأثورةً لا تَستَطيعُ إذا مَضَتْ إدراكَها[5]

-1-

ومما ينسب إلى يزيد بن ضبة[6]: [الوافر]

---

(1) في نزهة الأبصار: (وسدناهم وسسناهم وقدنا).

(2) أشبى الرجل: ولد له ولد ذكي.

(3) المشرفية: السيوف المنسوبة إلى المشارف: قرى من أرض اليمن.

(4) التذكرة الحمدونية 80/7 وفي البيان والتبيين 226/3، مجموعة المعاني: 83.

(5) مجموعة المعاني: (مقالة مشهورة).

(6) ورد هذا البيت في كتاب سيبويه مرتين؛ نسب في الأولى 208/1 إلى الربيع بن ضبع الفزاري، ونسب في الثانية (162/2) إلى يزيد بن ضبة الثقفي. ونسبه الأعلم الشنتمري في المرتين 106/1، 293 إلى الربيع بن ضبع الفزاري.

1 إذا عـاشَ الـفـتـى مـئـتـين عـامـاً فَـقَـدْ أَوْدَى الـمَـسَـرَّةُ والـفَـتَـاءُ

*****

وهو كذلك في الأصول لابن السراج 106/1، والاقتضاب 198/3، والحلل: 37، وشرح المفصل 21/6، 23، وخزانة الأدب 379/7، والتصريح على التوضيح 273/2، والدرر اللوامع 210/1، وشواهد العيني 67/4. والبيت من دون عزو في المقتضب 166/2، ومجالس ثعلب 275/1، وشرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس 99، والمقتصد على الإيضاح 734/2، وشرح ابن هشام للجمل 321، وهمع الهوامع 253/1، والأشموني 67/4. ويغلب أن يكون البيت للربيع بن ضبع الفزاري من قصيدة ذكرها أبو حاتم السجستاني في المعمرين والوصايا ص7. ويمكن تفسير الخلاف في نسبة هذا البيت على أنها من إقحام النساخ والشراح، واحتمال أن يكون سيبويه سمع هذا البيت من الرواة مرتين، وأخذه منهم في كل مرة منسوباً لقائل غير الذي نسب له المرة الأولى، ومما يرجح هذا الاحتمال أن رواية البيت وردت في المرة الثانية 162/2/ (ذهب) بدلاً من (أَوْدَى)؛ انظر: الكتاب لسيبويه208/1، 162/2 والمقتضب166/2 والأصول في النحو لابن السراج312/1. وقد ذكر محمد بن يوسف بن السيرافي «أن خلاف الإنشاد.، لا ينبغي أن ينسبه أحد إلى اضطراب سيبويه، وإنما الرواية تختلف في الإنشاد..»؛ انظر: شرح أبيات سيبويه 118/2. ومعنى هذا أن سيبويه سمع البيت (إذا عاش...) من الرواة مرتين، وروايته ونسبته في كل مرة مختلفة عن الأخرى.

في الاقتضاب شرح أدب الكتاب: (البشاشة) بدلاً من (المسَرة). وفي مجالس ثعلب وشرح المفصل وخزانة الأدب والعيني: (اللذاذة) بدلاً من (المسَرَّة). وفي خزانة الأدب (تسعين) بدلاً من (مئتين)؛ انظر ما سبق نقلاً عن: شواهد الشعراء المخضرمين في التراث النحوي توثيق ودراسة: 86، 87.

رابعاً: الثقفيون المجهولون وأشعارهم

ابن أبي العنبس الثقفي[1]

قال يرثي حفيده[2]: [مجزوء الكامل]

1 يـا صـاحـبَ الـقَـبْـرِ الـغـريـبِ بـالـشـامِ مـن طَـرَفِ الكَثِيبِ[3]

2 بـالـشِّـعْـبِ بـيـنَ صَـفَـائـحٍ صُـمٍّ تُـرَصَّـفُ بالْجَنُوبِ[4]

3 مـا إنْ سَـمـعْـتُ أَنـيـنَـهُ ونِـدَاءَهُ عـنـدَ المغيبِ[5]

4 أقـبـلْـتُ أطـلـبُ طِـبَّـهُ والـمـوْتُ يُـعْـضِـلُ بالطبيبِ[6]

5 والـلـيـلُ مُـنْـسَـدِلُ الـدُّجَـى وَحـشُ الـجِـنـانِ مـن الـغُـروبِ

6 هَـاجَـتْ لِـذلـكَ لَـوْعَـةٌ فـي الـصَّـدْرِ ظـاهـرَةُ الـدَّبـيـبِ

*****

ابن الدمينة الثقفي[7]

ينسب إلى ابن الدمينة[8]: [الوافر]

---

(1) لم أعثر له على ترجمة، وقد رثى حفيده الذي كان بصحبته في الحج بهذه الأبيات، ولم أجد له سوى موقفه مع حفيده فيما ذكره عنه صاحب مصارع العشاق 139/2، 140.

(2) قال الأصفهاني: «قال إسحاق وحدثني الجمحي، قال: حدَّثنا من رأى سَلاَّمَةَ تندب يزيد بن عبد الملك بمرثية رثته بها، فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك ولا أشجى، ولقد أبكت العيون، وأحرقت القلوب، وأفتنت الأسماع»، وذكر الأبيات. وذكر أبو الفرج أن الشعر لرجل من العرب كان قد خرج بابنٍ له من الحجاز إلى الشام؛ بسبب امرأةٍ هَوِيَهَا وخاف أن يفسُدَ بحبها، فلما فقدها؛ مرض بالشام وضني، فمات ودفن بها، كذا ذكر ابن الكلبي، وخبره يُكْتَبُ عقب أخبار سَلاَّمة القَسِّ. انظر، الأغاني: 249/8.

الأبيات عند السراج القاري في مصارع العشاق 140/2 لابن أبي العنبس الثقفي، والأبيات من دون عزو، (1، 2، 3، 4) في الأغاني 249/8.

(3) في الأغاني: (في طرف).

(4) في الأغاني: (بالشام بين).

(5) في الأغاني: (لمَّا.... وبكاءَهُ).

(6) في الأغاني: (والموت يعضل).

(7) لم أهتد إلى ترجمة له، وأرجح أن يكون الاسم تحريفاً عن ابن الذئبة الثقفي.

(8) البيتان في عيون الأخبار 243/1 لابن الدمينة الثقفي. وهما في الأصمعيات: 33 والأمل والمأمول لأحيحة بن الجُلاَح: 49. وفي البخلاء: 168 لابن الذئبة الثقفي بزيادة بيت ثالث. والبيت الأول في الأزمنة والأمكنة 25/1 من

1 أَطَعْتُ الْعِرْسَ في الشَّهَوَاتِ حَتَّى أعـادتـنـي عَـسِـيـفـاً عَـبْـدَ عَبْدِ(1)

2 إذا مـا جئْتُـهَـا قَـدْ بِـعْـتُ عَـذْقـاً تُـعَـانِـقُ أَوْ تـقـبِّـلُ أو تُفَدِّي(2)

*****

ابن الدِّنَّبة الثقفي(3)

قال(4) [الطويل]

أَلَـمْ تعلَموا أَنِّـي تُـخَـافُ عُـرَامَـتِـي وأن قَنَاتِي لا تلينُ على الكَسْرِ(5)

*****

ابن رُوَيشِد الثقفي

قال(6): [الطويل]

فـأَدْخَـلْـتُـهـا لا حِـنْـطَـةً بَـثَـنِـيَّـةً تُقابِلُ أطـرافَ البيوتِ ولا حُرْفَا(7)

*****

دون عزو. وقد سبق تخريج هذين البيتين في شعر منسوب إلى ابن الذئبة الثقفي.

(1) في البخلاء: (عند عبد).

(2) في الأمل والمأمول: (تقبّل أو تعانق).

(3) يبدو أن هناك تشابهاً في الأسماء بين ابن الذئبة وابن الدنبة، وربما وقع التصحيف في الاسم لتشابه الرسم؛ فهل هو شاعر واحد هو ابن الذئبة أم هما شاعران؟ الذي يبدو لي أنه شاعر واحد؛ وهو ابن الذّئبة الثقفي.

(4) نسب البيت إلى ابن الدنبة في اللسان (عرم). وورد مع خمسة أبيات أخرى في: البصائر والذخائر 110/3 من دون عزو. ونسب إلى وعلة الجرمي في الحماسة البصرية 62/1، 73. وإلى الحارث بن وعلة الجرمي مع بيتين آخرين في حماسة القرشي: 125. ومع ثلاثة أبيات في الزهرة 670/2. ولابن الذئبة الثقفي في مجالس ثعلب: 144.

(5) عُرام الجيش: حَدُّهم وشدتُهم وكثرتُهم، وعرم (هنا) بمعنى: الشدة.

(6) لسان العرب (بثن).

(7) قال ابن منظور: «قال الغنوي: بَثَنِيَّةُ الشام حِنْطَةٌ أو حبةٌ مُدَحْرَجَةٌ. وقال: بثنيَّة منسوبة إلى قرية بالشام بين دمشق وأذْرِعَات».

ابن وابصة الثقفي

قال[1]: [الطويل]

1 أُهِــيـنُ لَـهُـمْ مَـالـي وأَعْـلَـمُ أَنَّـنـي سَــأُورِثُـهُ الأعــداءَ سيرة مَـنْ قَبلي

2 وَمَـا وَجَـدَ الأَضْـيَـافُ فيما يَنُوبُهُم لَهُمْ عِنْدَ أَزمـاتِ الشِّتَاء فَتَىً مِثْلي

*****

أبو الأضراس الثقفي[2]

*****

أبو طليق الثقفي[3]

قال في رواية بن إسحاق[4]: [الطويل]

1 رأيـتـك تـدعـوني إذا مـا دعـوتَـنـا دعـاءَ يهود مُسْبِتين على نَهْرِ[5]

2 على عَنْدَمِيّ اللَّونِ مَـنْ شَمَّ رِيحَهُ من الناس يومَاً قال رائحةُ الخمرِ[6]

3 ولا خَـيْـرَ فـي الـحُـدَّاثِ إلا ثلاثةٌ سـواءٌ كـأمـثَـالِ الأثَـافِـيِّ لِلْقِدْرِ[7]

4 فـإن كـان فيهم رابـعٌ كـان مُسمِعاً يُسلِّي بـأصـواتٍ له شَجَنَ الصَّدْرِ

*****

(1) الأشباه والنظائر للخالديين 243/2.

(2) ويقال: (أبو ضراس). ذكره المرزباني في معجم الشعراء ولم يورد له شعراً: 15.

(3) لم أجد له ترجمة، ولم أعرف عنه إلا أن اسمه عمرو بن محمد.

(4) الأبيات في معجم الشعراء: 32.

(5) في طبعة كرنكو: (دعوتني).

(6) في طبعة كرنكو: (ريحته).

(7) في طبعة كرنكو: (سوداء مثل الأثافي في القدر)، وهو تصحيف أخل بالوزن والمعنى.

أبو عقيل الثقفي[1]

*****

أبو عمرو الثقفي[2]

*****

أبو مروان الثقفي[3]

قال[4]: [مجزوء الخفيف]

1 مَـــنْ لِــقَــلْــبٍ مُـتَـيَّـمِ بِــغَـــزَالٍ مُـــنَـــعَّـــمِ

2 مَــرَّ فــي قُــرْطــقٍ عَـلَـيْـ ـــهِ يــمــانٍ مُــسَــهَّــمِ

3 بَـيْـنَ بــاب الــربــيــعِ يَـمْـ ـشـي وبــابِ الــمــخَــرَّمِ

4 قــد رضــيــنــا إذا مَــرَرْ تِ بــنــا أن تُــسَــلِّــمــي

*****

أَحْلاَفِيٌّ مِنْ ثقيف

قال[5]: [الطويل]

1 أَبَــى حُـبُّـكـم يـا بـكـرُ إلا تـجـدُّدَا عـيـاداً كما عيد السليم الْمُسَهَّدَا

2 ولا الـقـلـبُ لا يــزدادُ إلا صبابةً فديتُكَ حتى أصبحَ الـرأسُ أَفْـنَـدَا

(1) ذكره المرزباني في من غلبت كنيته على اسمه من معجمه: 511، ولم يورد له شعراً.

(2) ذكره المرزباني في من غلبت كنيته على اسمه من معجمه: 511، ولم يورد له شعراً.

(3) لم أعثر له على ترجمة.

(4) معجم البلدان (المخرِّم).

(5) أنشد الهَجَرِيُّ في نوادره لِلكَمِدِ ـ وهو أحلاَفيٌّ من ثقيفٍ ـ يَرْثي ذِئْباً الفَهْمِيَّ ـ وهو كان نازلاً بهم ـ جاهِليٌّ أبياتاً أولها البيتين السابقين.
البيتان في معجم الشعراء: 251.

قال بعض ثقيف[1]: [البسيط]

1 لِلَّهِ دَرُّ ثَـقِـيـفٍ أَيُّ مَـنْـزِلَـةٍ حَلُّوا بِهَا بَيْنَ سَهْلِ الأَرْضِ والْجَبَلِ

2 قَـوْمٌ تَخَيَّر طِيْبَ العَيْشِ رائِـدُهُـمْ فأصْبَحُوا يُلْحِفُونَ الأَرْضَ بِالْحُلَلِ

3 لَيْسُوا كَمَنْ كانتِ الترحالَ هِمّتُهُ أخْبِـثْ بِعَيْشٍ على حلٍّ وَمُرْتَحَلِ

*****

الثقفي

- 1 -

قال[2]: [الوافر]

قِـبَـابُ الـحُـمْـرِ نَـضْـرِبُـهَـا عَـلَـيْـنَـا وَنَـحْـمِـلُـهـا بِـإِرْعَـالِ الضِّرَابِ[3]

- 2 -

قال[4]: [الوافر]

وَأَجْـــرأُ مَـنْ رَأَيْــتُ بِـظَـهْـرِ غَـيْـبٍ عَـلَـى عَـيْـبِ الـرِّجَـالِ ذَوُو العُيُوبِ

- 3 -

قال [5]: [الكامل]

(1) الأبيات عند ابن النهشلي القيرواني في الممتع في صنعة الشعر: 335 ووزنها مختل، لكنها صحيحة الوزن عند القالي الذي أوردها وقال: أنشدنا الأخفش قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ومحمد بن الحسن. انظر: أمالي القالي 40/1.

(2) كتاب الجيم 33/2 (رعل).

(3) الرعل: شدة الطعن، والإرعال: سرعته وشدته.

(4) البيت من دون عزو في: البيان والتبيين 33/1، والتذكرة الحمدونية 219/2، والحماسة المغربية 1259/2، وكامل المبرد 1165/3، وجمهرة الأمثال 166/2، وزهر الأكم في الأمثال والحكم 221/1، والفصول والغايات: 255، وبهجة المجالس 399/1. أما في تمثال الأمثال 443/2 والوساطة بين المتنبي وخصومه؛ فقد عزا البيت لرجل من ثقيف، والمجتنى: 76 وكتاب العرب: 271. وفي سمط اللآلي: 906 لرجل من ثقيف، قال الميمني في حاشية السمط: ويظهر مما في الأدباء 161/4 أنه لخالد بن صفوان.

(5) كتاب الجيم 33/2 (رقب).

أكْـرَهْـتُ فيـهِ صَـعْدَةً يَزَنِـيَّـةً   سَـمْراءَ يَقْدُمُهَا سِـنَانٌ أَزْرَقُ[1]

- 4 -

قال [2]:   [الرجز]

يـا سَـقْـيَ وَجٍّ وَجَـنُـوبَ وَجِّ

واحـتـلَّـه غـيـثٌ دراكُ الثَّجِّ[3]

- 5 -

قال[4]:   [الطويل]

1 أمـامـةُ مـا سَعْيُ الحريصِ بِزَائِـدٍ   فَـتِـيـلاً ولا عَـجْـزُ الضعيفِ بِضَائِرِ

2 خَرَجْنَا جَمِيعاً من مَسَاقِطِ رُؤْسِنا   عَـلـى ثِـقَـةٍ مِـنَّـا بِـجُـودِ ابـنِ عَـامـرِ

3 فَـلَمَّـا أَنَـخْـنَـا الـنَّـاعِـجَـاتِ بِـبَـابِـه   تَـأَخَّـرَ عَـنِّـي الـيَـثْـرِبِـيُّ ابـنُ جَـابِـرِ

4 وَقَـالَ سَتكْفِيني عَـطِـيَّـةُ قَـادِرٍ   عَلَى مَـا يَشَاءُ الـيَـوْمَ لِلْخَلْقِ قَاهِرِ

5 فإنَّ الذي أَعْطَى العِرَاقَ ابن عَامِرٍ   لَـرَبِّـي الـذي أَرْجُـو لِـسَـدِّ مَـفَـاقِـرِي

6 فَـلَـمَّـا رآنـي قـال أَيْـنَ ابْـنُ جَـابِـرٍ   وَحَـنَّ كَمَا حَنَّتْ ضِرابُ الأَبَاعِرِ[5]

7 فأَضْعَفَ عبدُ اللهِ إذْ غَابَ شَخْصُهُ   عَلَى حَظٍّ لَهْفَانٍ مِنَ الحرصِ فَاغِرِ[6]

---

(1) الأرقب: الغليظ. الصعدة: قناة مستوية. يزنيَّةً: قال ابن منظور: «قال ابن الكلبي: إنما سميت الرماح يزنيةَ لأن أول من عُمِلَتْ له ذو يَزَن، وهو ملك من ملوك حمير». انظر: اللسان (يزن).

(2) عند الزمخشري في الجبال والأمكنة والمياه: 145 والفائق في غريب الحديث 186/1.

(3) وج: واد في الطائف. قال الزمخشري: «والمراد غزاة حنين. وحنين وادٍ قِبَلَ وَجٍّ؛ لأنها آخر غزاة أوقع بها رسول الله ﷺ على المشركين». انظر: الفائق 1: 186.

(4) المستجاد من فعلات الأجواد: 189، ولباب الآداب: 145.

(5) في لباب الآداب: (عراب) مكان (ضراب).

(6) في لباب الآداب: (غاب حَظُّه).

- 6 -

قال الثقفي[1]: [الطويل]

لحا الله أَتْيَاساً عَرَامِضَ بِالْحِمَى وَجِلْدَانَ جِلْدَانَ المخَانَةِ وَالْغَدْرِ[2]

- 7 -

قال [3]: [الطويل]

تُخَبِّرُني العَيْنَانِ ما القلبُ كاتِمٌ وَمَا جَنَّ بِالبَغْضَاءِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ[4]

- 8 -

قال [5]: [السريع]

فاحْتَلِبُوا دِرَّتَهَا إِنَّهَا تَصْرِي الحُظُبَّى وَدِمَاءَ العُرُوقْ[6]

*****

الثقفية

قالت[7]: [الكامل]

---

(1) كتاب الجيم 292/2

(2) العَرْمَضَ والعِرْمَاضُ: الطُّحْلُب.

(3) البيت للثقفي في الوساطة بين المتنبي وخصومه: 299 ومعاهد التنصيص 128/1. ومن دون عزو في اللسان (جنن) وشرح نهج البلاغة 20: 46. ونُسبَ إلى ابن الرومي في التبيان 253/1 وهو في ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري: 21؛ ثم استدرك المحقق شاكر العاشور في صفحة 48 فجعله ضمن ما ينسب إلى سويد وإلى غيره من الشعراء، وقال: «بعد الفراغ من طبع الشعر وجدت أن البيت في القطعة [9] منسوب للثقفي في معاهد التنصيص، وفيه قال الثقفي»، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري: 48.

(4) في ديوان سُوَيْد اليشكري: (تَخَبَّرني). وفي معاهد التنصيص: (ولا حُبَّ بالبغضاء).

(5) كتاب الجيم 212/1 (حَظَب).

(6) تصري: مِنْ الصَّرْي؛ قال ابن منظور: «المُصَرَّاةُ هي الناقة أو البقرة أو الشاة يُصَرَّى اللبنُ في ضَرْعها أي يجمع ويحبس، إذا لم تحلبها أياماً حتى يجتمع اللبن في ضرعها». انظر اللسان (صري). الحُظُبَّى: الظهر. وقيل: عِرْقٌ في الظهر.

(7) كتاب الجيم 271/1 (دَحَى).

1 وكأنما كانُوا لمقْتَلِ ساعَةٍ قَرَداً دَحَتْهُ الريحُ كُلَّ سَبِيلِ[1]

*****

حفيدُ ابنِ أبي العَنْبَسِ الثقفي[2]

-1-

قال[3]: [الوافر]

1 يُسَائِلُني غداةَ البَيْنِ جَدِّي وَقَدْ بَلَّتْ دموعُ العَيْنِ نَحْرِي

2 أَمِنْ جَزَعٍ بكيتَ ذَكَرْتَ مِصْراً؟ فقلتُ: نَعَمْ! وما بِي ذكرُ مِصْرِ

3 لكِنْ لِلَّتي خَلَّفْتُ خَلْفِي بَكَتْ عيني وَقَلَّ اليومَ صَبْرِي[4]

4 فمن ذا إن هَلَكْتُ وَحَانَ يومي يُخَبِّر والدي دائي وَأَمْرِي

5 فيحفَظَ أهلُ مكةَ في هَوَائي وإن كانوا أَتَوْا قَتْلِي وَضُرِّي

-2-

قال[5]: [الكامل]

1 رَحَلُوا وكلُّهمُ يَحِنُّ صَبَابَةً شوقاً إلى مِصرٍ وداري بالحَرَمْ

2 ليتَ الركابَ غداةَ حانَ فِرَاقُنا كانت لحوماً قُسِّمت فَوْقَ الوَضَمْ

---

(1) قرد: القَرَدُ ما تمعَّط من الوبر والصُّوف وتلبد. دحته الريح: دفعته وحَرَّكَتْه.

(2) لم أعثر له على ترجمة، ولم أجد له سوى هذه الأبيات. وفي مصارع العشاق 139/2: «حج ابن أبي العنبس الثقفي، فجاور ومعه ابن ابنه، وإلى جانبهم قوم من آل أبي الحكم مجاورون، وكان الفتى يجلس مجلساً يشرف منه على جارية، فعشقها، فأرسل إليها، فأجابته، فكان يأتيها يتحدث إليها، فلما أراد جده الرحيل، جعل الفتى يبكي، فقال له جده: ما يبكيك يا بني، لعلك ذكرت مصر؟ وكانوا من أهل مصر، فقال: نعم، وأنشأ يقول المقطوعة رقم (1) فلما خرجوا عن أبيات مكة أنشأ يقول المقطوعة رقم (2) ثم إن الفتى اعتل، واشتدت علته، فلما وردوا أطراف الشام مات فدفنه جده، ووجد عليه وجداً شديداً ورثاه».

(3) مصارع العشاق 139/2.

(4) في البيت خرم؛ والأصل أن يكون (ولكن).

(5) مصارع العشاق 139/2.

3 راحــوا ســراعــاً يُعملون مَطِيَّهُمْ قُــدُمــاً وبــتُّ مـن الصبابةِ لَــمْ أَنَــمْ

4 طوبَى لَـهُـمْ يبغُون قَصْدَ سبيلِهِمْ والقلبُ مُرْتَهَنٌ بِبيْتِ أبـي الحَكَمْ

*****

رجل من ثقيف

-1-

قال رجل من ثقيف [1]: [البسيط]

مِـنَّـا الــذي تَــرَكَ الـعـوَّامَ مُـنْـجَـدِلاً تنتابُهُ الطيْرُ لحماً بين أحْجَارِ[2]

-2-

قال رجل من ولد سالم بن مالك الثقفي[3]: [الطويل]

1 وَيَوْمُ اللِّوَى أَجْرَى دُمُوعَكَ إِذْ دَعَتْ حَـمَـائِـمُ فِـي فَــيْءِ الأَرَاكِ صَـوَائِـحُ

2 حَوَائِمُ مَا تُـدْرِي الدُّمُوعَ إِذَا بَكَتْ وَهُـــنَّ بِـأَسْــرَارِ الــدُّمُــوعِ بَـوَائِـحُ

*****

(1) قاله رجل من ثقيف يوم العبلاء – وهو من أيام العرب – وقد قتل في ذلك اليوم العوام بن خويلد والد الزبير بن العوام، قتله مرة بن معتب الثقفي.
البيت في العقد الفريد لابن عبد ربه 221/5، وأيام أبي عبيدة 518/2.

(2) في نهاية الأرب: مجندلاً.

(3) البيتان في الموازنة 153/2.

عبد الرحمن بن إسحاق الثقفي(1)

*****

عبد الله بن نمير بن حسوسة الثقفي

قال(2): [الطويل]

1 تَعَزَّ بِصَبْرٍ لا وَجَدِّكَ لَنْ تَرَى ... عِراضَ الحمى إحدى الليالي الغوابرِ(3)

2 كأنَّ فؤادي مِنْ تَذَكُّرِهِ الحِمَى ... وأهلَ الحمى يَهْفُو به ريشُ طائرِ

*****

فقيد ثقيف(4)

-1-

قال(5): [مجزوء الخفيف]

---

(1) هو عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث، ويعرف بعبادٍ القرشي، ويقال الثقفي. ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق 190/34، ولم يورد له شعراً.

(2) له في التذكرة الحمدونية 69/6، ولعبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي في مجموعة المعاني: 153، وللصمة القشيري في تزيين الأسواق: 169. وقد سبق نسبة البيتين وترجيح النسبة في شعر محمد بن عبد الله النميري، وبيان ما بين الاسمين من تحريف وتصحيف واضح.

(3) في مجموعة المعاني: (عراص).

(4) لم أعثر له على ترجمة سوى ما ذكرته بعض المصادر من أنه كان بالطائف في الجاهلية أخوان، تزوج أحدهما امرأة من بني كُنَّة، ثم رام سفراً، فأوصى الأخَ بها، فكان يتعهدها كل يوم بنفسه، فخرجت ذات يوم حاسرة، فرآها أحسن الناس وجهاً وثغراً، فلما علمت أن قد رآها، وَلْوَلَتْ وصاحت وغطت بمعصمها وجهها، فزاده ذلك فتنة، فذهبت بقلبه فَضَنِيَ، وأخذت قوَّتَه حتى عجز عن المشي، ثم عجز عن العقود، وقَدِمَ أخوه، فلما رآه بتلك الحال، قال: مالك يا أخي؟ ما تجد؟ قال: ما أجد شيئاً غير الضعف. فبعث أخوه إلى الحارث بن كَلَدَة طبيب العرب، فلما حضر لم يجد به علة من مرض، ووقع له أن ما به من عشق، ثم نفض رأسه، ورفع عقيرته بالأبيات (مقطوعة رقم 2) فعرف أنه عاشق، فأعاد عليه الخمر، فأنشا يقول (مقطوعة رقم 1) حتى صار مضرب المثل: (أَتْيَهُ مِنْ فقيد ثقيف). ويقال: إن أخاه قال له: طلقتُها ثلاثاً فتزوجْها. فقال: هي طالق ثلاثاً إن تزوجتُها! ثم ثاب إليه ثائب من القوة ففارق الطائف خفراً، فهام في البر فما رئي بعد ذلك، ومات أخوه بعده كمداً عليه.

انظر الخبر في: مجمع الأمثال 382/1، وجمهرة الأمثال 284/1، المستقصى 38/1، 39، الدرة الفاخرة 99/1.

(5) الأبيات عدا الثاني عند الزمخشري في المستقصى في أمثال العرب 38/1، 39، والأبيات (1، 6، 7) في لسان العرب

1 أيــهـا الــجِــيــرَةُ اسْــلَــمُــوا   وقِــفُــوا كــي تُكَلِّمُوا[1]

2 وَتُــقَــضُّــوا لُــبَــانَــةً   وَتُــحِــبُّــوا وَتَــنْــعَــمُــوا

3 أخــذ الــحــيُّ حــظَّــهُــمْ   مــن فــؤادي فأنعموا[2]

4 فــهــمــومــي كــثــيــرةٌ   وفــؤادي مــتــيــمُ

5 وأخــو الــحــبِّ جــســمُــهُ   أبــدَ الــدهــر مُــسْــقَــمُ

6 خَــرَجَــتْ مُــزْنَــةٌ مِــنَ الــ   بَــحْــرِ ريَّــا تَجَمْجَمُ[3]

7 هــي مــا كَــنَّــتِــي وتَــزْ   عُــمُ أَنِّــي لَــهــا حَــمُ[4]

- 2 -

قال[5]:   [الهزج]

1 ألا رفــقــاً ألا رفــقــاً   قــلــيــلاً مــا أكــونَــنَّــهْ

2 يَــهِــيــجُ مــا يــهــيــجُ وَيَــذْكُــرُ   أيــهــا الــقَــلْــبُ الــحــزيــنُ مــا يكُنّهْ[6]

3 أَلَــمَّــا بــي عــلــى الأَبْــيَــا   تِ بــالــخِــيــف أزُرْهُــنَّــهْ

(حما)، قال ابن منظور: قال ابن بري عنها إنها: «لفقيد ثقيف»، وهي أيضاً عند الميداني في مجمع الأمثال 382/1 والأبيات (1، 6، 7) أيضاً في مصارع العشاق 209/2، 210، والبيت (7) من دون نسبة في التلخيص 188/1 والاشتقاق: 28 وذكر المحقق في حاشية الاشتقاق البيتين (1، 6) نقلاً عن اللسان.

(1) في الجليس الصالح ومصارع العشاق: (كي تُحيَّوْا وتُكْرَمُوا).

(2) في المستقصَى: (حظهم).

(3) في الجليس الصالح ومجمع الأمثال والمستقصى: (تَحَمْحَم).

(4) في مصارع العشاق: (لم تكن كَنَّتي..... حمو). في الاشتقاق: (وأزعم..... حَمُو).

الحمو: امرأة الابن، وتقال لامرأة الأخ وابن الأخ، أو أبو زوج المرأة وأبو امرأة الرجل.

(5) مجمع الأمثال للميداني 382/1 عدا الأول، والأبيات (3، 4، 5) في المستقصى في أمثال العرب39/1. والبيت الثالث بلا نسبة في لسان العرب وتاج العروس (كنن). والأبيات (1، 3، 4، 5) في عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 166.

(6) في مصارع العشاق: «قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة المصري: البيت الثاني من هذه الأبيات مضطرب. وأرى بعض من رواه كسره وأخل ببنائه ونظمه؛ لأنه لم يكن له علم بوزن الشعر وترتيبه». انظر مصارع العشاق 209/2.

4 غـــــزَالاً مــا رأيـــــت الـيـو م فـــي دُوْرِ بـنـي كُـــنَّـــهْ[1]

5 غَـــــزَالٌ أَحْـــــوَرُ الـعَـيْـنَـيْـن وفــــي مَـنْـطِـقِـهِ غُـــنَّـــهْ[2]

*****

موسى الثقفي[3]

قال[4]: [الوافر]

1 فما شـيءٌ بأحسـنَ من خُـوَانٍ أتـاك يـزفُّـهُ خَـلَـقُ الثيابِ[5]

2 وقـد نـاجـاكَ سِـرُّ الـجـوعِ حتى تعلَّق خمصُ بطنِكَ بالحجابِ

3 فتَغْمِسُ خَمْسَ كَفِّكَ في ثريدٍ بـلَـقْـمٍ مثل مُنْكمِشِ الذِّهـابِ

4 كـأنَّ دَوِيَّـــهُ في الحَلْقِ لمَّا هـوى، رَعْـدٌ يُهمهمُ في سَحابِ

*****

نساء ثقيف

قالت نساء ثقيف[6]: [الرجز]

1 لَـتُـبْـكَـيَـنَّ دُفَّـــاعْ[7]

(1) في مجمع الأمثال ولسان العرب وتاج العروس: (غزال ثم يحتل بها دور). وفي المستقصى: (غزال ثم تحتل بها دور). بنو كُنَّه: بطن من ثقيف.

(2) في عيون الأنباء: (أسيل الخد مربوب).

(3) لم أعثر له على ترجمة.

(4) التذكرة الحمدونية 130/9 وفي مجموعة المعاني: 531.

(5) في مجموعة المعاني: (شرٌّ..... أنال بزِقِّه خَلَقَ).

(6) لما أرسل رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب لهدم طاغية ثقيف، وخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف؛ أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه وقال: ادخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بذي الهضرِم، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول؛ قام قومه بنو معتب دونه خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً يبكين ويقلن ما سبق.
الأبيات في نهاية الأرب 64/18 وفي سيرة ابن هشام 195/4.

(7) لقبت بدُفَّاع لأنها كانت تدفع عنهم، وتنفع وتضر على زعمهم.

2 أَسْــلَــمَــهَــا الرُّضَّاعْ[1]

3 لــم يُـحْـسِـنُـوا المِصَاعْ[2]

*****

(1) الرُّضَّاع: اللئام.

(2) المصاع: المضاربة بالسيوف.

خامساً: شعراء نُسِبوا إلى ثقيف
وليسوا منهم

بَشِيرُ بنُ النِّكْثِ الثقفي(1)

-1-

قال(2): [الرجز]

وَلَّـتْ وَدَعْــوَى مَـا شَـدِيـدٌ صَخَبُهْ

-2-

قال(3): [الطويل]

1 يقولون صَاهِرْ حتى تغلبَ تَسْتَعِنْ ... بـمـالٍ وتُـجْـبَـرْ بالختونَةِ والصِّهْرِ

2 وإني لفالُ الرأي إنْ تغلبُ اشترت ... مـفـداةَ مـنـي [في] مـحـاذرة الفقرِ

(1) هو بشير بن النكث الكليبي اليربوعي من بني كليب بن يربوع قوم جرير بن عطية الشاعر، ويقال في اسمه: بشر، وبُشَيرْ، وهو شاعر راجز أموي وفد على بعض خلفائهم، ونقل ابن ماكولا وابن عساكر عن المرزباني أنه «كان يهاجي نوحاً وبلالاً ابني جرير»، ويؤكد ذلك أن أبا عبيد أنشد له شعراً «وهو يهاجي نوح بن جرير». وقد نسب إلى بني كليب في عدد من المصادر توهماً أو تصحيفاً؛ لأن النسبة إلى كليب بن يربوع تكون على صيغتين فيقال: فلان الكليبي بإثبات الياء، ويقال فلان الكُلَبي ويتصحف الكليبي إلى الكلبي لتشابه الرسم أيضاً، وقد حرف نسب بشير بن النكث عند بعض العلماء، فنسبته إلى ثقيف لتشابه الرسم أيضاً بين (الثقفي) و(الكليبي). ذكره الآمدي في المؤتلف: 79 وجعله يربوعياً، وذكره القالي في الأمالي 94/1، والذيل: 56 بعد أن أورد له شعراً ولكن جعله كلبياً، كما أورد له ابن الأعرابي شعراً (116) وقد ذكره سيبويه 228/2 وكذلك الفيروز آبادي في التاج: (نكث)، وذكره ابن منظور في مادة (نكث)، وفي مادة (دعا) وجعله بصيغة التصغير: بُشَيرْ. وقال محقق الحماسة البصرية عن الشاعر 770/2: «في جميع النسخ: بشر، والتصحيح من سائر المصادر، ونص عليه صاحب التاج فقال: والنكث والد بشير الشاعر».

(2) البيت لبشير بن النكث في اللسان (دغر)، وله أيضاً في مادة (دعا) برواية (وَلَّتْ دَعْوَاها).

(3) خرج بشير بن النكث الثقفي إلى الشام قاصداً بعض بني مروان فأخفق بكلتا يديه، يعني بأخفق: خاب، ولم يصب ما يريد، فمر بحي تغلب، ومعه بنت له يسميها اسمين: مفداة وسليمة، فنزل بحي تغلب فقالوا له: لو أذنت لنا زوجنا بنتك بعض فتياننا، فسقطت عنك مؤونتك، وأخصب رحلك، وصلحت معيشتك. فأنشأ يقول الأبيات السابقة، انظر: معجم الشعراء من تاريخ دمشق 410/1.

الأبيات جميعها في معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 410/1 رقم الشاعر (38)، والأبيات (3، 4، 5) في الحماسة البصرية 770/2 وقال المحقق في تخريجها: «لم أجدها، ولكنها في حفظي».

وقد ذكر محقق الحماسة البصرية أنه لم يجد له ترجمة؛ لكني وجدت له ترجمة في الإكمال 300/1، والمؤتلف والمختلف للآمدي 61 والقاموس المحيط: نكث، وتبصير المنتبه 92/1، واللسان، والتاج: (نكث) وهو في المطبوع بتحقيق الشيخ محمد أحمد دهمان، وترجمته مما أسقطه ابن منظور من مختصره، وهي عند بدران في تهذيبه 257/3 وهي في مصورة التاريخ 358/3.

3 ألا ليت شعري إنْ سُلَيْمَةُ خانها بيَ الموتُ ما تلقى من الناس والدهْرِ[1]

4 إذنْ ظلموها حقها وتضافروا عليها، وعَيَّت بالخصومَةِ والأَمْرِ[2]

5 أتدعو أباها، والصفائح دونه ولبيكِ لو أني أجيب من القبر[3]

- 3 -

قال[4]: [الرجز]

1 حَلاَ عَنَاءُ الراسياتِ فَهَدَرْ

2 رَغْرَغَةً رَفْهاً إذا الوِرْدُ حَضَرْ

- 4 -

قال[5]: [الرجز]

1 عَوْدٌ على عَوْدٍ لأقوامٍ أُوَلْ

2 يموتُ بالتَّرْكِ ويحيا بالعَمَلْ

3 قد احتذى من الدِّمَاءِ وانْتَعَلْ

4 وكبَّرَ الله وسَمَّى وَنَزَلْ

5 بمنزلٍ ينزِلُهُ بَنْو عَمَلْ

6 لا ضَفَفٌ يَشْغَلُهُ ولا ثَقَلْ

---

(1) في الحماسة البصرية: (فاتها).

(2) في الحماسة البصرية: (إذا..... وتناصروا عليها ولجوا في القطيعة والهجر).

(3) في الحماسة البصرية: (فتدعو...... أجبتُ).

(4) انظر اللسان (رغغ).

(5) البيتان (1، 2) في اللسان (عود) و(وأل)، والأبيات (3، 4، 5، 6) أيضاً في اللسان (ضفف)، وقد نسب صاحب اللسان الأبيات إلى بشير بن النكث، فلعله بشير بن النكث الثقفي أو غيره.

ظبيان بنُ كَرَّادٍ الإيادي

قال(1): [الطويل]

1 فَأَشْهَدُ بِالْبَيْتِ العتيقِ وبِالصَّفَا ... شَهَادَةَ مَنْ إِحْسَانُهُ مُتَقَبَّلُ

2 بِأَنَّكَ مَحْمُوْدٌ لَدَيْنَا مُبَارَكٌ ... وَفِيٌّ أَمِينٌ صَادِقُ الْقَوْلِ مُرْسَلُ

*****

قُتَيْلَةُ بِنْتُ الحارث بن كلدة

قالت(2): [الكامل]

(1) قدم ظبيان على رسول الله ﷺ في خبر طويل يرويه أهل الأخبار والغريب، وأقطعه رسول الله قطعة من بلاده، انظر: منح المدح: 141، أسد الغابة 492/2.

ذكرهما ابن سيد الناس في منح المدح: 141، وعَلَّق على ظبيان بقوله: «ذكره أبو عمر وقال: يقال الثقفي»، وله ترجمة في أسد الغابة 492/2 وهو عنده ظبيان بن كُرَادَة. والحق أن البيتين مع أربعة أبيات أخرى عند الهمداني في صفة جزيرة العرب: 376، 377 لظبيان بن كدادة؛ حين اختصمت قبيلتا ثقيف ومراد واحتكموا جميعاً إلى رسول الله في أرض الطائف، فلم يردها رسول الله على مراد، بل قضى بها لثقيف، وقنع ظبيان بن كدادة وأنشأ البيتين السابقين وأبياتاً أخرى:

أَتَـيْـتَ بـنـور يُـسْـتَـضَـاءُ بمثله ... ولا عَيْبَ في القولِ الـذي يُنتحلُ

عليكَ قَبُـولٌ من إلـهي وخالقي ... وسيماءُ حـقٍّ سعيُـهَا متقبَّلُ

حـلفْـتُ يميناً بـالمحجَّب بيتُهُ ... يمينَ امرئ بـالـقـول لا يتَنَحَّلُ

بـأنـكَ قسْطَاسُ البريةِ كلِّها ... وميزانُ عَـدلٍ مـا أَقـامَ المشلَّلُ

وعليه ليس هذا الشاعر ثَقفياً، ولا الأبيات من شعر الثقفيين في شيء.

(2) ذكر ابن الأثير ترجمة «قُتَيْلَةَ» ومناسبة الأبيات وقال: «هي التي قالت الأبيات القافية في رسول الله، لما قَتَلَ أباها النضر بن الحارث يوم بدر». ثم قال: «لما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى أخضلت الدموعُ لحيتَهُ، وقال: «لو بلغني شعرُها قبل أن أقتلَه ما قَتَلْتُهُ»». وذكر الزبير قال: «فرَقَّ رسول الله ﷺ حتى دَمِعَتْ عيناه، وقال لأبي بكر: «يا أبا بكر لو سمعتُ شعْرَها لم أقتل أباها»».

وقد وهم ابن أبي أصيبعة حين نسب النضر فجعله ابن الحارث بن كلدة الثقفي، ثم إنه ساق شيئاً عن النضر فقال: «هو ابن خالة النبي ﷺ، وكان النضر قد سافر البلاد أيضاً كأبيه»! «وكان النضر يؤاتي أبا سفيان في عداوة النبي ﷺ لكونه كان ثقفياً»!!

واستناداً إلى ما وقع فيه من خلط في النسب استشهد بحديث النبي فوضعه في غير موضعه؛ معللاً سبب تلك العداوة للنبي، والتآمر مع أبي سفيان بقول النبي ﷺ: «قريش والأنصار حليفان، وبنو أمية وثقيف حليفان»!!

وقد وقع في الخطأ ذاته بعض الباحثين المعاصرين من أمثال عبد الله الماجد في مقاله: (الحارث بن كلدة حكيم العرب) ونشره في مجلة العرب السعودية سنة 1387هـ= 1967م. وردد الباحث أقوال ابن أبي أصيبعة جرياً وراءه متعجلاً

1 يـا رَاكِـبـاً إنَّ الأثَـيْـلَ مَظِنَّـةٌ	مِـنْ صُبْح خَامِسَـةٍ وَأَنْـتَ مُـوَفَّـقُ
2 أَبْـلِـغْ بِـهـا مَـيْـتـاً بـأَنَّ تحيةً	مَـا إِنْ تَـزَال بها الركـائب تُـعْـنِـقُ
3 مِـنـي إِلَـيْـهِ وَعَـبْـرةٌ مَـسْـفُـوحَـة	جَـادَتْ لِـمـاتِـحِـهَـا وأخـرى تَـخْـنُـقُ
4 فَلَيَسْـمَعَنَّ النـضْـرُ أَنْ ناديتُـهُ	إن كـان يَـسْـمَـعُ مَـيِّـتٌ أو يَـنْـطِـقُ
5 ظَـلَّـتْ سيوفُ بَـنـي أبـيـه تَنُوشُهُ	للهِ أَرْحَـــامٌ هـنـاك تَـمَـزَّقُ
6 صَـبْـراً يُـقَـادُ إِلَـى المنيةِ مُتْعَباً	رَسْـفَ الـمقَيَّـدِ وَهْـوَ عَـانٍ مُوثَـقُ
7 أَمُـحَـمـدٌ وَلأَنْـتَ نَسْـلُ نجيبةٍ	فـي قـومـهـا، والفـحـلُ فـحـلٌ مُـعْـرِقُ
8 ما كـان ضَـرَّكَ لَـوْ مَنَنْتَ وَرُبَّـمـا	مَـنَّ الفَتـى وَهْـوَ المغيظُ المحْنَقُ
9 والنضرُ أقـربُ مَـنْ أَخَـذْتَ بِـزَلَّـةٍ	وأحـقُّـهـم إنْ كـانَ عِـتْـقٌ يُـعْـتَـقُ

من دون تحقيق أو تمحيص، فوقع كما وقع، وخلط كما خلط بين الحارث بن كلدة الثقفي والنضر بن الحارث بن كلدة العبدري، وأورد أربعة أبيات من القصيدة.

والحق أن ما ذكره ابن أبي أصيبعة في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء 167–170) ومن تبعه ونحا نحوه؛ خطأ ولا وجه له، ذلك أن النسب غير صحيح، فقد ذكرت الأنساب والتاريخ والتراجم، مثل: نسب قريش: 255 وكامل ابن الأثير 26/2 والإصابة: كتاب النساء: ت 889 وأسد الغابة 244/6، 245 وأنساب الأشراف 142/1–144 وأعلام الزركلي 33/8 و190/5 ذكرت نَسَبَهُ ونَسَبَ أخته أو ابنته قُتَيْلَة – على اختلاف في ذلك وإن كان البلاذري يرجح أنها ابنة النضر– كالآتي: النضر بن الحارث بن علقَمة بن كَلدة بن عبد مناف من بني عبد الدار من قريش، صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها ومن شياطينها، وله اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في الحيرة، وقيل هو أول من غنى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النبي، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية، وآذى رسول الله كثيراً، وكان إذا جلس النبي مجلساً للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضر بعده فحدث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ويقول: أنا أحسن منه حديثاً! إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين! وفيه– كما يذكر ابن كثير– نزلت الآيتان (6، 7) من سورة لقمان: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾.

أسره المسلمون يوم بدر، وقد عقد ابن هشام في السيرة 321/2، 323 فصلاً بعنوان (من قُتل ببدر من المشركين) ذكر فيه من بني عبد الدار بن قُصَي النضرَ بنَ الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف، قتله علي بن أبي طالب صبراً عند رسول الله بالصفراء وقال ابن هشام بالأُثَيْل.

وعند ابن حجر في الإصابة والجاحظ في البيان والتبيين ما مؤداه: عرضت قتيلة (وسماها الجاحظ: ليلى) للنبي ﷺ، وهو يطوف بالبيت واستوقفته، وجذبت رداءه، حتى انكشف منكبه، وأنشدته أبياتها هذه، فرق لها حتى دمعت عيناه.. وفي الرواة من يرى أن الشعر مصنوع، وأن النضر لم يقتل صبراً وإنما أصابته جراحة فامتنع عن الطعام والشراب ما دام في أيدي المسلمين فمات. انظر الأعلام 33/8. وعلى هذا فليست قتيلة بنت النضر بن الحارث ثقفية.

10 لَــوْ كـنـتَ قــابِــلَ فـديـةٍ لَـفَـدَيْـتُـهُ   بــأعــزِّ مــا يُــفْــدَى بِـــهِ مَـــنْ يُـنْـفِـقُ

*****

سادساً: المستدرك على الدواوين المطبوعة

في أثناء البحث عن أشعار ثقيف من مختلف المصادر والمراجع وأمهات الكتب، وقع تحت يدي مجموعة من المقالات والكتب للدارسين والباحثين المعاصرين، الذين قاموا بجمع شعر بعض الشعراء الثقفيين، وحتى لا يكون هناك تكرار للعمل نفسه- إذ إن أولاء قد كفونا مؤونة البحث- فإني استبعدت شعر هؤلاء الذين جُمِع شعرهم من الديوان، وإن لم أُسقِط شعرهم من الدراسة. ومن هذه الكتب والدراسات ما يأتي:

- ديوان أمية بن أبي الصلت: بتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي.
- أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: تحقيق ودراسة للدكتور بهجة الحديثي.

وقد وجدت أبياتاً لأمية بن أبي الصلت غير موجودة في ديوانيْه؛ أخلت بهما دراستا السطلي والحديثي؛ فأثبتُّها ضمن الاستدراكات.

ثم إنه وقع تحت يدي مصورة مخطوطة لقصيدة أمية بن أبي الصلت الداليَّة، فقدمتُ لها بمقدمة[1] ذكرت مصدَرَها، وأثبتُّ إسنادَ القصيدةِ، وعرضتُها باختلاف رواياتها في طبعتي الديوان للسطلي والحديثي.

- شعراء أمويون دراسة وتحقيق: للدكتور نوري القيسي، وقد تضمنَتْ دراسةً عن شاعِرَيْن ثقفيَّيْن كان الدكتور القيسي قد نشرها في مجلة المجمع العراقي قبل ذلك- والشاعران هما: محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي- وطريح بن إسماعيل الثقفي بعنوان: شاعران ثقفيان، وكان قد سبق ذلك دراسة أخرى عن يزيد بن الحكم الثقفي.

وقد بذل الدكتور القيسي فيها جهداً كبيراً، فهي ذات قيمة كبيرة تمتاز بالأصالة، وتستحق الإشادة، لكن عملية الجمع لشعر محمد بن عبد الله بن نمير وشعر يزيد عليها الكثير من الملاحظات والاستدراكات، وقد توافر لي أثناء الجمع مجموعة أبيات، فضلاً عما وقع في جمع القيسي من تحريف وتصحيف، وضبط غير صحيح يجعل الأبيات مضطربة المعنى، عسيرة القراءة، مع كونها بحاجة إلى تحري الدقة، وتوخي الحذر في نسبة بعض الأبيات إلى قائليها.

---

(1) سوف يأتي الحديث عن مصورة مخطوطة القصيدة الدالية في الصفحات القادمة.

ولذا فإني جمعت ما استدركْتُه على جمع الدكتور القيسي من أبيات لكلا الشاعرين، وكذلك صوبْتُ ما قطع فيه الدكتور القيسي وجزم بنسبته إلى محمد بن عبد الله النميري ويزيد بن الحكم من أشعار، وهي ليست كذلك، إذ تعجل نشرها، فلم يستقص استخراجها من مظانها المختلفة، فكانت النسبة غير دقيقة، فاستدركت ذلك عليه من الكتب ودواوين الشعر، التي ربما لم تكن وقت جمعه حُقِّقَتْ أو طُبِعَت بعد.

وقد فصَلْتُ بين ما كان خالصاً للشاعر، وبين ما نسب إليه بعنوان: (الشعر المنسوب إلى محمد بن عبد الله النميري وإلى غيره من الشعراء) والعنوان نفسه صنعته ليزيد بن الحكم، والحجاج بن يوسف الثقفي.

ثم إني وجدت بعض الأبيات في جمع القيسي أشتاتاً متفرقات، فألَّفْتُ بين هذا المتناثر الأشتات وضممتُ بعضه إلى بعض ما دام متفقاً في موضوعِهِ ونسيجِهِ، متحداً في وَزْنِهِ وقافيتِهِ، حتى كان في قصيدة واحدة، وجعلت فاصلاً منقوطاً حتى يعلم القارئ أن القصيدة ليست مجتمعة على هذا النحو في مصادرها، وأشرت إلى ذلك.

- دراستان قدمهما الدكتور بدر ضيف؛ إحداهما بعنوان: غيلان بن سلمة الثقفي وما تبقى من شعره، والثانية بعنوان: شرح طريح بن إسماعيل الثقفي جمع وتحقيق ودراسة، وهما بحثان قيمان، لاسيما دراسته ذات القيمة الفنية التحليلية لشعر طريح، وقد أفدت من الدراستين إفادة كبيرة، وإن كنتُ قد استدركت عليه أبياتاً لغيلان بن سلمة[1]، وأربعة أبيات أخرى لطريح سقطت من جمع الدكتور بدر ضيف، فأثبتُّها ضمن الاستدراكات.

(1) قارنتُ ما وجدته من أبيات لغيلان بن سلمة بما في ديوان شعر ذي الرُّمة (غيلان بن عُقْبة العدوي) ظنّاً مني أنه لربما وقع خلط ما بين الاسمين في المصادر، فلم أجد شيئاً، فرجَّحت أن تكون الأبيات التي استدركتُها خالصة لغيلان ابن سلمة الثقفي.

استدراكات على المجموع من شعر

أمية بن أبي الصلت

-1-

قال(1): [الوافر]

1 حَـنَـانَـيْ رَبِّـنَـا وَلَـهُ عَـنَـوْنَـا نُـعَـاتِـبُـهُ لَـئِـنْ نَـفَـعَ الـعِـتَـابُ

....

2 طَعَامُهُمُ لَئِنْ أكَلُوا مُعَنٌّ وَلأْيـاً مَا تُحَاكُ لَهُمْ ثِيَابُ

-2-

قال(2): [الطويل]

1 فَلَمَّا أَتَتْنِي رَاعَنِي حِفْشُ بَيْتِهَا وَإِعْلابُها بالْقَوْلِ لا تَتَرَقَّبُ

....

2 وَقُلْتُ لَهُمْ مَاذَا تَقُولُ وَأَعْلَنَتْ بِبَغْضَائِنَا وَالْتَجَّ لِلْحَيِّ أَزْيَبُ

---

(1) كتاب الجيم 291/2 (العنوّ) و(المعَن)، وقد جمعت بين البيتين لاتفاقهما وزناً وقافية.

العنوّ: الخضوع والطاعة.

البيت الأول: أورده صاحب اللسان (حتم):

حـنـاني ربِّـنـا ولـه عَـنَـوْنَـا بِـكَـفَّـيْـه المَـنَـايَـا والْحُـتُـومُ

وأورده محقق الديوان (السطلي) بهذه الرواية، وذكر أنها وردت برواية أخرى في الصحاح والمقاصد وأدب الكتاب والاقتضاب:

عِـبَـادُكَ يُـخْـطِـئُـونَ وَأَنْـتَ رَبٌّ بِـكَـفَّـيْـكَ المَـنَـايَـا لاَ تَمُـوتُ

وعلى هذا فإن الرواية التي استدركتها بصدرها وعجزها لم ترد في ديوان أمية.

(2) كتاب الجيم 212/1 (حفش)، والبيت الثاني أيضاً في كتاب الجيم 82/2 (الأزْيَب). جمعت بين البيتين لاتفاقهما فكرةً ووزناً وقافيةً.

حفش بيتها: صغر بيتها. الْتَجَّ: اشتدَّ. الأزيب: الخصومة والعداوة، انظر القاموس (زيب).

- 3 -

قال أمية[1]: [مجزوء الكامل]

لــم يُـــكْـــدِ حَـــافِـــرَهُ وَلَـــ ــكِـنْ حَـشْـــرَجٌ خُـسِـفَـتْ قَـلِـيـبُـهْ

- 4 -

قال في الإكتات[2]: [الكامل]

وَسَـجَـا مَـسَـافَـةَ مَـا تَـرَى فَـأَكَـتَّـهُ لَـوْ شَـاءَ جَـاءَ بِـعِـلْـمِـهِ فَـتَـلَـبَّـدُوا

- 5 -

وقال[3]: [الكامل]

بِـالْـمـاءِ جَـازِمَـةٌ وَلاَ يَـعْـكُـو بِـهَـا جَـبَـلٌ وَتُـرْوِيـنَـا إِذَا نَـسْـتَـوْرِدُ

- 6 -

وقال في الرغد[4]: [الكامل]

لِلّهِ أُمُّ الـجَـاهِـلِـيـنَ أَلَـــمْ يَـــرَوْا مَـــاذَا يُـضَـنُّ بِـــهِ وَمَـــاذَا يـرغَـدُ

- 7 -

وقال في الفديد[5]: [الوافر]

وَعَصْرُ الزَّيْتِ في قَرَيَاتِ بُصْرَى لَـهُ فـي كُـلِّ مَـعْـصَـرَةٍ فَدِيدُ[6]

(1) كتاب الجيم 213/1 (حشرج).
حَشْرَجَ: ردَّدَ صوت النفس في حلقه من غير أن يخرجه بلسانه.
(2) كتاب الجيم 178/3 (الإكتات).
الإكتات: الفراغ منه، تلبدوا: تفرَّشوا.
(3) كتاب الجيم 292/2.
(4) كتاب الجيم 39/2 (رغد).
(5) كتاب الجيم 58/3 (فدد).
(6) الفديد: رفع الصوت أو شدته، أو صوت كالحفيف.

- 8 -

قال في العُقَر[1]: [البسيط]

وَمَــنْ يَـقُـلْ إِنَّــهُ طَـالَـتْ سَـلاَمَـتُـهُ فَـإِنَّ عُـقْـرَ الَّـذِي يُشْكَى لَـهُ الكِبَرُ

- 9 -

وقال في العاهن[2]: [البسيط]

والْـمَـرْؤُ مُضْغَتُهُ والـدَّهْـرُ شَفْرَتُه ضَيْفٌ وَهَـذَا لَـهُ مِنْ عَاهِنٍ جَزَرُ[3]

- 10 -

قال أمية[4]: [الخفيف]

لا أَرَى نَـاجِـيـاً مِــنَ اللهِ يَـخْـلُـو ذَا جَـنَـاحٍ كَـهْـلاً وَلاَ عُـصْـفُـورَا

- 11 -

قال أمية[5]: [الخفيف]

أَنْــتَ مَـا عِـشْـتَ في الـحَـيَاةِ رَبِـيـعٌ فَـــإِذَا حُـلْـتَ حَــالَ كُـلُّ صَـدِيـقِ

---

(1) كتاب الجيم 287/2 (عُقَر).

(2) كتاب الجيم 287/2 (العاهن).

(3) العاهن: الحاضر.

(4) كتاب الجيم 178/3.

الكهل: العظيم.

(5) كتاب الجيم 212/1 (حال).

حال أي: تَغَيَّر. وقد أعقب أبو عمرو هذا البيت ببيتين آخرين في الديوان هما:

إن وَجّـاً وَمَـا يَـلـي بَـطْـنَ وَجٍّ دارُ قـومـي بِـرَبْـوَة وَرُتُـوق

دارُ قَـوْمـي بِمَـنْـزِلٍ غَـيْرِ ضَنْكٍ مَـنْ يُـرِدْنـا يَـكُـنْ لأَوَّلِ فُـوقِ

- 12 -

قال الثقفي في الفليق(1): [السريع]

لسْتُ بِسَاعٍ حِينَ أَنْ أَحْمَسَتْ بِأَسْهُمٍ مَلْعُونَةٍ وَالْفَلِيقْ

- 13 -

قال أمية في القمطرير(2): [السريع]

بِزَّةُ مَحْمُودٍ إِذَا شَمَّرَتْ بِعَنْقَفِيرٍ قَمْطَرِيرٍ صَلُوقْ

- 14 -

قال أمية في القنطار(3): [البسيط]

ولا لِقَوْسٍ وَلاَ طِيبٍ وَلاَ خَدَمٍ ولا قَنَاطِيرِ أذهابٍ وَأَوْرَاقِ

- 15 -

قال أمية في الكيان(4): [الخفيف]

ايتِ سُفْيَانَ إِنْ أَرَدْتَ عُلُوّاً فِي كِيانٍ تُهِمُّ مَنْ يَغْشَاكَا

- 16 -

قال أمية في الراتب(5): [الخفيف]

---

(1) قال محقق كتاب الجيم في الحاشية 58/3: «في نسخة الحامض: جير أن أخمست» والبيت سقط من السطلي والحديثي في جمعهما ديوان أمية بن أبي الصلت. قال المحقق أيضاً: وقول أبي عمرو: «قال الثقفي» يعني أمية بن أبي الصلت.

(2) كتاب الجيم 134/3 (القمطرير) وفي التاج (قمطر).
القمطرير: الشديد.

(3) كتاب الجيم 134/3 .

(4) كتاب الجيم 178/3 وفي القاموس (كون).
واكتان: تكفل به.

(5) كتاب الجيم 33/2 (رتب).

مِـنْ شَـآبِيـبَ فـي الـنَّـوَائِـبِ تُعْطِي رَاتِـبـاً فَــوْقَ معـشَــرِي كَـصَّــاكَـا

- 17 -

قال(1): [الخفيف]

أَنْـتَ كَالشَّمْسِ رِفْعَةً سُدْتَ دَهْـراً وَبَـنَـى الْـمَـجْـدَ يَـافِـعـاً وَالِـدَاكَــا

- 18 -

قال في الأرماث(2): [الوافر]

وَمَـنْ يَـذْهَـبْ إلى قَـدَدِ ابنِ سُعْدَى فَـقَـدْ دَلَّــى بِــأَرْمَــاثِ الـضَّــلاَلِ

- 19 -

قال(3): [الوافر]

وَنَـهْـبٍ قَـدْ حَـوَيْـتُ غَـدَاةَ حَـرْبٍ بِـمَـاضٍ كـالـشِّـهَـابِ لَـهُ أَلِـيـلُ

- 20 -

قال(4): [الوافر]

تَــرَى فِـيـهِ الـنِّـعَـاجَ مُـعَـشِّـرَاتٍ وَأَذْيَـــالُ الـرِّمَـاحِ بِـهِ تَـهِـيـمُ

راتب: ثابت دائم.

(1) كتاب الجيم 13/2، الأضداد للأنباري: 150 من دون عزو.
في الأضداد: (رَهْواً).

(2) كتاب الجيم 33/2 (رمث)
الأرماث: جمع رمث؛ وهو الحبل الخَلِق.

(3) كتاب الجيم 221/3 في اللسان (ألل).
الأليل: اللمعان.

(4) كتاب الجيم 291/2 (عشر).
المعشرات: هي التي توالى أصواتها.

- 21 -

قال أمية في الزنيم[1]: [الوافر]

تُـحَـوِّلُ شَـيْـبَ شَـارِبِـهَـا شَـبَـاباً وَمَـــاءُ الـزَّنْـجَـبِـيـلِ بِـهَـا زَنِـيـمُ

- 22 -

قال أمية في الاعتساس[2]: [الطويل]

وَإِنَّ الَّــذِي يَعْتَسُّنَا مِــنْ وَرَائِــهِ مِـنَ الْـمَـاءِ يَسْقِيهَا بِـحَـاراً سَوَاجِيَا

- 23 -

وينسب إلى أمية[3]: [الطويل]

وإنَّ أبَـا قَـابـوسَ عِـنـدي بَـلاؤُهُ جـزاءً لِـنُـعْـمَـى مَـا يَـحِـلُّ كُـنُـودُهَـا

---

(1) كتاب الجيم 82/2 (زنم)

الزنيم: المعلق.

(2) كتاب الجيم 287/2 (عسس).

اعتس الشيء أي: طلبه أو قصده ليلاً.

(3) البيت لأمية في كتاب الجيم 178/3 (الكنود)، وهو ضمن قصيدة مؤلفة من ثمانية وعشرين بيتاً في ديوان المثقب العبدي: 102، 103 وفي منتهى الطلب 9/4 وفي المفضليات: 151.

في المفضليات ومنتهى الطلب: (فإن ..... بلاؤها جزاء بنعمى لا يحل)

أبو قابوس: النعمان بن المنذر، ويقال لعمرو بن هند أيضاً أبو قابوس، انظر ديوان المتلمس: 280، 302 وأنساب الأشراف 92/1، 100، 103. كند: كفر بالنعمة وجحدها. بلاؤها: هلاكها؛ يعني أنه سيضنيها ولا يضن بها.

مصورة مخطوط دالية أمية بن أبي الصلت

لقد كان من توفيق الله تعالى لي وحسن صنيعه بي أن يسر لي الاطلاع على مصورة مخطوطة للقصيدة الدالية النادرة لأمية بن أبي الصلت الثقفي، التي تبعثرت أبياتها في شتى المظان والمراجع، واجتهد المحققون في جمع أبياتها وترتيبها على النحو الذي اعتمده أمية في كتابة هذه القصيدة.

وقد حقّق تلك القصيدة الباحث محمد عزيز شمس، عن نسخة مخطوطة وقع عليها مكتوبة بخط نسخي قديم قبل سنة 631هـ، ونشرها في مجلة المجمع العلمي الهندي عدد يونيو 1983م – رمضان 1403هـ في المجلد الثامن ص 326- 344 بعنوان دالية أمية بن أبي الصلت الثقفي، وقدم لها بمقدمة ضافية كشف النقاب فيها عن مخطوطة القصيدة الدالية، وأنه توجد نسخة خطية منها في دار الكتب الظاهرية بدمشق، ولكنها سقطت من قسم الشعر في (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية) الذي أعده عزة حسن ونشره في 1964م، وعلى هذا لم يطلع الباحثون عليها حتى عبد الحفيظ السطلي. وذكر أن فؤاد سزكين قد أخطأ حين أشار إليها في كتابه؛ إذ إنه أشار إلى قصيدة «لامية» في حين أن هذه دالية.

ثم إن الباحث طفق في مقاله يحقق هذه القصيدة؛ مستأنساً بالنسخة الثانية، مثبتاً الفروق بين نسختي القصيدة، ليصل في نهاية المطاف إلى أن القصيدة في هذه النسخة الخطية تحتوي على 57 بيتاً سبعة وخمسين بيتاً، وأن هذه الرواية أكمل من الرواية الموجودة في طبعات الديوان المختلفة، فهي 38 بيتاً ثمانية وثلاثون بيتاً في: (شعراء النصرانية) للويس شيخو، وطبعة شولتهس، وبشير يموت.

وقد أورد الدكتور السطلي الأبيات الثمانية والثلاثين وزاد عليها أربعة أبيات من مصادر أخرى، ثم إنه استدرك على الديوان فألحق به هذه القصيدة نقلاً عن (عيون التواريخ) لابن شاكر الكتبي، برواية تشبه رواية النسخة الخطية التي بين أيدينا، وترتيبها أيضاً مثلها؛ إلا أنها في 56 بيتاً ستة وخمسين بيتاً، وينقصها البيت رقم 44، وتختلف في بعض الألفاظ والكلمات

عن المخطوط. أما طبعة بهجة الحديثي فالقصيدة فيها تحتوي على 52 بيتاً اثنين وخمسين بيتاً، وفيها بيتان زائدان.

وقد أشار الباحثان السطلي والحديثي إلى اختلاف الروايات لأبيات القصيدة، وشرح كلماتها الغريبة، ومقارنة الأبيات بالآيات القرآنية، ولن أكرر هذا العمل، وإنما سأكتفي بمقارنة القصيدة في مخطوطتها بها عند السطلي والحديثي، مع بيان اختلاف الروايات للأبيات عند كل منهما، إضافة إلى ضبط كلماتها.

والمخطوطة التي عثر عليها محمد عزيز شمس لهذه القصيدة هي أجمع شملاً لأبيات القصيدة، وأوفى عدداً، فهي لا توجد كاملة في مصدر آخر.

ومن هنا نستطيع أن نقول إن قيمة المخطوطة إنما تكمن في أنها تكشف لنا صورة النص الشعري كما كتبه أو قاله أمية، من دون زيادة أو نقصان، وحَسَبَ الترتيب والتسلسل الذي أراده.

وعلى هذا يمكن أن نعد المخطوطة وثيقة أدبية ذات قيمة علمية كبيرة في ذاتها؛ وبما حوته من ذخيرة لغوية تفيد المشتغلين بالأدب، والباحثين في اللغة، والعَطِشين لذخائر التراث ونفائس المخطوطات[1].

جاء في مجلة المجمع العلمي الهندي ذِكْرٌ للقصيدة الدالية النادرة لأمية بن أبي الصلت الثقفي، وجاء ذكر سندها كما يأتي: «أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم ابن عبد الرحمن، أخبرنا الشيخ أبو البدر سعيد بن المبارك بن أحمد بن صدقة بن موهوب الحمامي المعروف بالجمال بقراءتي عليه في منزله يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة، أنا أبو الرضا أحمد بن مسعود بن سعد الناقد قراءةً عليه يوم الخميس حادي عشرة من جمادى الأولى من سنة خمسين وخمسمئة، أنا أبو غالب محمد ابن الحسن الباقلاني، أنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي إجازةً، أنا أبو عمر

(1) أحيل القارئ إلى مقال الباحث محمد عزيز شمس في مجلة المجمع العلمي الهندي للوقوف على تخريجات القصيدة في كتب ومصادر لم يذكرها الباحثون.

محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن حيويه الخزاز فيما أجازه لنا، أنا أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادى، أخبرني جماعة منهم: أبو عبد الله محمد بن موسى الفراء، وجعفر بن موسى النحوي وغيرهما من رواية من حدثهما ذلك عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وعبد الملك بن قُريب الأصمعي وغيرهما، قالوا: إن أمية بن أبي الصلت قال هذه القصيدة في أول المبعث، يذكر فيها دين الإسلام ونبوة نبينا محمد ﷺ، فقال:

قال أمية: [الطويل]

1 لَكَ الحَمْدُ وَالنَعْمَاءُ وَالمُلْكُ رَبَّنَا ... فَلاَ شَيءَ أَعْلَى منكَ جَدّاً وَأَمجَدُ[1]

2 مَليكٌ عَلى عَرشِ السَّماءِ مُهيمِنٌ ... لِعِزَّتِهِ تَعنو الوجوهُ وَتَسجُدُ[2]

3 عَلَيْهِ حِجَابُ النُّوْرِ وَالنُّوْرُ حَوْلَهُ ... وأَنْهَارُ نُوْرٍ حَوْلَهُ تَتَوَقَّدُ

4 فَلاَ بَصَرٌ يَسْمُوْ إِلَيْهِ بِطَرْفِهِ ... وَدُوْنَ حِجَابِ النُّوْرِ خَلْقٌ مُؤَيَّدُ[3]

5 مَلاَئِكَةٌ أَقْدَامُهُمْ تَحْتَ أَرْضِهِ ... وَأَعْنَاقُهُمْ فَوْقَ السَّمَوَاتِ صُعَّدُ

6 فَمِنْ حَامِلٍ إِحْدَىْ قَوَائِمِ عَرْشِهِ ... بِكَفَّيْهِ لَوْلاَ الله كَلُّوْا وَبَلَّدُوا[4]

7 قِياماً عَلى الأَقْدامِ عانِيْنَ تَحتَهُ ... فَرائِصُهُم من شِدَّةِ الخوفِ تُرعَدُ[5]

8 وَسِبْطٌ صُفُوْفٌ يَنْظُرُوْنَ قَضَاءَهُ ... مُصِيْخُوْنَ بِالأَسْمَاعِ لِلوَحْيِ رُكَّدُ[6]

9 أَمِيْنَاهُ رُوْحُ القُدْسِ جِبْرِيلُ فِيْهِمُ ... وَمِيْكَالُ ذُوْ الرُّوْحِ القَوِيُّ المُسَدَّدُ[7]

10 وَحُرّاسُ أَبْوَابِ السَّمَاواتِ دُوْنَهُمْ ... قِيَامٌ عَلَيْهَا بِالمَقَالِيدِ رُصَّدُ[8]

---

(1) الحديثي: (وَلاَ مَجْدُ).

(2) الحديثي: (مُهيْنٌ).

(3) الحديثي: (ولا بَشَرٌ).

(4) الحديثي: (بأَيْدٍ وَلَوْلاَ ذَاْكَ).

(5) السطلي والحديثي: (قيامٌ).

(6) الحديثي: (فَهُمْ عِنْدَ رَبٍّ يَنْظُرُوْنَ لأَمْرِهِ يُصِيْخُوْنَ).

(7) السطلي: (فيهم). الحديثي: (منهما).

(8) الحديثي: (دُوْنَهُ لَدَيْهِ).

11 فَنِعْمَ العِبَادُ المُصْطَفَوْنَ لأَمْـرِهِ ... وَمِـنْ دوُنِـهِـمْ جُـنـدٌ كَـثِـيْـفٌ مُجَنَّدُ

12 مَـلائِـكَـةٌ لا يَـفـتُـرُونَ عِـبَـادَةً ... كَـرُوْبِـيَّـةٌ مِـنـهُـمْ رُكُـوْعٌ وَسُـجَّـدُ

13 فَساجِدُهُم لا يَرفَعُ الدَّهرَ رَأسَهُ ... يُـعَـظِّـمُ رَبّـاً فَـوْقَـهُ وَيُـمَـجِّـدُ

14 وَراكِعُهُم يَحْنو لَهُ الظَّهْرَ خاشِعاً ... يُـرَدِّدُ آلاءَ الإِلَـهِ وَيَـحْـمَـدُ

15 وَمِنهُم مُلِفٌّ فِي جَنَاحَيْهِ رَأسَـهُ ... يَـكَـادُ لِـذِكـرى رَبِّـهِ يَـتَـفَـصَّـدُ

16 مِنَ الخَوفِ لا ذُو سَامَةٍ مِنْ عِبادَةٍ ... وَلا هـوَ مِـن طولِ التَعَبُّدِ يُجْهَدُ[1]

17 وساكِنُ أقـطـارٍ بـأرجـاءِ مُصْعِدٍ ... وذُو الغَيبِ والأرواحِ كلٌّ مُعَبَّدُ[2]

18 وَدونَ كَثيفِ الماءِ فِي غامِضِ الْهَوَا ... مـلائِـكَـةٌ تَـنـحَـطُّ فيها وَتَصعَدُ[3]

19 وَبَينَ طِباقِ الأَرضِ تَحتَ بُطونِها ... مَـلائِـكَـةٌ بِـالأَمـرِ فِـيـهـا تَـرَدَّدُ

20 فَسُبحانَ مَن لا يَقْدِرُ الخَلقُ قَدرَهُ ... وَمَن هُوَ فوقَ العَرشِ فَـرْدٌ مُوَحَّدُ[4]

21 وَمَـن لَـم يُـنـازِعْـهُ الخَلائِقُ مُلْكَهُ ... وَإِن لَـم يُـفـرِّدْهُ الـعِـبـادُ فَمُفرَدُ[5]

22 مَليكُ السَّمَاواتِ الشِّدادِ وَأَرضِها ... وَلَـيـسَ لِـشَـيْءٍ عَـن هَـوَاهُ تَأَوُّدُ[6]

23 وَسُبْحَانَ رَبِّي خَالِقِ النُّورِ لم يَلِدْ ... وَلَـمْ يَـكُ مَـوْلـوداً، بذلك أشهَدُ[7]

24 وَسُبْحَانَه مِـنْ كُـلِّ إِفْـكٍ وَبَـاطِـلٍ ... ولَمَّا يَلِدْ ذُو العَرْشِ أَمْ كَيْفَ يُولَدُ؟[8]

25 هُوَ اللهُ بَاري الخَلْقِ وَالخَلْقُ كُلُّهُم ... إِمـاءٌ لَـهُ طَـوعـاً جَميعاً وَأَعبُدُ[9]

---

(1) السطلي والحديثي: (سَأْمَةٍ). الحديثي: (يَجْهَدُ).

(2) السطلي: (الغَيْث).

(3) السطلي: (غامض فيه). الحديثي: (وتحت كثيف الماء في باطن الثرى..... فيه).

(4) الحديثي: (يعرف).

(5) السطلي والحديثي: (تنازعه..... تُفَرِّدْهُ).

(6) السطلي: (قَضَاهُ). الحديثي: (بِشَيءٍ فَوْقَنَا يَتَأَوَّدُ).

(7) ساقط من طبعة الحديثي.

(8) ساقط من طبعة الحديثي.

(9) ضبط الحديثي كلمة (الخلق) الأولى بالنصب؛ وهو خطأ صوابه جرها بالإضافة.

26 هُـوَ الصَّمَدُ اللهُ الَّـذي لَـمْ يَكُنْ لَهُ		من الخَلْقِ كُفْوٌ قَدْ يُضاهِيْه مُضْدِدُ(1)

27 وَأنَّى يَكونُ الخَلْقُ كَالخَالِقِ الَّذي		يَـدُوْمُ وَيَـبْقَـى وَالْـخَـلائِـقُ تَنفَدُ(2)

28 وَلَيسَ لِمَخلوقٍ على الدَّهرِ جِدَّةٌ		وَمَـن ذا عَلى مَرِّ الحَوادِثِ يَخلُدُ(3)

29 وَيَفنَى وَلا يَبقَى سِوَى القَاهِرِ الذي		يُميتُ وَيُحيِي دَائماً لَيسَ يَهْمَدُ(4)

30 تُسَبِّحُهُ الطَيرُ الجَوانِحُ فِي الخَفا		وإذْ هِـيَ فِـي جَـوِّ السَماءِ تُصَعِّدُ(5)

31 وَمِن خَوفِ رَبّي سَبَّحَ الرَعْدُ فَوقَنا		وَسَـبَّـحَـهُ الأَشـجـارُ وَالـوَحْـشُ أُبَّـدُ

32 وَسَبَّحَهُ النِّيْنَانُ وَالبَحرُ زاخِـرٌ		وَمـا ضَمَّ مِن شَيءٍ وَمـا هُـوَ مُقْلِدُ(6)

33 أَلا أَيُّها القَلبُ المُقيمُ عَلى الهَوى		إلَـى أَيِّ حِينٍ مِنكَ هَذا التَصَدُّدُ؟(7)

34 عَنِ الحَقِّ كَالأَعمى المُمِيْطِ عَنِ الهُدَى		وَقَـدْ جَـاءَكَ النَّجْدُ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ(8)

35 بِنُوْرٍ عَلَىْ نُـوْرٍ مِـنَ الْحَقِّ واضِحٍ		نَبيْلٍ عَلَىْ طُرْقِ الهُدَىْ لَيْس يَخْمُدُ(9)

36 تَرى فيه أَنْبَاءَ القُرُوْنِ الَّتي خَلَتْ		وَأَخْبَارَ غَيْبٍ فِي الْقِيَامَةِ تُوْجَدُ(10)

37 وَحـالاتِ دُنْـيَـا لا تَـدُوْمُ لأَهلِها		وفيها مَـنُـوْنٌ رَيْـبُـهـا مُتَرَدِّدُ(11)

38 أَلاَ إِنَّـمَـا الـدُّنْـيَـا بَـلاَغٌ وبُـلْـغَـةٌ		وبَيْنَا الْفَتَى فِيهَا مَهِيْبٌ مُسَوَّدُ(12)

---

(1) ساقط من طبعة الحديثي.

(2) السطلي والحديثي: (الخليقة).

(3) السطلي: (مِنَ الدَّهْرِ). الحديثي: (على الخلق).

(4) السطلي: (دَائِباً). الحديثي: (فَيَفْنَى يَمْهَدُ).

(5) الحديثي: (الكَوَامِنُ تَصَعَّدُ).

(6) السطلي والحديثي: (زاخراً) بالنصب.

(7) الحديثي: (إلى أيِّ هذا الدهرِ منك التصدُّدُ).

(8) ساقط من طبعة الحديثي.

(9) ساقط من طبعة الحديثي. السطلي: (دليل على).

(10) السطلي والحديثي: (تَنْجُدُ). الحديثي: (أخبار القرون التي مضت).

(11) ساقط من طبعة الحديثي.

(12) الحديثي: (ألا أنَّما).

39 إِذا انقَلَبَت عَنهُ وَزالَ نَعيمُهَا ... وَأَصــبَـحَ مِـن تُـرْبِ القُـبُـوْرِ يوَسَّدُ

40 وَفــارَقَ رُوْحــاً كـانَ بَـيـنَ جَنانِهِ ... وَجــاوَرَ مَـوْتـى مَـا لَـهُـم مُتَبَدَّدُ[1]

41 فــأَيَّ فَـتـىً قَبْلِي رَأَيــتَ مُخَلَّداً ... لَـهُ فِـي قَـدِيـمِ الـدَّهْـرِ مَـا يَتَوَدَّدُ؟[2]

42 وَمَـن يَبتَليهِ الـدَّهْـرُ مِـنْـهُ بِعَـثْـرَةٍ ... سَـيَـكْـبُـوْ لَـهـا وَالـنـائِـبـاتُ تَــرَدَّدُ

43 ولَن تَسلَم الدُّنيا وَإِن ظَنَّ أَهلُها ... بِصُحْبَتِهَا وَالـدَّهـرُ قَـد يَتَجَدَّدُ[3]

44 لِـقَـوْمٍ وَأَقْــوَامٍ قَـدِ انْكَفَـتْ بِهِمْ ... دُهُـــوْرٌ وَأَيَّـــامٌ نَــوَافِــذُ عُـــوَّدُ[4]

45 أَلَيْسَ تَرى فِيما مَضَى لَكَ عِبْرَةً ... فَمَهْ لا تَكُن يا قَلْبُ أَعمَى تَلَدَّدُ[5]

46 وقد جاءَ ما لاشكَّ فيه من الهُدَى ... ولـيـس يَــرُدُّ الْـحَـقَّ إِلاَّ مُـفَـنِّـدُ

47 فَكُن خَاشِعاً لِلْمَوْتِ وَالبَعْث بَعدَهُ ... وَلا تَـكُ فِيْمَنْ غَـرَّهُ اليَومُ أَوْ غَدُ[6]

48 فـإِنَّـكَ فِـي دُنـيـا غَــرُوْرٍ لأَهْـلِـهَـا ... وَفيها عَـدوٌّ كاشِحُ الصَّـدرِ يُـوقِـدُ

49 من الحِقْدِ نِـيْـرَانَ الْـعَـدَاوَةِ بيننَا ... لأَنْ قـالَ رَبِّـي للملائكةِ اسجُدُوا[7]

50 لآدَمَ لـمَّـا أَكْـمَـلَ اللهُ خَـلْـقَـهُ ... فخَرُّوا لَهُ طَوْعاً سُجُوداً وكَدَّدُوا[8]

51 فقال عَــدُوُّ اللهِ لِـلْـكِـبْـرِ والشَّقا ... أَطِـيْـنٌ على نَـارِ السَّمُومِ يُسَوَّدُ؟[9]

52 فَأَخْرَجَهُ العِصْيَانُ مِنْ خَيْرِ مَنْزِلٍ ... فَـذَاكَ الـذي في سَالِفِ الدَّهْرِ يَحْقِدُ

---

(1) الحديثي: (جناحه مُتَرَدَّدُ).

(2) الحديثي: (رأيتم ما يَتَزَوَّدُ).

(3) السطلي: (بصحَّتِهَا).

(4) البيت ساقط من طبعتي السطلي والحديثي.

(5) السطلي والحديثي: (أَلَسْتَ).

(6) السطلي والحديثي: (خائفاً). السطلي: (مِمَّن..... والْغَدُ).

(7) الحديثي: نيرانُ (ضبطت بالرفع).

(8) السطلي: (وَوَكَّدُوا). الحديثي: (كَمَّلَ).

(9) الحديثي:

(وقـــــــال... ... ... لِطِينٍ على نار السموم فَسَوَّدُوْا)

53 عَلَيْنَا، وَلاَ يَأْلُو خَبَالاً وحِيْلَةً لِيُورِدَنَا مِنْهَا الَّذِي يَتَوَرَّدُ[1]

54 جَحِيماً تَلَظَّى، لاَ يُفَتَّرُ سَاعَةً وَلاَ الحَرُّ منها آخِرَ الدَّهرِ يَبْرُدُ[2]

55 فَمَا لَكَ في الشَّيْطَانِ وَالنَّارِ أُسْوَةٌ إذا مَا صُلِيْتَ النَّارَ بَلْ أَنْتَ أبعَدُ[3]

56 هو القائدُ الدَّاعِي إلى النَّارِ جَاهِداً لِيُورِدَنا منها التي يَتَوَرَّدُ[4]

57 وَمَا لَكَ مِنْ عُذْرٍ بِطَاعَةِ فَاسِقٍ وَلاَ بِلَظَى نَارٍ عَمِلْتَ لَهَا يَدُ[5]

---

(1) السطلي: (ولا يَأْلُو.. ليوردنا ناراً عليها سَيُوْرَدُ). الحديثي: (ولا نألوا لنوردها ناراً عليها سَيُوْرَدُ).

(2) السطلي: لا تُفَتَّر.

(3) السطلي: (وَالشيطانَ في).

(4) السطلي: (الذي يَتَوَرَّدُ). (الحديثي: النار لا بثاً..... ولا يَتَوَرَّدُ).

(5) السطلي: (فما لَكَ..... وَمَا لَكَ في نار صُلتَتْ بها يَدُ). والحديثي:

فَما لَكَ في عذرٍ وطَاعَةِ فَاسِقٍ وَمَا لَكَ في نَارٍ صُلِيْتَ بِهَا يَدُ

استدراكات على المجموع من شعر

غيلان بن سلمة الثقفي[1]

-1-

قال[2]: [الطويل]

1 أَلَـمْ تَـرَ أَنِّـي لا تلينُ عَـرِيكَـتِي	**إلـى مَـنْ يُـعَـادِيـنـي وَلاَ أَتَـجَـشَّـعُ**
2 ولا أَمْـتَـرِي بالخَسْفِ حتى يُدِرَّني	**ولكني آبي الخسفَ ما دمْتُ أَسْمَعُ**
3 فـلا الـمـالُ يُغنِي السبيلَ ثَـراؤُهُ	**ولا مُـقْـتِـرٌ فـي قِـلَّـةِ الـمـالِ أَرْثَعُ**[3]
4 فـإني بِـحَـمْـدِ اللهِ لا ثَـوْبَ غَـادِرٍ	**لـبِـسْـتُ وَلاَ مِـنْ خِـزْيَـةٍ أَتَـقَـنَّـعُ**

- 2 -

قال[4]: [الخفيف]

بِـأَمُـونَ حَـرْفٍ كَـرَاوِيَـةِ البَيْـ	**ـتِ بَـنَـى فَـوْقَـهَـا وَزَادَ اخْـتِـلاَقَـا**

- 3 -

قال[5]: [الطويل]

---

(1) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك الثقفي (23هـ=644م)، أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، وهو شاعر مقل، وأحد حكام العرب في الجاهلية. انظر الأعلام 124/5.

(2) ما استدركْتُهُ هو البيت الثالث، وهو في كتاب الجيم 32/2 (الأرثع) وقد سقط من جمع، وضممتُه إلى المقطوعة التي أثبتها الدكتور ضيف ضمن ما جمعه من شعر غيلان، لاتفاقه والأبيات (1، 2، 4) معنىً ووزناً وقافيةً.

(3) الأرثع: الحريص ذو الطمع.

(4) البيت في كتاب الجيم 33/2 (روي).

الراوية: المزادة فيها الماء.

(5) البيت الأول في كتاب الجيم 32/2 (الركائك)، وكذلك البيت الثاني في كتاب الجيم 198/1 وهما لغيلان، وقد جمعتُ البيتين لاتفاقهما وزناً وقافية.

1 إذا الْتَبَسَتْ أَحْقَابُهَا بِغُرُوضِهَا وَسُنِّفْنَ حَتَّى هُنَّ حُـدْبٌ رَكَائِكُ[1]

2 فَحَامُوا عَلَى أَحْسَابِكُمْ وَدِمَائِكُمْ وَلاَ يَحْفَظُ الأَحْسَابَ إِلاَّ الأَحَاتِكُ[2]

- 4 -

قال[3]: [الوافر]

لِتُكْذِبَ نَفْسَهَا نَصْرٌ وَجَسْرٌ تُحَسْحِسُ بالشَّوِيِّ عَنِ الْجَمِيمِ

- 5 -

قال في الزَّهَمِ[4]: [البسيط]

هَلْ تُبْلِغَنِّي كِنازُ اللَّحْمِ نَاجِيَةٌ مَفْرُوشَةُ الزَّوْرِ في أَصْلاَبِهَا زَهَمُ

- 6 -

قال[5]: [الرجز]

شَأْوٌ مُدِلٌّ سَابِقُ اللَّهَامِ[6]

---

(1) الأحقاب: جمع حقب؛ وهو حبل يشد به الرحل في بطن البعير مما يلي ثيله؛ لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدمه. الغروض: جمع غرض وهو البطان للقتب. سُنِّفْن: شُدِدْنَ بالسناف، والسناف: خيط يشد من حقب البعير إلى تصديره، ثم يشد في عنقه إذا ضمر. حدب: جمع حدباء وهي التي بدت حراقفها وعظم ظهرها. انظر: كتاب الجيم 32/2.

(2) حَتَك الرجل: مشى وقارب الخطو وأسرع؛ ويقال: لا أدري على أي وجه حتكوا.

(3) كتاب الجيم 212/1 (حسس).

حسحس: هو أن يضع اللحم على الجمر، وقيل: هو أن ينضج أعلاه ويُترك داخله. الجميم: النبت الكثير، وقيل: النبت الذي طال بعض الطول ولم يتم.

(4) كتاب الجيم 74/2 (زهم).

الزهم: باقي الشحم في الدابة.

(5) اللسان مادة (لَهَمَ).

(6) شَأْوٌ: المرتفع، المدل: المتكبر، اللهام: الكريم، واسع العطاء.

- 7 -

قال يصف أول شبابه وقوته(1): [الرجز]

1 يَـظَـلُّ مَـنْ جَـارَاهُ فـي عَـذَائِـمْ

2 مِـنْ عُـنْـفُـوَانِ جَـرْيِـهِ العُفَاهِمْ(2)

- 8 -

قال(3): [الوافر]

بِـمُـعْـتَـرَكِ الـكُـمـاةِ مُـصَـرَّعَـاتٍ تُـدَفِّـنَّ الـبُـعُـولَـةَ وَالأَبِينا(4)

- 9 -

قال في التَّخَلُّق(5): [البسيط]

---

(1) اللسان (عُفاهم)

(2) العفاهم: القوية الجلْدة من النوق، وعفاهم الشباب: أوَّلُه، وعدوٌّ عُفاهم: شديد.

(3) البيت في أمالي ابن الشجري 37/2، وشرح المفصل 37/3 وفي اللسان (أبي) لغيلان بن سلمة الثقفي، والبيت في الفائق: 511 وفي التكملة: 192 على اختلاف يسير، وقد أورده الدكتور بدر ضيف في مقاله (غيلان بن سلمة وما تبقى من شعره)من دون أن يذكر صدر البيت (بمعترك الكماة مصرعات)، ورواية البيت التي أثبتُّها مثبتة في إيضاح شواهد الإيضاح: 55. وقد أورد الدكتور بدر ضيف بيتاً آخر في المجموعة رقم (23) في مقاله المشار إليه، وهو:

فـلـمـا تـبـين أصـواتـنـا بـكـين وفـديـنـا بـالأبـيـنـا

ناسباً البيت لغيلان بن سلمة الثقفي جرياً وراء ابن منظور الذي «استشهد بالبيت ولم ينسبه أيضاً؛ لكنه أورد شواهد أخرى منسوبة، منها شاهد لناهض الكلابي وآخر لغيلان بن سلمة الثقفي» كما يقول الدكتور بدر ضيف. والحق أن البيت الذي أورده الدكتور بدر لزياد بن واصل السلمي، شاعر جاهلي، وقد وقعت على البيت في: الخصائص 346/1 والمحتسب 112/1 والمقتضب 174/2 والكتاب 406/3 والخزانة 275/2.

(4) يَـدَعْـنَ نِـسَـاءَكُـمْ في الـدارِ نُوحاً يُـنَـدِّمْـنَ الـبُـعُـولَـةَ والأَبِـيـنَـا

(5) البيت لغيلان بن سلمة الثقفي في مضاهاة أمثال كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب: 45. وهو لسالم بن وابصة من قصيدة في: البيان والتبيين 87/2، والتذكرة الحمدونية 406/2، والتذكرة السعدية: 91، والمستطرف 417/1، وشرح الحماسة للتبريزي 236/2، والحلل في شرح أبيات الجمل: 289. وينسب إلى ذي الإصبع العدواني في: التذكرة الحمدونية 90/7. وينسب الشطر الثاني للعرجي في الحيوان 128/3 والشعر والشعراء 575/2. والبيت من غير نسبة في المثل السائر 209/3، وجمهرة الأمثال 20/1، ومجالس ثعلب: 100 وتحرير التحبير: 496. والشطر الثاني من دون عزو في العمدة: 210، وكامل المبرد 25/1.

عَـلَـيْـكَ بِالْقَصْدِ فِيمَا أَنْــتَ قَائِلُهُ   إِنَّ التَخَلُّق يَـأْتـي دُوْنَــهُ الْخُلُقُ[1]

*****

(1) البيان والتذكرة الحمدونية: (اعمد إلى الحق). في الحيوان: (ارجع إلى خيمكَ المعروفِ ديدنه). في التذكرة السعدية وتحرير التحبير: (فاعله). في الحلل: (يا أيها المتحلي غير سمته). الشعر والشعراء: (ارجع إلى خُلْقِك المعروفِ دَيْدَنُهُ).

استدراكات على المجموع من شعر

يزيد بن الحكم الثقفي

-1-

قال يرثي ولده عنبساً[1]: [الطويل]

1 جَزَى اللهُ عَنِّي عَنْبَسَاً كُلَّ صَالِحٍ ... إِذَا كَانَتِ الأولادُ شيئاً جَزَاؤُهَا

2 هو ابني وأَمْسَى أَجْرُهُ لي وعزَّني ... على نفسه ربٌّ إليه وَلاَؤُهَا

3 جهولٌ إذا جهلُ العشيرةِ يُبْتَغَى ... حليمٌ وَيَرْضَى حِلْمَهُ حُلَمَاؤُهَا

4 ويأمَنُ ذُو حِلْمِ العشيرةِ جَهْلَه ... عَلَيْهِ ويخشَى جَهْلَهُ جُهَلاَؤُهَا

5 إن تَحْتَسِبْ تؤجرْ وإنْ تَبْكِه تَكُنْ ... كباكيةٍ لم يُحْيِ مَيْتاً بُكَاؤُها[2]

6 ومن شرِّ حَظَّيْ مُسْلِمٍ من حَميمه ... بكاءٌ وأحزانٌ قليلٌ جَداؤها[3]

7 بها الصَّوْنُ إلا شَوْطُها من غداتها ... لتمرينها ثمَّ الصبوحُ ضُحاؤها[4]

---

(1) الأبيات الأربعة الأولى في الأغاني 209/12 ومختاره 375/8. والبيتان (5، 6) فهما في التعازي والمراثي 202، وهما في الزهرة عند ابن داود 553/2، وقال محققا الزهرة في الحاشية تعليقاً على البيتين: «يبدو أن هذه الأبيات من قصيدته التي يرثي بها ابنه عنبساً، وقد جزع عليه جزعاً شديداً بعضها في الأغاني بولاق 102/11 ولم تكن فيها هذه الأبيات»، والبيت الخامس في وفيات الأعيان عند ابن خلكان 50/2، وقد سقط البيتان من مجموع القيسي. وورد البيت السابع منفرداً في اللسان (ضحا) وهو عند الدكتور القيسي، والبيتان (5، 6) والبيت (7) تم ضمُّهم جميعاً إلى الأبيات الأربعة الأولى لاتفاق الأبيات جميعاً وزناً وقافية وموضوعاً، وهي ليست مجتمعة كذلك في مصادرها، ومن عجب أن الدكتور القيسي ذكر ذلك التعليق على البيتين في تحقيقه كتاب الزهرة 553/2، على حين أنه أغفلهما في جمعه شعر يزيد بن الحكم، فسقطا من جمعه. وقد اجتهدت في ترتيب الأبيات على هذا النحو؛ دفعاً لاحتمال أن يكون لها أبيات أخرى تكشف عنها الكتب مستقبلاً.

(2) البيت فيه خَرْم، وعند ابن خلكان: (فإن تحتسب).

(3) في الزهرة: (ومن سرِّ..... من مصيبة).

(4) الصون: الشرب في الصباح، وهو بمعنى الصيانة والحفظ. الشوط: الجري إلى غاية.

- 2 -

قال(1): [مجزوء الكامل]

وَلَـــقَـــدْ يــكـــونُ لــك الـغـريـ ـبُ أخـــاً ويــقــطَـعُـكَ الـقـريـبُ

- 3 -

وقال(2): [الطويل]

نَكَأْتَ قُرُوحاً في القلوبِ فَأَصْبَحَتْ بِرَاءً وَهَلْ يُشْفَى عَلَى الثَّنَتِ الْقَرْحُ(3)

- 4 -

وقال أيضاً(4): [البسيط]

1 أَمسَى بأسماءَ هذا القلب معمودا إذا أقـولُ: صحا يعتاده عيدًا(5)

2 كـأنـنـي يـوم أُمْـسِـي لا تكلمني ذو بغيةٍ يبتغي مَا لَيْسَ موجودًا(6)

3 كَـأَنَّ أَحْـوَرَ مِـنْ غـزلانِ ذِي بَقَرٍ أَهْـدَى لَـهُ شَبَهَ الْعَيْنَيْنِ وَالجِيدَا(7)

---

(1) محاضرات الأدباء 359/1.

(2) كتاب الجيم 108/1.

(3) ثَنِتَ اللحم: تَغيَّر وأنتن.

(4) لَحق يزيد بن الحكم بسليمان بن عبد الملك وهو ولي العهد فضمه سليمان إليه، وجعله في خاصته، فقال هذه الأبيات يمدح بها سليمان. الأبيات (5–15) في أخبار أبي القاسم الزجاجي، أما الأبيات (1–4، 14، 15، 16) فهي في الأغاني 208/12 ومختاره 374/8–375، والأبيات نفسها في الخزانة 55/1 على اختلاف يسير في ترتيبها، والأبيات (1، 2، 3، 14، 15، 16) في اللسان (عود)، والبيتان (1، 2) في المحتسب 155/2 والعمدة: 404، والبيت الثاني في الخصائص 170/3. والأبيات (5–13) تسعة أبيات سقطت من مجموع القيسي، وقد ألفيتُها في أخبار أبي القاسم فضممتها إلى أبيات الأغاني، وألَّفْتُ بينها لاتفاقها وزناً وقافية وموضوعاً.
وقد اجتهدت في ترتيب الأبيات على هذا النحو؛ دفعاً لاحتمال أن يكون لها أبيات أخرى تكشف عنها الكتب مستقبلاً.

(5) المعمود: من أثر فيه الحب حتى مرض.

(6) في المحتسب: (كأنني حين أمسي).

(7) في اللسان: (أهدي لنا سنَّةَ العينين)، وفي الخزانة أيضاً: (لنا).
ذو بقر: اسم موضع.

4 أجـري على مَـوْعـدٍ منها فتخلفني ... فـلا أَمَـــلُّ ولا تُـوفـي الـمـوَاعـيـدَا

5 إن تمشِ عَنِّي الغواني وَهْيَ مُعْرِضَةٌ ... فقد تَـرَاهُـنَّ صُـوْراً نَحْوَنَا صِيدَا[1]

6 وإن نكن قد ذهِلْنا عن مَوَاعِدِهَا ... فَـقَـدْ يـكـونُ لـنـا مـيـعـادُهَـا عـيـدَا

7 قـد نلتقي كُـلُّـنـا لاهٍ بـصـاحـبِـهِ ... ولا نـخـافُ مـن الـعــذَّال تَـفْـنـيـدَا

8 قل للشباب إذا ما الشيبُ أطـردَهُ ... لا تَـبْـعُـدَنَّ طريـدَ الشيبِ مَـطْـرُودَا

9 من صاحب الشيب قـالاه وجـرَّ له ... لـلأيـدِ صَـفْـعـاً ولـلـرِّجْـلَـيْـنِ تَقْيِيدَا

10 يا أَرْفَـضَ الناسِ للدنيا وَلَذَّتها ... أشــدهــم زُهُـــداً فـيـهـا وَتَـزْهِــيـدَا

11 فإن يكُ الناسُ أَمْسَوْا كاسِدِينَ فقد ... أضحى لديك التقى والـبِـرُّ موجودَا

12 إن يحسدوك فكم مِنْ صالحٍ حَسَدُوا ... هـذا نبيُّ الـهـدى قـد كـان محسُودَا

13 عض الأخابثِ مَنْ عاداك مِنْ كَلْبٍ ... والصخرُ والصلْبُ الصُّمُّ الصيا حيدا[2]

14 سُمِّيتَ باسم امرىءٍ أَشْبَهْتَ شيمَتَهُ ... عَـدْلاً وَفَضْلاً سليمانَ بنَ داوودَا[3]

15 أَحَمِدْ به في الورى الماضينَ مِنْ مَلِكٍ ... وأنت أَصَبَحْتَ في الباقين محمودَا[4]

16 لا يبرأ الناس من أن يحمدوا مَلِكاً ... أولاهُمُ في الأمورِ الحِلْمَ والجودَا[5]

- 5 -

قال أيضاً[6]: [الطويل]

وَيَـهْـجُـرْنَ أَقْـوَامـاً، وَهُـنَّ صَدِيقُ

(1) في اللسان: (سمعت باسم نبي أنت تشبه حلما وعلماً)، وفي الخزانة: (فضلاً وعدلاً).
(2) البيت مختل الوزن مضطرب المعنى.
(3) في اللسان: (سميتَ باسم نبي أنت تشبهُهُ حلماً وعلماً).
(4) في اللسان: (أَحْمَد..... موجودا).
(5) في اللسان: (لا يعذل الناس في أن يشكروا ملكاً..... الحزم والجودا).
(6) أورد ابن منظور هذا الشطر الثاني من دون الأول في اللسان (صدق)؛ ولعلهما من قصيدة واحدة رَوِيُّها القاف المضمومة.

- 6 -

قال أيضاً(1): [الطويل]

ضـفـادِعُـهَـا غَـرْقَـى لَـهُـنَّ نقيقُ

- 7 -

قال يزيد بن الحكم في شأن سقيفة بني ساعدة(2): [الطويل]

1 **قَـدِ اخْتَصَمَ الأقــوامُ بَـعْـدَ محمدٍ فَسَائِلْ قريشاً حِينَ جَـدَّ اختِصَامُهَا**

2 **أَلَــمْ تَـكُ مِـنْ دونِ الخليقَةِ أمّـةً بكفِّ امـرىءٍ مِـنْ آلِ تَيْمٍ زِمَامُهَا(3)**

3 **هَـدَى اللهُ بالصِّدِّيقِ ضُـلَّالَ أمَّـةٍ إلى الحقِّ لما ارْفَضَّ عَنْهَا نِظَامُهَا(4)**

*****

(1) الشطر في اللسان (نفق)؛ لعله والذي سبقه من قصيدة واحدة.

(2) الأبيات في البيان والتبيين 362/1، 363.

(3) آل تيم: يريد أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

(4) ارفضّ: تفرق. النظام: نظام كل أمر؛ أَيْ: ملاكُه.

استدراكات على المجموع من شعر
طريح الثقفي

-1-

قال(1): [البسيط]

بَطْنَ العِظَايَةِ كَمْ تمكُو عَلَى شَرَفٍ وكم تُرَاجِمُ جَارَ البيتِ مِنْ كَثَبِ

-2-

قال(2): [الطويل]

1 وَأَفْضَلُ أَعْمَالِ الْفَتَى الزَّادُ لِلَّتِي تَدُوْمُ وَتَحْلُو لِيْ عَلَيْهَا الْعَوَاقِبُ

2 وَأَفْضَلُ بِرٍّ بِرُّكَ الرَّحِمَ الَّتِي عَلَيْهَا تُجَازَى آجِلاً بِالرَّغَائِبِ

3 وَحُسْنُ ثَنَا الأَبْرَارِ في كُلِّ مَحْفِلٍ يَدُوْمُ لَهُ مَا جَدَّ في السَّيْرِ رَاكِبُ

*****

---

(1) كان الأُقَيْشِرُ يلعب بالحمام، ويشرف في جوف منزل أبي الصلت الثقفي، وكان إذا طير الحمام يصفر بفيه، ويصفق بيديه، وإن سقط فَرْخٌ على حائط جاره رماه، فقال ذلك.
البرصان والعرجان: 98. وأبو الصلت كنية طريح بن إسماعيل، كني بذلك لابنٍ كان له اسمه (صلت)؛ كما ذكر أبو الفرج في أغانيه 4/216.

(2) قال عمر بن عبد العزيز لطريح بن إسماعيل الثقفي: «أنشدني أبياتاً يكون فيها نصح ومعتبر»، فأنشده الأبيات السابقة. الأبيات في كتاب مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب: 81.

فهرس شعراء بني ثقيف

فهرس القوافي

أصبحتُ شيخًا	غَدِ	البسيط	4	عمرو بن مسعود	350
من كان ذا	عضدُ	البسيط	2	الأجرد الثقفي	407
على الحكم	ويقصدُ	الطويل	1	عبدالرحمن بن أم الحكم	374
وسجا مسافة	فتلبدوا	الكامل	1	أمية بن أبي الصلت	460
بالماء جازمةٌ	نستوردُ	الكامل	1	أمية بن أبي الصلت	460
لله أم الجاهلين	يرغَدُ	الكامل	1	أمية بن أبي الصلت	460
وعصر الزيت	فديدُ	الوافر	1	أمية بن أبي الصلت	460
لك الحمد	وَأَمْجَدُ	الطويل	57	أمية بن أبي الصلت	467
وإن أبا قابوس	كنودُها	الطويل	1	أمية بن أبي الصلت أو	464
أبى حبكم	المسهدا	الطويل	2	أحلافي من ثقيف	436
أمسى بأسماء	عيدا	البسيط	16	يزيد بن الحكم	478
يا رب قد	الدارِ	البسيط	2	الحجاج بن يوسف أو	369
لعمري لقد	الأجرِي	الطويل	7	عبد الله بن أراكة	376
من خير ما	الدَّهْرِ	الكامل	2	عبد الله بن أراكة	377
يقولون لي	الصُّفْرِ	الطويل	2	عبد الله بن أراكة	378
تَعَزَّ بصبرٍ	الغوابرِ	الطويل	2	محمد بن عبد الله النميري	397
تَعَزَّ بصبرٍ	الغوابرِ	الطويل	2	عبد الله بن نمير	442
وداع دعا	وما يدري	الطويل	7	محمد بن عبد الله النميري أو	399
من يَكُ ذا	زَعَري	المنسرح	2	الحجاج بن يوسف	364
لحا الله	والغَدْرِ	الطويل	1	الثقفي	439
أمامةُ	بضائرِ	الطويل	7	الثقفي	438
يسائلني	نحري	الوافر	5	حفيد ابن أبي العنبس	440
منا الذي ترك	أحجارِ	البسيط	1	رجل من ثقيف	441
ما بال من	كسري	الطويل	2	ابن الذئبة أو الأجرد الثقفي	326
ما بال من	كسري	الطويل	5	كنانة بن عبد ياليل	353
ما بال من	كسري	الطويل	6	الأجرد الثقفي	408
وقد جَعَلْتُ	الظَّهْرِ	البسيط	2	يزيد بن ضبة أو غيره	422
سليمى	سيري	الهزج	33	يزيد بن ضبة	422
وقد أغدو	الثرِّ	الهزج	4	يزيد بن ضبة	425

أنصاف الأبيات

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

– أبيات الاستشهاد: لأحمد بن فارس (395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1392هـ/1972م.

– إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: للعلاَّمة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى (1205هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/ 1989م.

– آثار البلاد وأخبار العباد: لزكريا بن محمد القزويني (682هـ)، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1380هـ / 1960م.

– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي (380هـ)، مصور طبعة ليدن، مطبعة بريل، 1909م.

– الأحكام السلطانية والولايات الدينية: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ)، تحقيق: أحمد البغدادي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1966م.

– أحكام القرآن: لابن العربي أبي بكر بن محمد بن عبد الله (543هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الثانية، 1387هـ/ 1967م.

– أخبار أبي القاسم الزجاجي: تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 1401هـ/1980م.

– الأخبار الطِّوال: لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (282هـ)، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960م.

– الأخبار الموفقيات: للزبير بن بكار (256هـ)، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني،

بغداد، 1973م.

– أخبار النساء: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (751هـ)، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1408هـ/1988م.

– أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (250هـ)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، طبعتا بيروت ومكة، مطبعة دار الأندلس 1969م، وطبعة مكة، 1965م.

– اختيار الممتع في علم الشعر وعمله: لأبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي (405هـ)، تحقيق: الدكتور محمود شاكر القطان، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، 1985م.

– الاختيارين: صنعة الأخفش، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مطبعة محمد هاشم الكتبي، دمشق، 1394هـ/1947م.

– أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها: للوزير المغربي الحسين بن علي (418هـ)، إعداد: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1400هـ/ 1980م.

– أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن الماوردي (450هـ)، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة مصطفى البابي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1406هـ/1986م.

– أدب الكاتب: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ/1982م.

– الأزمنة والأمكنة: لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي (421هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد– الدكن بالهند، 1332هـ.

– الأزمنة وتلبية الجاهلية: لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (بعد 206هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1405هـ/1985م.

- الأزهية في علم الحروف: لعلي بن محمد النحوي الهَرَوي (كان حيّاً قبل 370هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، الطبعة الثانية، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1401هـ/ 1981م.
- أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1402هـ/1982م.
- أسباب النزول: لجلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911هـ)، طبعة دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة 1382هـ/1962م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (463هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لأبي الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (630هـ)، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، 1426هـ/ 2005م.
- أسماء المغتالين من الأشراف: لمحمد بن حبيب (245هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1370هـ/1951م (طبع ضمن نوادر المخطوطات).
- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها: لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغُندجاني (بعد 430هـ)، تحقيق: د. محمد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة، بيروت 1401هـ/1981م.
- أسماء خيل العرب وفرسانها: لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (231هـ)، تحقيق: جرجس لوي دلاَّويدا، مطبعة بريل، ليدن (بهولندا) 1928م (طبع مع كتاب نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها: لهشام بن محمد الكلبي).
- الإشارات إلى معرفة الزيارات: لعلي بن أبي بكر الهروي (611هـ)، تحقيق: جانين سورديل طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1953م.

- الأشباه والنظائر في النحو: لجلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، القاهرة، 1423هـ/2003م.
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: للخالديين أبي بكر محمد (380هـ) وأبي عثمان سعيد (390 أو 391هـ) ابني هاشم، تحقيق السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م.
- الاشتقاق: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (321هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، نشر مؤسسة الخانجي بمصر، مكتبة المثنى ببغداد، 1378هـ/1958م.
- أشعار العامريين الجاهليين، للدكتور عبد الكريم يعقوب، الطبعة الأولى، دار الحوار، اللاذقية، 1982م.
- أشعار اللصوص وأخبارهم: جمع وتحقيق: عبد المعين الملّوحي، الطبعة الأولىو دار طلاس، دمشق، 1988م.
- الإصابة في تمييز الصحابة: لأحمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر (852هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.
- إصلاح المنطق: ليعقوب بن السكِّيت (244هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1375هـ/1956م.
- الأصنام: لهشام بن محمد الكلبي (204هـ)، تحقيق: أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1343هـ/1924م.
- الأصول في النحو: لأبي بكر محمد بن سهل السراج (316هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1985م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (1393هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر،

بيروت، 1415هـ.

– الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ: سامي بن عبد الله المغلوث، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422هـ/2001م.

– أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح والسنة: للدكتور شوقي أبو خليل، الطبعة الرابعة، دار الفكر، دمشق.

– أطلس السيرة النبوية: للدكتور شوقي أبو خليل، الطبعة الرابعة دار الفكر، دمشق، 1425هـ/2005م.

– إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (403هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر، 1997م.

– أعجب العجب في شرح لامية العرب: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ/1144م)، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم حوَّر، الطبعة الأولى، مطبعة سعد الدين، دمشق 1408هـ/ 1988م.

– الأعلام: لخير الدين الزركلي الطبعة السادسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، 2005م.

– الأغاني: لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (976هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، 1425هـ/2004م.

– ألف باء: ليوسف بن محمد البلوي (604هـ)، عالم الكتب، بيروت (صورة عن طبعة المطبعة الوهبية، القاهرة 1287هـ).

– الأمالي: لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (356هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

– أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (542هـ)، تحقيق

ودراسة الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1412هـ /1992م.

- أمالي الزجاجي: لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (340هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، 1382هـ.

- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودر القلائد): للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (355هـ–436هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، 1387هـ/1967م.

- أمالي المرزوقي: لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (421هـ)، تحقيق د. يحيى وهيب الجبوري، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

- الإمامة والسياسة: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (276هـ)، مكتبة الحلبي، مصر، 1388هـ.

- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع: لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمود محمد شاكر، إصدار لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة الشؤون الدينية بدولة قطر، 1941م.

- الأمثال: لأبي عبيد القاسم بن سلام (224هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، 1400هـ/1980م.

- أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: دراسة وتحقيق بهجة عبد الغفور الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، 1975م.

- إنباه الرواة على أَنْبَاه النُّحاة: لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (624هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1406هـ/1986م.

- الأنساب: لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (562هـ)، الطبعة الأولى، من

مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن– الهند، 1383هـ/ 1963م.

– أنساب الأشراف: لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (279هـ)، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، معهد المخطوطات العربية، طبعة دار المعارف، مصر، 1964م.

– الإنصاف في مسائل الخلاف: لابن الأنباري (577هـ)، الطبعة الرابعة، مصر، 1961م.

– أنوار الربيع في أنواع البديع: لعلي صدر الدين بن معصوم المدني (1120هـ)، حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، الطبعة الأولى، مطبعة النعمان، النجف، نشر وتوزيع مكتبة العرفان، كربلاء، 1388هـ/1968م.

– الأنوار ومحاسن الأشعار: لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشمشاطي (380هـ)، تحقيق: صالح مهدي العزاوي، دار الحرية، بغداد، 1976م.

– إهداء اللطائف: لحسن بن علي بن يحيى العجيمي (1113هـ)، تحقيق: يحيى محمود ساعاتي، دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف، 1400هـ.

– الأوائل: لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (395هـ)، تحقيق: الدكتور محمد السيد الوكيل، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا والمنصورة، 1408هـ/1987م.

– أيام العرب في الجاهلية: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الثالثة، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1361هـ/1942م.

– إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي (328هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390هـ/1971م.

– إيضاح شواهد الإيضاح: لأبي علي الحسن بن عبد الله القيسي (من علماء القرن السادس الهجري)، تحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي.

- البداية والنهاية: للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير (774هـ)، بيروت، 1966م.
- البديع في البديع في نقد الشعر: للأمير أسامة بن منقذ (484هـ/1188م)، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- البديع في نقد الشعر: لأسامة بن منقذ (448هـ)، تحقيق: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1380هـ/1960م.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة وزارة الإعلام، بغداد، 1982م.
- البصائر والذخائر: لأبي حيان التوحيدي (414هـ)، تحقيق د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، 1419هـ/1999م.
- بلاد العرب: للأصفهاني، تحقيق حمد الجاسر والعلي، دار اليمامة، الرياض، 1388هـ.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: السيد محمد شكر الألوسي، القاهرة، 1924م.
- بهجة المجالس وأنس المجالس: لابن عبد البر يوسف بن عبد الله (463هـ)، تحقيق: محمد مرسي الخولي الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ/1982م.
- البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون. الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1405هـ/1985م.
- تاج العروس: لمحمد مرتضى الزبيدي (1205هـ)، المطبعة الخيرية، القاهرة، 1306هـ.
- تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1965م.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: للدكتور حسن إبراهيم حسن الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، 1964م.
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: لشمس الدين بن أحمد الذهبي (748هـ)،

مكتبة القدس، 1367هـ.

- تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (310هـ)، تحقيق: نوَّاف الجرَّاح، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، 1426هـ/2005م.

- تاريخ الخلفاء: لجلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1371هـ/1952م.

- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: لحسين بن محمد بن الحسن الديار البكري (من رجال القرن السادس عشر الميلادي)، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، 1283هـ.

- التاريخ السياسي للدولة العربية: عبد المنعم ماجد، مكتبة الأنجلو المصرية، 1965م.

- تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي: للدكتور علي حسني الخربوطلي، دار المعارف، 1959م.

- تاريخ العرب في العصر الجاهلي حتى قيام الدولة الأموية: للدكتور عبد العزيز سالم، طبعة دار النهضة العربية، 1971م.

- تاريخ العرب قبل الإسلام: للدكتور جواد علي، دار الهلال، القاهرة، ومطبعة التفيض، بغداد، 1950م.

- التاريخ الكبير: لمحمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، دار الفكر، بيروت، 1986م.

- تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي (292هـ)، دار صادر بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق = تاريخ دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر (571هـ)، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997م.

- تأويل مشكل القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ)، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، 1393هـ/1973م.
- تجريد الأغاني: لابن واصل الحموي (697هـ)، تحقيق د. طه حسين وإبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1374هـ—1382هـ/ 1955م—1963م.
- تحرير التحبير: لابن أبي الإصبع المصري (654هـ) تحقيق: حفني محمد شرف، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1383هـ.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب: تحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ/ 1994م.
- التذكرة الحمدونية: لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس. الطبعة الأولى، بيروت، 1996م.
- التذكرة السعدية في الأشعار العربية: لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي (من رجال القرن الثامن الهجري)، تحقيق: الدكتور عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2001م.
- تزيين الأسواق: داود الإنطاكي (ت1008هـ/1600م)، الطبعة الثانية، دار ومكتبة الهلال بيروت، 1404هـ/1988م.
- تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نواس: للدكتور جميل سعيد، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتماد، مصر، 1945م.
- التعازي والمراثي: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (286هـ)، تحقيق محمد الديباجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1396هـ/1976م.
- تفسير ابن كثير: لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (774هـ)، دار الفكر، بيروت، 1401هـ.

- تفسير الثعالبي: لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (875هـ)، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للنشر، بيروت.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (310هـ)، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (671هـ)، الطبعة الأولى، دار الشعب، القاهرة.
- التفسير الكبير = مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (604هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ.
- تفسير الكشاف: لجار الله الزمخشري (538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986م.
- التقفية في اللغة: لأبي بشر اليمان بن أبي اليمان البدنيجي (284هـ)، تحقيق: الدكتور خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني، بغداد، 1976م.
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: لأبي هلال العسكري (بعد395هـ)، تحقيق: الدكتور عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1389هـ—1969م.
- تمثال الأمثال: لأبي المحاسن محمد بن علي العبدري الشَّيْبِي (837هـ)، تحقيق: الدكتور أسعد ذبيان، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، 1402هـ/1982م.
- التمثيل والمحاضرة: لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (429هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1381هـ/1961م.
- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة: للدكتور صالح أحمد العلي، طبعة دار الطليعة، بيروت، 1969م.
- تهذيب التهذيب: لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (582هـ)، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، 1404هـ/1984م.

- تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري (370هـ)، عدد من المحققين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966م.
- تهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد الأزهري (370هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون مع آخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، القاهـرة، 1384هـ—1396هـ / 1964م—1976م.
- تهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد الأزهري (370هـ) تحقيق: عبد السلام هارون مع آخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، القاهرة 1384هـ—1396هـ/ 1964م، 1976م.
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير: لابن عساكر (571هـ)، ترتيب عبد القادر بدران، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، 1979م.
- التيجان في ملوك حمير: عن وهب بن منبه، رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام، الطبعة الأولى، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1347هـ.
- ثلاثة كتب في الأضداد: للأصمعي وللسجستاني ولابن السكيت: نشرها الدكتور أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (429هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1965م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري (310هـ)، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، 1338هـ.
- الجامع الصحيح: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1937م.
- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية، 1365هـ/1946م، 1367هـ/1948م.

- جغرافية جزيرة العرب: عبد المنعم الغلاس، دار منشورات البصري، 1962م.
- جغرافية شبه جزيرة العرب: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي، دمشق، 1945م.
- جمهرة اللغة: لابن دريد، طبع بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد (مصورة عن طبعة حيدر آباد)، الدكن، 1345هـ.
- جمهرة أنساب العرب: لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (456هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، 1999م.
- جوامع السيرة: لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، تقديم وتعليق: أحمد حسن جابر، طبعة الأزهر الشريف، القاهرة، 1412هـ/1992م.
- الحجاج بن يوسف الثقفي، حياته وآراؤه السياسية: إحسان صدقي العمد، دار الثقافة بيروت، 1973م.
- الحضارة الأموية العربية في دمشق: عمر أبو النصر، بيروت، 1948م.
- الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: لأبي محمد عبد الله بن محمد البطليوسي (521هـ)، بتحقيق: سعد عبد الكريم سَعُّودى، طبعة دار الرشيد للنشر، ضمن منشورات وزارة الإعلام العراقية، 1980م.
- الحلل في شرح أبيات الجمل لابن السيد البَطَلْيَوْسي (521هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى إمام، الطبعة الأولى، مطبعة الدار المصرية، القاهرة، 1399هـ/1979م.
- حلية الفرسان وشعار الشجعان: لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي (من علماء القرن الثامن الهجري)، مجموعة من المحققين بمركز زايد للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، مركز زايد، العين، 1422هـ/2001م.
- حماسة البحتري: لأبي عبادة الوليد بن عُبَيد البحتري، تحقيق د. محمد نبيل طريفي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1423هـ/2002م.

- الحماسة البصرية: لصدر الدين علي بن أبي الفرج البصري (656هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: الدكتور عادل سليمان جمال، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م.
- الحماسة الشجرية: لهبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني (542هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1970م.
- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء: لأبي محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني الزوزني (431هـ)، تحقيق د. محمد بهي الدين بن محمد سالم، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1424هـ/2003م.
- حماسة القرشي: عباس بن محمد القرشي (1299هـ/1882م)، تحقيق: خير الدين محمود قبلاوي، سلسلة إحياء التراث العربي، منشورات وزارة الثقافة السورية، 1995م.
- الحماسة المغربية: لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي النادلي (609هـ)، تحقيق د. محمد رضوان الدَّاية، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 1426هـ/2005م.
- الحنين إلى الأوطان: لمحمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي (من علماء القرن الرابع الهجري)، تحقيق: الدكتور جليل العطية، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/1987م.
- الحوار الأدبي حول الشعر: للدكتور محمد محمد أبو الأنوار، طبعة دار المعارف، القاهرة، 1996م.
- حياة الحيوان لأبي البقاء كمال الدين محمد بن موسى الدميري (808هـ)، الطبعة الثانية، القاهرة، 1313هـ.
- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية: للدكتور محمد جمال الدين سرور، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي بالقاهرة، 1964م.
- حياة محمد: للدكتور محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية، 1963م.

- الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، منشورات محمد الداية، دار إحياء التراث العربي، 1388هـ/ 1969م.

- خزانة الأدب: لعبد القادر بن عمر البغدادي (1093هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، 1387هـ/1967م.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر بن عمر البغدادي (1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مطبعة المدني، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة 1418هـ/1997م.

- الخصائص: صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1376هـ/1956م.

- الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي (845هـ)، مكتبة إحياء العلوم، دار العرفان، صيدا وبيروت، 1959م.

- الخيل: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (209هـ)، برواية أبي حاتم السجستاني، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، حيدر أباد، الدكن– الهند، 1402هـ/1981م.

- الدّرَّة الفاخرة في الأمثال السائرة: لحمزة بن الحسن الأصبهاني (351هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، طبعة دار المعارف، مصر، 1966م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (911هـ)، دار الفكر، بيروت، 1993م.

- درة الغواص في أوهام الخواص: لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1975م.

- الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح الجوامع في العلوم العربية: لأحمد بن الأمين

الشنقيطي (1331هـ)، تحقيق وشرح: عبد العال سالم مكرم، جامعة الكويت، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م.

- دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة: للدكتور أحمد إبراهيم الشريف، مطبعة دار الفكر العربي، 1968م.

- الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات: للدكتور حمدي شاهين، الطبعة الثانية، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2005م.

- الدولة الأموية في الشرق: د. محمد الطيب النجار، الناشر محمد الطيب النجار، 1382هـ/1962م.

- ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي: جمع وتحقيق: الدكتور حسن محمد باجودة، مكتبة التراث، القاهرة، 1391هـ.

- ديوان أحيحة بن الجُلاَّح الأوسي الجاهلي (130ق.هـ)، جمع وتحقيق: حسن محمد باجودة، إصدار نادي الطائف الأدبي، 1979م.

- ديوان الحطيئة: من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني بشرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، 1401هـ/1981م.

- ديوان الراعي النميري: تحقيق: د. نوري القيسي وهلال ناجي، المجمع العلمي العراقي، 1400هـ/1980م.

- ديوان الراعي النميري: تحقيق: راينهرث فايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1401هـ/1980م.

- ديوان الصبابة: لابن أبي حجلة التلمساني (ت776هـ)، تحقيق: الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987م.

- ديوان العجاج: رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، شرحه الدكتور عبد الحفيظ

السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، 1971م.

– ديوان المثقب العبدي: تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية، 1391هـ/1971م.

– ديوان المعاني: لأبي هلال العسكري (395هـ)، تحقيق أحمد سليم غانم، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ/2003م.

– ديوان النابغة الذبياني: بشرح ابن السكيت (246هـ)، تحقيق: د. شكري الفيصل، دار الفكر، دمشق، 1968م.

– ديوان النابغة الذبياني: بشرح الأعلم الشنتمري (476هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

– ديوان امرئ القيس بن حُجْر الكندي: شرح محمد بن إبراهيم الحضرمي (609هـ)، تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم ورفيقيه، الطبعة الأولى، دار عمَّار، عمَّان، 1412هـ/1991م.

– ديوان أمية بن أبي الصلت جمع وتحقيق ودراسة: للدكتور عبد الحفيظ السطلي، الطبعة الثالثة، 1977م.

– ديوان أوس بن حجر: تحقيق: الدكتور محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م.

– ديوان حسان بن ثابت: بشرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1347هـ/1929م.

– ديوان خداش بن زهير العامري: تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1406هـ/1986م.

– ديوان سحيم عبد بني الحسحاس: تحقيق: عبد العزيز الميمني، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، 1995م.

- ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، جمع وتحقيق: شاكر العاشور، مراجعة محمد جبار المعيبد، الطبعة الأولى، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1972م.

- ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري (476هـ)، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصَّقَّال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1395هـ/ 1975م.

- ديوان عبيد بن الأبرص: تحقيق الدكتور حسين نصار الطبعة الأولى، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1377هـ/1957م.

- ديوان عمر بن أبي ربيعة: تحقيق: الدكتور فوزي عطوي، الطبعة الأولى، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، 1971م.

- ديوان عمرو بن أحمر الباهلي: جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة دار الحياة، دمشق.

- ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق: أيمن ميدان، الطبعة الأولى، مطبعة النادي الأدبي الثقافي بجدة، 1413هـ/1992م.

- ديوان عمرو بن معدي كرب، جمعه: مطاوع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية، 1405هـ/1985م.

- ديوان قيس بن الخطيم: تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، 1387هـ/1967م.

- ديوان لبيد بن ربيعة: بشرح محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: د. إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م.

- ديوان مجنون ليلى: جمع وتحقيق وشرح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة، 1979م.

- ديوان منصور النمري، جمع وتحقيق: الطيب العشّش، مطبوعات مجمع اللغة العربية

بدمشق، 1401هـ/1981م.

- ديوان هُدْبَة بن الخَشْرم العُذْري جمعه الدكتور يحيى الجبوري، الطبعة الثانية، دار القلم، الكويت، 1406هـ/1986م.

- الذريعة إلى مكارم الشريعة: لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (502هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور أبي اليزيد العجمي، دار الوفاء، المنصورة، 1408هـ/1987م.

- ذم الهوى: لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (597هـ)، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م.

- ذيل الأمالي والنوادر: لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (356هـ)، الطبعة الثالثة، دار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 2000م.

- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (538هـ/1144م) تحقيق: د. سليم النعيمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية، ضمن سلسلة إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، 1982م.

- الرحيق المختوم: للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، طبعة مكتبة العبيكان، الرياض، 2003م.

- رسالة الصاهل والشاحج: لأبي العلاء المعري (449هـ)، تحقيق: الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 1404هـ/1984م.

- رسالة الغفران: لأبي المعري (449هـ)، تحقيق وشرح الدكتورة بنت الشاطئ، دار المعارف، مصر، 1960م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (1270هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.

- الروض الأنف: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (581هـ)، مكتبة الكليات

الأزهرية، القاهرة، 1971م.

– زاد المعاد في هدي خير العباد: لشمس الدين بن قيم الجوزية (751هـ)، القاهرة، 1970م.

– زهر الآداب وثمر الألباب: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (453هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1953م.

– الزهرة: لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني. تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور نوري القيسي، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، الزرقاء، 1406هـ/1985م.

– سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: لأبي الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ/1986م.

– سمط اللآلي: لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (487هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الحديث، بيروت، 1404هـ/1984م.

– سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، 1960م.

– سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي (748هـ)، دار المعارف، مصر، 1962م.

– السيرة النبوية: لأبي محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1955م.

– السيرة النبوية الصحيحة: للدكتور أكرم العمري، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1991م.

– السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: للدكتور علي محمد الصلابي، الطبعة الرابعة، دار المعرفة، بيروت، 1427هـ/2006م.

– السيرة النبوية: لأبي محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري(ت213هـ أو 218هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري ورفيقيه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ/ 1994م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لشهاب الدين بن العماد الأصفهاني (1089هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1406هـ/1986م.
- شرح ابن عقيل بهاء الدين عبد الله بن أبي عقيل العقيلي (ت769هـ)، على ألفية أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك (672هـ)، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1991م.
- شرح التحفة الوردية: لزين الدين أبي حفص عمربن مظفر بن عمر بن الوردي (749هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله علي الشلال، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ/1989م.
- شرح التصريح على التوضيح: للشيخ خالد بن عبدالله الأزهري(905هـ)، دار الفكر، بيروت.
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (646هـ)، لرضي الدين الإستراباذي (686هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ/2000م.
- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: لصفي الدين الحلي عبد العزيز بن سرايا (750هـ)، تحقيق: نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1402هـ/1982م.
- شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (643هـ)، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء بمعرفة مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دار صادر.
- شرح حماسة أبي تمام: للأعلم الشنتمري (476هـ)، تحقيق: الدكتور علي المفضل حمُّودان، من مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1992م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: لأبي العباس ثعلب (291هـ)، دار الكتب المصرية، 1363هـ/1944م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام

الأنصاري (761هـ)، علق عليه وشرح شواهده: عبد الغني الدقر، الطبعة الأولى، دار الكتب العربية، دمشق، 1980م.

– شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد (نحو 655هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، 1397هـ/1959م.

– شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد (نحو 655هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية، 1385هـ/1965م.

– شعر أبي حية النميري: جمع وتحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975م.

– شعر الفِنْد الزِّمَّاني: جمع وتحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد السابع والثلاثون، 1407هـ/1986م.

– شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه: للدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م.

– شعر عبد الله بن الزِّبَعْرِي: تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م.

– شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية: للدكتور سلامة عبد الله السويدي، مطبوعات جامعة قطر، 1407هـ/ 1987م.

– شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد محمد علي عبيد، مطبوعات المجمع الثقافي، أبوظبي، 1999م.

– شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام: للدكتور حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم، الرياض، 1403هـ/1983م.

– الشعر والشعراء: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ)، تحقيق: أحمد

محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1386هـ/1966م.

– شعراء بني عُقَيل وشعرهم في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي: للدكتور عبد العزيز محمد الفيصل، شركة العبيكان، الرياض، 1408هـ.

– شعراء بني قُشَيْر في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي: للدكتور عبد العزيز محمد الفيصل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1978م.

– الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية: للدكتور حسين عطوان، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1974م.

– شواهد الشعراء المخضرمين في التراث النحوي توثيق ودراسة: كتاب مطبوع عن رسالة دكتوراه للدكتور مجدي إبراهيم يوسف وإشراف الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1425هـ/ 2004م.

– شواهد نحوية: لمحمد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، 1426هـ / 2005م.

– الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: لأبي الحسين أحمد بن فارس (395هـ)، تحقيق: د. مصطفى الشويمي، من إصدارات المكتبة اللغوية العربية بإشراف رجيس بلاشير، وجبور عبد النور، طبع ونشر مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1382هـ/1963م.

– صبح الأعشى في صناعة الإنشا: لأبي العباس أحمد القلقشندي (821هـ)، القاهرة 1963م.

– الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري (نحو 393هـ)، تحقيق: أحمد عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1376هـ/1956م.

– صحيح البخاري.

– صحيح مسلم بشرح أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي: تحقيق: عصام الصَّبابطي،

حازم محمد، عمار عامر، الطبعة الأولى، دار أبي حيان، القاهرة، 1415هـ/ 1955م.

– الصداقة والصديق: لأبي حيان التوحيدي (310هـ–414هـ)، تحقيق وتعليق الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، 1964م.

– الصديق أبو بكر: للدكتور محمد حسين هيكل، المطبعة المصرية، 1968م.

– صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر: لأبي الفتح جمال الدين يوسف بن محمد بن المجاور، (690هـ)، ليدن، 1951م.

– صفة جزيرة العرب: لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني (334هـ) تحقيق محمد النجدي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1953م.

– صورة الأرض: لأبي القاسم بن حوقل النصيبي (367هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.

– الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية: للدكتور عبد الجبار منسي العبيدي، منشورات دار الرفاعي، الطبعة الأولى، 1982م.

– الطبقات: لخليفة بن خياط (240هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، وزارة الثقافة، دمشق، 1966م.

– الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد (230هـ)، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، 1414هـ/1994م.

– طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي (231هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، 1394هـ/1974م.

– الطريق إلى المدائن: أحمد عادل كمال، الطبعة الثالثة، مطبعة دار النفائس بيروت، 1977م.

– العباب الزاخر واللباب الفاخر: للحسن بن محمد بن الحسن الصَّغاني (650هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، 1397هـ/1977م.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (808هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1956م.
- عثمان بن عفان: للدكتور محمد حسين هيكل، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968م.
- العجاج حياته ورجزه: للدكتور عبد الحفيظ السطلي،الطبعة الثالثة، المطبعة التعاونية، دمشق، 1983م.
- العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي: للدكتور إحسان النص، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، 1973م.
- العقد الفريد: لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (328هـ)، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1416هـ/1996م.
- علم القافية: للدكتور عرفة عبد المقصود، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1993م.
- العمدة في نقد الشعر وتمحيصه: لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (463هـ)، شرح الدكتور عفيف نايف حاطوم، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1424هـ/2003م.
- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم، إيران، 1405هـ.
- عيون الأخبار: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- الغارات: لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي (283هـ)، تحقيق: السيد عبدالزهراء

الحسيني الخطيب، دار الكتاب الإسلامي، 1410هـ/1990م.

- الغيث المُسْجَم في شرح لامية العَجَم: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (764هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ/1975م.

- الفاضل: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955م.

- الفاضل في صفة الأدب الكامل: لمحمد بن أحمد بن إسحاق النحوي المعروف بالوَشَّاء (325هـ)، تحقيق: يوسف يعقوب مسكوني، وزارة الإعلام، بغداد، 1392هـ/1972م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، تم التحقيق والمراجعة بدار أبي حيان، الطبعة الأولى، القاهرة، 1416هـ/1996م.

- الفتنة الكبرى: للدكتور طه حسين، مطبعة دار المعارف، 1966م.

- الفتوح: لأحمد بن علي بن أعثم الكوفي (314هـ)، دار الندوة، بيروت، 1392هـ/1972م.

- فتوح الشام: لمحمد بن عمر الواقدي (207هـ)، دار الجيل، بيروت، 1975م.

- فتوح مصر والمغرب، القسم التاريخي: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبدالحكم القرشي (257هـ)، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961م.

- فحولة الشعراء: لعبد الملك بن قريب الأصمعي (216هـ)، تحقيق: س. توّري، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1389هـ/1971م.

- فُرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه: لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغُندجاني (كان حياً سنة 430هـ)، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني، دار النبراس، دمشق، 1401هـ/1981م.

- فصل المقال: لأبي عبيد عبيد الله بن عبد العزيز البكري (487هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد عابدين ود. إحسان عباس، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، 1958م.

- الفصوص لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1414هـ/1994م.
- الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ: لأبي العلاء المعري (449هـ)، تحقيق: محمود حسن زناتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.
- الفن الحربي في صدر الإسلام: اللواء عبد الرؤوف عون، دار المعارف، القاهرة، 1961م.
- الفهرست: لمحمد بن إسحاق النديم (380هـ)، تحقيق ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، 1405هـ/1985م.
- الفهرست: لمحمد بن إسحاق النديم (380هـ)، تحقيق د. شعبان خليفة ووليد محمد العوزة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.
- في الأدب الجاهلي: للدكتور طه حسين، دار المعارف، القاهرة، 1984م.
- في الشعر الأموي دراسة في البيئات: للدكتور يوسف خليف، مكتبة غريب، القاهرة، 1991م.
- في تاريخ الأدب الجاهلي للدكتور علي الجندي، مكتبة النصر، القاهرة، 1992م.
- قانون البلاغة في نقد النثر والشعر: لأبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي (517هـ)، تحقيق: محسن غيَّاض عجيل، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م.
- القبائل العربية في مصر: لعبد الله خورشيد، القاهرة، 1967م.
- القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة: لعبد الله خورشيد البري، دار الكتاب العربي، 1967م.
- القوافي: للأخفش سعيد بن مسعدة (215هـ)، تحقيق: أحمد راتب النفَّاخ، دار الأمانة، بيروت، 1394هـ/1974م.
- القيادة العسكرية في عهد الرسول: لعبد الله بن محمد الرشيد، دار القلم، دمشق،

1410هـ/1990م.

– الكامل في التاريخ: لعز الدين بن الأثير (ت630هـ)، الطبعة السابعة، دار صادر، بيروت، 2005م.

– الكامل في اللغة والأدب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (285هـ)، تحقيق د. محمد الدالي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م.

– الكتاب: لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م.

– كتاب الأموال: لأبي عبيد القاسم بن سلام (224هـ)، تحقيق محمد خليل، المطبعة التجارية الكبرى، 1353هـ، وطبعة الأزهر، 1968م.

– كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (206هـ) أو (213هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مراجعة محمد خلف الله أحمد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1394هـ/1974م.

– كتاب الخراج: لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة (ت183هـ)، دار المعرفة بيروت، 1399/1979م.

– كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: لضياء الدين بن الأثير (637هـ)، تحقيق: نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن وهلال ناجي، منشورات جامعة الموصل، 1982م.

– كنايات الجرجاني: المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي أبي العباس الجرجاني (482هـ) تحقيق: الدكتور محمد شمس الحق شمسي، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد– الدكن الهند، 1403هـ/ 1983م.

– الكنز اللغوي في اللسن العربي: سعى في نشره وتعليق حواشيه أوغست هفنر (1869هـ/ 1941م)، مكتبة المثنى، بغداد، 1980م.

– لباب الآداب: لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: الدكتور قحطان رشيد صالح، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، 1988م.

– لباب الآداب: للأمير أسامة بن منقذ (484–584هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب السلفية، القاهرة، 1407هـ/1987م.

– لسان العرب: لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرّم بن منظور (711هـ/1311م)، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف.

– لطف التدبير: لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (421هـ)، تحقيق: أحمد عبد الباقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م.

– المؤتلف والمختلف: للحسن بن بشر الآمدي (370هـ)، تحقيق عبد الستار فراج، دار إحياء المكتبة العربية، القاهرة، 1381هـ/1961م.

– المؤتلف والمختلف: لعلي بن عمر الدارقطني (385هـ)، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

– ما رأيت وما سمعت: من دمشق إلى مكة، عشرون يوماً في الطائف، خير الدين الزركلي، تقديم وتعليق: عبد الرزاق كمال، المطبعة العربية ومكتبتها، القاهرة، 1342هـ/1923م.

– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين بن الأثير (ت637هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، الطبعة الثانية، منشورات دار الرفاعي، الرياض، 1404هـ/1984م.

– مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ)، تعليق: محمد فؤاد سزكين، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م.

– مجالس ثعلب: لأبي العباس ثعلب (291هـ)، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1949م.

– المجتنى: لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (321هـ)، دار الفكر، دمشق، 1402هـ/1982م.

– مجمع أشعار معجم البلدان: للدكتور عمر الأسعد، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت لبنان 1411هـ/1991م.

– مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (539هـ)، تحقيق الدكتور جان عبدالله توما، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1425هـ/2005م.

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (807هـ)، بتحرير العراقي وابن حجر العسقلاني (852هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.

– مجمل اللغة: لأحمد بن فارس (395هـ)، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ/1984م.

– مجمل اللغة: لأحمد بن فارس (395هـ)، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ/1984م.

– مجموعة المعاني: لمؤلف مجهول، تحقيق عبد المعين الملّوحي، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق، 1988م.

– المحاسن والأضداد: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ)، دار الهلال، 1975م.

– المحاسن والمساوئ: لإبراهيم بن محمد البيهقي، دار صادر، بيروت، 1390هـ/ 1970م.

– محاضرات الأدباء ومجاورات الشعراء والبلغاء: لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (502هـ)، تحقيق الدكتور رياض عبد الحميد مراد، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، 1427هـ/2006م.

– محاضرات في تاريخ العرب: للدكتور صالح أحمد العلي، مطبعة الإرشاد العراقية، 1968م.

- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار: للشيخ محيي الدين بن عربي (638هـ)، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة النجوى، بيروت، 1388هـ/1968م.

- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: للسري بن أحمد الرّفّاء (362هـ)، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ/1986م.

- المحبر:لمحمد بن حبيب (245هـ)، رواية أبي سعيد السكري، اعتنى بتصحيحه الدكتورة إيلزه ليختن شتيتر، من سلسلة ذخائر التراث العربي ومنشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ومطبعة دار المعارف العثمانية، 1942م.

- المحتسب: لأبي الفتح عثمان بن جني (392هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف ورفاقه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني (392هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1999م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (546هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م.

- المختار الثقفي مرآة العصر الأموي: للدكتور علي حسني الخربوطلي، إصدار المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ضمن سلسلة أعلام العرب، القاهرة، 1962م.

- المختار من شعر بشار للخالديين: لأبي الطاهر إسماعيل بن أحمد التجيبي (منتصف القرن الخامس)، لجنة التأليف، القاهرة، 1934م.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: لعفيف الدين عبد الله

ابن أسعد اليافعي اليمني (768هـ)، تحقيق عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1984م.

– مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (مختصر معجم البلدان لياقوت): لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (739هـ)، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1955م.

– المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب، الطبعة الرابعة، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1991م.

– المرقصات والمطربات: لنور الدين علي بن الوزير أبي عمران (673هـ)، دار حمد ومحيو، بيروت، 1973م.

– مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسن علي المسعودي (346هـ)، دار التحرير، القاهرة، 1969م، وكذلك طبعة دار الأندلس، بيروت، 1965م.

– المزهر في علوم اللغة وأنواعها: لجلال الدين السيوطي (911هـ)، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، 1412هـ/1992م.

– المسالك والممالك: لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (346هـ)، تحقيق محمد جابر عبد العال، مطبعة الإرشاد المصرية، 1961م.

– المسامرات والمحاضرات: لمحيي الدين أبي بكر محمد بن عربي (638هـ)، مطبعة محمد شعراوي رضوان، القاهرة، 1282هـ.

– المستجاد من فعلات الأجواد: لأبي علي المحسن بن علي التنُّوخي (384هـ)، تحقيق محمد كرد علي، دار صادر بيروت، 1412هـ/1992م.

– المستخرج على المستدرك للحاكم النيسابوري أبي عبد الله محمد بن عبد الله (405هـ)، أمالي الحافظ العراقي (806هـ)، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن محمد بن عبد المنعم

بن رشاد، مكتبة السنة، القاهرة، 1990م.

- المستطرف في كل فَنٍّ مستظرف: لبهاء الدين أبي الفتح محمد بن أحمد الأبشيهي، تحقيق: إبراهيم صالح، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، 2004م.

- مستفاد الرحلة والاغتراب: للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (730هـ)، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1975م.

- المستقصى في أمثال العرب: لجار الله الزمخشري (538م)، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: (241هـ)، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1368هـ / 1949م.

- مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد بن حنبل: للدكتور علي محمد جماز، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدوحة، 1410هـ/1990م.

- المسند: لعبد الله بن الزبير الحُمَيْدي (ت219هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب، بيروت، 1381هـ.

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: للدكتور ناصر الدين الأسد، الطبعة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1988م.

- مصارع العشاق: لأبي محمد السَّرَّاج (500هـ)، دار صادر، بيروت، 2005م.

- المصون في الأدب: لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (382هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ضمن سلسلة التراث العربي الصادرة عن وزارة الإعلام الكويتية، مطبعة حكومة الكويت، 1984م.

- المصون في سر الهوى المكنون: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (413هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد عارف محمود حسين، الطبعة الأولى، مطبعة

الأمانة، القاهرة، 1407هـ/ 1986م.

– مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب: لأبي عبد الله محمد بن حسين بن عمير اليمني (400هـ)، تحقيق: الدكتور محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، 1961م.

– مطالعات في الكتب والحياة: عباس محمود العقاد، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، 1987م.

– المعارف: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، طبعة دار المعارف، القاهرة، 1969م.

– معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي (963هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1367هـ/1947م.

– معجم أعلام شعراء المدح النبوي: للدكتور محمد أحمد ورنيقة، الطبعة الأولى دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1996م.

– معجم البلدان: لشهاب الدين ياقوت الحموي (626هـ)، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، 1410هـ/1990م.

– معجم الشعراء الجاهليين: د. عزيزة فوال بابتي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1998م.

– معجم الشعراء: لأبي عبيد الله المرزباني (297–384هـ)، تحقيق: عبد الستار فراج، وطبعة أخرى بتحقيق: فاروق اسليم، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1425هـ/ 2005م.

– معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري وفيه ما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة، وملحق به مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1950م.

– معجم قبائل العرب: عمر رضا كحّالة، دار العلم للملايين، 1968م.

– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: لأبي عُبَيْد عبد الله بن عبد العزيز البكري (487هـ)، حققه: مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م.

– المعمرون والوصايا: لأبي حاتم السجستاني (255هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1961م.

– المغازي: لمحمد بن عمر بن الواقدي (207هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد، 1966م.

– مغني اللبيب: لعبد الله بن يوسف بن هشام (761هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1384هـ.

– المفصَّل في صنعة الإعراب: لجار الله الزمخشري (538هـ)، حققه الدكتور: محمد محمد عبد المقصود، والدكتور حسن محمد عبد المقصود، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1421هـ/2001م.

– المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: للدكتور جواد علي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد.

– المقاصد النحوية: لمحمود بن أحمد العيني (855هـ)، دار صادر (مصورة عن طبعة بولاق 1299هـ) بيروت.

– مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس (395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1371هـ.

– المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (286هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة الطبعة الثانية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1399هـ/1978م.

– مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ: للدكتور أحمد إبراهيم الشريف، الطبعة

الثانية، القاهرة، 1967م.

– الممتع في صنعة الشعر: لعبد الكريم النهشلي القيرواني (403هـ)، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

– من اسمه عمرو من الشعراء: لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح (296هـ–909م)، تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1412هـ/ 1991م.

– من نسب إلى أمه من الشعراء: لمحمد بن حبيب (245هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1370هـ/1951م (ضمن نوادر المخطوطات).

– المنازل والديار: للأمير أسامة بن منقذ (488–584هـ)، تحقيق: مصطفى حجازي، الطبعة الثانية، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1412هـ/1992م.

– المنتخب في محاسن أشعار العرب: المنسوب للثعالبي، تحقيق: د. عادل سليمان جمال، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414هـ/1993م.

– منتهى الطلب من أشعار العرب: جمع محمد بن المبارك بن ميمون (نحو 589هـ)، تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1999م.

– المنثور البهائي: لعلي بن محمد بن خلف الهمذاني (414هـ)، تحقيق الدكتور عبد الرحمن ابن عثمان بن عبد العزيز الهليل، الطبعة الأولى، نشر مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة، الرياض، 1422هـ/2001م.

– مِنَحُ المِدَح: لأبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس (732هـ)، تحقيق: عفت وصال حمزة، دار الفكر، دمشق، 1407هـ/1987م.

– المنمق في أخبار قريش: لمحمد بن حبيب (245هـ)، تحقيق: خورشيد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/1985م.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: لأبي الحسن حازم بن محمد القرطاجني (684هـ)، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1986م.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (370هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1370هـ/1961م.
- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف: إعداد: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الفكر ودار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1989م.
- موسوعة التاريخ الإسلامي: للدكتور أحمد شلبي، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، 1990م.
- موسوعة الشعر العربي: الشعر العربي في شتى عصوره ومناطقه منذ العهد الجاهلي حتى عهد النهضة العربية الحديثة، اختارها وشرحها وقدم لها: مطاع صفدي، وإيليا حاوي، تحقيق: أحمد قدامة، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، 1974م.
- موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية: محمد سليمان الطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1421هـ/2001م.
- موسيقى الشعر: للدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1972م.
- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: لعبد الحي بن فخر الدين الحسني (1314هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الهند، 1981م.
- نسب قريش: لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري (236هـ)، بعناية: إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، ضمن سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، مصر، 1982م.
- نشر اللطائف في قطر الطائف: نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الكيلاني (907هـ)، تحقيق: عثمان محمود الصيني، الطبعة الأولى، نادي الطائف الأدبي، 1406هـ/1986م.
- النشر في القراءات العشر: لأبي الخير بن الجوزي (833هـ)، أشرف على تصحيحه: علي

محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م.

- نهاية الأرب في فنون الأدب: لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (733هـ أو 742هـ)، طبعة الإرشاد المصرية.

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: لأبي العباس أحمد القلقشندي (821هـ)، الشركة العربية للطباعة، 1959م.

- نور القبس المختصر من «المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء»: لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (384هـ)، اختصره أبو المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري (673هـ)، بعناية رُودُلْف زلهايم، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1384هـ/1964م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: لجلال الدين السيوطي (911هـ)، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ/2001م.

- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (764هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الثانية، دار النشر فرانز شتايز بڤيسبادن، 1399هـ/1979م.

- الوافي في العروض والقوافي: ليحيى بن علي التبريزي (502هـ)، تحقيق عمر يحيى والدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، 1399هـ/1979م.

- الوحشيات = الحماسة الصغرى: لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق عبد العزيز الميمني، الطبعة الثالثة، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة، 1987م.

- الوساطة بين المتنبي وخصومه: للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (392هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الثالثة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1960م.

- وصف الخيل في الشعر الجاهلي: لكامل سلامة الدقس، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1395هـ/ 1975م.

– وفيات الأعيان والعيون: لأحمد بن خلكان (681هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان (681هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، الطبعة الرابعة، دار صادر، بيروت، 2005م.

– وقعة صفين: لنصر بن مزاحم (212هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1401هـ/1981م.

– الوليد بن يزيد عرض ونقد: للدكتور حسين عطوان، طبعة دار الجيل، بيروت، 1401هـ/1981م.

الرسائل الجامعية

- شعر بني أسد في الجاهلية وصدر الإسلام (رسالة دكتوراه): إعداد: محمد علي دقة، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السطلي، جامعة دمشق، 1411هـ/1991م.
- شعراء تغلب، أخبارهم وأشعارهم في العصر الجاهلي (رسالة دكتوراه): إعداد: علي أبو زيد، بإشراف: الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السطلي، جامعة دمشق، 1408هـ/1987م.
- شعراء قبيلة طيئ، أخبارهم وأشعارهم في العصرين الجاهلي والإسلامي (رسالة دكتوراه): إعداد: أحمد حالو، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السطلي، جامعة دمشق 1412هـ/ 1992م.

المراجع الأجنبية المترجمة إلى العربية

– تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرون، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

– تاريخ التراث العربي: للدكتور فؤاد سزكين، ترجمة د. محمود فهمي حجازي، ود. فهمي أبو الفضل، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

– تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية: يوليوس فلهوزن، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الثانية، القاهرة، 1986م.

– تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، ترجمة د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين. بيروت، 1984م.

– تاريخ العرب: (مطول) فيليب حتي، مع د. إدوارد جورجي ود. جبرائيل جبور، الطبعة الثالثة، دار الكشاف بيروت، 1961م.

– تاريخ العرب العام: سيديو، نقله إلى العربية عادل زعيتر، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1969م.

– دائرة المعارف الإسلامية: تصدير وترجمة عبد الحميد يونس وأحمد الشنتاوي، مطبعة المعارف، بيروت، 1882م.

– دراسات في حضارة الإسلام: هاملتون جب، ترجمة إحسان عباس وآخرين، بيروت، 1964م.

– العرب في التاريخ: تأليف برنارد لويس (1916م)، تعريب: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت، 1954م.

– الفتوحات العربية الكبرى: جون باجود جلوب، تعريب وتحقيق خيري حماد، مكتبة

المثنى، بغداد، 1963م.

– محمد في مكة: مونتجمري وات، تعريب: شعبان بركات، المكتبة المصرية، 1952م.

Lammens: S. J. la cite arabe de taif a la veille de L›Heigire[1].

المجلات والدوريات

– مجلة المشرق، الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1898م، مقال بعنوان (من رمضاء مكة إلى مصيف الطائف) بقلم الأب فردينان توتل اليسوعي.

– مجلة المجمع العلمي الهندي بجامعة عليكره الإسلامية بالهند، المجلد الثامن، عدد رمضان 1403هـ يونيو 1983م، مقال بعنوان (دالية أمية بن أبي الصلت الثقفي).

– مجلة العرب السعودية. المجلد الثاني الجزء الخامس، صفحة 406 وما بعدها، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

– مجلة المقتطف، عدد مايو 1945م.

– مجلة المورد العراقية، العدد الأول من المجلد الرابع، صفحة 145.

– مجلة المنهل، السنة الرابعة 1358هـ، من ص 174–176 ومن ص 187–189.

– مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الخامس عشر، مقال للأستاذ محمد خلف الله أحمد بعنوان (حكمة أبي تمام).

(1) (ترجمت الجزء الخاص بالطائف؛ لأن الكتاب غير مترجم).

المحتويات



لم ينل شعراء قبيلة ثقيف حقهم من جانب الباحثين والدارسين، لا في جمع أشعارهم ولا في دراستها دراسة شاملة كما هو شأن سائر شعراء القبائل. فما زلت أبيات الشعراء الثقفيين متناثرة متفرقة، ومقطعاتهم مبعثرة.

ولا ريب في أن إعادة جمع ما تناثر من أشعار القبائل العربية. ومنها قبيلة ثقيف. وتحقيقها ودراستها والقيام عليها من أهم ما ينبغي أن يعنى به دارسو الأدب العربي القديم؛ ذلك أن الشعر يعدّ رافداً أصيلاً من روافد تراثنا الثقافي والوجداني، وفي بعثه استجلاء لآفاق الوجدان والفكر والحضارة في تاريخ الأمة، ثم إنه يعطي صورة واضحة المعالم عن حياة العرب، وما وصلوا إليه في شتى مناحي حياتهم.

وبما أن ثقيف من أفصح القبائل العربية لساناً، وأفضلها بياناً، وأجودها شعراً، وأتقنها لغة، وأن لغتها إحدى اللغات السبع التي نزل القرآن بها؛ فقد تواضع أهل اللغة في القرون الأولى على أن أشعر أهل المدن يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف. وذلك مما يؤكد جودة شعر ثقيف، ومكانة اللسان الثقفي الذي ينطلق عن سليقة عفواً بلا عناء.

